

دار الكتب المصرية

كتاب صبح الأعشى

تأليف
الشيخ أبى العباس أحمد القلقشندى

الجزء الثالث

القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م

الطبعة الثانيـــة بمطبعة دار الكتب المصرية



الجزء الثالث من كتاب صبح الأعشى

صفحة

صفحة

الألف على ضربين : مفردة ومركبة

صفحة

صفحة

المقـالة الثانيــــة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

تنبيـــــه

بعض التعليقات الخاصة بتعيين الأماكن ، مع تحديد مواضعها في هـذا الجزء هي من وضع حضرة الأسـتاذ محمد رمزي بك المفتش بوزارة المـالية سابقا ، فنسدي إليه جزيل الشكر .

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الأُولى

فى الكلام على نَفْس الخطّ ؛ وفيه ثمانية[1] أطراف ٥

الطَّرَف الأوّل

فى فضيلة الخطّ

قال تعالى : ﴿ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فأضاف تعليم الخط إلى نفسه، وآمتنّ به على عباده؛ وناهيك بذلك شرفا !

وقال جل وعز : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وما يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسم بما يَسْطُرُونه . ١٠

وعن آبن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ أنه الخط كما تقدّم الكلام عليه .

ويروى أنّ سليمان عليه السلام سأل عِفْرِيتا عن الكلام فقال : ريحٌ لا يبقى! قال : فما قَيْدُه ؟ قال : الكتابة .

وقال عبيد الله بن العباس : الخط لِسانُ اليد . ١٥

(١) فى الأصل : «سبعة أطراف» والأطراف التى سيذكرها المؤلف ثمانية .

وقال جعفر بن يحيى: الخط سِمْط الحكمة، وبه تُفَصَّل شُذُورها، وينتظم منثورها.

وقال النَّظَّام: الخط أصل الروح[(١)] له جسدانية فى سائر الأعمال. إلى ما يَجْرى هذا المَجْرى.

وقال إبراهيم بن محمد الشيبانى: الخط لسان اليَد، وبَهْجة الضمير، وسَفِير العقول، ووَصِىُّ الفِكْر، وسِلاح المَعْرِفة، وأُنْس الإخوان عند الفُرْقة، ومحادثتُهم على بُعْد المسافة ومستودَع السِّر، ودِيوان الأمور.

وقال مسلم بن الوليد: من عجائب الله تعالى فى خلقه، وإنعامه عليهم من فضله، تعليمُه إيَّاهم الكتّابَ المُفيدَ للباقين، حِكَمَ الماضين؛ والمخاطِبَ للعيون بسرائر القلوب، على لغات متفرّقة، فى معانٍ معقولة، بحروف مؤلَّفة من ألف، وباء، وجيم، ودال، متبايناتِ الصُّوَر، مختلفاتِ الجهات، لِقَاحُها التفكير، ونتاجُها التأليف؛ تَخْرَس مُنْفردة، وتَنْطِق مُزْدوِجة، بلا أصواتٍ مسموعة، ولا ألْسُن مزموّرة، ولا حركاتٍ ظاهرة؛ ما خلا قلمًا جَوَّف باريه بطنَه لِيعْلَق المِدادُ به، وأرهف جانبيه ليردّ ما آنتشر منه إليه؛ وشقَّ رأسه ليحتبس الآستمداد عليه؛ وأربع من شَفَتيه، ليجمعا حَواشيَ تصويره إليه؛ فهناك آشتدّ القلم برشفه، وقذف المادّة إلى صدره، ثم مَجَّها من شقِّه بمقدار ما آحتملت شَفَتاه بتخطيط أجزاء النقط التى أراد بها الخطوط، فالأبصار لها ساميَة، فإذا حكَتْها الألسُن فالآذان لها واعية. وأوْلى أسمائها بها حينئذ الكلامُ الذى سَدّاه العقلُ، وألْحَمه اللسان، وقطَعتْه الأسنان، ولفَظتْه الشَّفَتان، وصَدّاه الحلق، وجُرِّعته الأسماع على أنحاءٍ شتَّى، وسمِّيت بها[(٢)] الأشياء لتعريف متناكِرها، وتمييز متشابِهها، وتبيين معلومها من مجهولها. فمن ذلك فَضَل الكُتَّابُ الصِّناعات.

(١) عبارة الضوء: "قال بعض العلماء: الخط كالروح فى الجسد".

(٢) فى الأصل: «وسميت لها» والسياق يقتضى ما أثبتناه.

وبالجملة فليس يذكر ذاكر شيئا مما يجرى به الخاطر، أو يميلُ إليه العقل، أو يُلْقيه الفهم، أو يقع عليه الوهم، أو تُدْرِكه الحواسُّ، إلا والكتابُ والكلام موكّلان به، مدبِّرانِ له، معبِّران عنه .

فلما أن تضمّنت الحروفُ الدلالة ، وقامت الألفاظُ بالعبارة، نطقت الأفواه بكل لغة ، وتصرّف المَنْطِق بكل جهة، فلم تكتف منه أُمّة بأمة، ولم تستغْنِ عنه مِلّة دُونَ مِلّة، فعُرِّب ذلك بلغة العرب التى هى القاهرةُ لجميع اللُّغات، المنظِّمة لجميع المعانى فى وجيز الصِّفات .

ولو لم يكن من شَرَف الخط إلا أن الله تعالى أنزله على آدم أو هُود عليهما السلام كما تقدّم ذكره ، وأنزل الصُّحُف على الأنبياء مسطورةً ، وأنزل الألواح على موسى عليه السلام مكتوبةً، لكان فيه كفاية .

وأيضا فإنَّ فيه من حِفْظ الحُقوق، ومنع تمرُّد ذَوِى العقوق، بما يُسطَّر عليهم من الشهادات، التى تقع فى السجلات، والمكاتَباتِ بين الناس لحوائجهم من المسافات البعيدة التى لا ينضبط مثلُ ذلك لحامل رسالة، ولا يناله الحاضرُ بمشافَهَة وإن كثر حفظه وزادت بلاغته . ولذلك قيل : الخطُّ أفضلُ من اللفظ ، لأن اللفظ يُفَهِّم الحاضر فقط، والخط يفَهِّم الحاضر والغائب . ولله القائل فى ذلك يصف القلم :

وأَخْرَسَ يَنْطِق بالمُحْكَمات * وجُثْمانُه صامتٌ أجْوَفُ
بمكَّةَ يَنْطِقُ فى خُفْيةٍ * وبالشام مَنْطِقُه يُعْرَفُ

الطرف الثانى
فى بيان حقيقة الخط

قال الشيخ شمس الدين بن الأكفانى فى كتابه "إرشاد القاصد" فى حصر العلوم : "وهو علم تتعرّف منه صُوَرُ الحروف المفردة ، وأوضاعُها ، وكيفيةُ تركيبها خطًّا،

أو ما يكتب منها فى السُّطُور، وكيف سبيله أن يُكْتَب، ومالا يُكْتَب؛ و إبدالُ ما يُبْدَل منها فى الهجاء و بمـاذا يُبْدَل " .

قال : " وبه ظهرتْ[1] خاصّة النوع الإنسانىّ من القُوّة إلى الفعل، وآمتاز عن سائر أنواع الحيوان ؛ وضُبِطَت الأموال ، وترتّبت الأحوال وحُفِظت العلوم فى الأدوار، وآستمرّت على الأطوار، وآنتقلت الأخبار من زمان إلى زمان، وحُملت سرًّا من مكان إلى مكان .

وبهذه الفضائل حافظت الغريزة الإنسانية على قَبُوله بطلب تعلّمه محافظةً لم يحتج بها إلى تَذْكار بعد الغَيْبة . ولهذه العلّة آستَغْنى عن كتاب يُصنَّف فيه " .

ثم قال : "وجميع العلوم إنما تعرف بالدلالة عليها : بالإشارة، أواللفظ، أو الخط ؛ فالإشـارة تتوقّف على المشاهدة ؛ واللفظ يتوقّف على حضور المخـاطَب وسماعه ؛ أما الخط فإنه لا يتوقّف على شىء فهو أعمّها نفعا وأشرفُها " .

وآعلم أنه قد تقدّم فى الكلام على اللغة فى "النوع الأول مما يحتاج إليه الكاتب" أنه ينبغى للكاتب أن يتعلّم لغةَ من يَحتاج إلى مخاطبته ، أو مكاتبته من اللغات غير العربية ؛ فكذلك ينبغى أن يتعلم من الخطوط غيرِ العربية ما يحتاج إليه من ذلك، فقد قال محمد بن عمر المدائنى فى كتاب "القلم والدواة" : إنه يجب عليه أن يتعلم الهندية وغيرها من الخطوط العجمية . ويؤيد ذلك ما تقدّم فى الكلام على اللغـة أن النبىّ صلى الله عليه وسلم "أمر زيدَ بنَ ثابت رضى الله عنه أن يتعلّم كتابَ يَهُودَ من السُّرْيانية أو العبرانية فتعلّمَها" وكان يقرأ على النبىّ صلى الله عليه وسلم كُتُبَهم ويُجيبهم عنه .

(١) هـذه العبارة وردت فى الأصل هكذا : «وبه ظهرت خاصـة النوع الانسانى من القوّة الى الفعل ، وآمتاز به عن سائر الحيوان ؛ وضبط الأموال، وترتيب الأحوال، وحفظ العلوم فى الأدوار، واستمرارها على الأطوار ، وانتقال الأخبار من زمان الى زمان وحمل السر من مكان الى مكان ... الخ » وما أثبتناه عن كتاب إرشاد القاصد للؤلف المذكور (ص ٣٠ طبع مصر) .

الطـــرف الثـالث

فى وضـــع الخـــط، وفيـــه جملتان

الجمـــلة الأولى

فى بيان المقصود من وضعه، والمُوازنة بينه وبين اللفظ

أما بيان المقصود من وضعه، فآعلم أن وضع اللفظ لأداء المعنى، الحاصل فى الذهن المشعور به للسمع؛ إذ لا وقوفَ على ما فى الذهن؛ ووضـع الخط لأداء اللفظ المقصود فهمه للناظر فيـه . فإذا أردت إيقافك أحدا على ما فى ذهنك من المعانى تكلمتَ بألفاظ وُضِعتْ لهـا، و إذا أردت تأدية ألفاظ لذلك الإيقاف إلى أحد بغير شِفَاهٍ، نقشْتَ النُّقوش الموضوعة لتلك الألفاظ، فيطالع تلك النقوش، ويفهم منها تلك الألفاظ، ومن الألفـاظ تلك المعانى؛ ولا علاقةَ معقولةٌ بين المعانى والألفاظ على الأمر العام، ولا بين الألفـاظ والنقوش الموضوعة؛ ومن ثَمَّ جاء آختلافُ اللُّغات والخُطُوط كالعربيّة والرُّومية وغيرِهما .

وأما المُوازنةُ بينه وبين اللفظ، فالأصـلُ فى ذلك أن الخطَّ واللّفظَ يتقاسمان فضيلةَ البيان ويشتركان فيهـا : من حيث إن الخطّ دالٌّ على الألفاظ والألفـاظَ دالّةٌ على الأوهام؛ ولآشتراك الخط واللفظ فى هـذه الفضيلة وقع التناسبُ بينهما فى كثير من أحوالها؛ وذلك أنهما يعـبِّران عن المعانى إلا أن اللفظ معـنًى متحرِّك والخطَّ معنًى ساكنٌ، وهو وإن كان ساكنا فإنه يفعلُ فعلَ المتحرك بإيصـاله كلَّ ما تضمنه إلى الأفهام وهو مستقرّ فى حيزه، قائم فى مكانه(1)؛ كما أن اللفظ فيه العذْبُ الرشيقُ السائغ فى الأسمـاع كذلك الخط فيه الرائق المستحسَنُ الأشكالِ والصُّور .

(1) فى الأصل : «حيزه ومكانه فبائم» والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وكما أن اللفظ فيه الجزْل الفصيح الذى يستعملُه مَصَاقِـع الخُطَباء، ومَفَالِق الشُّعَراء، والمبتـذَلُ السخيف الذى يستعمله العوامّ فى المكاتبة والمخـاطبة؛ كذلك الخطُّ فيه المحرَّر المحقَّق الذى تكتب به الكتُب السلطانية والأمور المهمة، وفيه المُطْلق المرسَل الذى يتكاتَب به الناس ويستعملونه فيما بينهم . وكما أن اللفظ يقَع فيه لحنُ الإعراب الذى يهجِّنه كذلك الخط يقع فيه لحْنُ الهِجَاء . وكما أن اللفظ إذا كان مقبولا حُلْوا رفع المعنى الخسيسَ وقرَّبه من النُّفُوس، وإن كان غَثًّا مستكْرَها وضع المعنى الرفيعَ وبعَّده من القلوب، كذلك الخط إذا كان جَيِّـدا حسَنًا بعث الإنسان على قراءة ما أُودِع فيـه وإن كان قليل الفائدة، وإن كان ركيكا قبيحا صَرَفه عن تأمُّل ما تضمَّنه وإن كان جليلَ الفائدة .

ولـما آشـترك اللفظ والخط فى الفوائد العامَّة التى جُعِلت فيهما وقع الاشتراك أيضـا بين آلتيهما إذ آلة اللفظ اللسانُ، وآلة الخط القلَمُ؛ وكل منهما يفعل فعل الآخر فى الإبانة عن المعانى إلا أن اللفظ لـما كان دليلا طبيعياً جُعِلت آلتُـه آلة طبيعيـةً، والخط لـما كان دليـلا صِناعيًّا جعلت آلته آلةً صناعيَّة؛ ولـما تقاسمت الآلتان الدلالةَ نابت إحداهما مناب الأخرى فأوقعوا آسمَ اللسان على القلم فقالوا : الأقلام ألْسِنَةُ الأفهام، وشَرَّكوا بينهما فى الآسم فقالوا : القلمُ أحدُ اللِّسانين .

الجـملة الثـانيـة
فى أصـل وضـعه؛ وفيـه مَسْلَكان

المسـلك الأوّل
فى وضـع مطـلق الحـروف

قيل : إن أوّل مَنْ وضع الخُطوط والكتُبَ كلَّها آدمُ عليه السلام : كتبها فى طين وطبخه؛ وذلك قبل موته بثلثمائة سنة؛ فلمـا أظلَّ الأرضَ الغرقُ أصاب كلُّ قوم

كتابهم . وقيل أَخْنُوخ (وهو إدريس عليه السلام) . وقيل إنها أنزلت على آدم عليه السلام فى إحدى وعشرين صحيفة . وقضية هذه المقالة أنها توقيفية علمها الله تعالى بالوحى، والمقالتان الأوليان محتملتان لأن تكون توقيفية وأن تكون آصطلاحية وضعها آدم وإدريس عليهما السلام . على أنه يحتمل أن يكون بعض ذلك توقيفيا علمه الله تعالى بالوحى، و بعضه آصطلاحيا وضعه البشر : واحدٌ أو جماعةٌ، فيصير الخلاف فيه كالخلاف فى اللغة هل هى توقيفية أو آصطلاحية على ما هو مقرّر فى علم الأصول . والله سبحانه وتعالى أعلم .

المسلك الثانى

فى وضع حروف العربية

قال الشيخ أبو العباس البُونىّ رحمه الله فى كتابه "لطائف الإشارات فى أسرار الحروف المعلومات" :

يروى عن أبى ذرّ الغِفَارىّ رضى الله عنه أنه قال : "سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسولَ الله، كلُّ نَبِيٍّ مُرْسَل بم يُرْسَل؟ . قال : بكتاب منَزَّل . قلت : يارسولَ الله، أىُّ كتابٍ أُنْزِل على آدمَ؟ . قال : ا ب ت ث ج إلى آخره . قلت : يا رسول الله، كم حَرْف؟ . قال : تسعٌ وعشرونَ . قلت : يا رسول الله، عدَدْتَ ثمانيةً وعشرين، فغَضِب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتّى آحمرّت عيناه، ثم قال : يا أبا ذرّ، والّذى بَعَثنِى بالحقّ نبيًّا ! ما أنزلَ اللهُ تعالى على آدم إلا تِسْعةً وعشرين حرفًا . قلت : يارسول الله، فيها ألف ولام . فقال عليه السلام : لام ألف حرفٌ واحد، أنزله على آدم فى صحيفةٍ واحدةٍ، ومعه سبعونَ ألفَ مَلَك، من خالف لام ألف فقد كفر بمـا أُنزِل على آدم ! ومَنْ لم يعدّ لام ألف فهو برىء منّى وأنا برىء منه ! ومَنْ لا يُؤْمِنُ بالحروف وهى تسعةٌ وعشرون حرفًا لا يخرج من النار أبدا " .

وهذا الخبر ظاهر في أن المراد منه حروف العربية فقط، إذ قد أجاب صلى الله عليه وسلم أبا ذرّ رضى الله عنه بحروف: ا ب ت ث وأثبت منها لام ألف، وليس ذلك في غير حروف العربية؛ وقضية ذلك أن حروف العربية أنزلت على آدم عليه السـلام وهو الموافق لما في أوّل الفصل قبله، لكن في كتاب "التنبيه على نقـط
٥ المصاحف وشكلها" للشيـخ أبى عمرو الدانيّ رحمه الله أنها أنزلت على هُود عليـه السلام؛ ولا تباين بينهما، لجواز أن تنزل على آدمَ مرّة وعلى هُودٍ أخرى، فربما نزلت الآية على نبيّ ثم نزلَتْ على نبيّ آخر كما قيل في قوله تعالى: ﴿ حمعسق كَذٰلِكَ يُوحِى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إنه ما بعث اللهُ تعالى نبيا إلّا وأنزل عليه ﴿حمعسق﴾. وقد أنزلت ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ على سليمان عليه السـلام ثم أنزلت على النبيّ
١٠ صلى الله عليه وسلم؛ وربما أنزلت الآية الواحدة على النبيّ صلى الله عليه وسلم مَرَّتين كما في الفاتحة فإنها نزلت مرةً بمكة ومرةً بالمدينة على أحد الأقوال.

وعلى الجملة فقضيته أنها توقيفيّة وهو الموافق لأحد الأقوال في مطلق الحروف. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن أوّل مَنْ وضع الحروف العربيةَ ثلاثةُ رجال من بَوْلانَ (وبَوْلانُ قبيلةٌ من طيّئ) نزلوا مدينة الأنبار، وهم مُرَامِر بنُ مُرّة، وأسلمُ
١٥ ابن سِدْرة، وعامرُ بنُ جَدَرَة، اجتمعوا فوضعُوا حروفا مقطّعة وموصولة، ثم قاسُوها على هِجَاء السُّريانية؛ فأما مُرامِر[1] فوضع الصُّوَر، وأما أسْـلَمُ ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإعجام؛ ثم نُقِل هـذا العلم إلى مكة وتعلّمـه مَنْ تعلمـه وكثُر في الناس وتداولُوه.

ونقل الجوهريّ عن شَرْقيّ بن القَطَاميّ: أن أوّل من وضعه رجال من طيّئ
٢٠ منهم مُرَامِر[1] بن مُرَّة وأنشد عليه:

(١) في الأصل مرار. والذى في جميع معاجم اللغة مرامر، وكذلك في البيت أيضا.

تَعَلَّمْتُ باجَادٍ وآلَ مُرَامِرٍ * وسَوَّدْتُ أثوابِي ولَسْت بِكَاتِبِ

قال الجوهرىّ : وإنما قال آل مُرَامِر لأنه كان قد سمّى كل واحد من أولاده بكلمة من أبى جاد وهم ثمـانية . وذكر غيره نحوه فقال : أوّل مَن آخْتَرَعه وألّفَ حروفه ستة أشخاص من طَسْمٍ كانوا نُزُولًا عند عَدْنَان بن أُدَدَ، وكانت أسماؤهم : أبجد، وهوّز، وحطى، وكلمن، وسعفص، وقرشت، فوضعُوا الكِتَابةَ والخطّ على أسمائهم، فلما وجدوا فى الألفاظ حروفا ليست فى أسمائهم ألحقوها بها، وسمّوها الرَّوادِف؛ وهى الثاء المثلثة، والخاء، والذال، والظاء، والغين، والضاد المعجمات على حسب ما يلحق من حروف الجُمَّل؛ ثم آنتقل عنهم إلى الأنبار، وآتصل بأهل الحِيرَة، وفَشَا فى العرب ولم ينتشر كلَّ آلانتشار إلى أن كان المَبْعَثُ .

وقيل : إن نفيسًا ونَصْرا وتيما ودومة بنى إسماعيل وضعوا كتابا واحدا وجعلوه سطرا واحدا موصول الحروف كلّها غير متفرّق، ثم فرقه نَبْت وهَمَيْسَعُ وقَيْذار، وفرقوا الحروف وجعلوا الأشباه والنظائر . وعن هشام بن محمد عن أبيه قال : أخبرنى قومٌ من علمـاء مصر أن أوّل من كتب الكتّاب العربىّ رجل من بنى النَّضر بن كنانة، فكتبته العرب حينئذ .

وقضيةُ هذه المقالات أنها آصطلاحية .

وفى السيرة لآبن هشام : أن أوّل من كتب الخط العربىّ حِمْيَرُ بنُ سبإ عُلِّمه فى المنام قال : وكانوا قبل ذلك يكتُبون بالمُسْنَد سمّى بذلك لأنهم كانوا يُسْندونه إلى هود عليه السلام . وهو مخالف لمـا تقدّم من كلام أبى عمرو الدانىّ : أن العربىّ أنزل على هود عليه السلام .

قال السهيلىّ رحمه الله فى "التعريف والإعلام" : والأصح ما رويناه من طريق

أبى عُمَر بن عبد البر رحمه الله يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أوَّلُ مَنْ كَتَب بالعربيَّة إسماعِيل عليه السلام" قال ابن عبد البر : وهذا أصح من رواية "أوّلُ مَنْ تكلّم بالعربيَّة إسماعيلُ" وهـذا محتمل للتوقيف أيضا بأن يكون إسماعيل عُلِّمها بالوحي، والاصطلاح بأن يكون وضعه من نفسه .

ثم أوّل ما ظهرت الكتابة العربية بمكة من قِبَل حَرْب بن أُمية . قال المدائني : حدثني حسانُ بن عبد الملك الأنصاريّ قال : حدثني سليمان بن سعيد المرّيّ قال : سمعت الفرّاء يقول : حدّثني العمريّ أنه قيل لابن عباس : من أيْنَ تعلّمتم الهجاء والكتابة والشَّكْل ؟ قال عُلِّمناه من حَرْب بن أُمَيَّة ؛ قيـل : ومن أين عُلِّمه حرب ابن أميَّة؟ قال : من طارئ طرأ علينا من اليمن؛ قيل : ومن أين عُلِّمه ذلك الطارئ؟ قال : من كاتب[1] الوحي لهود عليه السلام .

وذكر أبو عمرو الدانيّ في كتاب "التنبيه على النقط والشكل" نحوه . وقيل : أوّل ما ظهرت باليمن من قِبَل أبي سُفْيان بن أمية، عمّ أبى سفيان بن حرب، وأنته من قِبَل رجل من أهل الحِيرة؛ قال أهل الحِيرة : أخذناها من أهل الأنبار .

وقال أبو بكر بن أبي داود عن عليّ بن حرب عن هشـام بن محمـد بن السائب قال : تعلم بشر بن عبد الملك الكتابةَ من أهل الأنبـار ، وخرج إلى مكة، وتزوّج الصَّهْباء بنتَ حرب . وقيل : إنه لمـا تعلم أبو سفيان بنُ حرب الخطَّ من أبيه تعلمه عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه وجماعة من قريش ، وتعلمه معاويةُ بنُ أبى سفيان من عمه سُفْيانَ .

---

(١) كذا فى الضوء . وفى الأصل : « كانت بالوحى » .

أما الأوس والخزرج فقد روى الواقدىّ بسنده إلى سعد بن سعيد قال : كانت الكتابةُ العربية قليلًا فى الأَوْس والخَزْرَج، وكان يهودىٌّ من يهودِ ماسكَةَ قد عُلِّمها فكان يعلِّمها الصِّبيان فجاء الإسلام وفيهم بِضْعةَ عشرَ يكتبُون؛ منهم سعيد بن زُرارة، والمنذر بنُ عمرو، وأُبَىُّ بن كعب، وزيدُ بن ثابت، يكتُب الكتابين جميعا العربية والعبْرانية، ورافعُ بن مالك، وأُسيْد بن حُضَيْر، ومَعْنُ بن عدىّ، وأبو عَبْس بن كثير، وأَوْسُ بن خَوْلِىٍّ، وبشير بن سعد .

قال صاحب "الأبحاث الجميلة فى شرح العقيلة" : والخط العربىّ هو المعروف الآن بالكُوفىّ، ومنه آستُنْبِطت الأقلامُ التى هى الآن، وقد ذكر آبن الحسين فى كتابه فى قلم الثُّلُث : أن الخطَّ الكوفىّ فيه عدّة أقلام مَرْجِعُها إلى أصلين : وهما التقوير والبسط .

فالمقوّر — هو المعبَّر عنه الآن باللَّيِّن، وهو الذى تكون عرقاته وما فى معناها منخسفة منحطة إلى أسفل كالثلث والرقاع ونحوهما .

والمبسوط — هو المَعبَّر عنه الآن باليابس، وهو ما لا آنخِسافَ وآنحطاط فيه كالمحقَّق وعلى ترتيب هذين الأصلين الأقلامُ الموجودةُ الآن . ثم قد ذكر صاحب "إعانة المنشئ" أن أوّل ما نُقِل الخط العربىّ من الكوفىِّ إلى آبتداء هذه الأقلام المستعملة الآن فى أواخر خلافة بنى أُمَيَّة وأوائل خلافة بنى العباس .

قلت : عَلى أن الكثير من كُتَّاب زماننا يزعمون أن الوزير أبا علىّ بنَ مقلة (رحمه الله تعالى) هو أوّلُ من آبتدع ذلك، وهو غلط فإنا نجد من الكُتُب بخط الأوّلين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفىّ بل يتغير عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرّة وإن كان هو إلى الكوفىّ أميل لقُرْبه مِنْ نَقْلِه عنه .

قال أبو جعفر النحاس فى "صناعة الكتّاب" : ويقال إن جَوْدة الخط آنتهت إلى رجلين من أهل الشأم يقال لهما : الضحّاك ، وإسحاق بن حَمّاد، وكانا يخطان الجليلَ؛ وكأنه يريد الطُّومار أو قريبًا منه .

قال صاحب "إعانة المنشئ" : وكان الضحاك فى خلافة السّفّاح، أوّل خلفاء بنى العباس، وإسحاق بن حَمّاد فى خلافة المنصور والمهدىّ .

قال النحاس : ثم أخذ إبراهيم (يعنى السِّجْزِىّ [(١)]) عن إسحاق بن حماد الجليلَ وآخترع منه قلما أخفّ منه سماه قلم الثلثين، وكان أخطَّ أهلِ دهره به، ثم آخترع من قلم الثلثين قلما سماه قلم الثلث .

قال صاحب "الأبحاث الجميلة" : وأخذ يوسف أخو إبراهيم السِّجْزِىّ القلم الجليل عن إسحاق أيضا، وآخترع منه قلما أدق منه وكتبه كتابة حسنة فأُعْجِب به ذو الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون، وأمر أن تُحرّر الكتب السلطانية به، ولا تكتب بغيره وسماه القلم الرِّياسىّ . قال بعض المتأخرين : وأظنه قلم التوقيعات .

قال النحاس : ثم أخذ عن إبراهيم السِّجزِىّ الأحولُ الثلثين والثلثَ، وآخترع منهما قلما سماه قلم النصف، وقلما أخفّ من الثلث سماه خفيف الثلث، وقلما متصل الحروف ليس فى حروفه شىء ينفصل عن غيره سماه المسلسَل، وقلما سماه غُبار الحِلْية، وقلما سماه خط المؤامرات، وقلما سماه خطَّ القِصَص، وقلما مقصوعا سماه الحَوَائجىّ . قال : وكان خطه يوصف بالبهجة والحسن من غير إحكام ولا إتقان، وكان عجيب البرى للقلم . وكان وجه النعجة مقدّما فى الجليل . قال : وكان محمد بن معدان يعنى المعروف بأبى ذرجان مقدّما فى خط النِّصف، وكان قلمه مستوى

(١) كذا فى تحفة أولى الألباب للشيخ عبد الرحمن بن الصائغ المكتب المحفوظ منها نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية تحت رقمى ١٣، ١٤ صناعات . والسجزىّ نسبة إلى سجستان على غير قياس . وفى الأصل : « الشجرىّ » وهو خطأ .

السِّنَّيْن ، وكان يشُقّ الطاء والظاء والصاد والضاد بعرض النصف ؛ ويعطف مثل يا ، ويصل كلَّ ياءٍ من يساره إلى يمينه بعَرْض النصف لا يرى فيه آضطراب .
وكان أحمد بن محمد بن حفص المعروف بزاقف أجلَّ الكُتَّاب خطًّا فى الثلث . وكان ابنُ الزَّيَّات — فى أيام آبن طولون — وزيرُ المعتصم يعجبه خطُّه ولا يكتب بين يديه غيرُه . وآنتهت رياسةُ الخط بمصر إلى طَبْطَب المحرِّر جودةً وإحكاما . ٥

قال النحاس : وكان أهل مدينة السلام يحسُدونَ أهل مصر على طَبْطَب وآبن عبد كان ، يعنى كاتب الإنشاء لآبن طولون ، ويقولون : بمصر كاتبٌ ومحرّرٌ ليس لأمير المؤمنين بمدينة السلام مثلُهما .

قلت : ثم آنتهت جودة الخط وتحريرُه على رأس الثلثمائة إلى الوزير أبى علىّ محمد بن مقلة وأخيه أبى عبد الله . ١٠

قال صاحب " إعانة المنشئ " : وولّدا طريقة آخترعاها ، وكتب فى زمانهما جماعة فلم يقاربوهما . وتفرّد أبو عبد الله بالنَّسْخ ، والوزير أبو علىّ بالدَّرْج ؛ وكان الكمال فى ذلك للوزير ؛ وهو الذى هَنْدَس الحروفَ وأجاد تحريرها ، وعنه آنتشر الخطُّ فى مَشَارق الأرض ومَغَاربها . ولله قول القائل :

سَبَقَ الدَّمْعُ فى المَسِيرِ المَطَايا * إذ روى من أحِب عنه بقُلَّه ١٥
وأجادَ السُّطُورَ فى صَفْحةِ الخدّ ولِمْ لا يُجِيد وهْو آبنُ مُقْله

وقول الآخر :

تَسَلْسَلَ دَمْعِى فَوْقَ خَدِّىَ أَسْطُرا * ولا عَجَبٌ مِنْ ذاكَ وهو آبنُ مُقْلةِ

ثم أخذ عن آبن مقلة محمدُ بن السمسانى ومحمد بن أسد ؛ وعنهما أخذ الأستاذ أبو الحسن علىّ بن هلال المعروف بآبن البوّاب ، وهو الذى أكمل قواعد الخط وتممها وآخترع غالب الأقلام التى أسسها آبن مقلة ؛ ولما مات رثاه بعضهم بقوله : ٢٠

وٱستَشْعَرَ الكُتَّابُ فَقْدكَ سالِفًا * فَجَرَتْ بِصِـــحَّةِ ذلك الأيَّامُ

فلِذاكَ سَوّدتِ الدُّوِىُّ وُجُوهَها * أسـفًا عليـكَ وشُقَّتِ الأقْلامُ

وممن أخذ عنه محمدُ بنُ عبد الملك، وعن محمدِ بنِ عبد الملك أخذتِ الشـيخةُ المحدِّثة الكاتبة زينبُ الملقَّبةُ بشُهْدة ٱبنةُ الإبَرِىّ (١)؛ وعنها أخذ أمينُ الدين ياقوتُ؛ وعنه أخذ الولىُّ العجمىّ (٢)؛ وعليه كتب العفيفُ (٣)؛ وعن العفيف أخذ ولدُه الشيخُ عماد الدين، ويقال: إنه كان كٱبن البوّاب فى زمانه؛ وعن الشيخ عماد الدين بن العفيف أخذ الشيخ شمسُ الدين بنُ أبى رُقَيبةَ محتسبُ الفُسْطاط، وهو ممن عاصَرْناه؛ وأخذ عنه شـيخنا الشيخ شمسُ الدين محمدُ بن علىّ الزِّفْتاوىّ المكَتِّب بالفُسْطاط، وصنف مختصرا فى قلم الثلث مع قواعدَ ضمَّها إليه فى صـنعة الكتابة، أحســن فيه الصنيعَ؛ وبه تخرّج صاحبُنا الشـيخ زين الدِّين شَعْبان بن محمد بن داود الآثارىّ محتسبُ مِصْر، ونظم فى صنعة الخط ألفية وسَمّها بـ«العِناية الرَّبانيــه فى الطريقة الشَّعبانيه» لم يُسبَق إلى مثلها؛ ثم توجه بعد ذلك إلى مكة، ثم إلى اليمن والهنـد؛ ثم عاد إلى مكة فأقام بها ونبغ.

قلت: وقد علم ممـا تقدّم ذكره أن ألقـاب الأقلام: من الثلثين والنصف والثُّلُث وخفيف الثلث والمُسَلْسَل والغُبَار قديمةٌ، وإن وقع فى أذهان كثير من الناس أنهـا من مخترعات ابن مقلة وٱبن البوّاب فمن بعدهما.

---

(١) هذه النسبة الى الإبر التى يخاط بها. وكان المنسوب إليها يعملها أو يبيعها.

(٢) هو ولىّ الدين على بن زنكى المشهور بالولىّ العجمى.

(٣) هو عفيف الدين محمد الحلبىّ.

الطـــرف الرابـــع

في عَدَد الحروف، وجهة ٱبتدائها، وكيفية ترتيبها؛ وفيه خمس[1] جمل

الجمـــلة الأولى

في مطلق الحــروف في جميــع اللغــات

وٱعلم أن الحروف تختلف بٱختلاف اللُّغــات بحسب تَعدُّد مخارجها ، فحروف السُّرْيانيين، والرُّوم، والفُرْس، والصَّقْلَب، والتُّرك من أربعة وعشرين حرفا إلى ستة وعشرين حرفا؛ وحروف العِبْرانيين، واليُونانيين، والقِبْط الأُوَل، والهُنود وغيرهم من ٱثنين وثلاثين إلى ســتة وثلاثين؛ فيوجد في غير العربيــة من الحروف ما لا يوجد في العربية، كما يوجد في العربية ما لا يوجد في غيرها من اللُّغات، ويكثر في الٱستعمال فيها ما لا يكثر في غيرها . فالحــاء المهملة ، والظاء المعجمة ممــا أُفرِدت بها العربُ في لغاتها، وٱختصت بها دون غيرها من أرباب اللُّغات؛ والعين المهملة قليلة في كلام بعض الأمم ومفقودة في كلام كثير منهم؛ وكذلك الصاد والضاد والذال المعجمة ليست في الفارسية، والثاء المثلثة ليست في الروميَّة ولا في الفارسية، والفاء ليست في التركية .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : ولذلك يقولون في فقيه : پقيه بالباء الموحدة المشربة الفَيَوِيَّة .

الجمـــلة الثـــانيـــة

في حـــــروف العربيـــــة

وٱعلم أنا لــا كنا بحمد الله أُمَّةً وسطًا خيرَ أُمَّة أُخْرِجتْ للناس، وكان خيرُ الأمور أوسَاطَها، وكانت حروف اللُّغات ما بين أربعةٍ وعشرين حرفا إلى ســتة وثلاثين كما

(١) في الأصل : « أربع » وما أثبتناه يتفق مع المعدود .

تقدّم، كانت حروف الكلام العربىّ التى بها رُقِم القرءان الكريمُ ثمانيةً وعشرين حرفًا فى اللفظ، متوسطةً بين حروف اللُّغـات ، وهى ا ب ت ث إلى آخره ؛ وتسمى حروفَ الهِجاء وحروف التَّهجِّى؛ ويسميها سيبويه والخليلُ حروفَ العربية أى حروف اللغة العربية، وهى التى يتركّب منها الكلامُ العربىّ؛ وتسمى أيضا حروف المُعْجَم، إما لأنها مقطَّعة لا تُفْهَم إلا بإضافة بعضها إلى بعض، وإما لأن منها ما يُنقَط النقطَ المعروفَ ، أو تنقط كلُّها أى تُشْكَل، إذ النقط قد يكون بمعنى الشَّكْل .
وقال بعض أهل اللغة : [العَجْم](١) النَّقْط بالسواد كمثل التاء عليها نقطتان، يقال منه أعجمتُ الحـروف، ومعناه حروف الخط المُعْجَم(٢) . وبعضهم يجعل المُعْجَم مصـدرا بمعنى الإعجـام من أعجمتُ الشىء إذا بيَّنته فكأنهـا مبيِّنة للكلام ؛ وتكون الهمزةُ فى أعجمت للإزالة، أى أزلت عُجمتَه إما بنقطِه أو شكله .

قال الشيخ عبـد الخالق بن أبى القاسم المصرىّ : وإذا آعتبرت سائر اللغات بالتحقيق فَلَن يزيد ذلك على ثمانية وعشرين حرفًا (يريد غير اللام ألف) فى الحروف العربية، والقائل بذلك يجعل اللام ألف مركبا من حرفين فلا يعدّه حرفا مستقلًّا .

قال علماء الحرف : وجعلت ثمانية وعشرين حرفا على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين .

قالوا : ولمـا كانت المنازلُ القمريةُ يظهَر منها فوق الأرض أربع عشرة منزلةً ويغيبُ تحت الأرض أربعَ عشرةَ كانت هـذه الحروف ما يظهر منهـا مع لام التعريف أربعةَ عشرَ بعَدَد المنازل الظاهرة، وهى الألف، والباء، والحاء المهملة،

---

(١) الزيادة عن اللسان .

(٢) هو المبرد كما نقله عنه فى اللسان .

والخاء المعجمة ، والعين المهملة ، والغين المعجمة ، والفاء، والقاف ، والكاف، واللام، والميم ، والهاء ، والواو، والياء المثناة تحتُ . تقول الألف والباء والحاء فتظهر اللام فى لفظك وكذلك فى البواقى . وما يندغم منها أربعةَ عشرَ حرفا أيضا بعدد المنازل الغائبة ، وهى التاء المثناة من فوق، والثاء المثلثة، والدال المهملة، والذال المعجمةُ، والراء، والزاى، والسين المهملة، والشين المعجمة، والصاد المهملة، والضاد المعجمة، والطاء المهملة، والظاء المعجمة، والنون . تقول التاء، والثاء، والدال فتخفى فى لفظك، وكذلك فى البواقى .

وقد تقدّم فى خبر أبى ذرّ رضى الله عنه أنها نزلت على آدم عليه السلام تسعةً وعشرين حرفا عدّ منها اللام ألف وهو الموجود فى التصوير فلا يعوّل إلا عليه إن صح الحديث .

ثم للحروف العربية فروعٌ توجَدُ فى اللفظ دون الكتابة مستحسَنةٌ ومستقْبَحة ، تبلغ بها الحروف العربية سبعة وأربعين حرفا، ولا يوجد ذلك فى لغة أمة من الأمم، أضربنا عن ذكرها لعدم تعلّقها بالخط الذى نحن بصدده؛ وبالله المستعان .

الجملة الثالثة
فى بيان جهة إبتداءات الحروف

وآعلم أن أصحاب الأقلام اختلفوا باعتبار مقاصدهم فى البُداءة بالحروف .

فمنهم من يبدأ من اليمين الى اليسَار كالعرب والعبْرانيين والهُنُود وأهل الطبيعة والسُّرْيانيين ، آخذا فيه على سير الفلك من المشرق الى المغرب ، والمشرق عندهم يمين الفلك ويقال له : مأخذ كَوْرىّ، وقيل : لأن فيه الآستمداد من الكبد الى القلب .

ومنهم من يبـدأ من اليسار الى اليمين كالرومية واليونانيَّة والقبْطيـة، وفنٌّ من الفارسية آخذا فيه على سـير الكواكب السبعة السيارة من المغـرب الى المشرق . و يقال له : مأخذ دَوْرىّ؛ وقيل : لأنه ناشئ عن حركة القلب إلى الكبد .

الجمـــلة الرابعـــة

فى كيفية ترتيب الحـــروف

٥

وآعلم أن ترتيب الحـروف على ضربين : مفرد ومزدَوِج ؛ و بين أهل الشرق وأهل الغرب فى كل من النوعين خلاف فى الترتيب .

أما المفرد فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ

ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ى

١٠

وأما أهل الغرب فإنهم يرتبونه على هذا الترتيب :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض

ع غ ف ق س ش ه و لا ى

وأما المزدَوِجُ فأهل الشرق يرتبونه على هذا الترتيب :

١٥

أبجد، هوز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ .

وأهل الغرب يرتبونه على هذا الترتيب :

أبجد، هوّز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ظغش[1] .

على أنه قـد آختلِف فى كلمات أبجد هل لهـا معنًى أم لا، وهل يكره تعلُّمُها أم لا، وأكثر الناس فى الشرق والغرب على تعلُّمِها .

٢٠

(١) كذا فى الأصل والضوء، ولعل الصواب ظغض .

وقد جاء أنها كانت تُعَلَّم فى زمن عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه؛ ويشهد لذلك قول الأعرابىّ فى أبياته :

أَتَيْتُ مهاجِرِينَ فعلَّمُونِى * ثلاثةَ أسْطُرٍ مُتتابِعاتِ
وخَطُّوا لِى أبا جادٍ وقالوا * تَعلَّمْ سَعْفَصًا وقُرَيِّشاتِ

وقيل : إن أبجد، وهوّز، وحطى، وكلمن، كانت أسماء ملوك مَدْيَن، وإن كلمن كان فى زمن شُعَيْب عليه السلام . وقد تقدّم أن الأربعة المذكورة كانت أسماء واضِعِى الخط العربىّ على قولٍ؛ والله أعلم . ٥

الجملة الخامسة

فى كيفية صور الحروف العربية وتداخل أشكالها

قد تقدّم أن الحروف العربيةَ على تسع عشرة صورة، وهى صورة الألف، ١٠ وصورة الباء والتاء والثاء، وصورة الجيم والحاء والخاء، وصورة الدال والذال، وصورة الراء والزاى، وصورة السين والشين، وصورة الصاد والضاد، وضورة الطاء والظاء، وصورة العين والغين، وصورة الفاء والقاف[1]، وصورة الكاف، وصورة اللام، وصورة الميم، وصورة النون، وصورة الهاء، وصورة الواو، وصورة اللام ألف، وصورة الياء، وفرّقوا بينها بالنقط كما سيأتى، وقصدوا بذلك تقليل ١٥ الصُّوَر للاختصار لأن ذلك أخفّ من أن يجعل لكل حرف صورة فتكثُر الصُّوَر . ثم ترجع الصور التِسْعَ عشرةَ بعد ذلك إلى خمس صور : وهى الألف والجيم والراء والنون والميم ؛ ففى صورة الألف إحدى عشرة صورة، ألف قائمة، وهى ا

(١) لعله وصورة القاف ليتّم العدد ولاختلاف الصورتين فى الرسم .

وسبْعُ ألفاتٍ(١) مسطوحة ، وهى ب ت ث ، ك ل ى ، فكل هـذه على صورة الألف غير أن فيها ما تَكرَّر فيه صورةُ الألف ، وهى الكاف واللام ، وألفانِ مبطوحتان ، وهما ط ظ ؛ وألف معطوفة ، وهى لا ؛ وفى الجيم سبع صـور جيم مُرَفَّلة ، وهى ج ح خ ، وجيمان محذوفتان ، وهمـا د ذ ، وجيمان شاخصتان ، وهما ع غ ؛ وفى الراء ثلاث صور ، وهى ر ز و ؛ وفى النون ست صور ، وهى ن س ش ص ض ق ؛ وفى الميم صورتان ، وهما م ه .

الطـــرف الخـامس

فى تحسين الخَـطّ ، وفيـه جملتان

الجمـــلة الأُولى

فى الحث على تحسين الخـط

لا خفاءَ أن حُسْن الخط من أحسن الأوصاف التى يتصفُ بهـا الكاتبُ ، وأنه يرفع قَدْرَه عنـد الناس ، ويكون وسيلةً إلى نُجْح مقاصـده ، وبلوغ مآربه ؛ مع ما ينضم إلى ذلك من الفوائد التى لا تكاد تُحْصى كثرةً .

وقد قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهـه : "الخط الحَسَنُ يزيد الحق وضُـوحا" .

وقال بعض العلماء : الخط كالروح فى الجسد ، فإذا كان الإنسانُ جسيما وسيما حسن الهيئة ، كان فى العيون أعظم ، وفى النفوس أفخم ؛ وإذا كان على ضدّ ذلك سَئِمَتْه النفوسُ ، ومجّتْه القلوب ؛ فكذلك الخط إذا كان حسنَ الوصف ، مليحَ الرَّصْف ،

(١) لم يذكر إلا ستة ، ولعل الساقط الفاء فإنها لم تذكر فى الصور الآتية .

مفتّح العُيون ، أملس المُتُون ، كثير الائتلاف ، قليل الاختلاف ، هشَّتْ إليه النفوس ، واشتهَتْه الأرواح ؛ حتّى إن الإنسان ليقرؤه وإن كان فيه كلامٌ دَنِیء ، ومعنًى ردیء ، مستزیداً منه ولو كثُر ، من غیر سآمة تلحَقُه ؛ وإذا كان الخط قبیحاً مجّته الأفهام ، ولفظَتْه العیون والأفكار ، وسَئِم قارئه ، وإن كان فیه من الحِكْمة عجائبُها ، ومن الألفاظ غرائبُها . ٥

ويقال : إن الخط مُوازٍ للقراءة ، فأجود الخط أبينُه ، كما أن أجود القراءة أبينُها ؛ ولا يخفى أن الخط الحَسَن هو البيِّن الرائقُ البَهِج . ثم قد تقدّم فى الكلام على أصل وضع الخط أن الخَطّ واللفظ يتقاسمان فضيلةَ البيان ، ويشتركان فيها .

قال فى "موادّ البيان" : ولما كان الخط قسيما للّفْظ فى البيان الذى امتنّ الله تعالى بتعليمه على الإنسان ، وجب على الكاتب أن يُعْنَى بأمر الخط ، ويُراعِىَ من تجْويده وتصحيحه ، ما يراعيه من تهذيب اللفظ وتنقيحه ، ليدُلَّ على سُرْعةٍ وسهولةٍ كما يدُلُّ اللفظ البليغ البيِّن ، لأن الخط وإن كان على الإطلاق فى المنزلة التى لا تُساوَى من الشرف فإنما تحصل فضائله للجيِّد منه ، كما أن المَنطِق وإن كان من الشرف فى هذا الحدّ فإنما تحصل فضائله التامّةُ لَمنْطِق البليغ اللَّسِن ، دون مَنْطِق العَيِيّ الألكن ؛ وكذلك سائر الصنائع الفاضلة على الإطلاق إنما يحصل فضلها للماهر فيها دون المبتدئ . ١٠ ١٥

قال : فينبغى للكاتب ألّا يقدّم على تهذيب خطه وتحريره شيئا من آدابه فإن جَوْدة الخط أوّلُ الأدوات التى ينتظم بحصولها له اسم الكتابة ، ويُحْكَم عليه إذا حازها بأنه من أهلها . وقد دخل بحُسْن الخط فى الصناعة مَنْ إذا فُحِص عن مقدار معرفته وجب أن تُنزَّه الكتابةُ عن نسبته إليها . ٢٠

ويجب مع ذلك أن يراعىَ تأسيس الخط على الوضع الذى آصطلح عليه المجيدون من الكُتَّاب . فقد قسَم أهلُ الصناعة الخط إلى قسمين : محقّق ومُطْلَق .

فأما المحقّق فما صَحَّتْ أشكاله وحروفُه على آعتبارها مفردة .

قال فى "موادّ البيان" : وهذا القسم هو الذى يُستعمل فى الأمور الجسيمة : ككُتُب العهود، والإسجـالات، والتمليكات التى تبقى على الأعقاب، والمكاتبات الصادرة عن الملوك إلى الملوك، الدالة على قدر المكتوب عنه والمكتوب إليه .

وأما المُطْلَق فهو الذى تداخلت حروفه وآتصل بعضُها ببعض .

قال فى "موادّ البيان" : وهو خط مولَّد من المحقّق، يستعمل فى تنفيذ ما لا يمكن تأخيره من المكاتبات المهمَّة والأمور العامّة . قال : ويجب أن يَلْزم الطريقة فى كل واحد من الخطين، ولا يخلِط حروف أحدهما بحروف الآخر .

الجمـــــلة الثـانيـــة

فى الطريق إلى تحسين الخط ؛ ويتوصَّل إلى ذلك بأمور

الأوّل[(١)] ـــ معرفة تشكيل الحروف

قال فى "موادّ البيان": وهو الأصل فى أدَب الخط، لأن الخط إنما يسمَّى جيِّدا إذا حسُنَتْ أشكال حروفه ، وإنمـا يسـمَّى رديئا إذا قَبُحتْ أشـكال حروفه . وحُسْن صور حروف الخط فى العين شبيهٌ بحُسْن مخارج اللفظ العَذْب فى السَّمْع .

قال : والوجه فى تصحيح الحروف أن يبدأ أوّلا بتقويمها مفردةً مبسوطةً لتصح صورة كل حرف منها على حيالهـا، ثم يؤخذ فى تقويمها مجموعة مركبة، وأن يُبْـدأ

---

(١) لم يذكر غيره، ولعله آكتفى بما تقدّم فى الأدوات من حسن البراية والحبر والليقة وغير ذلك فليتنبه .

من المَركّب بالثنائىّ والثلاثىّ، ثم بالرباعىّ، ثم بالخماسىّ؛ فإن هذه هى أمثلة الأسماء والحروف الأصلية، وأن يعتمد فى التمثيل على توقيف المَهَرة فى الخطوط، العارفين بأوضاعها و رسومها وآستعمال آلاتها، فإن لكل خط من الخطوط قلَما من الأقلام يصلُح لذلك الخط؛ وهـذه الأقلام المختلفة نظير آلات الصنائع المختلفة التى يصنع الصانع بكل آلة منها جزءا من صِناَعته لا يصنع به غيره؛ ولا يعوّل على كتابة خط ٥ من الخطوط بنقل مثاله بنفسه فإن ذلك لا يكفيه، إذ لو كان ذلك كافيا لاستُغْنِى فى جميع الصنائع عمن يُوَقِّف عليها . على أن كثيرا من أصحاب الخطوط قد كتبوا طبعا دون التوقيف من أحد على طريقة من طرق المحرّرين، إلا أن الأفضل أن يبنى الخطّ على أصل يكون له أساسا، فإذا فُصِّلت أحواله آنكشف فسادُ كثير من حروفه .

الطـــرف السادس ١٠

فى قـــواعِدَ تتعـــلق بالكـتابة

لا يَستغنِي الكاتب المُجِيد عن معرفتها؛ وفيه جملتان

الجمـــلة الأولى

فى هندسة الحروف، ومعرفة آعتبار صحتها ونحن نذكرها على ترتيب الحروف

الألف ١٥

قال الوزير أبو علىّ بن مُقْلَةَ : وهى شكل مركب من خط منتصبٍ، يجب أن يكون مستقيما غير مائل إلى آستلقاء ولا آنكباب . قال : وليست مناسِبةً لحرف فى طول ولا قصر .

قال الشيخ شرف الدين محمد آبن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وهى قاعدة الحروف المفردة، وباقى الحروف متفرّعة عنها ومنسوبة إليها .

ثم الذى ذكره صاحب "رسائل إخوان الصفا" فى رسالة الموسيقى، عند ذكر حروف المعجم آستطرادا أن مساحتها فى الطول تكون ثمانَ نُقَط من نُقَط القلم الذى تكتب به ليكون العرض ثُمُن الطُّول .

والذى ذكره الشيخ شرف الدين محمد آبن الشيخ عز الدين بن عبد السلام : أنها مقدّرة بست نقط .

والذى ذكره الشيخ زين الدين شعبان الآثارىّ فى ألفيته أنها مقدّرة بسبع نقط، فما زاد على ذلك كان زائدا عن مقدارها وما نقص كان ناقصا عنه .

قال آبن عبد السلام : وتكون النقطة مربعة . قال : ويكون آبتداؤها بنقطة وآخرها بشَظِيَّة .

قال آبن مقلة : وآعتبارها أن تخط إلى جانبها ثلاث ألِفات أو أربع ألِفات فتجد فضاء ما بينها متساويا .

قال آبن عبد السلام : وتكون تلك الألفاتُ المخطوطةُ إلى جانبها مناسِباتٍ لها فى الطول متساوياتِ الرءُوس والأذناب .

البــــاء

قال آبن مقلة : هى شكلٌ مركّب من خطين : منتصبٍ ومنسطح . قال : ونسبته إلى الألف بالمساواة .

قال آبن عبد السلام : ويكون المنتصب طولُه بمقدار ثُلثِ ألِف خطِّه . قال : ويُبْدأ أوّلُه بنقطة، وكذلك آخره إن كان مُرْسَلا، فإن كان معطوفا فليكُنْ بسِنّ القلم

اليسرى ، والمستدير فيه مثل المنتصب ، ولكن يكون المنتصبُ أرجَحَ من المســتدير بنَزْرٍ يسير؛ وتكون السِّنّة المبتدأُ بها مترجِّحةً فى الطُّول على آخرها المعطوف .

قال آبن مقلة : وآعتبارُ صحّتها أن تزيد فى أحدِ سِنَّيْها ألِفــا فتصير لاما . وزاد ابن عبد السلام فى إيضاحه فقال : أن تزيد المنتصب تكملة ألف بحيث يكون طول جملته كطول المنسطح لا أطولَ ولا أقْصَر . ثم قال : وهذا الحرف وما يجْرِى مَجْراه ٥ من يَمْنة إلى يَسْرة ، وكلُّ ما كان كذلك فينبغى أن يمــال القلم فيه نحو اليَسرة قليلا . ولا يخفى أن التــاء و الثــاء فى معنى الباء فى ذلك جميعه .

الجـــــيم

قال آبن مقلة : هى شكل مركَّب من خَطَّيْن : مُنْكَبٍّ ونصف دائرة ، وقُطْرها مساوٍ للألف . وأبدل آبن عبـد السلام المُنْكَبَّ بالمُنْسطِح . ثم قال : والمنسطح ١٠ كثُلثَىْ ألِفٍ من خطه ، وربما يكون أنقَصَ بنُقْطة . قال : ومساحة نصف الدائرة كألِفٍ ونصفِ ألِفٍ من قلم الكتابة ، ورأسُها يكونُ من يَسْرةٍ إلى يَمْنةٍ على آستقامة تقريبا ؛ وكلُّ ما كان كذلك ينبغى أن يمــال برأس القلم فيه إلى اليَمْنة قليلا ، يُبْدأُ أوّله بشَظِيَّة بالسِّنّ اليمنى من القلم ، وآخر تَعْرِيجها بالسِّنّ اليُسرى منه .

قال آبن مقلة : وآعتبارُ صحتها أن تَخُطَّ عن يمينها وشمالهــا خطَّيْن فلا تنقص ١٥ عنهما شيئا يسيرا ولا تخرج .

وقال آبن عبد السلام : واعتبار صحة رأسها أن تكتُبه من يَسْرة إلى يَمْنــة على آستقامةٍ تقريبا . قال : وحسْنُها أن تَخْفِضها من الجهة اليمنى قليلا ؛ وميزانُها أن تُسطر سطرا وتأخذ عليه من يَسْرة إلى يَمْنةٍ مقدارَ ثُلُثَىْ ألف من قلم الكتابة ، بحيث لا يرتفع

أوّلها عن آخرِها إلا يسيرا، ولا آخرُها عن أوّلها بل تكون منسبكة فيه . وآعتبار نصف الدائرة أن تقابله بنصف آخر فيصير دائرة . ثم قال : وليَقْصِد أن يجعل رأسَ الجيم سواءً آخذا آبتداء الدائرة فى جسد ثلث الرأس، منسبكا فيه، بحيث يكون الثلث ضِلَعا واحدا .

٥ ولا يخفى أن الحاء والخاء فى معنى الجيم فى جميع ما تقدّم .

الـــــدال

قال آبن مقلة : هى شَكْل مركَّب من خطين : منكَبٍّ ومنسطح، مجموعهما مساوٍ للألف . وجعل آبن عبد السلام منها شكلا آخَرَ مركّبًا من ثلاثة خطوط : منكَبٍّ، ومُنْسطح، ومستدير . وكأنه يريد الدال المجموعة . ثم قال : فالمنكب ١٠ طوله بمقدار نصف ألِف خطّه لاغيْرُ، وكذلك المنسطح . وآبتداء أوّلها بنقطة، وآخرها إن كان مرسلا بقَطَّة، وإن كان معطوفا بِسنّ القلم اليُسْرى .

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها أن تصل طَرَفيها بخطٍّ فتجده مثلَّثا متساوى الأضلاع .

ولا يخفى أن الذال فى معنى ما تقدّم .

الـــــراء

١٥ قال آبن مقلة : وهى شكْلٌ مركَّب من خطٍّ مقوّس هو ربع الدائرة التى قُطْرها الألف وفى رأسه سِنّة مقدّرة فى الفكر .

قال آبن عبد السلام : وتبدأ أوّلها بنقطة، وآخرها إن كان مُرْسَلا فبسنّ القلم اليمنى، وإن كان معطوفا فبسنّه اليسرى .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن تَصِلها بمثلها فتصير نصفَ دائرة .

ولا يخفى أن الزاى فى معناها .

السـين

قال ٱبن مقلة : وهو شكلٌ مركَّب من خمسة خُطُوط : منتصبٍ، ومقوّس، ومنتصب، ومقوّس، ومنتصب (١) .

قال ٱبن عبد السلام : ومساحة رأس السين من أوّل سِنّ منها إلى ثالث سِنّ كثلثَىْ ألِف خطِّه . قال : ومساحةُ قَوْسها إن كان معطوفا مساحةُ ألف من خطه، وإن كان مُرْسَلا مساحةُ ألفين من خطه . وطول كل سِـنَّة مثلُ سُدُس ألف خطه، يُبْدأ أوّلها بنقطة ، أما آخرها فإن كان مرسلا فبسنّ القلم اليمنى، وإن كان معطوفا فبسِنّه اليسرى . قال : وإذا ٱبتدأت بالسِّنَّة وطلعت إلى الثانية نُخُذ إلى الثالثة من أعلاها ليصير بياض من أسفلها، فإنك متى أخذت رأس سِنَّة من أسفلها صار أسفلها مصطحبا، ويكون البياض الذى بين السنّات على السوية فى البياض .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها يعنى صحة رأسها أن تُمَرّ بأعلاها وأسفلها خطين فلا تخرج عنهما شيئا ولا تنقص .

ولا يخفى أن حكم الشين أيضا كذلك .

الصـاد

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركب من ثلاثة خطوط (٢) : مقوّس، ومنسَطِح، ومقوّس .

(١) كذا فى رسالة الوزير ٱبن مقلة فى علم الخط والقلم الموجود منها نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٤ صناعات . وفى الأصل : « ثم مقوّس » .

(٢) فى رسالة ٱبن مقلة : شكل مركب من أربعة خطوط : مستلق ومنتصب ومقوّسين .

قال ٱبن عبد السلام: وٱبتداؤه بشَظِيَّة، أما ٱنتهاؤه فإن كان مرسلا فبسنّ القلم اليمنى، وإن كان معطوفا فبسنّه اليُسْرى. قال: ومساحة رأس الصاد فى الطول كُلْثَىْ ألِف خطه، ومساحةُ قوسِها إن كان معطوفًا مساحةُ ألِف الكتابةِ، وإن كان مرسلا فمساحة ألفين من قلم خطه.

٥ قال ٱبن مقلة: وٱعتبار صحتها أن تجعلها مُرَبَّعة فتصير متساويةَ الزَّوايا فى المِقْدار.

وقال ٱبن عبد السلام: ٱعتبار صحتها أن يكون أعلاها كراء معلَّقة، والمنسطح كباء، والمقوّس كنون، ويكون رأس النون مشرِفا على آخرها.

ولا يخفى أن الضاد كذلك.

---

١٠ الطـــــاء

قال ٱبن عبد السلام: هو شكلٌ مركَّب من ثلاثة خطوط: منتصب، ومقوِّس، ومنسطِح، يبدأ أوّلُه بنقطة وآخره بنقطة. قال: ومساحة ضَوْء الطاء فى الطول كُلْثَى ألِف خطه.

قال ٱبن مقلة: وٱعتبارها كٱعتبار [الصاد] (١).

١٥ وقال ٱبن عبد السلام: ٱعتبار صحتها أن يكون المنتصب كألف من خطه فى الٱنتصاب والطول، والمقوّس كراء معلقة، والمنسطِح كباء مرسلة.

ولا يخفى أن حكم الظاء فى ذلك كالطاء.

---

(١) الزيادة عن رسالة الوزير ٱبن مقلة ومعالم الكتابة لابن شيث القرشىّ (ص ٣٠ طبع مصر).

العين

قال ٱبن مقلة : وهى شكلٌ مركّب من خطين : مقوّس ومنسطح ، أحدهما نصف الدائر .

وقال ٱبن عبد السلام : هى شكل مركب من ثلاثة خطوط : مقوّس ، ومنكب ، [ومنسطح] (١) يبدأ أوّلها بشظيّة ، وآخر تعريجها بسنّ القلم اليسرى ، والتعريجة نصف دائرة ؛ ومساحة القوس كألِف وثلث من قلم الكتابة ، ومساحة الرأس فى الطول كثلثَىْ ألِف خطه ، ويصوّر من رأسها رأس صاد .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها كٱعتبار الجيم .

وقال ٱبن عبد السلام : ٱعتبارها أن تخط عن يمينها خطا من أعلاها إلى منتهى تعريجها فلا يقصر ظهر القوس عن يسارها يسيرا بنقطة تكون سدس ألف خطها لا غير .

ولا يخفى أن الغين فى الحكم كذلك .

الفـــــاء

قال ٱبن مقلة : هى شكلٌ مركّب من أربعة خطوط : منكَبٌ ، ومستلْقٍ ومنتصب ، ومنسطح .

قال ٱبن عبد السلام : تبدأ أوّله بنقطة وتأخذه على سطر إلى جهة اليسار ، ثم تأخذ المستلق إلى ان تنتهىَ إلى قُبالة المنسطح بحيث يصير كالدال المقلوبة ،

---

(١) الزيادة عن تحفة أولى الألباب للشيخ عبد الرحمن بن الصائغ .

ثم تأخذ من حيث ٱنتهيت إلى أن تَلْصَق بالمنسطح فيبق مثلثًا متساوىَ الأضلاع ، مساحةُ ضـوئه نقطةٌ بمقدارِ سـدسِ ألِف خطِّه ؛ ثم إن كان معطوفا ختمته بسِنّ القلم ، وإن كان مرسلا فبقطته .

قال ٱبن مقـلة : وٱعتبار صحته أن تصل بالخط الثـانى منها خطا فيصير مثلثا قائم الزاوية .

القـــــاف

قال ٱبن مقلة : هو شكل مركَّب من ثلاثة خطوط : منكَبٍّ ، ومستلقٍ ، ومقـوّس .

قال ٱبن عبد السلام : هو مركب من أربعة خطوط ، رأسها كرأس الفاء سواء بجميع ما تقدّم ، وإرسالُها كالنون على ما سيأتى ذكره ؛ فإن كان آخرها معطوفا فبسنّ القلم اليسرى ، وإن كان مرسلا فبسنّه اليمنى . قال : ومساحة ضوء القوس من أوّله إلى آخره إن كان معطوفا كألِف قلم الكتابةِ ، وإن كان مرسلا فكألفين .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها كٱعتبار النون ، وسيأتى ذكره .

الكاف

قال ٱبن مقلة : شـكلٌ مركَّب من أربعـة خطوط : منكبٍّ ، ومنسطِحٍ ، ومنتصِبٍ ، ومنسطِحٍ .

وقال ٱبن عبد السلام : وهو مركَّب من أربعة خطوط : مستلْقٍ ، ومنسطِح طوله مقدارُ ألِفٍ وثلُث ألف من قلم الكتابة ، ومنكبٍّ طوله مقـدار ثلث ألف

من خطه، ومنسطح طوله مقدار ألفين من خطه، يفصل منتهى المنسطح ما بين المنسطحين .

قال : ولك أن تزيد الأسفل عن رأس الكاف بمقدار ثلث ألف الكتابة بسبب ما يتصل به، فيصير فضاءُ ما بين ما آتصل بآخرها إلى رأس الكاف مثلَ الفضاء الذى بين المنسطحين . ٥

قال : ولا يجوز أن تُكتب مختَلسةً إذا لم يتصل آخرُها بحرف ، بل إذا كانت آخر كلمة تكتب منتصبةً قائمةً لا غيرُ ؛ وتكتب إذا كانت منتصبة كاللام على ما سيأتى بيانه .

قال : وتبدأ أوّلها بشظيّة فإذا آنتهيتَ إلى آتصال رأسها بالمنسطح تشير بتدويرها دون تحديدها . ١٠

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها أن ينفصل منها باءان . قال آبن عبد السلام : يعنى مستقيمةً ومقلوبةً .

اللام

قال آبن مقلة : هى شكل مركَّبٌ من خطين : منتصبٍ، ومنسَطِح .

قال آبن عبد السلام : فالمنسطح ألف والمنتصب ياء؛ فإن كان معطوفا فبِسنّ القلم اليسرى، وإن كان مرسلا فبقَطِّه . ١٥

قال آبن مقلة : وآعتبار صحتها أن تُخْرج من أوّلها إلى آخرها خطا يُمَاسُّ الطرفين فيصير مثلّثا قائمَ الزاوية .

قال : وتكتب على الأنواع الثلاثة التى تكتب عليها الباء .

المـــــيم

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركّب من أربعـة خطوط : مُنْكَبٍّ ، ومستلقٍ ، ومنسطح ، ومُقوَّس .

وقال ٱبن عبد السلام : مركّب من أربعة خطوط : منكبٍّ ، ومقوَّس ، ومستلق بتقويس ، ومقوس كالراء يكون ربع دائرة ؛ فإن كان آخرها منتصبا فهو فى الوضع والطُّول مثل ألِف من خطه غير مائل إلى ٱستلقاء ولا ٱنكباب ، تبدأ أوّل الميم بشَظِيَّة وآخرها بشَظِيَّة .

قال : ومساحةُ ضوئها مثل سدُس ألِف خطِّها ، وهو مستطيلٌ مستدير كالبيضة منتصب إلى جهة اليمين .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبارها كٱعتبار الهاء ، وسيأتى .

النــون

قال ٱبن مقلة : هو شكل مركّب من خطٍّ مقوّس ، هو نصف الدائرة ؛ وفيه سِنة مقدّرة فى الفكر .

قال ٱبن عبد السلام : يبدَأُ أوّلُه بنقطه ، وآخره إن كان معطوفا فبِسنِّ القلم اليسرى ، ومساحة ضوئه ألف من قلم خطه ؛ وإن كان مُرْسَلا فبسنّ القلم اليمنى ، ومساحة ضَوْئه ألفان من قلمِ خَطِّه .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن يُوصَل بها مثلها فتكون دائرة .

الهـــــاء

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركَّب من ثلاثة خطوط : منكَبٍّ ، ومنتصبٍ ، ومقـــوّس .

وقال ٱبن عبد السـلام : من ثلاثة خطوط : منكبٍّ ، ومنسـطح بترطيب ، ومستلقٍ ؛ تبدأ أوّلها بنقطة وآخرها إرسالة بسن القلم اليمنى ؛ طول المنكبّ كطول ٥ نصف ألف من خطه ، وطول المنسـطح كثلث ألف من خطه ، وطول المستلق كنصف ألف قلم خطه .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبار صحتها أن تجعلها مربَّعة فتتساوى الزاويتان العُلْياوان كتَساوِى الزاويتين السُّفْلاوَيْنِ .

وقال ٱبن عبد السلام : ٱعتبار صحتها أن تجعل ردّتها فى ثلثيها ، فإذا كمل وضعها ١٠ فآجعلها مربعة فتتساوى الزاويتان العاليتان والزاويتان السافلتان .

الـــــواو

قال ٱبن مقلة : هى شكل مركَّبٌ من ثلاثة خطوط : مســتلقٍ ، ومنكَبٍّ ، ومقـــوّس .

وقال ٱبن عبد السلام : هى مركَّبة من أربعة خطوط ، رأسها كرأس الفــاء ، ١٥ وتقويسها كالراء ، وهو ربع دائرة ؛ تبـدأ أوّلهـا بنقطة ، وآخرها إن كان معطوفا فبسنّ القلم اليسرى ، وإن كان مرسلا فبسِنّه اليمنى .

اللام ألف

قال ٱبن عبد الســلام : هى شكل مركّب من ثلاثة خطوط : منكبٌّ، ومنسطِح مستقيم، ومسـتلق؛ طول المنكبّ كطول ألفٍ من قـلم الكتابة وطول المنسطح كثلثى ألف الكتابة، وطول المسـتلق كطول ألف الكتابة ؛ تبـدأ أوّلَ المنكبّ بنقطة، وكذلك المستلق .

قال : وٱعتبار صحتها أن يكون ثلثها من أسفلها والثلثان من أعلاها، وأن تخط من رأس اللام إلى رأس الألف خطا مستقيما، وأن تخط من أعلاها إلى أسـفلها خطا فلا يقصر عنها ولا يخرج .

قال : ومنها نوع آخر مركب من ثلاث خطوط : منكبٌّ، ومستدير يقارب ألفا، ومستلق يقابل طرفه طرف المُنْكَبّ .

اليـــــاء

قال ٱبن مقلة : شكل مركّب من ثلاثة خطوط[1] : مستلقٍ، ومنكبٌّ، ومقوّس.

قال ٱبن عبد السلام : وهى كالنون؛ وتبدأ أوّلها بشَظِيّة رأسها كدال مقلوبة، طول المستلق منها كنصف ألفٍ من خطه، وكذلك المنكبّ على ماتقدّم فى الدال .

قال : والمقوّس إن كان معطوفا فمساحته كألفٍ من خطّه وآخره بسِنّ القـلم اليسرى، وإن كان مرسلا فمساحته كألفين من خطه وآخره بسنّ القلم اليمنى .

قال : ومنها نوع كرأس الكاف المستلق والمنسطح سواء .

قال ٱبن مقلة : وٱعتبارها كٱعتبار الواو .

---

(١) فى رسالة الوزير ابن مقـلة : « شكل مركب من أربعـة خطوط : مستلق، ومنتصب، ومنكب، ومقوّس » .

الجملة الثانية

في معرفة ما يقع به ابتداء الحروف وانتهاؤها : من نُقْطة أو شظيَّة أو غير ذلك

أمّا الابتداء فعلى ثلاثة أضرب :

الضرب الأوّل

ما يبتدأ بنقطة ، وهو تسع صور [1]

صورة الباء وأختيها ، وصورة الدال وأختها ، وصورة السين وأختها ، وصورة اللام ، وصورة النون ، وصورة العين وأختها . وقد جمعها السَّرَمَرِّىُّ في أُرْجوزته في أوائل كلمات بيتٍ واحد ؛ وهو قوله :

إذا بَدَتْ دَعْدٌ رَقَا سَنَاها * لعاشِقٍ نَاحَ على هَوَاها

على أن الشيخ شرف الدين بن عبد السلام قد وَهِم فعدّ منها الفاء ، وليس كذلك بل هي مما يبتدأ بجَلْفَة [2] على ما سيأتى ذكره .

الضرب الثانى

ما يبتدأ بشظيَّة ، وهو صُوَر خمسة أحرف

الحاء ، والطاء ، والياء ، والصاد ، والكاف

وقد جمعها السَّرَمَرِّىُّ في قوله : "حَطى يصك" .

وجعل ابن عبد السلام الخمسة :

الغين ، والطاء ، والحاء ، والكاف ، والصاد

وجمعها في قوله : "غَطّ خَصَّك" وألحق بها أشباهها .

---

(١) لم يصل العدد الى التسع ولعله سبع وسقطت صورة الراء وأختها كما يظهر بالتأمل في بقية الأضرب .

(٢) لكل قصبة جلفة بحسب صلابتها ، فالصلبة تطول ، وحدّها ألا تأخذ في الخط ولا تعطى فتختلف ثخانة الكتابة (راجع شرح قصيدة ابن البوّاب في آلات الخط للشيخ شرف الدين بن الوحيد) .

الضـــــرب الثـالث

ما يبتدأ بجلفة . وهو صور أربعة أحرف :

القـاف ، والمـيم ، والـــواو ، والفـاء

وقد جمعها السرمرىّ فى قوله : "قُمْ وَفِّ" .

٥ وأمّا الاختتام فعلى ثلاثة أضرب أيضا :

الضـــــرب الأوّل

ما يختتم بقطّة القلم . وهو صور ستة أحرف :

الطـاء، والفـاء، والبـاء، واللام ، والدال، والكاف

وجمعها ابن عبدالسلام فى قوله : "دَبَّ طِفْلك" ولا يخفى أن أخواتها فى معناها .

الضـــــرب الثـانى

١٠

ما يختتم بشـــظيّة ؛ وهو صـــورة واحدة

وهى الألف

الضـــــرب الثـالث

ما يرسل فى ختمه إرسالا ، وهو صورة أحدَ عشرَ حرفا ، وهى :

١٥ السيـن ، والراء ، والحـاء ، والمـيم ، والنون ، واليـاء

والعيـن ، والقـاف ، والصاد ، والواو ، والهـاء

يجمعها قولك : "سرح منيع وقصه" .

الطـــرف السـابع

في مقدّمات تتعلق بأوضاع الخط وقوانين الكتابة ؛ وفيه ثلاث جمل

الجمـــلة الأولى

في كيفية إمساك القلم عند الكتابة، ووضعه على الورق

قال الوزير أبو عليّ بن مقلة رحمه الله : يجب أن تكون أطراف الأصابع الثلاث : الوُسْطى والسَّبابة والإبهام على القلم ؛ وإلى ذلك يشير أبو تمَّام الطائيّ بقوله :

... ... وسدّت * ثلاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلاثُ الأناملُ

أما قول القائل في وصف القلم أيضا :

وَذِى عَفَافٍ راكِعٍ ساجِد * أَخُو صَلاحٍ دَمْعُه جارى

مُلازِمُ الخَمسِ لِأوقاتها * مُجْتَهِدًا في طاعة البارِى

يريد بالخمس الأصابعَ الخمسَ، فإنه على سبيل المجاز، من باب مجاز المجاورة .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وتكون الأصابع مبسوطةً غير مقبوضة ، لأن بسط الأصابع يتمكن الكاتب معه من إدارة القلم ؛ ولا يتكئ على القلم الآتكاء الشديد المُضْعف له ؛ ولا يمسكه الإمساك الضعيف فيضعف اقتدارُه في الخط، لكن يجعل اعتماده في ذلك معتدلا .

وقال حنون : إذا أراد الكاتب أن يكتُب فإنه يأخذ القلم فيتكئ على الخِنْصِر، ويعتمد بسائر أصابعه على القلم ، ويعتمد بالوُسْطى على البِنْصِر، ويرفع السبَّابة على القلم، ويُعْمِل الإبهام في دَوَرانه وتحريكه .

قال ٱبن مقلة : ويكون إمساك القـلم فُوَيْق الفتحة بمقدار عَرْض شعيرتين أو ثلاثٍ؛ وتكون أطراف الأصابع متساويةً حولَ القلم لا تفضُـل إحداهنّ على الأخرى .

قال صاحب "الحليـة" : وتكون الأصابع على القـلم منبسطة غير منقبضة ليتمكَّنَ من إدارة القلم، ولا يدار حالة الاستمداد .

قال ٱبن العفيف : وعلى حسب تمكُّن الكاتبِ من إدارة قلمه وسرعة يَده فى الدَّوَران يكون صفاء جوهر حروفه .

الجمـــلة الثانيـــة

فى كيفية الاستمداد، ووضع القلم على الدَّرْج

أما الاستمداد فهو أصل عظيم من أصول الكتابة ؛ وقد قال المقرّ العلائىّ ٱبن فضل الله : من لم يُحْسِن الاستمدادَ وبَرْىَ القلم فليس من الكتابة فى شىء .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وإذا مدّ الكاتب فليكن القلم بين أصابعه على صورة إمساكه له حين الكتابة ، ولا يديره للاستمداد ، لأن أحسن المذاهب فيه أن يكون من يد الكاتب على صورة وضعه فى الكتاب، ويحرّك رأس القلم من باطن يده إلى خارجها فإنه يمكن معه مقام القلم على نصبته من الأصابع، ومتى عدل عن هذا لحِقته المَشَقَّة فى نقل نَصْبة الأصابع فى كل مَدّة .

قال : وهذا من أكبر ما يحتاج إليه الكاتب ، لأن هـذا هو الذى عليه مَدَار جَوْدة الخط .

ثم قال : وقَلَّما يُدْرِك علم هـذا الفصل إلا العـالِمُ الحاذق بهَنْدَسَـة الخط ، مع ما يكون معه من الأَنَاة وحسن التأدية .

ومن كلام المقرّ العلائيّ ابن فضل الله : ينبغى للكاتب ألّا يُكْثر الاستمداد بل يمدّ مَدًّا معتدلا ، ولا يحـرّك اللّيقة من مكانها ، ولا يعثر بالقلم فإن ذلك عيب عند الكُتّاب ، ولا يردّ القلم إلى اللّيقة حتّى يستوعبَ ما فيه من المداد ، ولا يُدْخِل منه الدواةَ كثيرا ، بل إلى حدّ شـقّه ، ولا يجاوز ذلك إلى آخر الفتحة ، ليأمن تسويد أنامله ، وليس ذلك من خصال الكُتّاب . ٥

وأما وضـع القلم على الدَّرْج فقال أبو علىّ بن مُقـلةَ : ويجب أن يكون أوّلُ ما يُوضَع على الدَّرْج موضعَ القطة منكبًّا .

الجملة الثالثة

فى وضع القلم على الأُذُن حالَ الكتابة عند التفكر

١٠ قال محمد بن عمر المدائنى : يُستحبُّ للكاتب فى كتابته إذا فكّر فى حاجة أن يضع القلم على أُذُنه ، وساق بسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه : أن معاويةَ بنَ أبى سُفيان كان يكتب للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا رأى من النبىّ صلى الله عليه وسلم إعراضا وضَعَ القلَمَ فى فيه ، فنظر إليه النبىّ صلى الله عليه وسلم وقال : "يامُعاوية إذا كُنْتَ كاتِبًا فَضَعِ القَلَمَ على أُذُنِكَ فإنَّهُ أذْكَرُ لَكَ ولِلمُمْلِي" .

١٥ وساق بسنده أيضا إلى زيد بن ثابت رضى الله عنه : أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نَظَر إليـه وهو يَكْتُب فى حَوَائجـه فقال له : "ضَعِ القَلَمَ على أُذُنِكَ فإنّهُ أذكَرُ لكَ" .

وأخرج أيضا من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم لكاتبه : "ضَعِ القَلَمَ على أُذُنِكَ يَكُنْ أذكَرَ لَكَ" .

٢٠ وفى رواية عن أنس : "كان معاويةُ كاتبًا للنبىّ فرآه يومًا قد وَضَعَ القَلَمَ على الأرض فقال : يامعاوية إذا كتَبْتَ كتابًا فضَعِ القَلَمَ على أُذُنك" .

وأخرج أيضا "أن كَعْبا كان يتحدث عند عائشةَ، فذكر إسرافيلَ فقال : له جَنَاح بالمَشْرِق وجَنَاح بالمغرب وجَنَاحٌ مُتَسَرْبَل به والقَلَمُ على أُذُنِه فإذا نزَل الوَحْيُ جرى القَلَمُ ودَرَستِ الملائكةُ . فقالت عائشةُ : هكذا سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم" .

الطـــرف الثـامن

في ذكر قوانينَ يعتمدها الكاتبُ في الخط، وفيه ستُّ جمل

الجمـــلة الأولى

في كيفية حركة اليد بالقلم في الكتابة، وما يجب أن يُراعى في كلِّ حرف

قال السَّرَّمَرِّيُّ وٱبنُ عبد السلام وغيرهما : كُلُّ خط منتصب ينبغي أن يكون الاعتماد فيه من القلم على سِنَّيْه معًا، وكل خط من يَمْنةٍ إلى يَسْرةٍ ينبغي أن يمال القلم فيه نحو اليَسْرة قليلا، وكل خط من يَسْرةٍ إلى يَمْنة ينبغي أن يُمالَ رأسُ القلم فيه إلى اليَمْنة قليلا، وكل شظيَّــة ينبغي أن تكون بالسِّنِّ اليمنى من القلم، وكل نُقْطة ينبغي أن تكون بسِنَّي القلم، وكل تقعير كما في النون وتعريقة الصاد يجب أن تكون بالسِّنِّ الأيمن وكل إرسالة يجب أن تكون بسنّ القلم اليمنى، وكل تعريج كما في عراقة الجيم والعين يجب أن يكون بسِنِّ القلم اليُسْرى، وكل ما أُخِذ فيه من يَمْنة إلى يَسْرة كاللام ونحوها ينبغي أن يُمال فيه رأسُ القلم إلى اليَسْرة قليلا، وكل ما أُخِذ فيه من يَسْرةٍ إلى يَمْنة كرأس الجيم ينبغي أن يُمال رأسُ القلم فيه إلى اليَمْنة قليلا ، وكلُّ خط منتصبٍ فيجب أن يكون ٱنتهاؤه إرسالة، وطول كل سنة من السين ونحوها مثل سُدُس ألِف خطها، وقيل مثل سبعه؛ وكلُّ شظية في أوّل أو آخرٍ مثلُ سُبع ألِف خطِّها .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : وللسِّنِّ الأيمن من القلم الألفُ واللام ورَفعة الطاء والنون والباءُ والكافُ إذا كانت قائمة مبتدأة، وأواخر التعريقات والمـدّات

وطبقة الصاد والضاد، ومَدّة السين والشين ؛ وللأيسر الجيمُ وأختاها والرّدّات وتدوير رُءُوس الفاءات والقافات والهاءات والواوات والكافات المشقوقة .

قال : وكل رَدّة من اليسار الى اليمين تكون بصَدْر القلم .

قال : ويجب أن تكون المَطّات الطويلة بسِنّ القلم اليمنى مُشَظّاةً ممالة، فتكون المَطّة من رأس شَظِيّتها، وأن تُكتب المَدّات القصيرةُ بحرف القَلَم ؛ وإذا ٱبتدأ بالمَدة وجب أن يُدار القلمُ على سِنّه مثل مَطّة الطاء؛ وإذا وُصلت المَطّة بحرفٍ مثلها كُتبت بوجه القلم مثل مَطّة الفاء المفردة. ثم قال : وهذا من أعظم أسرار الكتابة.

الجملة الثانية

فى تناسُبِ الحروف ومقاديرها فى كل قلم

قال صاحب "رسائل إخوان الصفا" فى رسالة المُوسيقى منه :

ينبغى لمن يَرْغب أن يكون خطُّه جيِّدا وما يكتُبه صحيحَ التناسُب ، أن يَجْعل لذلك أصلاً يَبْنِى عليه حروفَه ، ليكون ذلك قانوناً له يرجع إليه فى حروفه، لا يتجاوزه ولا يُقَصِّر دُونَه .

قال : ومثال ذلك فى الخطِّ العربىِّ أن تخط ألفا بأىِّ قلم شئْتَ، وتجعل غِلَظَه الذى هو عَرْضه مناسبًا لطُوله وهو الثمن، ليكون الطُّولُ مثلَ العَرْض ثمانَ مَرّاتٍ. ثم تجعَلَ البِركار[1] على وَسَط الألف وتُدير دائرةً تحيط بالألف لا يخرُج دَوْرُها عن طرَفَيْه، فإنّ هذا الطريق والمَسْلَك يُوصِّلان إلى معرفة مقادير الحروف على النسبة، ولا تحتاج فى مقاييسك ما تقصده إلى شىء يخرج عن الألف وعن الدائرة التى تحيط به.

فالباء وأخواتها — كل واحدة منها يجب أن يكون تسطيحُها إذا أضيفَتْ إليه سنُّها مساويا لطول الألف ، فإن زاد سَمُج وإن قَصُر قَبُح ؛ ومقدار ٱرتفاع سنِّها

(١) البركار : آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر .

وجميع السنن التى فى السين والشين ونحوها لا يتجاوز مقدار ثمن الألف .

والجيمُ وأخواتُها — مقدارُ مدَّتها فى الابتداء لا يقصُر عن نصف طُول الألف .

وكذلك يجرى الأمر فى العين، والغين، والسين، والشين، والصاد، والضاد والراء، والزاى، كل واحدة منها مثل ربع محيط الدائرة .

٥ والدال، والذال — كل واحدة منهما يجب أن يكون مقدارها إذا أزيل الانثناء الذى فيها وأعيدت إلى التسطيح لا يتجاوز طول الألف ولا يقصر دونه .

والسين، والشين — كلُّ واحدة منهما يجب أن تكون سننُها إلى فوقُ مثلَ مقدار ثمن الألف، وفى العرض بمقدار نصفها، وفى التعريق مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

والصاد، والضاد — مقـدار عَرْض كلٍّ منهما فى مَدَاها مثلُ مقدار نصف ١٠ الألف وفتحة البياض فيها مقدار ثمن الألف أو سدسها، وتعريقها إلى أسفل مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

والطاء، والظاء — كلُّ واحدة منهما فى ناحية يجب أن يكون مقـدارهُ مثلَ مقدار جميع طول الألف وعرضُه مثلَ نصف الألف .

والعين، والغين — كلُّ واحد منهما مقـدارُ تقويسه فى العَرض مثلُ نصفِ ١٥ الألف أو مثلُ الألف إذا أعيـدت إلى التسطيح وأزيل تثَنِّيه، وتقويسُـه من أسفل مثلُ نصفِ محيط الدائرة .

والفاء — يجب أن يكون تسطيحُه إلى قُدَّام بعد الطالع منه من فوق مثلَ طول الألف . وحلْقته وحلقـة الواو والميم كلُّها إلى فوقُ مثلُ سدس الألف، وإلى أسفل فى الميم والواوُ مثلُ الراء .

٢٠ والقاف — تقويسُها من فوقُ ينبغى أن يكون مثلَ سُـدُس طول الألف، وتعريقها مثل مقدار نصف الدائرة .

والكاف — ينبغى أن يكون الأعلى منها طولَ الألف، وفتحةُ البياض التى داخلَه مثلَ سدس طول الألف؛ وتسطيحه من أسفل مثلَ أعلاه وكسرته إلى فوق مثلَ نصف طول الألف .

واللام — يجب أن يكون مقدارُ طُول قائمتها مثلَ الألف، ومدّتها إلى قدّام مثل مقدار نصف الألف .

والنون — يجب أن يكون مقدارُه مثلَ نصف محيط الدائرة .

والياء — ينبغى أن يكون مبدؤه دالا مقلوبةً لاتتجاوز مقدار طُول الألف، وتعريقها إلى أسفلَ مثلَ نصف محيط الدائرة .

ثم قال: وهذه المقادير وكميةُ نسبة بعضها إلى بعض هو ما توجبه قوانينُ الهندسة والنسبة الفاضلة، إلا أن ما يتعارفه الناس ويستعمله الكُتّاب على غير ذلك .

وقد أشار الشيخ عماد الدين بن العفيف إلى ضوابط فى ذلك على ما تقتضيه أوضاع الكُتّاب يجب الوقوف عندها فقال :

وآعلم أنّ مقادير الحروف متناسبةٌ فى كل خط من الخطوط .

وآعلم أن صاحبنا الشيخ زين الدين شعبان الآثارىّ فى ألفيته قد جعل طول الألف سبْعَ نقط من كل قلم، ومقتضاه أن يكون العرض سُبُعَ الطول .

ثم قال : إن ما زاد عن ذلك فهو زائد فى الطول، وما كان ناقصا عن ذلك فهو ناقص ، وعلى ذلك تختلف المقادير المقدّرة بالألف من الحروف بنقص قدر الثمن من الطول .

فالألف واللام قَدْرٌ سواء فى كل خط، وكذلك الباء وأختاها، والجيم وأختاها، والعين والغين قدرٌ سواء، والنون، والصاد، والضاد، والسين، والشين، والقاف، والياء المُعرّقة قدرٌ سواء، والراء، والزاى، والميم، والواو قدرٌ سواء .

قال : وكل عراقة بدأتَ بها فى كل خط مّا فعلى مثلها يكون انتهاؤها .

ثم قال : فتفهَّمْ هذا القدرَ فإنه كثيرا ما يختلط على الكُتَّاب الحُذَّاق .

وقد ذكر الشيخ شرف الدين بن عبد السلام من ذلك أضربا :

أحدها — ما هو متناسب الطُّول، وهو خمس صور : صورةُ الألف، وصورةُ

٥ اللام، وصورةُ القاف، وصورةُ التاء، وصورة الكاف ويجمعها قولك : "القتـك"

وفرّع عليها أربع صور يجمعها قولك : "بث مى" .

الثـانى — ما يجوز مدُّه من أوّل السطر إلى آخره وقصره ما شاء، مالم يَقْصُر

عن طول الألف، وهى الباء، والكاف، واللام، ويجمعها قولك : "بكل" ويتفرّع

عليها أخواتها .

١٠ الثـالث — ما هـــو متناسِبٌ فى المِقْـدار، وهو ثلاث صُـــوَر ، يجمعهـا

قولك : " ديل " .

والمنكَبُّ من الدال والمستلق منها والمنسطح والمستلق منهـا والمنكَبُّ من الياء

بمقدار نصف ألفِ خطِّه .

الرابع — ما هو متناسب المساحة فى حال العطف والإرسال : وهى القاف،

١٥ والسين، والبـاء ، والياء، والضاد، ويجمعها قولك : " قبسن يض " وكل أخت

تُلْحَق بأختهـا .

الخـامس — ما هو متناسب فى الإرسال وهو المـــيم ، والواو ، والزاى ،

ويجمعها قولك : " موز " .

السادس — ما هو متناسبٌ فى الضَّوْء والإرسال، وهو ستّ صُوَر، هى الفاء،

٢٠ والقاف، والهاء، والميم، والواو، واللام ألف، ويجمعها قولك : "فقه مولا" .

السابع — ما هو متناسبُ ضوء الباطن، وهو ثلاث صور : الصاد، والطاء، والعين وأخواتُها .

الثامن — ما هو متناسب الرءوس، وهو ثلاث : الصاد، والعين، والطاء؛ ويجمعها قولك : "صعط" ويُلْحَق بها أخواتُها .

التاسع — ما هو متناسبٌ فى التعريج ، وهو العين ، والجيم ؛ ويجمعهما قولك : "عج" . ٥

الجملة الثالثة

فيما يجب اعتماده لكل ناحية من نواحى القلم

قد تقدّم فى الكلام على بِرَاية القلم أن للقلم سنًّا أيمنَ وسنًّا أيسَر، وعَرْضا، ووَجْها، وصَدْرا؛ وأنه يتعيّن على الكاتب معرفةُ كلِّ واحد منها، ليُعطِىَ كل واحد منها حقّه فى الموضع الذى يقتضيه الحال . وقد ذكر السَّرَمَرّىُّ فى أرجوزته جُمَلا كلية إذا عرفها الكاتب سَهُل عليه ما يرومُه من ذلك فقال : ١٠

"إن كلَّ خط منتصبِ الشَّكْل كالألف ونحوه يجب فى كتابته الاعتماد على سنّى القلم جميعا، وكلَّ خطٍّ آخذٍ من اليمين إلى اليسار يجب إمالةُ القلم فيه إلى اليسار شيئا يسيرا، وكلَّ خطٍّ آخذٍ من اليسار إلى اليمين يجب إمالةُ القلم فيه إلى اليمين شيئا يسيرا، وكل نقطة يعتمد فيها بسنيه جميعا ، وكل شظيّة فإنها تُخْتلَس بسنه اليمنى اختلاسا، وكل إرسالة تعقيب كما فى الجيم والعين يُعتمدُ فيها على السن الأيسر، وكلَّ تقْعير كما فى النون يكتب بالسنّ اليمنى" . ١٥

وأفصح عن ذلك الشيخ عماد الدين بن العفيف فقال :

إن لِلسِّن الأيمنِ الألفَ واللامَ، ورفعة الطاء، والنونَ، والباء، والكاف إذا كانت قائمة مبتدأة، وأواخرَ التعريقات والمدّات، وطَبْقة خطة الصاد والضاد المستفلةَ، ٢٠

وبدء السين والشـين . وللسن الأيسر الجيمَ وأختيهـا ، والرّدات ، وتدوير رءُوس الفاءات والهاءات والواوات والكافات المشكولة[1] . ثم قال : وكل ردّة من اليسار إلى اليمين تكون بصدر القلم .

الجمـــلة الرابعـــة

فى الترويس

والذى يدخله الترويس فى الجمـلة الألف ، والبـاء ، والجيم ، والدال ، والراء ، والطاء ، والكاف ، واللام المجموعة ، ويختلف الحالُ فى ترويسها وعدمه باختلاف الأقـلام .

فمنها ما يروس حتما ، ومنها ما يمتنع فيه الترويس ، ومنها ما الكاتبُ فيه بالخيار بين الترويس وعدمه ، وربما رُوّس بعض الحروف فى بعض الأقلام ولم يُرَوّس فى بعضها . ثم قد ذكر أهل الصناعة أن ترويس الألف كسُبعه . وذهب ياقوتٌ إلى الزيادة على ذلك ؛ وترويس البـاء وأُختيها بقدر نُقْطتين ؛ وترويس الجيم بقدر نصف نصبها ؛ وترويس الصادِ والطاءِ كالسين ؛ وترويس الفـاء والقاف كالبـاء . وسيأتى الكلام على ترويس كل حرف منها فى قلمه إن شاء الله تعالى .

الجمـــلة الخامســـة

فيما يُطمس من الحـــروف ويفتح

وهى المعبر عنها بالعُقَد ، وهى صورة الصاد ، والطاء ، والعين ، والفاء ، والقاف ، والميم ، والهاء ، والواو ، واللام ألف المخففة ، ويختلف الحـال فيها :

---

(١) فى الأصل : « المشقوقة » وما أثبتناه من التعريف عن أشكال الحروف الآتى فى هذا الجزء (ص ٨٤) .

فمنها ما لا يُطْمَس بحال، وهى : الصاد وأختها، والطاء وأختها، والعين المفردة والمبتدأة وأختها .

ومنها ما يطمس فى بعض الأقلام دون بعض وهى : العين المتوسطة ، والعين الأخيرة، وكذلك الغين، والفاء، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف .
وسيأتى الكلام على ما يُطْمَس ويفتَح من ذلك فى كل قلم عند ذكره . ٥

ثم الطَّمْس فيما يُطْمَس منها على سبيل الجواز لا على سبيل اللزوم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : والرجوع فى ذلك إلى قانون مضبوط، وهو أنه كُلّما غَلُظتِ الأقلام كان الطمس فيها على خلاف الأصل، وكُلَّما رَقَّتْ كان الفتح فيها على خلاف الأصل، وذلك أنَّا عدَلْنا عن الفتح إلى الطَّمْس لأجل التلطيف.

الجملة السادسة ١٠

فى ذكر الأقلام المستعْمَلة فى ديوان الإنشاء فى زماننا

وسيأتى فى المقالة الثالثة فى الكلام على ما يناسب كل مقدار من مقادير قطع الورق من الأقلام ، أن المقرّ الشهابىّ بنَ فضل الله ذكر فى ذلك خمسة أقلام ، وهى : مختَصر الطُّومار، والثُّلُث، وخَفِيف الثُّلُث، والتوقيع، والرِّقاع .

فمختصر الطُّومار لقطع البغدادىّ الكامل ، والثُّلُث لقَطْع الثلثَيْنِ ، وخفيفُ ١٥ الثلث لقطع النصف، والتوقيع لقطع الثلث، والرقاع لقطع العادة .

ويلتحق بالخمسة التى ذكرها ثلاثةُ أقلام أُخَر، وهى : الطُّومار الكامل، والمحقَّق، والغُبَار .

فالطُّومار — يكْتُب به السلطان علاماتِه على المكاتَبات والوِلَايات ومَنَاشير الإقطاع . ٢٠

والمحقَّق — ٱستُحْدِثت كتابتُه فى طُغْراوات كُتُب القانات[1] على ما سيأتى بيانه فى موضعه .

والغُبَار — يُكْتَب به بطائقُ الحمام والملطّفات وما فى معناها .

وحينئذ فيكون المستعملُ بديوان الإنشاء فى الجملة ثمانيةَ أقلام : الطُّومار، ومختَصر الطُّومار، والثُّلث، وخفيف الثلث، والتَّوقيع، والرِّقاع، والمحقَّق، والغُبار.

وقد ٱختلف الكُتَّاب فى تسمية قلم الثُّلُث وما فى معناه من الأقلام المنسوبة إلى الكُسُور كالثلثين والنصف على مَذْهبين :

المذهب الأوّل — ما نقله صاحب "منهاج الإصابة" عن الوزير أبى علىّ بن مقلة : أن الأصل فى ذلك أن للخط الكُوفىّ أصلين من أربعَ عشرة طريقة، هُمَا لها كالحاشيتين، وهما : قلم الطومار، وهو قلم مبسوط كله ليس فيه شىءٌ مستدير . قال : وكثيرا ما كُتِب به مصاحفُ المدينة القديمةُ . وقلم غُبَار الحِلْية، وهو قلم مستدير كلُّه ليس فيه شىءٌ مستقيمٌ؛ فالأقلام كلُّها تأخذ من المستقيمة والمستديرة نسبا مختلفة، فإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلثُ سمى قَلَم الثلث، وإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلثان سمى قلم الثلثين، وعلى ذلك ٱقتصر صاحب "منهاج الإصابة".

المذهب الثانى — ما ذهب إليه بعض الكُتَّاب أن هذه الأقلام منسوبة من نسبة قلم الطُّومار فى المساحة؛ وذلك أن قلم الطُّومار الذى هو أجلُّ الأقلام مِساحةُ عَرْضه أربعٌ وعشرونَ شَعْرة من شعر البِرْذون كما سيأتى؛ وقلمُ الثلث منه بمقدار ثُلُثه، وهو ثمان شعرات، وقلمُ النصف بمقدار نصفه، وهو ٱثنتا عَشْرَةَ شعرةً؛ وقلم الثلثين بمقدار ثلثيه، وهو ثمانَ عشْرةَ شعرة . وإلى ذلك كانَ يذهب بعض مشايخ الكُتَّاب الذين أدركناهم، وعليه ٱقتصر المولى زين الدين شعبان الآثارىّ فى ألفيته .

(١) القانات : جمع قان : اسم علم لملك الترك، قيل : هو مختصر خاقان (راجع شرح القاموس مادة قين) .

وهذه صور حروف الأقلام السبعة التي تستعمل في ديوان الإنشاء ولوازمه وهي : الطومار، ومختصره، والثلث، وخفيف الثلث، والرقاع، والمحقق، والغبار في حالتي الإفراد والتركيب .

القلم الأول

قلم الطومار

بإضافة قلم إلى الطومار؛ والمراد بالطومار الكامل من مقادير قطع الورق أصل عمله، وهو المعبر عنه في زماننا بالفرخة؛ فأضيف هذا القلم إليه لمناسبة الكتابة به فيه . وقد تقدم أنه قلم جليل قدر الكتاب مساحة عرضه بأربع وعشرين شعرة من شعر البرذون؛ وبه كانت الخلفاء تكتب علاماتهم في الزمن المتقدم في أيام بني أمية فمن بعدهم .

فقد حكى أحمد بن إبراهيم الدورقي في مناقب عمر بن عبد العزيز : أن عمر بن عبد العزيز أتي بطومار ليكتب فيه فامتنع وقال : فيه ضياع الورق وهو من بيت مال المسلمين؛ وبالضرورة فلا يكتب في الطومار إلا بقلم الطومار؛ وهذا دليل على أنه كان موجودا فيما قبله، وأظنه من الأمور التي رتبها معاوية بن أبي سفيان ، إذ هو أول من قرر أمور الخلافة، ورتب أحوال الملك، وبه استقرت كتابة ملوك الديار المصرية من لدن السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" وهلم جرا إلى زماننا .

قال صاحب "منهاج الإصابة" : ويكون من لب الجريد الأخضر، ويؤخذ منه من أعلى الفتحة ما يسع رءوس الأنامل . قال : ويمكن أن يكون من القصب الفارسي .

قلت : والذي استقر عليه الحال في كتابة العهود بالديار المصرية بقصب البوص الأبيض الغليظ الأنابيب؛ ينتقى قصبه من جزائر الصعيد بالوجه القبلي؛ وفي كل سنة

يُجهَّز بَرِيدىٌّ[1] بطلب هذه الأقلام من وُلَاة الوجه القِبْلىّ، ويُؤْتى بهـا فتحفظ عند كاتب السرّ ويُبْرى منها ما يحتاج اليه فى كتابة السلطان ويوضع فى دواته بقَدْر الحاجة.

قال فى "منهـاج الإصابة": ولا بدّ فيـه من ثلاثة شقوق أو أكثر بقـدر ما يحتاج إليه فى مَجّ القلم الحِبْرَ فى القرطاس. وآعلم أن للكُتَّاب فيه طريقتين:

إحداهما — طريقةُ الثلُث، فتجرى الحال فيه على الميل إلى التقوير.

والثانيـة — طريقـة المُحقَّق، فتجرى الحال فيـه على الميل الى البسط دون التقوير؛ وسيأتى إيضاح الطريقتين وكيفية تشكيل حروفهما فيما بعدُ إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر السُّرَّمَرّىّ فى أرجوزته آختصاص قلم الطومار بأمور:

أحدها: أن مستداراتِه كلها تكون بوجه القـلم، والمدّات بسنه، والتعاريق بوجهه منفتلا فيها على اليمين.

الثـانى: أن الميم منـه تكون مفتوحة مدوّرة. والفاء والقاف فيـه أوساطها محدّدة وجنباتها مدوّرة.

الثـالث: أن يكون البياض بين الأحرف كمِثله بين السطور.

الرابـع: أن يكون الفضل من جانبى القرطاس متساويا فى المقدار.

الخامس: ألا يكون فيه صاد مدوّرة ولا كاف مشكولة.

وذكر المولى زين الدين شعبان الآثارى فى ألفيته: أنه يدخل فيـه التروبس فى الألف، والباء، والجيم، والدال، والراء، والطاء، والكاف المجموعة، واللام، والنون فى الإفراد والتركيب عند الآبتداء وأنه لا يجوز فيه الطمس فى شىء من عقده كالصاد، والطاء، والفاء، والقاف، والميم، والهاء، والواو، واللام ألف المحققة بحال، والمعنى فيه أن الطمس لا يليق بالخط الجليل.

(١) أصلحنا فى هذه الصفحة بعض كلمات مطموسة استدركت فى نهاية الجزء السادس من هذا الكتاب عن نسخة محفوظة فى بعض المكتبات الأهلية.

وهذه صورة كتابة اسم السلطان فى المكاتبات والولايات وغيرها منسوبا للسلطان

السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون

صورة ما يكتب فى جليل المكاتبات



صورة ما يكتب فى متوسطات المكاتبات

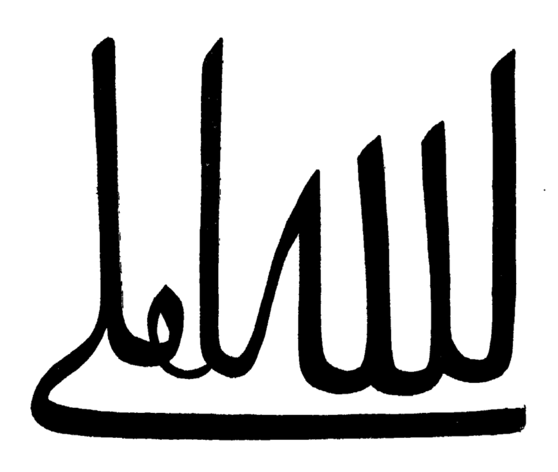


صورة ما يكتب فى صغار المكاتبات



وهذه صورة كتابة العلامة على المناشير للإقطاع لمن علامته

"الله أملي" بيـاء راجعة



القلم الثانى

قلم مختصر الطومار

بإضافة قلم إلى مختصر، وربما قيل فيه مختصر الطُّومار بحذف المضاف؛ وهو الذى يكتب به فى قَطْع البغدادىّ الكامل .

وقد ذكر المولى زين الدّين شعبان الآثارىّ فى أَلْفِيَّته : أن مقدار مساحته ما بين كامل الطُّومار وبين قلم الثلثين، وحينئذ فيكون مقداره ما بين عرض ست عشرة شعرةً من شعر البِرْذَوْنِ وبين أربع وعشرين شعرةً؛ والحامل له على ذلك ان أعلى ما وضعوه من الأقلام المنسوبة لكسرٍ من الكسور قلمُ الثلثين، وهو عرض ستّ عشرةَ شعرة؛ فلو كان مرادهم بمختصر الطومار هذا المقدار، لعبّروا عنه بقلم الثلثين دون مختصر الطومار، فتعين أن يكون فوق ذلك ودون الطومار الكامل، فيكون ما بين عرض ثمانَ عشرةَ شعرة وعرض أربع وعشرين شعرة .

ثم هذا القلم يجوز أن يُكْتَب به على طريقة الثلث فى الميل فى حروفه إلى التقوير وعلى ذلك يكتُب كُتَّاب ديوان الإنشاء فى عهود الملوك عن الخلفاء، والمكاتبة إلى القانات العظام من ملوك بلاد الشرق . ويجوز أن يكتب به على طريقة المحقّق فى الميل فى حروفه إلى البسط كما فى الطريقة الثانية من قلم الطُّومار، وسيأتى ذكر تشكيل الثلث فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ولا يخفى أن هذا القلم بالنسبة إلى الترويس وعدم الطمس على ما تقدّم فى الطومار للحوقه به فى الجلالة وسَعة مساحة العرض .



وهـــذه صـــورة كتابتـــه



القـــــلم الثـالث

قـــلم الثلث

بإضافة قلم إلى الثلث ، ويقال فيه الثلث بحذف المضاف وهو الذى يُكْتَب به فى قَطْع الثلثين .

٥ وقد تقدّم آختلاف الكُتّاب فى نسبته هل هو بآعتبار التقوير والبسط ، أو بآعتبار أنه ثلثُ مساحة الطومار ، من حيث إن عَرْض الطومار أربع وعشرون شعرةً من شعر البِرْذَوْن ، وعرض الثلث ثمانُ شعرات وهى الثلث من ذلك ؛ وقَطّة هذا القلم محرّفة ، لأنه يحتاج فيه إلى تشعيرات لا تتأتى إلا بحرف القلم ، وهو إلى التقوير أميل منه إلى البَسْط ، بخلاف المحقّق على ما سيأتى ذكره ، والترويس فيه لازم .

١٠ وقد ذكر المولى زين الدين شعبان الآثارى فى أَلْفِيّتِهِ : أنه يروّس فيه من الحروف الألف المفردة ، والجيم وأختاها ، والطاء ، والكاف المجموعة ، واللام المفردة ، والسِّنّة المبتدأة ؛ وعُقَدُه من الصاد وأختها ، والطاء وأختها ، والعين وأختها ، والفاء ، والقاف ، والميم ، والهاء ، والواو ، واللام ألف المحققة كلّها مفتحة لا يجوز فيها الطمس بحال .
وهو على نوعين :

١٥

النـــــوع الأوّل

الثلث الثقيـــل

وربمـا قيل فيه ثقيل الثلث ، وهو المقدّرة مساحته بثمان شعرات على ما تقدّم ذكره ، وهذه صُوَره مفردة ومركبة :

الألف على ضربين : مفردة ومركبة ، فالمفردة على ثلاثة أنواع :

الأوّل — الألف المطلق



وطريقه : أن تبتدئ فيه بصدر القلم من قفا الألف ، ثم تصعد إلى هامتها فإذا بلغتها نزلت بعرض القلم إلى وجهه ، ثم تنزل بوجه القلم معتمدا فى نزولك على السنّ اليمنى حتّى إذا بلغت شاكلة الألف أدرت القلم برفق حتّى تختمه بحرفه .

الثانى — المشعر



وطريقه : كالذى قبله إلا أنه إذا جئت آخر الألف عطفت ذنبها ويكون موصولا بغيره ، فإن لم يوصل بغيره فالغالب أن يكون مطلقا .

الثالث — المحرّف



وطريقه : أن يبدأ فيه من هامة الألف بوجه القلم فتضعه على تحريفه وتنزل به مستويا ، حتى إذا بلغت شاكلته أدرت حرف القلم على ما مضى من الشرط فى المطلق والمُشَعَّر .

الضـــــرب الثـانى

المركّب مــع غيره من الحـــروف

ولا يكون إلا طرفا أخيرا، إذ لا يوصل بمـا بعده، لأن الألف مطيَّة يُركَبُ عليها ولا تَرْكَبُ؛ وطريقه أنك تصعد به بعد تمـام الحرف الذى قبله بصدر القلم عكسا لتزولك بالألف المحرّف ، فإذا بلغتَ هامة الألف وقفت بالقـلم حتّى يكون بمنزلة رأس الألف المحرّف .

وكذلك يفعل فى اللام الطالع؛ وهذه صورته :

الطـالــع

ـا

الصـــــــورة الثانيـــــــة

صـــورة البـاء

وهى على ضربيـــن

الضـــــرب الأوّل

المفـــردة

وهى ثلاثة أنواع : مجموعة، وموقوفة، ومبسوطة . ولك فى ٱبتدائها فى الثلاث الصور وجهان : إن شئت بدأت من قفاها بتشعيرة على ما مضى من صفة الألف المطلق، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن، وإن شئت بصدر القلم . ثم لكل صورة منها طريقة تخصها .

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم حتّى إذا بلغت فتلة الباء وهى الإدارة الخفية التى تجمع بين الخط القائم والمبسوط ، فتلت القلم ومططت الباء بصدره ، حتّى إذا صرت إلى آخرها ختمت بحرف القلم الأيمن ، وتَتَرت يَدَك برفق حتّى ترفع ذنب الباء ، حتّى يجىء رأسها فى نهاية الدقة .

٥

المجمـــوعة

ب

وأما الموقوفة : فطريقها كطريق المجموعة فى جميع ما تقدّم ، إلا أنك إذا بلغت المكانَ الذى ترفع فيه من ذنب المجموعة ، وقفتَ فيه بعرض القلم فتأتى مطة محرّفة كتحريف القلم .

١٠

الموقـــوفة

ب

وأما المبســـوطة(١) :

المبســـوطة

ب

١٥

[المركبة(٢)]

وأما المركبة : فعلى نوعين : متوسطة ، ومتطرّفة .

فأما المتوسطة : فلها حالان .

أحدهما — أن يكون قبلها و بعدها مثلها ، فتكون الوسطى مرتفعة على أخواتها . و إذا رفعتها أكثر من أخواتها ، رجعت فى خط يلاصقها . وهذا فى كل حرف صغير كالنون ، والباء ، والتاء .

٢٠

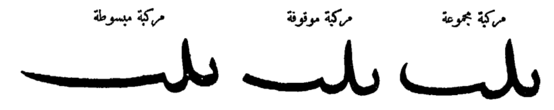
الثـانى — ألا يكون قبلها و بعدها مثلها ، فهى كإحدى السنات .

(١) لم يتكلم عليها .
(٢) ز يادة يقتضيها السياق .

وأما المتطرّفة، فلها حالان أيضا :

أحدهما ــ أن تكون مبتدأة، وهى التى تكون فى أوّل الكلمة ؛ فطريقها أن تبدأ فيها بعرض القلم تحدّرا من يمينك إلى يسارك، وهى تصحب الجيم وأختيها .

الثـانى ــ أن تكون فى آخر الكلمة ، وتكون محذوفة الرأس للتركيب كرأس السـين المبسوطة، وتكون صورة مدّتها كصورة المفردة سواء فى جميع أحوالهـا : ٥
فى الجمع والبسط والوقف؛ وهذه صورها :



الصـــورة الثـالثـــة

صـــورة الجـــيم وما شاكلهـا ١٠

وهى على أربعـة أضرب : مرسَـلة، ومسـبَلة ، ومجموعة ، وملوّزة ؛

وابتداء جميع الصور على وجهين، من رأسها ومن جبهتها .

فأما المبتدأة من رأسها فيخيّر الكاتب فيها بين أمرين : إن شاء جعلها جرّا ، وإن شاء جعلها مشعّرة، فإنها يُبْدأ فيها بصدر القلم ، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن ، والمشـعّرة يخْطَفها بحرف القلم أو بصـدره على ما مضى؛ فإذا بلغتَ جبهتها أدرت ١٥ بخرورت بوجه القلم، وأنت فى الحرّة بالخيار، إن شئت جئت بها على خط مستقيم، وإن شئتَ رطّبتها شيئا يسـيرا ؛ فإذا بلغت قفاها، كنت أيضا مخيرا : إن شئت رجعت فى الخط الذى جئت فيه، وإن شئت رجعت فى خط تحته يلاصقه بصدر القلم؛ فإذا وصلت تحت هامة الجيم أدرت القلم على تحريفه فنزلت بعرضه حتّى إذا

بلغت آخر عجز الجيم ختمتها بحرف القلم . ولا يخرج صدر الجيم عن الخط الموازى لجبهتها، كما لا يجوز أن يخرج طَرَف ذَنَبها عن الخط الموازى لقَفَاها، حتّى لو نصب عليها خطوطا لناسبت أعاليها أسافلها؛ وهذه صورتها :

مفردة مرســـلة

وأما المسبلة : فإنها كالمرسلة فى الصورة والصفة، والفرق بينهما أنك فى المرسلة إذا بلغت الصدر ونزلت فيه، أسبلت ذنبها؛ وهذه صورتها :

مفردة مســـبلة

وأما المجموعة : فإنها كالمرسلة أيضا فى جميع أوصافها و يزيد عليها أنك إذا وفيت بها على ما مضى من صــفة المرسلة رددت ذنبها على عجزها فصارت هنا لك دائرة؛ وهذه صورتها :

مفردة مجمـــوعة



وأما الملوّزة : فإنها لا تكون إلا قبل الألف. وطريقها أن تبدأ بعرض القلم من تحت الألف فيما تقدّر، فإذا بلغت جبهة الجيم، جررت بوجه القلم جرّة مبطنة حتّى يصير البياض الأوسط لَوْزَةً محققــة فترفع الألف مع جبهــة الجيم وتبقى تحت ذنب الألف بقية رأس الجيم؛ وهذه صورتها :

مبتدأة مركبة ملوزة

ـحا

وزاد المتأخرون صورة أخرى تسمى الرتقاء، وصورتها أنك تبتدئ برأس واو من واوات الثلث مفردة، وتكون مرتفعة الرأس بقدر نقطة من نقط الخط، ثم تكمل عليها ببقية العمل المتقدّم ذكره على الثلاث الحالات المتقدّمة فى الباب، وهى : المرسلة والمسبلة، والمجموعة؛ وهذه صورها : ١٠

رتقاء مرســلة — رتقاء مســبلة — رتقاء مجمــوعة

ح ح ح

وزاد المتأخرون صُوَرا أخرى فى التركيب ، وهى ثلاث : أُولى ، ووُسْطى، وأخـــيرة .

أما الأولى : فآبتداء العمل فيها كآبتداء العمل فى الثلاث الحالات الأُوَل، ثم تكمل بالحرف الذى تريد، وهذه صورتها :

مركبة مبتدأة محققة



وتارة تكون ملوَّزة وهى التى تصحب الألف وما شابهها كالدال، واللام، واللام ألف، وقد صوّروها مع الألف فتقاس على ماعداها .

وهذه صورتها مع اللام: وهذه صورتها مع اللام ألف: وهذه صورتها مع الدال:

مركبة مبتدأة ملوّزة مع شبه الألف	مركبة مبتدأة ملوّزة مع شبه الألف	مركبة مبتدأة ملوّزة مع شبه الألف

وأما المتوسطة : فالعمل فيها كالعمل فى المبتدأة المحقَّقة المركبة كما تقدّم ولكن بغير ترويس، وهذه صورتها :

مركبة متوسطة محققة



وأما الأخيرة : فالعمــل فيها كالعمل فى الثلاث الحالات الأُوَل : المرســلة ، والمسبلة، والمجموعة، ولكن بغير ترويس؛ وهذه صورها :

مركبة مختتمة مرسلة



مركبة مختتمة مسبلة



مركبة مختتمة مجموعة



---

٥ الصـــــورة الرابعـــــة

صـــورة الدّال وأختهـا

وهى على ضربين : مفردة، ومركبة

الضــــرب الأوّل

المفـــردة

١٠ ولها صورة واحدة ، وهى شكل مُثَلَّث على زاوية واحدة، ويجمع طرفها جمعا يسيرا؛ وهذه صورتها :

مفـــردة



الضـــرب الثـانى

المركبـــة

ولها أربعة أشكال : مجموعة، ومبسوطة، ومخطوفة، ومقطوفة .

أما المجموعة : فإنك ترفَعُها بعد فراغك من الحرف الذى قبلها ، ولك فى ذلك مذهبان :

أحدهما — مذهب الوزير أبى علىّ بن مقلة[(١)] .

والثانى — مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب، وطريقه أن ترفعها مائلا إلى اليسار ميلا خفيفا .

ثم على كلا المذهبين ترجع بخط يلاصق الخط الذى صَعِدت به و بظهر القطة فى الانتهاء، وتأتى بالعراقة على شكل عراقة الدال المفردة فى الجمع، وهذه صورتها:

مجموعة مركبـــة

وأما المبســوطة : فحكمها فى جميع صفاتها حكم المجموعة ، إلا أنك إذا نزلت فى المبسوطة إلى العراقة وفتلتها، أرسلت العراقة بعرض القلم، وهذه صورتها :

مركبة مبســـوطة



(١) لم يبين طريقه ، ولعله سقط من قلم الناسخ فحرر .

وأما المخطوفة : فهى كالمجموعة أيضا، إلا أنك تَخْطَفها بحرف القـلم وتختمها بأدَقِّ ما تقدر عليه من النحافة؛ وهذه صورتها :

مركبـــة مخطـــوفة



٥ وأما المقطوفة : فهى كالمخطوفة، إلا أنك بعد الفتلة تُبْقِى لها ذَنَباً صغيرا بحرف القلم؛ وهذه صورتها :

مركبـــة مقطـــوفة



الصـــــورة الخـامســـــة

صـــورة الراء وأختهـا

١٠ وهى على ضربين : مفـــردة، ومركبة

الضـــرب الأوّل

المفـــردة

ولهـا ثلاثة أشكال : مجمـوعة، ومبسوطة، ومقوّرة؛ وآبتـداؤها فى جميع
١٥ الصور على وجهين :

أحدهما — أن تبدأ من قفاها صاعدا إلى هامتها ثم تنزل إلى وجهها .

والثـانى — أن تبدأ بها حدّا من رأسها، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البـــوّاب .

ثم لكل واحدة منها بعد ذلك عمل يخصها . فأما المجموعة فطريقها أن تبدأ فيها بوجه القلم وتنزل على خط الاستواء بقدر ربعها ، ثم تدير القلم وتبـدأ فى العراقة بصدر القلم ، ويكون تنزيلك إيَّاها أكثَرَ صـبا من الباء المفردة قليلا ، فإذ عرفت مثلَيْ ما نزلت به أوّلا على خط الاستواء نثرت يَدَكَ بالقلم إلى فوقُ وأنت تريد ذات اليمين بإشارة لطيفة ، ويكون خَتْمها بسنِّ القلم اليمنى ؛ وهذه صورتها :

مفـــردة مجمـــوعة

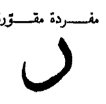


وأما المبسوطة : فطريقها أن تنزل بها على ما ذكرناه ، وترسل ما عرقت منها على ما تقـدّم فى الدّال المجموعة وتنقص منهـا النـثرة الأخيرة ، وتحـدّد طرفها ؛ وهذه صورتها :

مفردة مبســـوطة

وأما المقوّرة : فطريقها أن تنزل بأقلّ مما ذكرناه شيئا يسيرا ؛ وهذه صورتها :

مفـــردة مقـــوّرة



الضـــــرب الثـانى

المركبـــة

ولهـا أربعة أشكال : مخطوفة، ومقطوفة، وبتراء، ومدغمة .

فأما المخطوفة : فهى كالمقوّرة فى الصورة ، غير أنــ عراقتها بحرف القلم ؛ وهذه صورتها :

مركبـــة مخطوفـــة



وأما المقطوفة : فإنك تُبْقِى لها ذَنَبًا صغيرا ؛ وهذه صورتها :

مركبة مقـــوّرة



وأما البتراء : فإنك تقطفها من الثلثين فتحذف ثلثها وتأتى بها مستدقة الطرف ؛ وهذه صورتها :

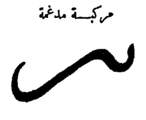
مركبـــة مقطوفـــة



وأما المدغمة : فإنها تصلح بعد كل حرف وتقبح بعد المدّ، وسميت مدغمة مجازا وإلا فالحرف الذى قبلها هو الذى يدغم فيها ، لكنهم لما حذفوا منها شيئا لقبوها بذلك ، ولا بدّ أن تحذف من الحرف الذى قبلها شيئا من آخره وتحذف منها شيئا من أوّلها .

وتُبْق من كل واحد منهما ما يدل عليه؛ وهذه صورتها :

مركبــة مدغمة



الصـــــــورة السادســـــة

صـــورة السين

٥

وحكمها فى حالتى الإفراد والتركيب سواءٌ، غير أنها فى حالة الإفراد تزيد العراقة، وعراقتها كعراقة النون فى الجمع والبسط والتقوير؛ وسيأتى الكلام على ذلك فى حرف النون إن شاء الله تعالى .

ثم هى على نوعين : محقَّقة، ومعلقة .

١٠

فأما المحققة : فلها شكلان : مُظْهَرة، ومدغَمة .

فطريق المظهرة أن تبدأ بوجه القلم ثم تدير القلم منها إلى أختها إدارة لطيفــة فى نهاية الآعتدال ، وتحدّد رأس الثانية بسن القلم اليمنى، ويكون الذى بين الأولى والثانية أقلّ مما بين الثانية والثالثة ، وهو مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب . وإذا كان قبلها شئ يكون سواء، ويجوز أن تكون مصدّرة مقلوبة؛ وهذه صفتها :

١٥

محققـــة مظهــــرة

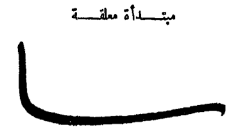


وأما المعلقة : فصفتها أنك تحـذف السين حذفا وتقيم جرّةً مقامها ، وتبدؤها بوجه القلم عاملا إلى آخرها .

هذا إذا كانت مبتدأة ، فإن كانت متوسطة ، فالأولى أن تكون محققة ، ولا بدّ من جرّ فوقَ المعلقة نقطت أو لم تنقط ، وهذه صورتها :

٥

مبتــدأة معلقـــة



وتحسن قبل الكاف المشكولة وقبل الألف ، ولا تكون قبل الصاد والعين والكاف المعرّاة ، وقيل إنها لم تر فى خط آبن البوّاب إلا مفردة .

الصـــورة السابعـــة

صـــورة الصـاد

١٠

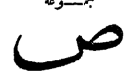
والكلام فى عراقتها كالكلام فى عراقة السين : من الجمع ، والبسط ، والتقوير ؛ وسيأتى الكلام على ذلك فى حرف النون .

نعم لا تكون عراقتها إلا حديدة الطرَف فى جميع صورها ، ولا يجوز فيها الوقف بحال . أما نفس الصاد فلها شكل واحد ، وهى تقارب التلويزة . وللناس فيها مذهبان : الأوّل إظهار مبـدإ الصاد تحت رأس العراقة ، والآخر إخفاؤه ؛ وفى كلا المذهبين لا بدّ من ظهور رأسها شيئا يسيرا ، فإن كانت متوسطة ، فيكون رأسها بحرف القلم

١٥

محدّد الطّرَف . و إن كانت مفردة أو متطرّفة فإنها تكون عريضة الرأس بوجه القلم .
و إذا ركبت على خط قبلها ، لا يكون خطا على خط ولا يظهر أكثر من خط واحد ؛
وهذه صورتها :

مجـــوعة



الصـــــــورة الثـامنـــــة

صورة الطـاء وأختهـا

وهى ثلاثة أنواع : موقوفة ، ومرسلة ، ومحققة

فأما الموقوفة : فطريقها أن تبدأ بها على صورة الألف المطلق . فإذا وفيت به ،
رجعت طالعـا من تلقاء ذَنَبِ الألف حتّى تقارب شاكلته ، فترجع إلى يمينك ،
فتركب عليه شكلا على صورة اللوزة ، وتخرج ذَنَبَ اللوزة من تحت الألف وتقف
عليه بعرض القلم فتظهر القطة ؛ وهذه صفتها :

مفـــردة موقـــوفة

ط

وأما المرسلة : فهى على نحو ما تقدّم فى الموقوفة غير أن الجرة السـفلى هاهنا
مبطنة ، وفى الموقوفة على خط مستقيم ؛ وهذه صفتها :

مفـــردة مبســـوطة



وقد ٱختـــلف الكُتّاب فى رأس الطاء، فكان بعضهـم يذهب أن يكون على طَرَف اللَّوْزة من غير ركوب عليها، وهو أحد المذاهب فيها .

قال الشيخ أبو القاسم : سألت بعض مشايخى عن "طى" كيف يكون وضع الياء فيها؟ بحضرة جماعة من الكُتّاب، فقال : تُكتَب طاء جيدة بعدها ياء حسنة، فقلت : الحمـد لله الذى أبقى على جديد الأرض مَنْ يُحْسِنُ صفة الخط بمثل هــذا الضبط . فلما أردت الآنصراف أشار إلىّ أن آجلسْ فجلست حتّى آنصرف القوم، فقال : قد كنتُ سألتُ عنها شيخنا أبا الحسن بن هلال فقال لى : إذا فرغت من الطاء فآحذف رأس الياء وألصق قفا الياء بذَنَبِ الطاء، ثم تممها على مذهبك فى الياء أنّى شئتَ، ولا تخرج صـدر الياء من تحت رأس الطاء . وعلامة صحتها أنك إذا حذفت لوزة الطاء بقيت فى نهاية الصحة إن كان بعدها ياء . وإن كان بعدها واو بقيت أيضا فى نهاية الكمال .

قال الشـيخ أبو القاسم : فينبغى أن يكون رأسهـا فى آخر اللوزة، ولا يكون مركبا على ظهرها لأنه إذا تركب بطل هذا القياس .

وأما المحققة : فإنك تبدأ فيها على صـورة اللام المبتدأة المعلقة، و يأتى الكلام على ذلك فى حرف اللام إن شاء الله تعالى .

وأكثر ما تسـتعمل هذه الطاء إذا كانت مشـعَّرة بألف قبلها وألف بعدهـا فتستحسن؛ وهذه صفتها :

متوســـطة بين قائمين



وآعلم أنه لا بدّ للطاء من مدّة قبلها تركب عليها، ويكون طرفها ينتهى إلى تحت رأس الطاء من غير زيادة ولا نُقْصان ، ويجوز فى طَرَف هذه المدّة الجمعُ وعدمه ، وكلا المذهبين حسن .

الصـــــورة التاســـعة

صـــورة العين وأختها، ولهـا حالان

الحال الأوّل : ألا تكون متصلة بما قبلها، وهى على نوعين : ملوَّزة، ومركَّبة .

فأما الملوّزة : فإنك تبدأ فيها من رأس العين بحرف القلم فى غاية الدّقة، حتّى إذا وصلت إلى هامتها ، مكَّنت إدارة قلمك فصرت عاملا بوجهه إلى قَمَحْدُوةِ[(١)] العين فتصير على صورة اللوزة؛ وتكون هذه العين قبل الهـاء المدغمة؛ وهذه صفتها :

ملـــوزة

وتكون أيضا قبل هاء الردف؛ وهذه صورتها :

ملوّزة مع هاء الردف



وأما المركبـــة : فهى مركبة من راءين محققة ومعلقة، وآبتداؤها على ما تقـدّم فى الملوّزة؛ غير أنك إذا صرت إلى هامتها وأردت القَمَحْدُوَة، نزلت على خطٍّ مستقيم أو قريب من الآســتقامة . والذى وجد بخط الأســتاذ أبى الحسن بن البوّاب على

---

(١) القمحدوة لغـــة : ما أشرف على القفا من عظم الرأس والهامة فوقها والقـــذال دونها . والمراد هنا ظاهر .

الاستقامة؛ وهذه العين لا يكون بعدها إلا حرف طالع كالألف واللام وما جرى مجراهما؛ وهذه صفتها :

مركبـــة ونعليـــة

وكثيرٌ من الكُتّاب يخلطونها مع ما قبلها كالجماعة والبضاعة ، فإنهم يردّون من الألف إلى العين جرّة مبطنة يجعلونها عالية العين ، وهى مستحسنة ، ولا بدّ لها من ألف قبلها وحرفٍ طالع بعدها؛ وهذه صفتها :

مردوفة ومشكولة



الحـال الثـانى : أن يكون قبلها شىء متصل بها، وتسمى المربعة؛ وهى على نوعين : منوّرة، ومطموسة .

فأما المنوّرة : وتسمّى المحققة، فإنك إذا خرجت من الحرف الذى قبلها أتبعت خطا محدودبا مبطنا إلى يسارك بصدر القلم، ثم حررت عالية العين بوجه القلم ثم على الجرّة الأولى جرة تناقضها مثلها فى القدر والمساحة بقطع الخط الأول، ثم إن كانت معرقة عرقت . وإن كانت غير ذلك أتبعتها ما بعدها .

وعلامة صحتها أن تلتمس البياض الذى فى وسطها فإن تناسبت زواياه فهو فى غاية الصحة وقد تم تركيبها ، وإلا فتحرّر حتّى يصح ما رسم ؛ وهذه صفتها :

مربعة مفتوحة

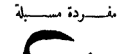
وأما المطموسة ، وتسمّى المعلقة ولا تكون إلا فى قلم التوقيعات والرقاع ، فصفتها أن تكون وقصاء غير مفتوحة ، ولا يجوز فيها من العراقات غير المجموعة ؛ وهذه صورتها :

معلقة مطموسة

ثم إن كانت معرّقة مفردة أو مركبة ، فالعراقة على ثلاثة أنواع : مسبلة ، ومرسلة ، ومجموعة ، كعراقات الجيم .

فأما المسبلة : فإنك إذا نزلت من ظهرها أسبلت العراقة فتكون أكثر من نصف الدائرة ، ولا يخرج الصدر عن الرأس ولا الظهر عن القَمَحْدُوَة ، بل يكون كل واحد منهما مساويا لما فوقه ، غير زائد عليه ولا ناقص عنه . وكان الوزير أبو علىّ بن مقلة رحمه الله يقول : " المرء على ترك شىء مما يعمله أقدرُ منه على تكلف شىء لم يعتده " ويأمر الطلبة بإخراج ذَنَبِ العين من تحت صدرها ؛ وهذه صورتها :

مفردة مسبلة



وأما المرسلة : فإنك تأتى بالعراقة نصف دائرة محققة، وتتأمل فيها من المسامتة ما وصف فى المسبلة والمسبلة تكون حديدة الطرف، والمرسلة يجوز فيهـا التحديد والوقف ، والتحديد مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب؛ وهذه صورة التحديد؛ وهذه صورة الوقف :

مفـــردة مرســـلة

ع

وأما المجموعة: فإنها كالمرسلة أيضا فى جميع أوصافها، وتزيد عليها أنك إذا وَفَّيت بها على ما مضى من صــفة المرسلة ، رددت ذَنَبها على عجزها فصارت هنالك دائرةً ؛ وهذه صفتها :

مفـــردة مجمـــوعة



الصـــــورة العـاشــرة

صـــورة الفـاء

وهى على ضربين : مفــردة، ومركبة

فأما المفردة : فعلى ثلاثة أقسام : مجموعة ، ومبسوطة ، وموقوفة ، وقد تقدّم الكلام على هذه العراقات فى حرف الباء ، فأغنى عن إعادته هنا ؛ وهذه صفة العراقات الثلاث :

مجمــوعة موقـــوفة مبســـوطة

وأما المركبة : فإنهـا تكون مقلوبة ، وذلك أن بياضهـا يكون الحادّ منـه فى ملتقى الخطين اللذين يتقاطعان فى ذَهَابها ومجيئها ، ويكون عرضه عند هامتها ؛ وهذه صفة المتوسطة :

متوســـطة



الصـــــورة الحادية عشرة

صـــورة القـاف

وهى على ضربين أيضا : مفـــردة، ومركبة

فاما المفردة : فحكم رأسها حكم الفاء، وحكم عراقتها حكم النون، وستأتى، غير أنها تكون مفردة مبسوطة وهى مستحسنة بخلاف النون؛ وهذه صفتها :

مفـــردة مبســـوطة

وأما المركبة : فإنها كالفاء فى جميع ما تقدّم، فلا حاجة إلى تمثيلها .

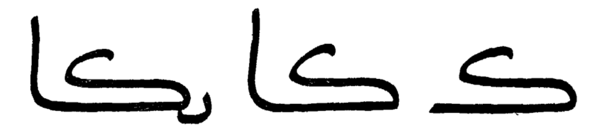
الصـــورة الثانيـــة عشرة

صـــورة الكاف

وهى على ثلاثة أنواع : مبسوطة، ومشكولة، ومعرّاة ؛
ولكل واحدة منها موضع يخصها

فأما المبسوطة : فتكون مفردة ومركبة، وإفرادها قليل؛ والمركبة منها موضعها الأبتداءات والوسط، ولا تكون طرفا أخيرا بحال؛ وطريقها أن تبدأ فيها بصدر القلم من رأسها حتّى ترد جبهتها فتخط عاليتها بوجه القلم وتفتل على هذا المنهاج إلى المَطَّة السُّفْلى، وتمطها بصدر القلم وتقط ذنبها، وتتوخّى فى عاليتها أن يكون على خط مستقيم لتجعلها قالبا للطة السفلى؛ واعتبار صحتها بآعتبار البياض الذى فى وسطها إذا آستقام آستقامت؛ وهذه صورتها فى الإفراد والتركيب والأبتداء :

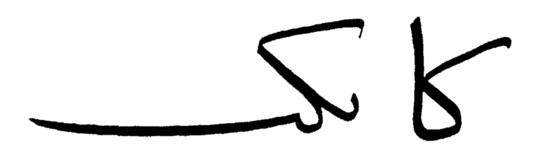
مفردة مبسوطة　　مبتدأة مبسوطة　　متوسطة مبسوطة



وأما المشكولة : فلا تكون إلا مركبة؛ وموضعها الأبتداءات والوسط، ولا تنفرد البتة؛ وتكون على هيئة شق لوزة فإن وصلت بألف أو لام تبينت ولا يخرج الحرف الذى يكون بعدها من تحت رأسها أصلا، لأن الكاف المبسوطة والمشكولة لا يجوز

أن يأتى بعـــدهما مدّة ، وإنما سميت مشكولة للجـــرّة التى عليها؛ وهـــذه صورتها فى الابتداء وفى الوسط :

مبتدئة مشكولة   متوسطة مشكولة



وأما المعرّاة : فلا تكون إلا طَرَفا أخيرا وهى فى الصورة والشبه كاللام المطلقة، والفرق بين اللام والكاف المعرّاة أن القائم من الكاف ثلثا المبسوط ، والمبسوط من اللام كالقائم فيها؛ وهـــذه الكاف لا تجمع أبدا ، فإن مواضعها أواخر السطور ، وهذه صفتها :

مفـــــردة معــــراة



الصـــورة الثـالثـــة عشرة

صـــورة اللام

وهى على ضربين : مفـــردة ، ومركبة

الضـــــرب الأوّل

المفـــردة

وهى على نوعين : مجمـــوعة، ومطلقـــة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبـدأ من قفاها على نحـو ما وصف فى الألف المطلق، لأن الألف واللام يجريان على نظام واحد فى كل خـط لأنهما صاحبان؛ كالباء والتاء؛ وكالحاء والخاء؛ وكالعين والغين . فإذا وصلت إلى شاكلته عرقت اللام عراقـة أكثر حُدُورا من البـاء، وجمعت ذنبها كما تقـدّم فى حرف الراء؛ وهذه صفتها :

مطلقـــة مجمـــوعة

ل ل

الضـــــرب الثـانى

المـــركبة

وهى على قسمين : محققة، ومبتداة معلقة .

فأما المبتـدأة المحقّقـة : فهى كالمرسلة غير أنها محذوفة المَطّة لأجل التركيب؛ وهذه صفتها :

مبتدأة محققة

وأما المبتدأة المعلقة : فتنزل فيها بعرض القـلم مائلا من يمينـك إلى يسارك، وهى تختص بثلاثة أحرف من سائر الحروف، وهى الجيم، والحاء، والخاء، ويكون مبتدؤها يوازى قفا الجيم من غير زيادة ولا إشارة إلى العراقة؛ وهذه صفتها :

مبتـدأة معلقـة



الصــورة الرابعـة عشرة

صـــورة المـــيم

وهى على خمسة أضرب : محققة، ومعلقة، ومسبلة، ومبسوطة، ومفتولة .

الضــــرب الأول

المحققـــة

وهى على نوعين : مبتـــدأة، وغير مبتـــدأة

فأما المحققة المبتدأة : فإنها كثيرا ما تصحب اللام؛ وصفتها إذا أردت وضعها أنك إذا صرت الى آخر الحرف الذى تريد منه الميم المحققة، تميل فيه يسيرا ثم ترجع بخط آخر بجواره طالعا فيه، ثم تعرّق كتعريق الميم المعلقة؛ وهذه صفتها :

مبتـــدأة محققـــة



وكان الشيخ عماد الدين بن العفيف إذا انتهى من الحـرف الذى قبل هـذه الميم يقف فيه ثم يبدأ من يمينه براء مدغمة؛ وهذه صفتها :

محققـــة مختمـــة



وأما المحققة غير المبتدأة[1] : ... ...

(١) أغفل الكلام عليها فى الأصل .

الضـــرب الثـانى

المعلّقـــة

وهى على نوعين : مبتدأة ، وغير مبتدأة

فأما المعلقة المبتدأة : فإنها لاتحسن إلا مشعرة مع ما قبلها، ولا تكون إلا قبل الألف؛ وهذه صفتها :

معلقـــة مبتـــدأة

وأما المعلّقة غير المبتدأة : فإنها تختص بالبسملة على مذهب الحُذَّاق .

وطريقها : أنك إذا مططت إلى آخر المطــة، رجعت بالميم فى الخــط الذى جئت فيه، حتى إذا بلغت هامتها فارقت ذلك الخط لئلا تجىء منافرة؛ فإذا وصلت إلى جبهة الميم ، عَرّقتها على ما رسم فى الراء المجموعة والمقوّرة والمبسوطة والمخطوفة.

وكان الأستاذ أبو الحسن بن البوّاب لا يفردها؛ وهذه صفتها :

معلقـــة مختتمـــة



وأما المعلَّقة المبتدأة : فإنك تبدأ فيها كآبتداء المحققة، فإذا بلغت فتلتها ألصقت مَدَّتها بقفاها، والأوْلى أن تكون مطموسة، فإذا بلغت جبهتها عَرَّقت كتعريق الراء المُدْغَمة، لا يستعمل فيها غير ذلك، وهذه صفتها :

معلقة مبتـــدأة

الضـــــرب الثـالث

المُسْـــبَلة

ولا بأس بتركيبها وآنفرادها، غير أنك إذا وصلت إلى جبهتها أسـبلت عراقة كهيئة الألف مَلْأَى من فوقُ، وتكون حديدة الطرف، وهذه صفتها :

مفـــردة مســـبلة　　　　مركبـــة

الضـــــرب الرابـــع

المبســـوطة

وهى كالمحققة، وهى مفـــردة، وهـــذه صـــفتهـا :

مبســـوطة



الضـــرب الخامس

المفتــولة

وأكثر مواضعها بعد الهاء المدغمة على مذهب الحُذّاق . وبعض الكتّاب يجيزها مع غير الهاء، والأوّل أجود .

وطريقها أنك إذا جئت بها بعد الهـاء المدغمة تقوّس بصـدر القلم ثم تنزل ٥ بقدر ما قوّست، ثم تدير الميم عن يمينك وتردّ إلى يسارك شكلا مدوّرا، وتعرّقها على ما تقدّم فى المعلقة والمحققة؛ وهذه صفتها :

مفتــولة

الصـــورة الخـامســـة عشرة ١٠

صـــورة النون

وهى على ضربين : مفـــردة، ومركبة

الضـــرب الأوّل

المفـــردة

وهى على أربعة أنواع : مجموعة، ومقوّرة، ومبسوطة، ومدغمة ١٥

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بوجه القلم على خطٍّ مستقيم . فإذا نزلت منها بمقدار ما ينزل من الباء وبلغت الفتلة، أدرت القلم برفق من الفتلة بصـدر القلم،

ثم تصـير العراقة جمعا بصدر القـلم، حتّى إذا بلغت ذنبهـا ختمت بحرف القلم ؛ وهذه صفتها :

مفـــردة مجمـــوعة



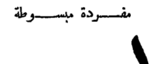
٥ وأما المقوّرة : فإنها تكون كنصف دائرة، ويكون ذَنَبها موازيا لرأسها من غير زيادة عليه؛ ويجوز أن يكون ناقصا عنه شيئا يسيرا، وذلك قليل؛ وهذه صفتها :

مفـــردة مقـــورة



وأما المبســوطة : فأكثر ما تكون متطرّفة ولا تكون مفردة بحال . وطريقها
١٠ أنك إذا نزلت على ما وصف فى المجموعة وبلغت بها الفتلة وأدرت صدر القلم إلى العراقة، جعلتها قِطْعَةَ قَوْسٍ من دائرة عظمى، حتّى يكون فيها تبطين يسير، وتختمها بحرف القلم، ولا يجوز فى شيء من مبسوطات العراقة أن يكون مرفوعا؛ ولا يجوز أن يكون إلا حديد الطّرَف؛ وهذه صفتها :

مفـــردة مبســـوطة

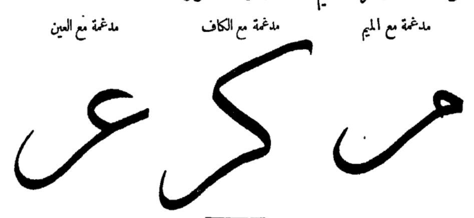
١٥ 

وأما المدغمة : فإنها لا تنفرد البَتَّةَ؛ ولا تحسُــن إلا مع ثلاثة أحرف: مع الميم وهى كثيرة المؤاخاة لهـا، ومع الكاف، ومع العين .

وكان بعض الكُتَّاب يأبى إدغام النـون ويكرهه، إلا الأسـتاذ أبا الحسن بن البــوّاب .

ولا يتقـدّم هذه النونَ من سائر الحروف إلا ثلاثةُ أحرف : الميم المعلقـة من سائر الميمات، والعين الملوزة، وهى الصاديّة من أشكال العين خاصّة، والكاف المشكولة من أشكال الكاف خاصّة .

وطريقها أنك إذا بلغت قفا الميم أو صدر العين أو قاعدة الكاف، صببتَ النون صبًّا فى عَرْض اللام المبتدأة المعلقة، فإذا صببتَ ثلثيها، ختمت العراقة على مارسم ٥ فى الراء المدغمة وعراقة الميم المدغمة؛ وهذه صورها :



الصـــورة السادســـةَ عشرةَ

صـــورة الهـاء ١٠

وهى على ضربين : مفـــردةٍ ، ومركبةٍ

الضـــرب الأوّل

المفـــردة

وهى على نوعين : معـــرّاة ، ومركبة

فأما المعرّاة : فطريقها أن تبدأ من رأسها بوجه القلم ثم تنزل إلى عجزها مميلا ١٥ إلى ذات اليمين شيئا يسيرا، ثم تفتل إلى قاعدتها بصدر القلم إلى صدرها، ثم تصعد بمثل ما كنت انحدرت به من وجهها إلى قفاها؛ وهذه صفتها :

معـــرّاة



وأما المركبة : فهى فى الصورة قريبة من المُعَرّاة إلى صدرها ؛ فإذا بلغتَ صدرها وأنت طالع إلى وجهها ، رفعته بعرض القلم وأخرجت وجه الهاء إلى قفاها ؛ والكاتب مخير بين التقليل والتكثير فى ذلك . ويكون الطرف الخارج إلى قفاها محـدّدا ؛ وهذه صفتها :

مركبـــة



وإنما سميت مُرَكَّبة وإن كانت مفردة مجازا لتركيب طرفها وإلا فالمراد بالمركَّب كيفما وقع فى المصطلح المختلطُ بغيره .

الضـــرب الثـانى

المركبـــة

وهى على قسمين

القســـم الأوّل

المشـــقوقة

وهى على ستة أنواع : ملوّزة، ووجه الهرّ ، ومشقوقة طولا ، ومشقوقة عرضا، ومختلَسة، ومدغَمَة

فأما الملوَّزة : فتكون مبتدأة، ومتوسطة ؛ ولا تتأخر بحال . فإن كانت مبتدأة فطريقها أن تبدأ بصدر القلم مقدار نصف الهاء المفردة، ثم تدير القلم من يسارك إلى يمينك حتى إذا وصلت إلى المكان الذى ٱبتدأت منه أدرت إلى يمينك أيضا حتى يصير مركز نصف دائرة محققة لطيفة بصدر القلم، وتقف عليها وقفة خفيفة، ثم تنزل بوجه القلم من غير إدارة حتى تصير إلى المكان الذى ٱبتدأتَ منه أوّلا، فيصير رأس الهاء حادّا فى الغاية .

ومذهب الأستاذ أبى الحسن أن يكون النصف الأعلى أصغر من النصف الأسفل بجزء يسير، وهذه صفتها :

مقـــوّرة

وإن كانت متوسـطة، فهى غير مستحسـنة إلا قبل الألف، وطريقها على ما تقدّم ولها حكم ، وهو أنك تجىء بالخط الذى قبلها حتى يشقها متصلا بالألف ، حتى لو طرحتَ الهاء لا تصل الألف بما قبله مستغنيا عن الهاء كأنما ركبت من فوقه تركيبا، ويكون هذا العمل فى كل حرف يقع معها ؛ وهذه صفتها : ٥

مقوّرة مســـتديرة

١٠

وأما وجه الهرّ : فتكون أيضا مبتدأة، ومتوسطة، ولا يجوز تأخيرها . وطريقها فى الابتداء والتوسط أنك تبدأ من رأسها بوجه القلم معتدل النزول شيئا قليلا، ثم تردّها عن يمينك إلى يسارك صاعدة معتدلة، ثم يصير جميعها دائرة على مركزين، فإذا بلغت المكان الذى ابتدأت منه تكففتها طولا حذارا من أن يقع فيها حَوَلٌ، وهو أن يكون أحد شقيها أوسعَ من الآخر . وكثيرا ما يكون شقها بحرف القلم إذا كانت متوسطة . ١٥

فإن كانت مبتدأة فشقها بوجه القلم .

وهذه صورتها فى الابتداء : وهذه صورتها فى التوسط :

وجه الهـــز وجه الهز متوسطة



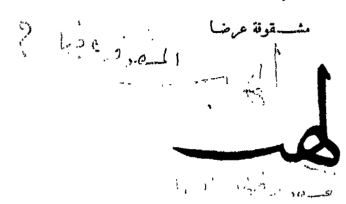
وأما المشقوقة طولا : فإنها لا تكون إلا متوسـطة ؛ ولا يجوز تقديمها ولا تأخيرها ؛ ولا تصحب من حروف المعجم غير اللام وحدها ؛ وطريقها كطريق وجه الهز ، ويفترقان فى القاعدة فتكون قاعدتها مسـتديرة ، وتكون اللام نازلة عليها من فوقها ؛ وعلامة صحتها أنك إذا حذفت الهاء صارت اللام متصلة بمـا بعدها كأنمـا زيدت الهاء عليها ؛ وهذه صفتها :

مشـــقوقة طـــولا



وأما المشـقوقة عرضا : فلا تكون إلا صحبـة اللام أيضا ؛ وطريقها أنك إذا نزلت باللام معتدلة ، أدرت الهاء فلصّقتها بوجه اللام وشققت الهاء عرضا ، ولا بدّ من مدّة لطيفة تكون بعدها ؛ وهذه صفتها :

مشـــقوقة عرضـا



وأما المختَلسة : فإنها لا تكون إلا مبتدأة، و يكون بعدها من الحروف حروف المدّ واللين، وهى الألف، والواو، والياء؛ وهى مطموسة؛ وهذه صفتها :

مختلسة

وأما المدغمة : فلا تكون إلا متوسطة؛ وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها أدرت منه إدارة لطيفة، ونزلت بها نزلة إلى ذات اليمين، ثم صَعِدت فى خط يلاصق الخط الذى هبطت فيه من غير وخز يكون بينهما؛ وتكون مطموسة أيضا ولا يكون أسفلها أوسع من أعلاها بل يكون أعلاها أوسع شيئا يسيرا؛ ويتوخّى فيها الترطيب ، وهو شدّة الاستدارات، فمتى كان العمل فيها يابسا كان رديئا؛ وهذه صورتها :

مدغمة



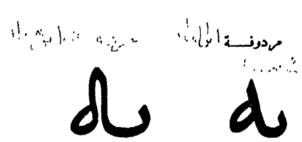
القســـــم الثـــانى

ما يقع فى آخر الكلمة، وهى على نوعين
هاء الرِّدْف ، والمُخْفَاة

فأما هاء الردف : فطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها طلَعْت فيه بصدر القلم، ثم نزلتَ فى الخط الذى صعِدتَ فيه .

هذا مذهب الأستاذ أبى الحسن بن البوّاب .

ومذهب الوزير أبى علىّ بن مقلة أن تنزل فى خط يلاصق الخط الذى صَعِدت فيه، وكلاهما مستحسين؛ فإذا بلغت ثلثى ما صعدت به جئت بصدر القلم إلى وجه الهاء ولا تخرج رأسها إلى قفاها البتة؛ وهذه صفتها :



وأما المُخْفاة : فأكثر ما تصحب الحروفُ القِصَار، وهى يمين ألبق؛ وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها أدرت منه إلى الهـاء إدارة لطيفة مهلّلة ، ثم تأتى بنصف راء مدغمة حديدة الطَّرَف مخطوفة؛ وهذه صفتها :

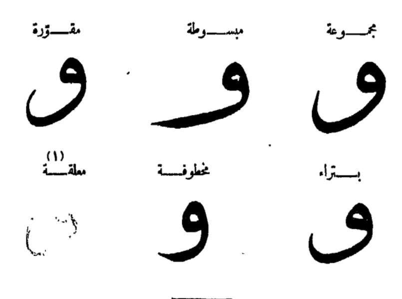


الصورة السابعـــة عشرة

صـــورة الـــواو

ونظيرها فى التركيب الفاء، وفى الإفراد القاف، ولكن القاف أكبر مساحة من الواو، وتكون على خمسة أنواع : مجموعة، ومبسوطة، ومقوّرة، وبتراء، ومخطوفة؛ ويكون ذلك فى الإفراد والتركيب . ٥

وكان بعض الكُتّاب يجعلها معلقة كالراء المدغمة لأنها قدرها . وقد تقـدّم أن الراء والزاى، والميم، والواو قدر سواء فى كل خط .



١٠

الصـــورة الثـــامنة عشرة

صورة اللام ألف

ولها ثلاث صور : محققة، ومخففة، ووراقية

فأما المحققة : فلا تكون إلا مفردة ولا يجوز تركيبها بحال؛ وطريقها أن تبـدأ بوجه القلم ثم تنزل به على تلك الصـورة، ثم تفتل إلى قاعدتها بوجه القلم، ثم ترفع ١٥

(١) لم يضع لهـا رسما فى الأصل .

القلم وقد بَطَّنْتَ قلمك فصيرت بطنه مما يلى يمينك وظهره عن يسارك؛ ويكون قدر الألف واللام قدرا ســواء فى الطول والالتواء والغِلَظ والنَّحافة؛ ويكون ما بينهمـا كواحد منهما ؛ وتكون القاعدة على هيئـة رأس الفـاء المبسوطة لكنها مقلوبة ؛ وهذه صورتها :

٥

محققــة مفــردة



وأما المخففة : فيجوز فيها التركيب والإفراد وكلاهما مستحْسَن جيِّد . وصورتها فى التركيب كصورتها فى الإفراد؛ وطريقها أن تأتى بلام معلَّقة على ما تقدّم فى اللام المعلقة فى حرف اللام، ثم ترمى عليها ألفا مُعْوَجَّةً إلى ذات اليمين ويكون ذنب الألف موزونا على الخط الذى لامست به الحرف الذى قبـل اللام إن كانت مركبة؛ وهذه صفتها :

١٠

مخففــة مركبــة



وإن لم تكن مركبة فتشعرهما معا؛ وهذه صورتها فى الإفراد :

١٥



وأما الوراقية : فإنها كالمحققة، فإذا كتبت اللام ركبت عليها الألف وأخرجتها عنها، ثم صيرت لها منها قاعدة مثلثة حادّة الزوايا، والأولى أن تكون مفردة .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولا يكون هذا الشكل إلا فى قلم النسخ وما شاكله، وفى قلم المحقق وما شابهه، وهذه صفتها :

وراقيـــة

لا

الصـــورة التـاســعة عشرة

صـــورة اليـاء

وهى على ضربين : مفـــردة، ومركبة

الضـــرب الأوّل

المفـــردة

وهى على ثلاثه أنواع : مجموعة، ومقوّرة، ومبسوطة

فأما المجموعة : فطريقها أن تبدأ بصدر القـلم فتعمل رأسها دالا مقلوبة وصدرها أيضا دالا مســتوية، فإذا تركبت الدالان جررت العراقة، وعلامة صحتها أن تكون الدالان صحيحتين كما تقدّم . وإذا ركبت خطا من ذنبها إلى صــدرها ، صار صادا جيدة، وهذه صفتها :

مفـــردة مجمـــوعة



وأما المقوّرة : فبدؤها كبدء المجموعة ، غير أنك إذا وصلت إلى صدرها عرقت نصــف دائرة ، ويكون ذنبها يحاذى صدرها ، وتكون حديدة الطرف ، ولا يجوز فيها الوقف ولا الجمـع ، ويكون رأسها موزونا على صــدرها ، لا يجاوزها ، سواء آنفردت أو تركبت ، وهذه صورتها :

مقـــوّرة



وأما المبسوطة : فعلى ما تقدّم فى المقوّرة ، وتفارقها من الصدر فتكون العراقة قطعة قوس مهلّلة ، وتكون حديدة الطرف ولا يجوز فيها الوقف ، وهذه صورتها :

مبســــوطة



الضــــرب الثـانى

المركبة

وهى على ثلاثة أنواع : مبتدأة ، ومتوسطة ، ومتأخرة

فأما المبتدأة والمتوسطة : فحكمهما حكم الباء والتاء والنون وما شابهها .

وأما المتأخرة : فعلى ثلاث صور : محققة ، وراجعة ، و معلقة .

فأما المحققة : فعلى ما تقدّم أوّلا ، غير أنك تحذف رأسها للتركيب ؛ وهذه صورتها :

محققة

وأما الراجعة : فتختصّ ببعض الكلم دون بعض كالفاء واللام وهى مع الفاء أكثر آستعمالا .

وطريقها أنك إذا فرغت من الحرف الذى قبلها بطنتة شيئا يسيرا وجئت برأس كرأس الياء، ويكون فيها شىء من تبطين، ثم تجرّ القلم إلى ذات اليمين جرّة معتدلة فى التكييف، فإذا بلغت ثلاثة أرباعها أدرت القلم برفق، ولا تظهر الإدارة، ثم تمرّ وأنت مديرٌ لقلمك حتى تختمها بحرف القلم فى نهاية الدقة والتحديد؛ وهذه صورتها :

راجعة



وأما المعلقة : فتكون على صورة اللام المجموعة واللام المرسلة؛ وهذه صفتها :

معلقة



النــــــــوع الثـانى

قلم الثلث الخفيف

ويقال فيــه خفيف الثلث، وهو الذى يكتب به فى قَطْع النصف، وصُوَرُه كصُوَر الثلث الثقيــل المتقدمة الذكر لا تختلف، إلا أنه أدقّ منه قليــلا وألطف مقادير منه بنزر يسير.

قال الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ: والفرق بينه وبين الثلث الثقيل أن الثقيل تكون منتصباته ومبسوطاته قدر سَبْع نُقَط على ما فى قلمه، على ما تقدّم، والثلث الخفيف يكون مقدار ذلك منــه خمس نقط. فإن نقص عن ذلك قليلا، سمى القلم اللؤلؤىّ.

القــــــلم الرابـــع

قـــلم التوقيـــع

بإضافة قلم إلى التوقيــع، سمى بذلك لأن الخلفاء والوزراء كانت توقع به على ظهور القِصَص، ويقال فيــه قلم التوقيعات على الجمع أيضا، وقد يقال فيه التوقيع والتوقيعات بحذف المضاف إليه. ثم هو على نوعين:

النــــــوع الأوّل

قلم التوقيع المطلق

وهو الذى يكتب به فى قَطْع الثلث؛ وقد تقدّم أن أوّل من آخترعه يوسفُ أخو إبراهيم السِّجْزِىّ، وأنّ ذا الرياستين الفضلَ بن سهل أُعْجب به، وأمر أن تحرّر الكتابة السلطانية به دون غيره وسماه القلم الرياسىّ، ولعله إنما سمىّ الرياسىّ لما تقدّم من آختصاص الكتب السلطانية به أخذا من الرياسة؛ وقواعد حروفه وأوضاعُه فى الأصل قواعد قلم الثلث إلا أنه يخالفه فى أمور:

أحدها — أن قطّته إلى التدوير أميل، بخلاف الثلث فإن قطّته إلى التحريف أميـل وذلك أن التوقيع امتلاء حروفه على السواء بخلاف الثلث، فإن فيه تشعيرات تحتاج إلى التحريف .

الثـانى — أن حروفه إلى التقوير أميل من الثلث، وإن كان فى الثلث ميل إلى التقوير فإنه لا يبلغ فى ذلك مبلغ التوقيع . ٥

قال لى الشيخ عبد الرحمن المُكَتِّبُ[(١)] الشهير بابن الصائغ : ويكون فى سطره تقوير مّا على نسبة تقوير حروفه .

قال الشيخ زين الدين شعبان فى ألفيته : وتكون منتصباته مرؤسة كما فى الثلث .

قال لى الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ المُكَتِّبُ : ويجوز ترك الترويس فى بعض حروفه . ١٠

قال الشيخ زين الدين شعبان الآثارى : ويخيّر فيه بين الطمس والفتح فى العين المتوسـطة والفاء والقاف والميم والواو وعقدة اللام ألف المحققـة . وخص الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن الصائغ طمس العين بالآخرة .

قال الشيخ زين الدين شعبان الآثارى : ويختص من الحروف الزائدة على الثلث بالراء المقورة والراء البتراء والراء المخطوفة والواو المقورة والواو البتراء والواو المخطوفة، ١٥ والعين البتراء، وسيأتى ذكرها عند تشكيل الحروف فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

---

(١) قال فى الصحاح للجوهرىّ : والمكتب (كمحسن) الذى يعلم الكتّابة، قال الحسن : كان الحجاج مكتبا بالطائف يعنى معلما . وفى المصباح : كتبت الغلام تكتيبا : علمته الكتّابة . (ففيه لغتان) .

حرف الألف

مطـــلق مشـــعر محـــرّف مركب

ا ا ا ا

البـــــاء

مجمـــوعة موقـــوفة مبســـوطة

٥

مدغمة مجموعة مدغمة مبسوطة مركبة مبتدأة ، مركبة متوسطة

مركبـــة موقوفة مركبـــة مبسوطة

١٠

الجـــيم

مرســلة — مسبــلة — مجمــوعة

رتقاء مفردة مرسلة — رتقاء مقورة مسبلة — رتقاء مفردة مجموعة

مركبة مبتدأة ملوزة — رتقاء مبتدأة — مركبة متوسطة

مركبة مختتمة مرسلة — مركبة مسبلة — مجمــوعة

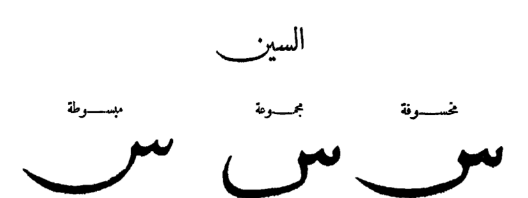
الــدال

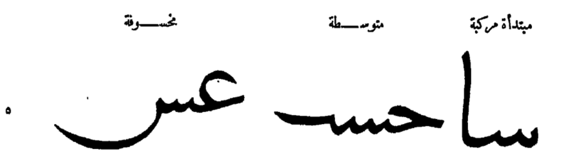
مفردة مجموعة	مختلســة	مركبة مجموعة
د	د	عد
مركبة مختلسة	**مركبة مخطوفة**	**مركبة مشعرة**
عد	حد	هد

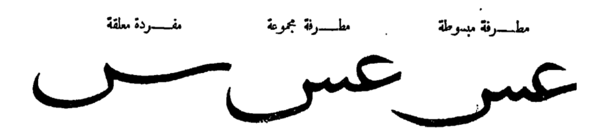
الـــــراء

مقـــورة	مخطــوفة	مفردة مبسوطة
ر	ر	ر
مفردة مدغمة	**مركبة مبسوطة**	**مركبة مدغمة**
ر	حر	عر
مفردة مجموعة	**مركبة مجموعة**	
ر	صهر	

السين







مركبة مطرفة معلقة

مركبة متوسطة معلقة

الصـــــاد

مخســوقة مجمــوعة مبســوطة

ص ص ص

مبتــدأة متوســطة مطرفة مخسوقة

صا صــ ص

٥

مطرفة مجمــوعة مطرفة مبســوطة

ص ص

الطـــــاء

مفــردة مرسلة مفــردة موقوفة مركبــة ملفوفة

ط ط طا

١٠

مبتدأة مبسوطة — متوسطة لقائمين — متوسطة لمبسوطين

طسم لطا سط

مطرفة موقوفة — مطرفة مرسلة

وط وط

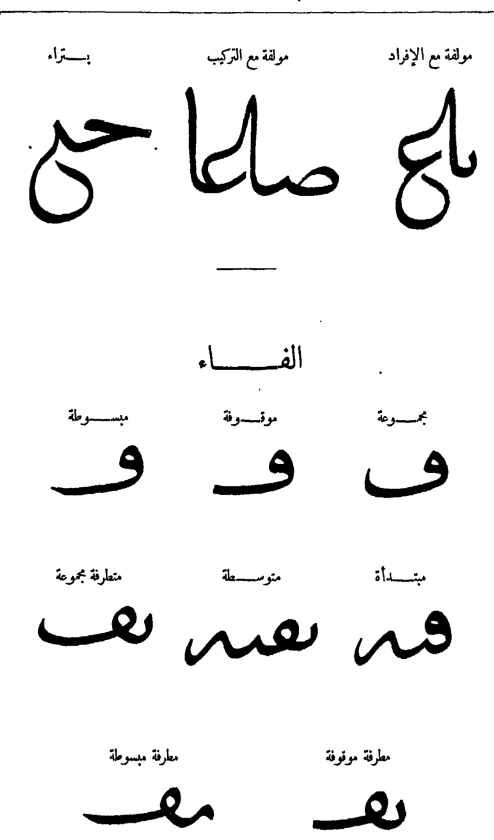
العين

مرسلة — مسبلة — مجموعة — نعلية بينها منتصب

ع ع ع عا

نعلية بينها ما هو فى حكم المنتصب — صادية بينها مبسوط — صادية بينها ما هو فى حكم المبسوط

عد عس عم


مولفة مع الإفراد
مولفة مع التركيب
بـــتراء
الفـــــاء
مجمـــوعة
موقـــوفة
مبســـــوطة
مبتــــدأة
متوســـطة
متطرفة مجموعة
مطرفة موقوفة
مطرفة مبسوطة

القـــــاف

مفردة مجموعة | مخـــوفة | مبســـوطة

و و و

مطرفة مجموعة | مطرفة مخسوفة | مطرفة مبسوطة

حو حو حو ٥

الكاف

مجموعة مفردة | موقـــوفة | مبســـوطة

ل ل ل

مشكولة مبتدأة | متوســـطة | مبسوطة مبتدأة

كا مكلف كبا ١٠


متوســطة
مشكولة مبتدأة
وســطى
مشكولة مركبة مطرفة مجموعة بزورقها
منزول عليها
مبســوطة
اللام
مفــردة . يخرج منها نون على رأى ابن البوّاب
يخرج منها قاف على طريقة ياقوت
أو ياء على طريقة ابن العفيف
مركبة مبتدأة
وســطى
مطرقــة

ه


الميم
مفردة
مخطوفة
مسبلة
مبتدأة مشعرة
وسطى مقلوبة
وسطى محققة
مسبلة ملفوفة
مسبلة ملوزة
النون
مفردة مجموعة
مدغمة
مختلسة
وسطى
مركبة مطرفة مجموعة
مدغمة
مختلسة

٥

١٠

الهـــــاء

مفردة مربعة | مفردة مثلثة | مركبة مبتدأة ملوزة

ﻫ ه ﻫﻠ

وجه الهر | مدغمـــة | طالعـــة

ﻫ ﻬا ﻠﻬا

مخطوفة | محدودبة | محققة | مردوفة

ﻪ ﻪ ﻪ ﻪ

الـــــــواو

مجموعة مشدودة — مبسوطة مشدودة — مجموعة مفتوحة — مبسوطة مفتوحة

و و و و

مقـــورة — مخلوفة منورة — بـــتراء

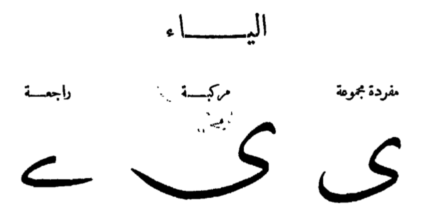
و و و

اللام ألف

محققة مفردة — مرشوقة مفردة — مركبة محققة

لا لا حلا علا

اليـــــاء



مبتدأة ثم وسطى — مركبة مجموعة — مركبة مبسوطة

مركبة راجعة — مركبة مخسوفة — مركبة مبسوطة

القلم الخامس

من الأقلام المستعملة بديوان الإنشاء

قلم الرِّقَاع

بإضافة قلم إلى الرقاع ، والمعنى أنه يُكْتَبُ به فى الرِّقاع جمع رُقْعَة ، والمراد الورقة الصغيرة التى تكتب فيها المكاتبات اللطيفة والقِصَص وما فى معناها ، وهو الذى يكتب به فى قَطْع العادة من المنصورى والقطع الصغير ، وصُوَره فى الأصل كصُوَر حروف الثلث والتوقيع[(١)] فى الإفراد والتركيب إلا أنه يخالفه فى أمور : ٥

أحدها — أن قلمه أميل إلى التدوير من قلم التوقيع الذى هو أميل إلى التدوير من قلم الثلث .

قال لى الشيخ عبد الرحمن بن الصائغ المُكَتِّب : وتكون جِلْفَةُ قلمه فى البِرَاية أقصر من الثلث والتوقيع . ١٠

الثانى — أن حروفه تكون أدقّ وألطف من حروف التوقيع .

الثالث — أن الترويس لا يقع فى منتصباته من الألف المفردة وأخواتها إلا فى القليل ، بخلاف الثلث والتوقيع فإن الترويس فيهما لازم .

الرابع — أنه يغلب فيه الطمس فى العين المتوسطة والأخيرة ، وكذلك الفاء ، والقاف ، والميم ، والواو ، وعقدة اللام ألف المحققة . أما الصاد والطاءُ والعين المفردة والمبتدأة فإنها لا تكون إلا مفتوحة . ١٥

الخامس — أنه يوجد فيه من الحروف ما لا يوجد فى غيره كالألف الممالة إلى جهة اليمين على ما سيأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

(١) فى الأصل : «والرقاع» والسياق يقتضى ما أثبتناه . ٢٠

وهذه صورة حروفه إفرادا وتركيبا

الألف

مطـــلق	مشـــعر	محـــرف	طالـــع
ا	ا	ا	ا

٥

البـــاء

مجمـــوعة	مدغمة مفردة	مدغمة مبسوطة	مفردة موقوفة
ب	ب	ب	ب

مبتدأة . وسطى . مطرفة	مطرفة موقوفة	مطرفة مبسوطة
ببب	ـب	ـب

الجـــــيم

مفردة مرسلة ح

مفردة مسبلة ح

مفردة مجموعة ح

رتقاء مرسلة ح

رتقاء مجموعة ح

رتقاء مسبلة ح

٥

مبتـــــدأة حسـد

وســـــطى ـحـ

وسطى مفتوحة ـحـ

مطرفة مرسلة ـح

مطرفة مسبلة ـح

مطرفة مجموعة ـح

الدال

مشـــعرة	مخطـــوفة	مختلســـة	مفردة مجموعة
هد	د	د	د

مخطـــوفة	مختلســـة	مركبة مجموعة
مد	عد	مد

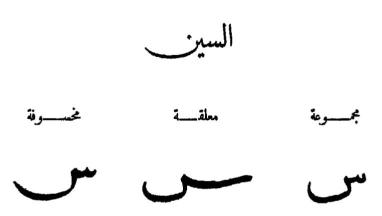
٥

الــــــراء

بـــتراء	مخطـــوفة	مقـــورة	مجمـــوعة
ر	ر	ر	ر

مقطـــوفة	مدغمـــة	محققـــة
ر	ر	ر

١٠



مبسوطة مبتدأة متوسطة

س سلعه عسعه ٥

مطرقة مجموعة مبسوطة مخسوفة معلقة

الصـــــاد

مجمـــوعة　　مبســـوطة　　مخســـوفة

ص　　ص　　ص

أولى مركبة　　وسطى مركبة　　مطرفة مجموعة

صل　　وصم　　نص

٥

مطرفة مبسوطة　　مطرفة مخسوفة

وص　　وص

الطاء

مرسلة	موقوفة	مبتدأة
ط	ط	طا

متوسطة	مطرفة مرسلة	مطرفة موقوفة
حطـ	حط	عط

٥

العين

مرسلة	مسبلة	مجموعة
ع	ع	ع

مبتدأة نعلية	مبتدأة صادية	متوسطة
عا	عـ	نعـ

١٠

مطرفة مرسلة	مطرفة مسبلة	مطرفة مجموعة
مع	مع	مع

الفـــــاء

مجـــوعة — موقـــوفة — مبســـوطة

أولى مركبة — وســـطى — مطرفة مجموعة

مطرفة موقوفة — مطرفة مبسوطة

القـــاف

مفردة مجموعة — مخســوفة — مبســوطة — مبتــدأة

متوســطة — مطرقة مجموعة — مطرقة مخسوفة — مبســوطة

٥

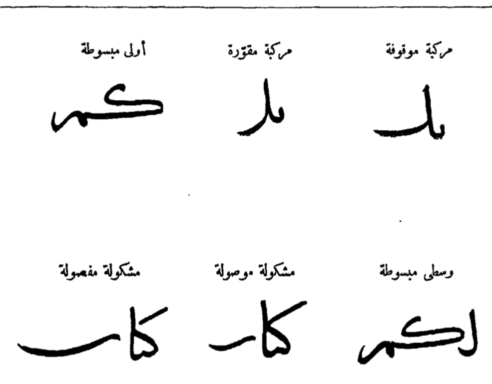
الكاف

مجمــوعة — موقــوفة — مبســوطة — أولى مشكولة

كلا

وسطى مشكولة — مركبة مجموعة

١٠



اللام

٥

مفردة مجموعة　　موقـــوفة　　مبســـوطة　　مبتـــدأة

متوســـطة　　مجموعة مركبة　　مبســـوطة　　موقـــوفة

الميم

مفردة معلقة — مخطوفة — مسبلة — مبتدأة مركبة

وسطى مركبة — مطرفة معلقة — مركبة مسبلة — مختتمة محققة

النون

مجموعة — مدغمة مجموعة — مدغمة مبسوطة

مبسوطة — مخسوفة — أولى . وسطى

مجموعة مركبة — مبسوطة مركبة — مخسوفة مركبة

الهـــــاء

مدغمـــة	وجه الهـر	مدوّرة	مربعـــة
وهدا	هـمر	ه	لا

محدودبة	مشقوقة طولا	ملـــوزة	مشقوقة عرضا
مه	لهـا	هل	جها

٥

مختلســـة	مختطفـــة	محققـــة
وه	وه	وه

الـــــواو

مبسوطة مركبة	مجموعة مركبة	مبسوطة مفردة	مجموعة مفردة
عو	فو	و	و

١٠

اللام ألف

مرفـــلة	محققة مركبة	مفـــــردة	محققة مفردة
ولا	حلا	لا	لا

اليـــــاء

مبتدأة ، وسطى	راجعـــــة	مخســـــوفة	مجموعة مفردة
ـيـ	ے	ى	ى

راجعة مركبة مختتمة	مخسوفة مركبة	مجموعة مركبة
ـے	ـى	ـى

٥

القـــلم السـادس (١)

قـــلم الغُبَـار

سُمِّى بذلك لدقته ، كأن النظر يضعُف عن رؤيته لدقته كما يضعُف عن رؤية الشيء عنـد ثَوَرَانِ الغُبار وتغطيته له ، وهو الذى يكتب به فى القطع الصـغير من ورق الطير وغيره .

و به تكتب بطائق الحمام التى تحمل على أجنحتها فى ورق الطير . و بعضهم يسميه قلم الجَنَاح لذلك ، وهو قلم ضئيل مولَّد من الرقاع والنسخ ، مفتَّح العُقَد من غير ترويس فيه ، وينبغى أن تكون قَطَّته مائلة إلى التدوير لتفرّعه عن الرقاع والنسخ .

وهذه صورة حروفه إفرادا وتركيبا

ا ب ر ر د د ر ر س س ص ص ط ع ف ق و ك ل ل

م ه و لا لا ى ى

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب الامام على رضى الله عنه الى بعض عماله
لا تؤخر عمل اليوم لغد فتدارك عليك الاعمال
وان للناس سوء عن سلطانهم او نفرة اعوذ
بالله ان تدركنى واياكم ضغاين محمولة فى صدور

(١) هو فى الحقيقة سابع لتكلمه على خفيف الثلث فيما سبق فى الكلام على قلم الثلث حيث قسمه الى نوعين : ثقيل وخفيف . فلم يترك من الأقلام شيئا كما قد يتوهم .

وهذه الصورة المصطلح عليها الآن : (وقد أجازوا فيها الفتح والطمس جميعا)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتى
قال الإمام أمير المؤمنين على كرم الله وجهه
المعروف قروض والأيام دول ومن توانى
عن نفسه ضاع ومن قاهر الحق قهر والسلام

الجملة السابعة
فى كتابة البسملة
وبيان صورتها فى كل قلم من الأقلام المستعملة
فى ديوان الإنشاء ؛ وفيها مَهْيَعَان

المَهْيَع الأوّل

فى ذكر قواعدَ جامعةٍ للبسملة فى جميع الأقلام؛ وتشتمل على ثمانِ قواعدَ :

الأولى — قد آتفق الكُتَّاب على تطويل باء البسملة أكثرَ مما يطوّل به غيرها من الباءات التى فى أوّل الكلمة . وسيأتى فى الكلام على البسملة فى المقالة الثالثة أنها طوّلت بدلا من الألف المحذوفة بينها وبين السين لكثرة تَكْرارها . وقد ذكر بعضُ المصنِّفين فى الخط أنها تكون بمقدار ثُلُثَىْ ألِف ذلك الخطّ .

وقد سبق القول على مقدار ألِف كلّ قلم فيما تقدّم ؛ وهذا أصل يترتب عليه غيره .

الثانية — فى البسملة خمسُ أخوات متساويات فى الطول والآنتصاب، وهى: ألف الجلالة ، والألف واللام من الرحمن، والألف واللام من الرحيم؛ فكلُّها على مقدار واحد، وقد سبق .

الثالثـة — فيها أربع أخوات متساويات فى الإرسال : وهى إرسالةُ الميم من بسم، وإرسالة الراء من الرحمن، وإرسالة الراء من الرحيم، وإرسالة الميم من الرحيم.

الرابعـة — فيها أربع أخَوَات متساويات فى الضَّوْء : وهى المـيم من بسم، والهاء من الجَلَالة، والميم من الرحمن، والميم من الرحيم .

٥ الخامسة — فيها أختان متناسبتان فى المقدار : وهما الحاء من الرحمن، والحاء من الرحيم .

السادسة — أنّ لامات الجلالة تكون موازيةً من أعلاها للباء فى أوّل البسملة إلا أن اللام الثانية من لامات الجلالة تكون أخفضَ من اللام الأولى بيسير .

قال ٱبن عبد السـلام فى الميزان : بحيث لا يُدْرَك ذلك إلا بتأمـل . والذى ١٠ ذكره الشيخ زينُ الدين الآثارىّ أنها تكون ناقصة عنها بقدر نُقْطة (يعنى من نُقَط قلم كتابتها) وتكون الهاء أخفض من اللام الثانية مثل ذلك .

السابعـة — أن يكون بين الباء والسين قدرُ رُبُعِ ألفٍ من ألفات ذلك الخط، وتكون أسنان السين منها محدّدةَ الأطراف، ويكون الأخذ من كل سِنٍّ من أسنان السين من أعلاها آخذا فيها إلى أسفل مع التساوى من الأعلى وكذا من الأسفل، ١٥ بحيث إنه إذا خُـطَّ خطٌّ من أسفل الباء إلى آخر السـين لاصق بهما وقع على الاْستقامة، ثم يأخذ فى مدّ السين من أعلى السِّنَّة الأخيرة منها، وتكون أصابعه مقدّمة وكُلْوة يده مؤخَّرةً .

الثامنـة — أن يكون البسط بين اللام الأولى والثانية منخسفا لا مستويا، وكذلك ما بين اللام الثانية والهـاء .

المهيع الثانى

فى بيان صورة البسملة فى كل قلم من الأقلام التى تستعمل فى ديوان الإنشاء

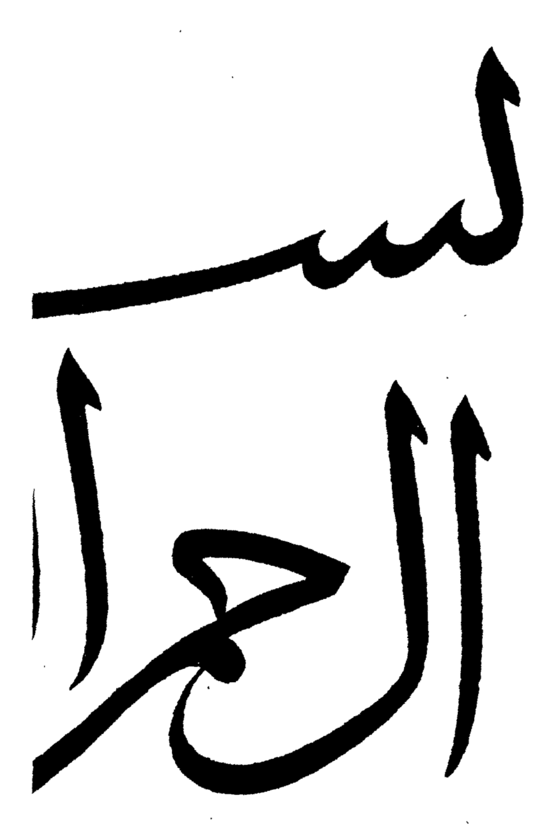
قد تقدّم أن الأقلام التى تستعمل فى ديوان الإنشاء مما يكتب به كُتَّابهُ ستةُ أقلام وهى : مُخْتَصَرُ الطُّومار، وقلم الثلث الثقيل والخفيف، وقلم التوقيعات، وقلم الرِّقاع، وقلم الغُبَار، إلا أن المحقَّق لا بسملةَ له فى ديوان الإنشاء، لأنه إنما يستعمل فى كتابة طُغْراة كتّاب على ما تقدّم ذكره، ولا بَسملة للطغراة .

اللهم إلا أن يكتب مختصر الطُّومار على طريقة المحقَّق فتكتب البسملة فيه على طريقة المحقق، بخلاف قلم الغُبار فإنه يُكتَبُ به فى المَلَطِّفات فيُحتاج إلى البسملة وإن لم يحتج إليها فى البطائق .

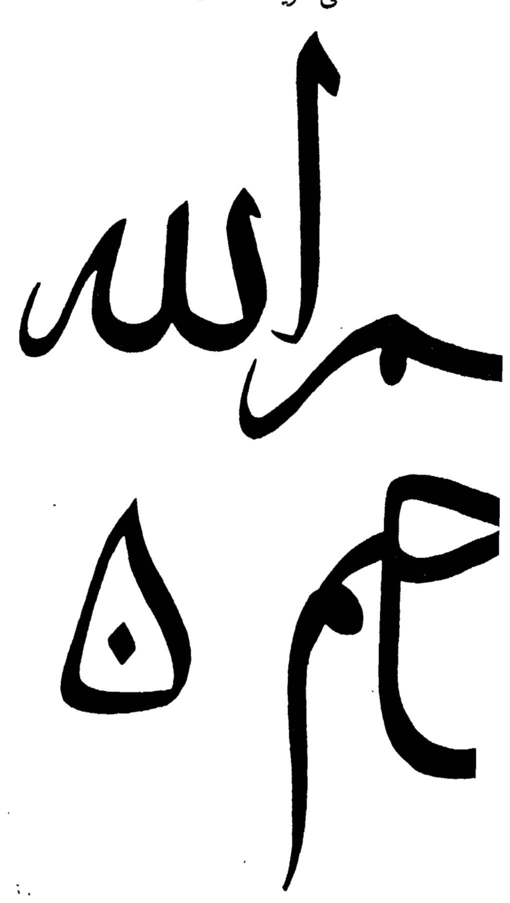
ولتعلم أن صورة البسملة فى هذه الأقلام تختلف ما بين صورة واحدة لكلّ قلم فأكثر . وقد ذكر صاحب العناية الربانية صُوَرا من ذلك، وأنا أوردها على الترتيب إن شاء الله تعالى .

فأما بسملة قلم مختصر الطومار، فقد تقدّم أن طريقته طريقة الطُّومار، وأن الطومار تارةً يُكْتَب على طريقة المحقَّق وهو الأكثر ؛ وتارةً يُكْتَب على طريقة الثلث، وعليه عمل كُتّاب الإنشاء، وربما عملوا على طريقة المحقَّق ؛ وحينئذ فإن كان المكتوب على طريقة المحقَّق فبسملته على طريقة المحقَّق مع امتلاء قلمه على حدّ قلم مختصر الطومار على ما تقدّم بيانه .

وهـــذه صورة بســملته



على طريقــة الثلث



وأما قلم الثلث الثقيل وقلم الثلث الخفيف فطريقهما واحدة لاخُلْفَ بينهما إلا فى رِقَّة القَلَمَ وغِلَظِه على ما تقدّم بيانه فى الكلام على أصل الأقلام . وللبسملة فيهما ثلاثُ صُوَر :

الصورة الأولى — أن تكون الراء فى الرحمن وفى الرحيم محسوفةً؛ وهذه صورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الصورة الثانيـة — أن تكون الراء فيها مجموعة والنون في الرحمن مجموعة، وهذه صورتها :



الصورة الثالثـــة — أن تكون الراء فيهما مُدْغَمَة والنون فى الرحمن مدغمة؛ وهذه صورتهـا :

وأما بسملة قَلم التوقيع فلها ثلاثُ صُوَر :

الصورة الأولى — مختصرة من قلم الثُّلُث فتكون كهى، إلا أنها أدقُّ قلما منها؛ وهذه صورتهـا :

الصورة الثانية — أن تكون الحاء فيها فى الرحمن مقلوبة وفى الرحيم مُلَوَّزة؛ وهذه صورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الصورة الثالثة — أن تكون الحاء فيها فى الرحمن والرحيم مقلوبة؛ وهذه صورتها :

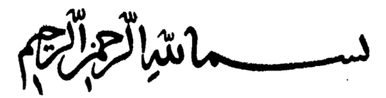
بسم الله الرحمن الرحيم

وأما بسملة قلم الرقاع، فإن السين تكون فيها بالتدريج، كل سنٍّ دون التى قبلها بيسير؛ والكاتب فيها مخيّر بين وصل أسنانها وفصلها فصلا يسيرا . وقد اصطلحوا على أن تكتب الألفُ التى قبل الجلالة فيها متصلة بميم بسم، وتكون مثل الألف والصاعد فى قَلَم الرِّقاع، ثم يجعل لها ذَيْلٌ وتُوصَل بالجلالة؛ ولهـا ثلاث صُوَر :

الصورة الأولى — أن تكون الراء فيهـا مدغَمَة، والحـاء فى الرحمن والرحيم مقلوبة؛ وهذه صورتها :



الصورة الثانية — أن تكون الراء فيها مدغمة والحاء رتقاء؛ وهذه صورتها :



الصورة الثالثة — أن توصل الألف بالجلالة من أعلاها؛ وهذه صورتها :



وأما بسملة الغبار [فلها صورة واحدة وهى هذه][١]

(١) زيادة يقتضيها السياق .

الجملة الثامنة

فى وجوه تجويد الكتابة وتحسينها، وهو على ضربين

الضرب الأوّل

حسن التشكيل

قال الوزير أبو علىّ بن مُقْلة : وتحتاج الحروف فى تصحيح أشكالها إلى خمسة أشياء : ٥

الأوّل — التوفية، وهى أن يُوَفَّى كلُّ حرف من الحروف حَظَّه من الخُطُوط التى يركب منها : من مقوّس ومُنْحنٍ ومُنْسَطح .

الثانى — الإتمام، وهو أن يعطى كلُّ حرف قِسمتَه من الأقدار التى يجب أن يكون عليها : من طُول أو قِصَر أو دِقّة أو غِلَظ . ١٠

الثالث — الإكمال، وهو أن يؤتى كُلُّ خط حظَّه من الهيئات التى ينبغى أن يكون عليها : من آنتصاب، وتسطيح، وآنكباب، وآستلقاء، وتقويس .

الرابع — الإشباع، وهو أن يؤتى كلُّ خط حظه من صَدْر القلم حتّى يتساوى به فلا يكون بعض أجزائه أدقَّ من بعض ولا أغلظَ إلا فيما يجب أن يكون كذلك من أجزاء بعض الحروف من الدقة عن باقية مثل الألف والراء ونحوهما . ١٥

الخامس — الإرسال، وهو أن يُرْسِلَ يدَه بالقلم فى كل شكل يجرى بسرعة من غير آحتباس يُضَرِّسه ولا تَوَقُّف يرعشه .

الضـــــرب الثـــانى
حسن الوضـــع

قال الوزير : ويحتاج إلى تصحيح أربعة أشياء :

الأوّل ـــ الترصيف؛ وهو وصل كلّ حرف متصل إلى حرف .

٥ الثـانى ـــ التأليف؛ وهو جمـع كل حرف غير متصل إلى غيره على أفضـل ما ينبغى ويحسن .

الثـالث ـــ التسطير؛ وهو إضافة الكلمة إلى الكلمة حتّى تصير سطرا منتظم الوضع كالمِسْطَرة .

الرابع ـــ التنصيل؛ وهو مواقع المَدّات المستحسنة من الحروف المتصلة .

١٠ وآعلم أن المَدّ فى الخط قديم، فقد حكى أبو جعفـر النحاس فى "صناعة الكتّاب" : أن أهل الأنبار كانوا يكتبُون المَشْق . وكأنه يريد أنهم كانوا على ذلك فى القـديم، فقد تقدم أن أوّل ما تعلّم أهلُ الحجاز الخَطّ من أهـل الأنبار . على أن صاحب "موادّ البيان" قـد حكى أن جماعة من المحرّرين كانوا يكرهون المَشْـق لإفساده خطّ المبتدئ ودلالته على تَهاوُن المنتهى .

١٥ قال : ولذلك كرهوا كتابة البسملة بغير سـين مبيّنة ثم صارت كراهة ذلك سُنّة وعُرْفا . والذى عليه حُذّاق المحرّرين آستعمال المدّ .

قال فى "موادّ البيان" : وهذه المدّات تستعمل لأمرين : أحدهما أنها تحسّن الخط وتفخّمه فى مكان كما يُحَسّن مدُّ الصوت اللفظَ ويفخّمه فى مكان . الثانى أنها ربمـا أوقعت ليتم السّطر إذا فضل منه مالا يتّسـع لحرف آخر، لأن السطر ربمـا ٢٠ ضاق عن كلمتـين وفَضَل عن كلمة فتمدّ التى وقعت فى آخر السـطر لتقع الأخرى فى أوّل السطر الذى يليه .

وقال الشيخ عماد الدين بن العفيف : مواضع المدّ أواخر السطور، وتُكْرَه إذا كانت سينا مدغمة .

قال فى "موادّ البيان" : فيجب على الكاتب أن يعرف أحكامها لئلّا يوقِعَها فى غير المواضع اللائقة بها فيشتبه الحرف بغيره ويفسُد المعنى، مثل أن يوقع المدّ فى متعلم بين الميم والتاء فتشتبه بمستعلم، أو يوقع المدّ فى متسلم بين الميم والتاء فتشتبه بمستسلم . ثم قال : وبالجملة فالكلمة الأصلية اسما كانت أو حرفا أو فعلا لا تخرج عن أربعة أصناف :

الصنف الأوّل

الثنائية

وهى إما أسماء مضاعفة أو أفعال أو حروف .

فالأسماء : نحو ندّ، وضر، وسِرّ، وشَرّ، وظِلّ، وطَلّ، وما أشبه ذلك .

والأفعال : نحو قُلْ، وكُلْ، وقُمْ، وعُذْ، ونَمْ، وسِرْ، ونحو ذلك .

والحروف : نحو هل، وبل، وقط، وقد، ومذ، وعن، ولو، ولم، ومِنْ، وما، وما يجرى مجرى ذلك .

فأما الأسماء والأفعال الثنائية فقد ذكر فى "موادّ البيان" : أنه لا يحسن المدّ فى شىء منها إلا فى سِرّ، وشَرّ، من الأسماء وسِرْ من الأفعال لأن السين أو الشين وإن كان كل منهما حرفا على حياله فى صورة ثلاثة أحرف .

قال : وقد يحسن فى نحو ظل، وطلّ، فى بعض المواضع .

وأما الحروف الثنائية فقد ذكر فى "موادّ البيان" : أنه لا يَحْسُن المدّ فيها .

وحــكى صاحب "منهاج الإصابة" : أن بعض الكتّاب كان يمــدّ فى أواخر السـطور مثلَ ما، وهل، وعن . ثم حــكى عن أبى القاسم بن خلوف : أن ذلك لا يجوز فى عن فى أوّل السطر ولا فى آخره .

الصــــنف الثــانى

الثـــلاثيــــة

٥

قال فى "موادّ البيان" : والمدّ فيها على الأكثر قبيح لأنها لا تنقسم بقسمين متساويين .

قال : ومنها ما يُسمَح فى مدّه للضرورة كما إذا وقع فى آخر سطر يحتاج إلى التتميم فيمُدُّ كبيــع وقطع ونحوهما . وعلى نحو من ذلك جرى صاحب "مِنْهــاج الإصابة" ثم قال : ويجوز أن تمدّ إذا كان ثالثها ألفا أو لاما .

١٠ وقال الشــيخ عماد الدين بن العفيف : كان والدى يمدّ فى الكلمة الثلاثيّة إذا كان أوّلَها الجيمُ وأختاها، والطاء، والسين، والعين .

قال فى "موادّ البيان" : وينبغى إذا مُدَّ أن يُقدَّم الحرفان الأوّلان وتُوضَع المدة بينهما وبين الثالث . أما عسى، ومتى، وفتًى، ونحوها فإنها لا تحتمل المدّ بحال .

الصـــــنف الثالث

الرباعيـــة نحـــو محمــــد وجعفر

١٥

قال أبو القاسم بن خلوف : والمدّ فيه جائز بل المدّ فيه أحسن من القصر .

قال فى "موادّ البيان" : ولا يجوز أن يقدّم منها ثلاثة أحرف ويوقع المدّة بينها وبين الحرف الرابع ولا بالعكس بل يوقع المدّ بين الحرفين الأوّلين والحرفين الآخرين فقط . قال : على أن منها ما لا يحسُن المدّ فيه نحو : تغلب، وخبير، ونمير .

الصـــنف الرابع
الخُمَاســية

نحو : مشتمِل، ومستقِلّ، ومسيطِر، ومهيمِن .

وقد آختلف علماء الخـط فيه على مذهبين : فذهب صاحب "موادّ البيان" إلى أن المدّ فيها لا يحسُن، فإنها لا تنقسم بقسمين متساويين كما فى الثُّلاثيّة؛ وذهب أبو القاسم بن خلوف إلى أن المدّ فيها لازم، لا يجوز تركه . ثم إذا مَدّ فالذى ذكره فى "موادّ البيـان" أن الأحسن أن يُقدّم حرفين ويُوقِـعَ المدَّ بينهما وبين الثلاثة الأحرف الأخر .

أما ما كان زائدا على خمسة فقد ذكر صاحب "العناية الربَّانية" أنه يُرَجع فيه إلى الأصول . ويعتبر من السُّداسىّ(١) فإنه مدّ فيما بعد السين من مسلمون وبعد التاء من معتبر .

قال فى "مواد البيان" : ويصـح المدُّ فيما جاء من الأسماء والأفعال والحروف موصولا بضمير كناية مثل : كتبته، وعلمته، وفيه، ومنه، وعليه، وإليه، إذا وقعت المَدّةُ بين تمام الكلمة والضمير .

قال : ومَشْق السين يُحَسِّن الخطَّ فى بعض المواضع، ويقبُح إذا وقعت طَرَفا نحو مَشْق السين من العباس والجوّاس؛ وأقبحُ من ذلك مشقُها إذا كانت موصولة بحرف واحد يتقدّمها نحو يأنس، وعانس، وجالس، وناعس . وإذا توالتْ سينان أو سين وشين، فالأحسن أن يفصل بينهما فى الخط المحرّر بمَدَّة لطيفة نحو مَسسْت وغَشَشْت ورَشَشْت .

(١) لعل الصواب من الثلاثى بالتاءين المثلثتين .

قال أبو القاسم بن خلوف : ومن الحروف مالا يحسُن المدُّ بعده إذا كان مبتدأ وهو الباء وأختاها ، والياء، والفاء، والقاف، واللام؛ وأما الكاف المشكولة فإنه لا يجوز مدُّ ما بعدها فى ٱبتداءٍ ولا توسُّطٍ .

وقد ذكر الشيخ زين الدين شعبان الآثارىّ فى ألفيته حروفا يجوز مدُّها فى مواضع :

٥ أحدها — الباء وأختاها، فتمدّ إذا كان بعدها دال مثل : بَدْر، أو راء مثل : برٌّ، أو ميم مثل: تم، أو هاء مثل : بهز ؛ وأنه ربما مُدَّت إذا كان بعدها لام مثل : بل، أو لام ألف مثل : بلا .

الثانى — الجيم وأختاها، فتمدّ إذا كان بعدها دال مثل : حداد، أو راء مثل : حرير، أو ميم مثل : حم، أو هاء مثل : جهر .

١٠ الثالث — السين وأختها، وتمدّ إذا كان بعدها راء مثل : سرّ، أو ميم مثل : سم، أو هاء مثل : سهم .

الرابع، والخامس — الصاد وأختها، والطاء وأختها، فلا يجوز مدُّ واحدٍ منها بحال.[1]

السادس — العين وأختها، فتمدّ إذا كان بعدها دال مثل : عد، أو راء مثل : عر، أو ميم مثل : عم، أو هاء مثل : عهن .

١٥ السابع، والثامن، والتاسع، والعاشر، والحادى عشر — الفاء، والقاف، واللام، والميم، والهاء؛ فحكمها حُكم العين وأختها فى جواز المدّ فيما تقدّم .

قال الشيخ عماد الدين بن العفيف : ولا يجوز الجمع بين مدّتين فى كلمة واحدة و "على" تمدّ إذا كانت الياء معرّقة، فإن كانت راجعة لم يجز المدُّ أصلا، لأنه يجتمع فى كلمة ثُلاثيّةٍ مدّتان .

٢٠ قال فى "موادّ البيان" : ويقبُح أن تَمُـدّ حرفين تُوالى بينهما فى سطر واحد، وأن تُوقِـعَ حرفين ممدودين فى سطرين : أعلى وأسفل على تقابلٍ وتحاذٍ .

---

(١) الكلام فيما يجوز مده فإثبات هذا القسم سهو عن المَقْسم .

قال السُّمَّرِيّ : وإن كان فى آخر الكلمة ياء لم يجز المدّ قبل الياء . قال : ولذلك لا يجوز المدّ بعد السين فى آسم موسى : ولا قبل[١] السين فى آسم عيسى .

قال الآثارىّ : وأجاز بعضهم مدَّ العين منه بخلاف السين .

قال آبن العفيف : ولا تُدْغم الواو والنون بعد مدّ أصلا فى خفيفٍ ولا ثقيلٍ .

قال : ولا يحسُن إدغامُ السين بعد الكاف المشكولة، ويجوز بعد اللام والميم . ٥

قال فى "مواد البيان" : ويقبُح أن تكتب ياءان معطوفتان متقاربتان فى سطر واحد .

قال الشيخ عماد الدين بن الشيرازى : وإذا توالت العراقات وكان فيها الياء وجب أن تكون راجعة إلى ذات اليمين .

قال آبن أبى رقيبة : سألت الشيخ عماد الدين بن العفيف : هل يكون ذلك فى كل قلم؟ قال نعم! إذا تمكّن الكاتبُ من وضعها إلا فى المحقّق فإنه غير جائز . ١٠

قال السُّمَّرِيّ : وإن أتت ياءان متقاربتان مثل قول القائل "لى صلى" رُدَّ ياء الأخرى من الكلمتين دون الأُولى، وإن شئت عَرَّقتهما جميعا، وهو آختيار الوزير آبن مقلة . قال : وتردّ الياء بعد الألف واللام مثل : إلى فى خفيف الأقلام دون ثقيلها على الأحسن .

قال الآثارى : وإذا توالت حروفٌ متشابهةٌ كتبت القصير منه مقدّما على الطويل ١٥

الصنف الخامس[٢]

مراعاة فواصل الكلام

قال فى "موادّ البيان" : وذلك بأن تميز الفصول المشتملَ كلُّ فصلٍ منها على نوع من الكلام عمّا تقدّمه : لتُعْرف مَبادئُ الكلام ومَقاطعُه؛ فإن الكلام ينقسم فُصُولا طِوالا

---

(١) كذا فى الضوء أيضا والمراد سواء آتصل المد بالياء أو كان قبله فى كلمته . ٢٠

(٢) لم يترجم فى الضوء بخامس، ولا بسادس، وآقتصر فى الترجمة على ما بعدهما وهو المناسب .

وقِصارا، فالطِّوال كتقسيم منثور المترسل إلى رسائله، ومنظوم الشاعر إلى قصائده. ومثل هذا لا يحتاج إلى تفصيل، لأنه لا يشكل الحال فيه فى الرسالة أو القصيدة بغيرها آتصالا وآنفصالا .

والفصول القِطار كآنقسام الرسالة إلى الفصول، والقصيدة إلى الأبيات . ومثل هـذا قد يشكل، فينبغى أن يُميَّز تمييزا يؤمَنُ معهُ من الآختلاط، فإن ترتيب الخط يقيد ما يفيده ترتيبُ اللفظ . وذلك أن اللفظ إذا كان مرتَّبا تخلَّصَ بعضُ المعانى من بعض، وإذا كان مُخَلَّطا أشكلت معانيه، وتعذر على سامعه إدراك محصوله .

وكذلك الخط إذا كان متميز الفُصُول، وصل معنى كلِّ فصل منه إلى النفْس على صورته، وإذا كان متصلا دعا إلى إعمال الفِكْر فى تخليص أغراضه .

وقد آختلفت طُرُق الكُتَّاب فى فصول الكلام الذى لم يُمَيَّزْ بذكر باب أو فصل ونحوه . فالنُّسَّاخ يجعلون لذلك دائرة تفصل بين الكلامين، وكُتَّابُ الرسائل يجعلون للفواصل بياضًا يكون بين الكلامين من سجع أو فصل كلام، إلا أن بياض فَصْل الكلامين يكون فى قدر رأس إبهام، وفصل السجعتين يكون فى قدر رأس خِنْصر .

قال فى "موادّ البيان" : وينبغى ألّا تكون الجملة فى آخر السطر والفاصلة فى أوّل السطر الذى يليه، فإنه مُلْبِس لآتصال الكلام، بل لا يجعل فى أوّل السطر بياضا أصلا لأنه يقبح بذلك لخروجه عن نسبة السطور، ولا أن يُفْسِح بين السطر والذى يليه إفْسَاحًا زائدا عما بين كل سطرين، ولكن يُراعى ذلك من أوّل شروعه فى كتابة السطر فيقدّر الخط بالجمع والمشق حتّى يخلُصَ من هذا العيب .

الصـــنف السادس

حسن التدبير فى قطع الكلام ووصله فى أواخر السطور وأوائلها

لأن السطور فى المنْظَر كالفصول، فإذا قطع السطر على شىء يتعلّق بما بعده كان قبيحا، كما إذا كتب بعض حروف الكلمة فى آخر السطر وبعضها فى أوّل السطر الذى يليه . ٥

ثم للفصل المستقبَح فى آخر السطر وأوّل الذى يليه صنفان :

الصـــنف الأوّل

فصلُ بعض حروف الكلمة الواحدة عن بعض، وتفريقها فى السطر والذى يليه

مثل أن تقع معه لفظة "كتاب" فى آخر السطر، فيكتب الكافَ والتاءَ والألف فى آخر السطر، والباء فى أوّل السطر الذى يليه؛ أو يقع فى آخر السطر لفظُ "مسرور" ١٠ فيكتب الميمَ والسينَ والراء فيه، والواوَ والراء الثانيةَ فى أوّل السطر الذى يليه ونحو ذلك .

قال فى "موادّ البيان" : وهو قبيح جدًّا لأنه لا يجوز فصل الأسم عن بعضه . قال : وأكثر ما يوجد ذلك فى مصاحف العامّة وخطوط الورّاقين؛ والحامل لهم على ذلك فى الغالب هو ضيق آخر السطر عن الكلمة بكمالها؛ ومن هنا آحتاج ١٥ الكاتب إلى النظر فى ذلك بالجمع والمشق من حين شُروعه فى كتابة أوّل السطر على ما تقدّم .

قال صاحب "منهاج الإصابة" : وإنما وقع مثل ذلك فى المصاحف التى كتبت فى زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه لأنها كتبت بقلم جليل مبسوط، فربما وقع فى بعض الأماكن اللفظة فيقطعها فى آخر السطر ويجعل باقيها ٢٠ فى السطر الثانى .

وعلى ذلك حمل ما رُوى أن عثمان رضى عنه . قال : "إنَّ فى المُصْحَف لَحْنًا ستُقِيمُه العربُ بألْسِنَتِها" إذ لا جائز أن يكون ذلك لَحْنا فى اللفظ فقد أجمع الصحابةُ رضوانُ الله عليهم على أن ما بين دَفَّتَى المصحَف قُرْءانٌ، ومحالٌ أن يجتمعوا على لحن . على أن هـذه الروايةَ غيرُ مشهورة عن عثمان رضى الله عنه كما أشار إلى ذلك الشاطبى بقوله فى الرائية :

وَمَنْ رَوى سـتُقِيمُ العُرْبُ ألسُنُها * لَحْنًا بِهِ قولَ عثمانَ فما شُهِرا

الصـنف الثـانى

فصـل الكلمـة التـامة وصلتهـا

مثل أن يكتب "وصلَ كتابُك وأيَّدك الله" مُفَصَّلات ، فيكتب "وصل" فى آخر السطر و "كتابك" فى أوّل الذى يليه، أو يكتب "أيَّدك" فى آخر سطر وآسم "الله" تعالى فى أوّل الذى يليه، وما جرى مجرى ذلك .

قال فى "موادّ البيان" : والأحسن تجنُّبـه إذا أمكن، فإن لم يمكن فيتجنَّبُ القبيـحُ منه ، وهو الفصـل بين المضاف والمضاف إليـه ، كعبد الله وغلام زيد وما أشـبه ذلك، لأنَّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة الآسم الواحد ؛ والفصلُ بين الآسم وما يتلوه فى النسب ، كقولك زيدُ بنُ محمد، فلا يجوز أن يُفْصَل بين الآسم والمنسوب إليه كما لا يجوز أن يفصَل بين المضاف والمضاف إليه . قال : فإن كان المراد بلفظة آبن تثبيت البنوّة كقولك لزيد آبنٌ جاز قطع الآبن عما تقدّمه . وكأنه إنما آمتنع ذلك لأن لزيد لا يستقل بنفسه فلا يدخله لبس بخلاف غلام زيد ونحوه . ثم قال : ومما يقْبُح فصلُه الفصْلُ بين كل آسمين جُعلا آسما واحدا نحو: حضرموت، وتأبط شرًّا، وذى يَزَن، وأحدَ عشَر .

قلت : وباب الخط وأقلامه وحسن تدبيره متسع لا يسع آستيفاؤه .

الفصل الثالث

من الباب الثانى من المقالة الأولى

في لواحق الخط، وفيه مقصدان

المقصد الأوّل

فى النقط؛ وفيه أربع جمل ٥

الجملة الأولى

فى مسيس الحاجة إليه

قال محمد بن عمر المدائنىّ : ينبغى للكاتب أن يُعْجِم كتابَهُ ، ويبيِّن إعرابه ؛ فإنه . متى أعراه عن الضبط ، وأخلاه عن الشكل والنقط كثر فيه التصحيف ، وغلب عليه التحريف . وأخرج بسنده إلى ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : ١٠ "لِكُلِّ شيء نُورٌ، ونُورُ الكتاب العَجْم" . وعن الأوزاعىّ نحوه .

قال أبو مالك الحَضْرمىُّ : أىُّ قلم لم تُعجَم فُصُوله ، آستعجَمَ مَحْصولُه . ومن كلام بعضهم : "الخُطُوط المُعْجَمة ، كالبُرُود المُعْلَمة" .

ثم قد تقدم فى الكلام على عدد الحروف أن حروف المعجم تسعةٌ وعشرون حرفا ، وقد وُضعتْ أشكالُها على تسعةَ عشرَ شكلا . فمنها ما يشترِك فى الصُّورة ١٥ الواحدة منه الحرفان : كالدال والذال والراء والزاى ، والسين والشين . ومنها ما يشترك فى الصورة الواحدة منه الثلاثةُ : كالباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والخاء . ومنها ماينفرد بصورة واحدة كالألف . ومنها ما لايلتبس حالةَ الإفراد ، فإذا رُكِّب ووُصِل بغيره آلتبس : كالنون والقاف ، فإن النون فى حالة الإفراد منفردةٌ بصورة ،

فإذا رُكِّبت مع غيرها فى أوّل كلمة أو وَسَطها ، ٱشتبهت بالباء وما فى معناها ؛ والقاف إذا كانت منفردة لا تلتبس ، فإذا وصلت بغـيرها أوّلا أو وسطا ٱلتبست بالفـاء ، فٱحتيج إلى مميز يُمَيِّز بعض الحُروف من بعض : من نقط أو إهمال ليزول اللَّبْس ، ويذهبَ الاشتراكُ .

٥ قال الشـيخ أثير الدين أبو حيان : ولذلك ينبغى أن القاف والنـون إذا كتبا فى حالة الإفراد على صُورتهما الخاصَّة بهما لا يُنْقطان ، لأنه لا شبه بينَهُما ولا يُشْبهان غيرهما ، فيكونان إذ ذاك كالكاف واللام . قال : ومنع بعضُ مشايخنا الاشـتراكَ فى صورة الحروف . وقال : الصورةُ والنقطُ مجموعُهما دالٌّ على كل الحرف .

إذا تقرَّر ذلك فالنقط مطلوب عنـد خوف اللَّبْس ، لأنه إنمـا وُضِع لذلك ؛
١٠ أما مع أمن اللَّبْس فالأَوْلى تركُه لئلا يُظْلِم الخَطُّ من غير فائدة .

فقـد حكى أنه عُرِض على عبـد الله بن طاهر خطُّ بعض الكُتَّاب فقـال : ما أحسَنَه ! لولا أنه أكثَرَ شُونيزَه .

وقد حكى محمد بن عمر المدائنى أن جعفرا المتوكل كتب إلى بعض عُمَّـاله أن أَحْصِ مَنْ قِبَلَك من المدنِّيين وعَرِّفنـا بمبلغ عددهم ، فوقع على الحـاء نقطة فجمع
١٥ العاملُ مَنْ كان فى عمله منهم وخَصَاهم فماتُوا غير رجلين أو واحد .

وقد حكى المـدائنى عن بعض الأدباء أنه قال : كثرةُ النَّقْط فى الكِتَاب سُوء ظنٍّ بالمكتوب إليه .

أما كُتَّاب الأموال فإنهم لا يَرَوْن النقط بحال ؛ بل تعاطيـه عندهم عيبٌ فى الكتابة .

الجملة الثانية

فى ذكر أوّل من وضع النقط

قد تقدّم فى الكلام على وضع الحروف العربية أن أوّل مَنْ وضع الحروفَ العربيــة ثلاثةُ رجال من قبيلة بَوْلان على أحد الأقوال . وهم : مُرار بنُ مُرّة(١)، وأسلَمُ بنُ سِدْرة ، وعامر بنُ جَدَرة ، وأن مرارا وضع الصُّوَر(١)، وأسلمَ فصلَ ووصل ، وعامرا وضع الإعجام . وقضية هذا أن الإعجام موضوع مع وضع الحروف .

وقد روى أن أوّل من نَقَط المصاحفَ ووضع العربيةَ أبو الأسود الدُّؤلىّ من تلقين أمير المؤمنين : "علىّ كرم الله وجهه" . فإن أريد بالنقط فى ذلك الإعجام، فيحتمل أن يكون ذلك ٱبتداء لوضع الإعجام ، والظاهر ما تقدّم ؛ إذ يبعدُ أن الحروف قبل ذلك مع تشابه صورها كانت عَرِيّةً عن النقط إلى حين نَقْط المصحف .

وقد روى أن الصحابه رضوان الله عليهم جردوا المصحف من كل شىء حتى من النقط والشكل . على أنه يحتمل أن يكون المرادُ بالنقط الذى وضعه أبو الأسود الشكل على ما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

فى بيان صورة النقط ، وكيفية وضعه

قال الوزير أبو علىّ بن مقلة رحمه الله : وللنُّقْط صورتان : إحداهما شكلٌ مربع والأُخرى شكل مستدير .

قال : وإذا كانت نقطتان على حرف، فإن شئت جعلت واحدة فوقَ أُخْرى، وإن شئت جعلتَهما فى سطرٍ معًا، وإذا كان بجوار ذلك الحرف حرفٌ يُنْقَط لم يجز أن يكون النَّقْط إذا ٱتسعت إلا واحدةً فوق أُخرى، والعلة فى ذلك أن النُّقَط إذا كُنّ

---

(٢) تقدّم التنبيه عليه .

فى سطر خرجْنَ عن حروفهن فوقع اللَّبْس فى الأشكال، فإذا جعل بعضُها على بعض كان على كل حرف قِسْطه من النُّقَط فزال الإشكال .

قلت : وإذا كان على الحرف ثلاث نُقَط ، فإن كانت ثاء جعلت واحدة فوق آثنتين، وإن كانت شينا فبعضُ الكُتَّاب ينقطه كذلك، وبعضهم ينقطه ثلاث نقط سطرا، وذلك لسعة حرف الشين بخلاف الثاء المثلثه . ٥

أما السين إذا نقطت من أسفلها فإنهم ينقُطُونها ثلاثةً سطرا واحدًا .

الجمـــــلة الرابعـــة

فيما يختصّ بكلّ حرف من النقط وما لا نَقْطَ له

قد تقدم أنّ حروفَ المُعْجَم ثمانية وعشرون حرفًا سوى اللام ألف، وأن ذلك على عَدد منازل القَمَر الثمانيـة والعشرين؛ وأن المنازل أبدًا منها أربعـةَ عشرَ فوق ١٠ الأرض، وأربعةَ عشرَ تحتَ الأرض؛ ثم إنه لا بُدّ أن يَبْقى مما فوقَ الأرض منزلةٌ مختفيَةٌ تحتَ الشَّفَق ، فكانت الحروف المنقوطةُ خمسـةَ عَشَر حرفا بعدَد المنـازل المختفيَة : وهى الأربعـةَ عشَرَ التى تحت الأرض ، والواحدةُ التى تحت الشَّـعاع، إشارة إلى أنها تحتاج إلى الإظهار لآختفائها : وهى البـاء، والتاء، والثاء، والجيم ، والخاء، والذال، والزاى، والشـين، والضاد، والظاء، والغين، والفاء، والقاف ، ١٥ والنون، والياء، آخر الحروف .

وكانت الحروف العاطلةُ ثلاثةَ عَشَر بعـدد المنازل الظاهرة : وهى الألفُ ، والحاء، والدال، والراء، والسـين، والصاد، والطاء، والعين، والكاف، واللام ، والميم، والهاء، والواو .

فأمّا الألف فإنهــا لا تُنْقَط لانفرادها بصورةٍ واحدة ، إذ ليس فى الحــروف ما يُشْبِهها فى حالتى الإفراد والتركيب .

وأما الباء فإنهــا تُنْقَط من أسفلُ لتخالِفَ التاءَ المثناة من فوقُ ، والثــاءَ المثلثةَ فى حالتى الإفراد والتركيب ، والياء المثناة من تحتُ ، والنون فى حالة التركيب آبتداءً أو وَسَطا ونُقِطت من أسفلُ لِئلَّا تلتبس بالنون حالة التركيب . ٥

وأما التاء فإنها تُنْقَط بآثنتين من فوقُ لتخالف ما قبلها وما بعدها من الصورتين فى حالة الإفراد، وتخالفهما مع الياء والنون حالة التركيب آبتداءً أو وسَطا .

وأما الثاء فإنها تُنْقَط بثلاثٍ من فوقُ لتخالفَ ما قبلها من الصورتين فى الإفراد وتخالفَهُما مع النون والياء أيضا فى التركيب آبتداء أو وَسَطا .

وأما الجيم فإنها تنقط بواحدة من تحت لتخالفَ الصورتين بعدها . ١٠

وأما الحاء فإنها لا تُنْقَط، و يكون الإهمال لها علامةً؛ وحُذّاق الكُتّاب يجعلون لها علامة غير النقط، وهى حاء صغيرةٌ مكان النُّقطة من الجيم .

وأما الخاء فإنها تُنْقَط بواحدةٍ من أعلاها لتخالِفَ ما قبلها من الجيم والحاء .

وأما الدال فإنها لا تُنقَطُ ولا تَعَلَّم ، ويكون تركُ العلامة لها علامةً .

وأما الذال فتُنقَطَ بواحدة من فوقُ فَرْقا بينها و بين أختها . ١٥

وأما الراء فإنها لا تنقَط ولا تَعَلَّم، ويكون الإهمال لها علامةً .

وأما الزاى فإنها تنقَط بواحدةٍ من فوقُ فَرْقا بينها و بين الراء .

وأما الســين فإنها لا تُنْقَط ، وتكون علامتُها الإهمالَ كغيرها ؛ و بعض الكُتّاب ينقطها بثلاث نقطٍ من أسفلها .

وأما الشين فإنها تُنقَط بثلاث من فوقُ فَرْقا بينها و بين أختها، فإن كانت مدغمة فلا بدّ من جَرّة فوقها ؛ ثم إن كانت محقّقة فاللائق التأسيس بنقطتين وجعـل نقط ثالث من أعلاهما؛ و إن كانت مدغَمة فالأولى جعل الثلاث نقط سطرا واحدا .

وأما الصاد فإنها لا تنقط ؛ نعم حُذّاق الكُتّاب يجعلون لها علامة كالحاء ، وهى صاد صغيرة تحتها .

وأما الضاد فإنها تنقَطُ بواحدة من أعلاها فَرْقا بينها و بين أختها .

وأما الطاء فإنها لا تُنْقَط لكن لها علامةٌ كالصاد والحاء، وهى طاء صغيرة تحتها .

وأما الظاء فإنها تنقَط بواحدة من فوقها فَرْقا بينها و بين أختها .

وأما العين فإنها لا تُنْقط، ولها علامة كالحاء، والصاد، والطاء ، وهى عين صغيرة فى بطنها .

وأما الغين فإنها تنقَطُ بواحدة فَرْقا بينها و بين أختها .

وأما الفـاء فمذهب أهل الشرق أنها تنقط بواحدة من أعلاها، ومذهب أهل الغرب أنها تنقط بواحدة من أسفلها .

وأما القاف فلا خلافَ بين أهل الخط أنها تنقَطُ من أعلاها إلا أنَّ مَنْ نقَطَ الفاء بواحدة من أعلاها نقط القاف باثنتين من أعلاها ليحصل الفرق بينهما، ومَنْ نقط الفاء من أسفلها نقط القاف بواحدة من أعلاها .

وقد تقدّم من كلام الشيخ أثير الدين أبى حيان رحمه الله عن بعض مشايخه : أنَّ القاف إذا كتبت على صورتها الخاصة بهـا ينبغى ألّا تُنْقط إذ لا شبه بينهما (١) وذلك فى حالتى الإفراد والتطرّف أخيرا .

(١) أى بين القاف والفاء .

وأما الكاف فإنها لا تنقط ، إلا أنها إذا كانت مشكولة عُلِّمت بشكلة ، وإن كانت معرّاة رسم عليها كاف صغيرة مبسوطة لأنها ربما ٱلتَبَسَتْ باللام .

وأما اللام فإنها لا تُنْقَط ولا تعَلَّم ، وتركُ العلامة لها علامةٌ .

وأما الميم فإنها لا تنقط ولا تعلَّم أيضا لٱنفرادها بصورة .

وأما النون فإنها تنقط بواحدة من أعلاها ، وكان ينبغى ٱختصاصُ النقط بحالة التركيب ٱبتداءً أو وَسَطا لٱلتباسها حينئذ بالباء ، والتاء ، والثاء أوائل الحروف ، والياء آخر الحروف ؛ بخلاف حالة الإفراد والتطرُّف فى التركيب أخيرا فإنها تختص بصورة فلا تلتبس كما أشار إليه الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله ، إلا أنها غلبت فيها حالة التركيب فروعيت .

وأما الهاءُ فإنها لا تنقط بجميع أشكالها ، وإن كثرت ، لأنه ليس فى أشكالها ما يلتبس بغيره من الحروف .

وأما الواو فإنها لاتنقَط وإن كانت فى حالة التركيب تقاربُ الفاء ، وفى حالة الإفراد تقارب القاف ، لأن الفاء لا تشابهها كلَّ المشابهة ، ولأن القاف أكبرُ مساحةً منها .

وأما اللام ألف فإنها لا تنقط لٱنفرادها بصورة لا يشابهها غيرها .

وأما الياء فإنها تنقط بنقطتين من أسفلها ، وإن كانت فى حالة الإفراد والتطرُّف فى التركيب لها صورة تخصُّها ، لأنها فى حالة التركيب فى الأبتداء والتوسط تشابهُ الباء ، والتاء ، والثاء ، والنون ، فيحتاج إلى بيانها بالنقط لتغليب حالة التركيب على حالة الإفراد كما فى النون ، وربما نقطها بعض الكُتَّاب فى حالة الإفراد بنقطتين فى بطنها ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

المقصـــــد الثـانى
فى الشـــكل؛ وفيـــه خمس جمـــل
الجمـــلة الأولى
فى آشـــتقاقه ومعنـاه

٥ قال بعض أهل اللغة : هو مأخوذ من شَكْل الدابة، لأن الحروف تُضبَط بقيد فلا يلتبس إعرابها كما تُضْبط الدابّة بالشِّكال فيمنعها من الهُروب . قال أبو تمام :

تَرى الأمر مَعْجُومًا إذا كان مُعْجَمًا * لَدَيْه ومَشْكُولا إذا كانَ مَشْكُولَا

الجمـــلة الثانيـــة
فى أول من وضـــع الشَّـكل

١٠ وقد آختلفت الرواية فى ذلك على ثلاث مقـالات ، فذهب بعضُهم إلى أن المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلىُّ ، وذلك أنه أراد أن يعمل كتابا فى العربيّـة يقوِّم الناسُ به ما فسد من كلامهم، إذ كان ذلك قد فَشَا فى الناس .

فقال : أرى أن أبتدئ بإعراب القرءان أوّلا، فأحضر من يُمْسك المصحف، وأحضر صِبْغا يخالف لون المِدَاد . وقال للذى يمسك المصحف عليه : إذا فتحتُ

١٥ فاىَ فآجعل نقطةً فـوق الحرف، و إذا كسرتُ فاىَ فآجعـل نقطة تحتَ الحرف، و إذا ضممتُ فاىَ فآجعل نقطةً أمام الحرف ، فإن أتبعت شيئا من هذه الحركات غُنَّة (يعنى تنوينا) فآجعل نقطتين . ففعل ذلك حتّى أتى على آخر المصحف .

وذهب آخرون : إلى أن المبتدئ بذلك نصر بن عاصم الليثىّ، وأنه الذى خَمَّسها وعَشَّرها .

٢٠ وذهب آخرون : إلى أن المبتدئ بذلك يحيى بن يَعْمُر .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وهؤلاء الثلاثة من جلّة تابعى البصريين .

وأكثر العلماء على أن أبا الأسود جعل الحركات والتنوين لا غير . وأن الخليل ابن أحمد هو الذى جعل الهمز[1] والتشديد و[2] الرَّوْم[3] والإشمام[4] .

الجملة الثالثة

فى الترغيب فى الشكل والترهيب عنه

وقد اختلفت مقاصد الكُتَّاب فى ذلك ، فذهب بعضهم إلى الرغبة فيه ، والحث عليه ، لما فيه من البيان والضَّبْط والتقييد .

قال هشام بن عبد الملك : أَشْكُلوا قرائن الآداب ، لئلا تَندَّ عن الصواب . وقال علىّ بن منصور : حَلُّوا غرائِب الكَلِم بالتقييد ، وحَصِّنوها عن شُبَه التصحيف والتحريف .

ويقال : إعجام الكُتُب يمنع من استعجامها ، وشَكْلُها يصونُها عن إشكالها ، ولله القائل :

وكأَنَّ أَحْرُفَ خَطِّه شَجَرٌ * والشَّكْلُ فى أغْصانِه ثَمَرُ

وذهب بعضهم إلى كراهته ، والرغبة عنه .

قال سعيد بن حميد الكاتب : لَأن يُشْكِل الحرفُ على القارئ أحبُّ إلىّ من أن يُعَابَ الكاتبُ بالشكل . ونظر محمد بن عَبَّاد إلى أبى عُبَيْد وهو يقيِّد البسملةَ فقال : لو عرَفْتَه ما شكلتَه . وقد جَرَّد الصحابةُ رضوان الله عليهم المصحفَ حين جمعوا القرءان من النقط والشكل وهو أجدر بهما ، فلو كان مطلوبا لما جردوه منه .

(١) فى الأصل : «الهمزة» والتصويب عن كتاب المقنع فى رسم المصحف لأبى عمرو الدانىّ .
(٢) فى الأصل : «عن» والتصويب عن كتاب المقنع أيضا .
(٣) الروم : حركة مختلسة مختفاة لضرب من التخفيف وهى أكثر من الإشمام لأنها تسمع .
(٤) الإشمام : ضم الشفتين كمن يريد النطق بضمة إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة من غير أن يظهر لذلك أثر فى النطق .

قال الشيخ أبو عمرو الدانيّ : وقد وردتِ الكراهةُ بنقط المصاحف عن عبد الله آبن عمر، وقال بذلك جماعة من التابعين .

وآعلم أن كُتّاب الدّيْونة لا يعرِّجون على النقط والشكل بحال ، وكُتّاب الإنشاء منهــم مَنْ منع ذلك محاشاة للكتوب إليه عن نسبته للجهل بأنه لا يقرأ إلا ما نُقِط أو شُكِل ، ومنهم مَنْ ندب إليه ، للضبط والتقييد كما تقدّم .

والحق التفريق فى ذلك بين ما يقَع فيه اللّبْس ويتطرّق إليه التحريف لعلاقته أو غرابته ، وبين ما تسهُل قراءتُه لوضوحه وسهولته .

وقد رخّص فى نَقْط المصاحف بالإعراب جماعة : منهم ربيعة بن عبد الرحمن ، وآبن وهب . وصرح أصحابنا الشافعيــةُ رضى الله عنهم بأنه يُنْدب نقطُ المصحف وشكْلُه ؛ أما تجريد الصحابة رضوان الله عليهم له من ذلك فذلك حين آبتداءِ جمعه حتّى لا يُدْخلوا بين دفتى المصحف شيئا سوى القرءان ، ولذلك كرهه مَنْ كرهه .

وأما أهل التوقيع فى زماننــا فإنهم يَرْغَبون عنه خشية الإظلام بالنَّقْط والشَّكْل إلا ما فيه إلباس على ما مرّ ؛ وأهل الدّيْونة لا يرون بشىء من ذلك أصلا ويَعُدّون ذلك من عيوب الكتابة وإن دعت الحاجة إليه ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

الجمــلة الرابعــة

فيما ينشأ عنــه الشكل ويترتّبُ عليــه

وآعلم أن الشكل جارٍ مع الإعراب كيفما جرى ، فينقسم إلى السُّكون (وهو الجزم) ، وإلى الفتح (وهو النصب) ، وإلى الضم (وهو الرفع) ، وإلى الجرّ (وهو الخفض) .

أما السـكون فلأنه الأصل . وأما الحركات الثلاث فقــد قيل إنها مشاكلة للحركات الطبيعية : فالرفع مشاكل لحركة الفَلَك لآرتفاعها . والجرّ مشاكل لحركة

الأرض والماء لانخفاضها، والنصب مشاكل لحركة النار والهواء لتوسطها؛ ومن ثَمَّ لم يكن فى اللغة العربية أكثرُ من ثلاثة أحرف بعدها ساكن إلا ما كان معدولا . فسبحان من أتقن ما صنع ! .

ثم الذى عليه أكثر النُّحَاة أن الحركات الثلاثَ مأخوذة من حروف المدّ واللين وهى الألف، والواو، والياء، ٱعتمادا على أن الحروف قبل الحركات والثانىَ مأخوذ من الأوّل. فالفتحة مأخوذة من الألف إذ الفتحة علامة النصب فى قولك : رأيت زيدا، ولَقِيتُ عمرا، وضربت بكرا؛ والألف علامة النصب فى الأسماء المعتلة[(١)] المضافة كقولك : رأيت أباك، وأكرمت أخاك؛ ويكون إطلاقا للرَّوِىِّ المنصوب كقولك : المذهبا، وأنت تريد المذهب، فلما أشبعت الفتحة نشأت عنها الألف؛ والكسرة مأخوذة من الياء لأنها أختها ومن مخرجها، والكسرة علامة الخفض فى قولك : مررت بزيد، وأخذت عن زيد حديثا، والياء علامة الخفض أيضا فى الأسماء المعتلة[(١)] المضافة كقولك : مررت بأبيك وأخيك وذى مال؛ والضمة من الواو لأنها من مخرجها : من الشَّفَتَيْنِ، وهى علامة الرفع فى قولك : جاءنى زيد، وقام عمرو، وخرج بكر، والواو علامة الرفع فى الأسماء المعتلة[(١)] المضافة كقولك : جاءنى أخوك وأبوك وذو مال .

وذهب بعض النُّحَاة إلى أن هذه الحروف مأخوذة من الحركات الثلاث، الألف من الفتحة، والواو من الضمة، والياء من الكسرة ٱعتمادا على أن الحركات قبل الحروف، بدليل أن هذه الحروف تحدُث عند هذه الحركات إذا أُشْبعت، وأن العرب قد ٱستغنت فى بعض كلامها بهذه الحركات عن هذه الحروف ٱكتفاء بالأصل عن الفرع : لدلالة الأصل على فرعه .

---

(١) أى الأسماء الخمسة أو الستة على الخلاف .

وذهب آخرون إلى أن الحروف ليست مأخوذةً من الحركات، ولا الحركات مأخوذة من الحروف، ٱعتمادا على أن أحدهما لم يسبق الآخر، وصححه بعض النُّحَاة.

الجمـــلة الخامســـة

فى صور الشكل ومَحَالِّ وضعه على طريقة المتقدّمين والمتأخرين

وٱعلم أن المتقدّمين [يميلون][(١)] فى [شـكْل][(١)] غالب الصور إلى النقط بلون يخالف لون الكتابة .

وقال الشـيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وأرى أن يسـتعملَ[(٢)] للنقط لونان : الحمرة والصُّفْرَة ، فتكون الحمـرة للحركات ، والتنوين ، والتشـديد ، والتخفيف ، والسكون، والوصل، والمدّ، وتكون الصفرة للهمزة خاصة .

قال : وعلى ذلك مَصَاحف أهل المدينة . ثم قال : وإن ٱستعملت الخضرة للٱبتداء بألفات الوصـل على ما أحدثه أهلُ بلدنا ، فلا أرى بذلك بأسا . قال : ولا أستجيز النَّقْطَ بالسواد لمـا فيه من التغيير لصورة الرسم . وقد وردت الكراهة لذلك عن عبد الله بن مسعود وعن غيره من علماء الأمة .

وأما المتأخرون فقـد أحدثوا لذلك صُوَرًا مختلفة الأشكال لمناسبة تخص كل شكل منها، ومن أجل ٱختلاف صُوَرِها وتبايُنِ أشكالها رَخَّصوا فى رسمها بالسواد . ويتعلق بالمقصود من ذلك سبع صور :

الأُولى

علامـــة السكون

والمتقدّمون يجعلون علامة ذلك جرّةً بالحُمْرَةِ فوق الحرف، سـواء كان الحرف المسكّن همزة كما فى قولك : لم يَشَأْ، أو غيرها من الحروف كالذال من قولك : ٱذْهبْ

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) فى الأصل : « استعمل النقط لونين » والتصويب عن كتاب المقنع فى رسم المصحف لأبى عمرو الدانىّ .

أما المتأخرون : فإنهم رسموا لها دائرة تشبه الميم إشارة إلى الجزم إذ الميم آخر حرف من الجزم، وحذفوا عراقة الميم آستخفافا، وسمَّوْا تلك الدائرة جزمة، أخذا من الجزم الذى هو لقب السكون ، ويحتمل أن يكونوا أَتَوْا بتلك الدائرة على صورة الصِّفر فى حساب الهنود ونحوهم إشارة إلى خلو تلك المرتبة من الأعداد لأن الصفر هو الخالى ، ومنه قولهم : " صِفْر اليَدَيْن " بمعنى أنه فقير ليس فى يديه شىء من المال . وحُذَّاقُ الكُتَّاب يجعلونها جيما لطيفة بغير عراقة إشارة إلى الجزم . ٥

الثانيــــة

علامــة الفتــح

أما المتقدّمون فإنهم يجعلون علامة الفتح نُقْطَةً بالحمرة فوق الحرف . فإن أُتْبعت حركة الفتح تنوينا، جعلت نقطتين ، إحداهما للحركة ، والأخرى للتنوين . ١٠

والمتأخرون يجعلون علامتها ألفا مضطجعة . لما تقدّم من أن الألف علامة الفتح فى الأسماء المعتلة ورسموها بأعلى الحرف موافقة للمتقدّمين فى ذلك ، وسَمَّوْا تلك الألف المضطجعة نَصْبة أخذا من النصب ، ويجعلون حالة التنوين خطتين مضطجعتين من فوقه كما جعل المتقدّمون لذلك نقطتين ، وعبّروا عن الخطتين بنصبتين .

قال الشيخ عماد الدّين بن العفيف رحمه الله : ويكون بينهما بقدر واحدة منهما . ١٥

الثالثــة

علامــة الضــم

أما المتقدّمون فإنهم يجعلون علامة الضمة نقطة بالحُمْرَة وسط الحرف أو أمامه، فإن لحق حَركَةَ الضم تنوينٌ، رسموا لذلك نقطتين : إحداهما للحركة ، والأخرى للتنوين على ما تقدّم فى الفتح . ٢٠

وأما المتأخرون فإنهم يجعلون علامة الضمة واوا صغيرة ، لما تقدّم أن الواو من علامة الرفع فى الأسماء المعتلة ، وسَمَّوْها رفعة لذلك ، و رسموها بأعلى الحرف ولم يجعلوها فى وسطه كيلا تَشين الحرف ، بخلاف المتقدّمين لمخالفة اللون ولطافة النقطة . فإن لحق حركة الضم تنوينٌ رسموا لذلك واوا صغيرة بخَطّة بعدها : الواوُ إشارة للضم ، والخَطّة إشارة للتنوين ، وعبروا عنهما برفعتَين . و بعضهم يجعل عوض الخطة واوا أخرى مردودة الآخر على رأس الأولى .

الرابعــــة

علامــــة الكسر

والمتقدّمون يجعلون علامة الجرّة نقطة بالحُمْرة تحت الحرف . فإن لحق حركةَ الكسر تنوين رسموا لذلك نقطتين .

والمتأخرون جعلوا علامة الكسر شَظيّةً من أسفل الحرف إشارة إلى اليـاء التى هى علامة الجر فى الأسماء المعتلة على ما مرّ ، وسَمَّوْا تلك الشَّظِيَّةَ خَفْضَةً ، أخذًا من الخفض الذى هو لقب الكسر ، ولم يخالفوا بينهـا و بين علامة النصب لاختلاف محلهما . فإن لحق حركة الكسر تنوين رسموا له خطتينٌ من أسـفله : إحداهمـا للحركة ، والأخرى للتنوين .

الخامســـــة

علامــــة التشـــديد

والمتقدّمون آختلفوا : فمذهب أهل المدينـة أنهم يرسُمُون علامة التشديد على هذه الصورة [٧ $\frac{٧}{٨}$](١) ولا يجعلون معها علامات الإعراب بل يجعلون علامة الشدّ مع الفتح فوق الحرف ، ومع الكسر تحت الحرف ، ومع الضم أمام الحرف .

(١) الزيادة عن كتاب المقنع فى رسم المصحف . ومحلها بياض فى الأصل والضوء .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وعليه عامّة أهل بلدنا . قال : ومنهم من يجعل مع ذلك نقطةً علامة للإعراب، وهو عندى حَسَن .

وعامّة أهل الشرق على أنهم يرسُمُون علامة التشديد صورة شين من غير عراقة على هذه الصورة (س) كأنهم يريدون أوّل شديد ، ويجعلون تلك العلامة فوق الحرف أبدا ويُعْرِبونه بالحركات . فإن كان مفتوحا جعلوا مع الشدّة نقطة فوق ٥ الحرف علامة الفتح، وإن كان مضموما جعلوا مع الشدّة نقطة أمام الحرف علامة الضم ، وإن كان مكسورا جعلوا مع الشدّة نقطةً تحت الحرف علامة الكسر . وعلى هذا المذهب ٱستقرّ رأىُ المتأخرين أيضا ؛ غير أنهم يجعلون بدل النقط الدالة على الإعراب علامات الإعراب التى ٱصطلحوا عليها من النصبة ، والرفعة ، والخفضة . فيجعلون النصبة والرفعة بأعلى الشدّة، ويجعلون الخفضة بأسفل الحرف ١٠ الذى عليه الشدّة ، وبعضهم يجعلها أسفل الشدّة من فوق الحرف . ولا فرق فى ذلك بين أن يكون المشدّد من كلمة واحدة أو من كلمتين كالإدغام من كلمتين .

السادسة

علامة الهمزة

والمتقدّمون يجعلونها نقطة صفراء ليخالفوا بها نقط الإعراب كما تقدّم فى كلام ١٥ الشيخ أبى عمرو الدانىّ رحمه الله : ويرسُمُونها فوق الحرف أبدا ، إلا أنهم يأتون معها بنقط الإعراب الدالة على السكون والحركات الثلاث بالحُمْرة على ما تقدّم . وسواء فى ذلك كانت صورة الهمزة واوا أو ياء أو ألفا ؛ إذ حق الهمزة أن تلزم مكانا واحدا من السطر ، لأنها حرف من حروف المعجم . والمتأخرون يجعلونها عينا بلا عراقة ، وذلك لقرب مخرج الهمزة من العين ، ولأنها تمتحن بها كما سيأتى . ٢٠

ثم إن كانت الهمزة مصوّرة بصـورة حرف من الحـروف، فإن كانت الهمزة ساكنة، جعلت الهمزة من أعلى الحرف مع جزمة بأعلاها . و إن كانت مفتوحة ، جعلت بأعلى الحرف أيضا مع نصبة بأعلاها . و إن كانت مضمومة ، جعلت بأعلى الحرف مع رفعة بأعلاها . و إن كانت مكسورة، جعلت بأسفل الحرف مع خفضة بأسفلها . ور بمـا جعلت بأعلى الحرف والخفضة بأسفله .

وقد ٱختلف القدماء من النحويين فى أىّ الطَّرَفين من اللام ألف هى الهمزة . فحكى عن الخليل بن أحمد رحمه الله أنه قال : الطَّرَف الأوّل هو الهمزة، والطَّرَف الثانى هو اللام .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : و إلى هـذا ذهب عامّة أهل النقط ؛ وٱستدلوا على صحة ذلك بأن رسم هـذه الكلمة كانت أوّلا لاما مبسوطة فى طرفها ألف على هذه الصورة "لـــا" كنحو رسم ما أشبه ذلك ممـا هو على حرفين من سائر حروف المعجم مثل "يا، وها" وما أشبههما إلا أنه ٱستثقل رسم ذلك كذلك فى اللام ألف خاصةً لاعتدال طرفيه لمشابهة كتابة الأعاجم فحسن رسمه بالتضفير فضم أحد الطرفين إلى الآخر فأيهما ضم إلى صاحبه كانت الهمزة أُولى ضرورةً . وتعتـبر حقيقة ذلك بأن يُؤخَذ شىء من خيط ونحوه فيُضَفَّر و يخرج كل واحد من الطرفين إلى جهـة ، ثم يقام الطرفان فيتبين من الوجهين أن الأوّل هو الثانى فى الأصل ، وأن الثانِى هو الأوّل لا محالة فى التضفير .

وأيضا فقد ٱتفق أهل صـناعة الخط من الكُتَّاب القدماء وغيرهم على أنه يُرسَم الطَّرَف الأيسر قبـل الطَّرَف الأيمن، ولا يخالف ذلك إلا من جهل صناعة الرسم إذ هو بمنزلة من ٱبتدأ برسم الألف قبل الميم فى "ما" وشبهه ممـا هو على حرفين ؛

فثبت بذلك أن الطرف الأوّل هو الهمزة، وأن الطرف الثانى هو اللام ، إذ الأوّل فى أصل القاعدة هو الثانى ، والثانى هو الأوّل على مامرّ؛ وإنما آختلف طرفاها من أجل التضفير .

وخالف الأخفش ، فزعم أن الطرف الأوّل هو اللام ، والطرف الثانى هو الهمزة ، وآستشهد لذلك بأن ماتُلفظ به أوّلا هو المرسوم أوّلا وما تُلفِّظ به آخرا هو المرسوم آخرا ، ونحن إذا قرأنا لأنت ولأنه ونحوهما لفظنا باللام أوّلا ثم بالهمزة بعدها . ونازعه فى ذلك الشيخ أبو عمرو الدانىّ . والحق أن ذلك يختلف بآختلاف اللام ألف على مارتبه متأخرو الكُتّاب الآن . ففى المضفورة على ما تقدّم ، وفى المصوّرة بهذه الصورة "لا" بالعكس .

وإن كانت الهمزة غير مصوّرة بحرف من الحروف كالهمزة فى جزء وخَبْء ، جعلت العلامة فى محل الهمزة من الكلمة مع علامة الإعراب : من سكون ، وفتح ، وضم ، وكسر . فإن عرض للهمزة مع حركة من الحركات الثلاث تنوينٌ ، جعل مع الهمزة علامة التنوين : من نصبتين أو رفعتين أو خفضتين على مامرّ فى غير الهمزة .

قال الشيخ أبو عمرو الدانىّ رحمه الله : وتمتحن الهمزة فى موضعها من الكلام بالعين ، فحيث وقعت العين وقعت الهمزة مكانها ، وسواء كانت متحركة أو ساكنة لحقها التنوين أو لم يلحقها ، فتقول فى آمنوا عامنوا ، وفى وءاتى المال وعاتى المال ، وفى مستهزئين مستهزعين ، وفى خاسئين خاسعين ، وفى مبرّءون مبرعون ، وفى متكئون متكعون ، وفى ماء ماع ، وفى سوء سوع ، وفى أولياء أولياع ، وفى تَنُوء تنوع ، وفى لتَنُوء لتنوع ، وفى أن تبوّءا أن تبوّعا ، وفى تَبُوء تبوع ، وفى مِنْ شاطِئِ من شاطع ، وكذلك ما أشبهه حيث وقع فالقياس فيه مطّرد .

السابعـــة

علامة الصلة فى ألفات الوصل

أما المتقدّمون فإنهم رسموا لها جرّة بالحمرة فى سائر أحوالها، وجعلوا محلها تابعا للحركة التى قبل ألف الوصـــل . فإن وليها فتحة كما فى قوله تعالى : "تَتَّقُونَ ٱلَّذِى" جعلت الصلة جرّة حمراء على رأس الألف على هذه الصورة (آ) وإن وليها كسرة كما فى قـــوله تعالى : "رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ" جعلت الصلة جرّة حمراء تحت الألف على هـــذه الصورة (اِ) وإن وليها ضمة كما فى قوله تعالى : "نَسْتَعِينُ ٱهْدِنَا" جعلت الصـــلة جرّة حمراء فى وسطها على هذه الصورة (+) . فإن لحق شيئا من الحركات التنوينُ جعلت الصـــلة أبدا تحت الألف، لأن التنوين مكســـور للساكنين ما لم يأت بعد الساكن الواقع بعد ألف الوصل ضمةٌ لازمة نحو قوله تعالى : "فَتِيلاً ٱنْظُرْ" و"عُيُونٍ ٱدْخُلُوهَا" . قال بعضهم : بضم التنوين فتجعل الجرّة على ذلك فى وسط الألف .

وأما المتأخرون [فإنهم رسموا لذلك صادا لطيفـــة إشارة إلى الوصل][1] وجعلوها بأعلى الحرف دائمـــا ولم يراعُوا فى ذلك الحركاتِ، اكتفاءً باللفظ .

تنبيـــــــــه

قد تقدّم فى ... ...[2] الأوّل من الهجاء أن اللفظ قد يتعين فى الهجاء إلى الزيادة والنقصان، ولا شَكَّ أن الشكل يتغير بتغير ذلك، ونحن نذكر من ذلك ما يختص بالهجاء العرفىّ دون الرسمىّ باعتبار الزيادة والنقص .

---

(١) الزيادة عن "ضوء الصبح" ومحلها بياض بالأصل .

(٢) بياض فى الأصل .

أما الزيادة، فمثل أُولئك، وأُولُو، وأولات ونحوها .

قال الشيخ أبو عمرو الدانيّ : وسبيلك أن تجعل علامة الهمزة نقطة بالصُّفْرَةِ في وسط ألف أولئك وأولو وأولات، وتجعل نقطة بالحُمْرَةِ أمامها في السطر لتدل على الضمة . قال : وإن شئت جعلتها في الواو الزائدة، لأنها صورتها، وهو قول عامّة أهل النقط . هذه طريقة المتقدّمين .

أما المتأخرون، فإنهم يجعلون علامة الهمزة على الواو وهو مخالف لما تقدّم من آعتبار الهمزة بالعين فإنها لو آمتحنت بالعين، لكان لفظها.عولئك وكذلك البواقي .

وأما النقص فمثل النبيِّين إذا كتبت بياء واحدة، وهؤلاء، وياءادم إذا كتبتا بحذف الألف بعد الهاء في هؤلاء والألف الثانية في ياءادم فترسم علامة الهمزة من النقطة الصفراء وحركتها على رأي المتقدّمين، وصورة العين على رأي المتأخرين قبل الياء الثانية في النبيين . وتجعل ذلك على الألف الثانية في ياآدم لأنها صورتها وعلى الواو في هؤلاء لأنها صورتها .

ووراء ما تقدّم من الشكل أمور تتعلق بالإدغام، والإظهار، والإخفاء، والإقلاب، والمدّ وغيرها : من متعلقات القراءة ليس هذا موضع ذكرها ؛ والله أعلم.

فائـــدة

قال الشـيخ عماد الدين بن العفيف رحمه الله : ولا بدّ من تناسب الشـكل والنقط وتناسب البياضات في ذلك للحروف .

الفصـــل الرابـــع
من البـاب الثـانى من المقـالة الأولى
في الهجاء ؛ وفيـــه مقصـدان

المقصــــد الأوّل
في مصطلحه الخاص ؛ وهو على ضربين

الضـــرب الأوّل
المصــــطلح الـــرسمىّ

وهو ما آصطلح عليه الصحابة رضوان الله عليهم فى كتابة المصحف عنـد جمع القرءان الكريم، على ما كتبه زيد بن ثابت رضى الله عنـه ، ويسمّى الأصـطلاح السَّلَفِى أيضا ، ونحن نورد منه ما جرّ إليه الكلام ، أو وافق المصطلح العرفىّ .

الضـــرب الثـانى
المصــــطلح العَــرُوضِىّ

وهو ما آصطلح عليــه أهل العَرُوض فى تقطيع الشعر ؛ وآعتمادهم فى ذلك على ما يقع فى السمع دون المعنى ، إذ المعتـدّ به فى صـنعة العَرُوض إنمـا هو اللفظ ، لأنهم يريدون به عدد الحروف التى يقوم بها الوزن متحرّكا وساكنا فيكتبون التنوين نونا ، ولا يُرَاعون حذفها فى الوقف ، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين ، ويحذِفُون اللام وغيره ممـا يدغم فى الحـرف الذى بعـده : كالرحمن والذاهب والضارب ، ويعتمدون فى الحروف على أجزاء التفعيل ، فقـد تنقطع الكلمة بحسب ما يقع من تبيين الأجزاء كما فى قول الشاعر :

سَتُبْدِى لَكَ الأيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا * ويَأتيكَ بِالأخبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فيكتبونه على هذه الصورة :

سَتُبْدِى، لَكَالأَيْيَا، مُمَا كُنْ، تَجَاهِلَنْ * وَيَأْتِى، كَبَالأَخْبَا، رِمَلَّمْ، تُزَوِّدِى

المقصد الثانى

فى المصطلح العام

وهو ما اصطلح عليه الكُتَّاب فى غير هذين الاصطلاحين .

وهو المقصود من الباب؛ وفيه جملتان

الجملة الأولى

فى الإفراد، والحذف، والإثبات، والإبدال، وفيه مُدْرَكان

المُدْرَك الأوّل

فى بيان الأصل المعتمد فى ذلك، وما يكتب على الأصل

واعلم أن الأصل فى الكتابة مطابقة المنطوق المفهومَ ، وقد يزيدون فى وزن الكلمة [ما ليس فى وزنها ليفصلوا بالزيادة بينه و بين المشبه له ، وينقصون من الكلمة][(1)] عمّا هو فى وزنها استخفافا واستغناء بما أبقى عما انتقص إذا كان فيه دليل على مايحذفون، كما أن العرب تتصرف فى الكلمة بالزيادة والنقصان، ويحذفون ما لا يتم الكلام فى الحقيقة إلا به استخفافا و إيجازا إذا عرَف المخاطَب ما يقصدون .

قال ابن قتيبة : ورُبَّما تركوا الاشتباه على حاله ، ولم يفصلوا بين المتشابهين واكتفَوْا بما يدل عليه من متقدّم أو متأخر : كقولك للرجل الواحد : يغزوا،

(١) الزيادة "عن أدب الكاتب" و "ضوء الصبح" .

وللاثنين لن يَغْـزُوا ، وللجميع لن يغزوا بالواو والألف فى الجميع من غير تفريق بين الواحد والاثنين والجمع ، وبَقُّوه على أصله .

إذا علمت ذلك ، فالمكتوب على المصطلَح المعروف هو على قسمين :

القســـم الأوّل

ما له صورة تخصّه من الحروف ؛ وهو على ضربين

الضـــرب الأوّل

ما هو على أصله المعتبر فيه ذوات الحروف وعددها بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها ، سواء بقِيَ لفظه على حاله أم انقلب النطق به إلى حرف آخر فيكتب لفظ "إمَّحى" بغير نون بعد الألف ، وإن كان أصله انمحى على وزن انفعـل من المحو ، لأن الإدغام من كلمـة واحدة ؛ بخلاف ما إذا كان الإدغام من كلمتين ؛ فيكتب لفظ "مِنْ مالٍ" بنون فى مِنْ منفصـلةً من ميم مَالٍ وإن كانت النون الساكنة تدغم فى الميم .

ويكتب لفظ خَنْقٍ مصدر خَنَق[1] ولفظ أَنْتَ وما أشبهها بنون ، وإن كانت النون مُخْفاة فى القاف من خَنْقٍ وفى التاء من أنت . وكذلك حالة التركيب نحو مِن كَافِرٍ .

ويكتب عَنْبَرٌ وما أشبهها بنون أيضـا وإن كانت النون الساكنة تنقلب عند الباء ميما ؛ وكذلك فى حالة الـتركيب نحو مِنْ بَعْـد . ويكتب مثل اضربوا القوم ويغزو الرجل بواو ، وكذلك كلُّ ما فيه حرف مدّ حذف لساكن يليه لأنه لولا التقاء الساكنين لثبتت هـذه الواو لفظا . ويكتب أنا بألف بعد النون وإن كانت فى وصل الكلام لا إشبـاع فى الفتحة لأن الوقف عليـه بألف . ومن أجل ذلك

(١) فى المصباح أن فعل خنق من باب قتل ومصدره ككتف ويسكن للتخفيف .

كتبت ﴿ لَكِنَّا هُوَ اللهُ ﴾ بألف بعـد النون فى لكنا إذ أصـله لكِنْ أنا . ويكتب المنوّن المنصوب مثل زيدا وعمرا من قولك : رأيت زيدا وضربت عمرا بالألف لأنه يوقف عليه بالألف بخـلاف المنوّن المرفوع والمجـرور نحو جاء زيد ومررت بزيد، إذ الوقف عليه بحذف نون التنوين وإسكان الآخر على الصحيح . وتكتب إذًا المنوّنة بالألف على رأى المـازنى رحمه الله ومَنْ تابعه، لأن الوقف عليها بالألف لضَعْفها، والمبرِّد والأكثرون على أنها تكتب بالنون . قال الأستاذ ٱبن عُصْفُورٍ : وهو الصحيح، لأن كل نون يوقف عليها بالألف كتبت بالألف وما يوقف عليها نفسها كما توصل كتبت بالنون وهذه يوقف عليها عنده بالنون؛ وأيضا فإنهـا إذا كتبت بالنون كانت فرقا بينهـا وبين إذًا الطرفية لئلا يقع الإلباس . وفصّل الفرّاء فقال : إن أُلغيت كتبت بالألف، وإن أُعْملت كتبت بالنون لقوّتها . ويحكى عن أبى العبّـاس محمد بن يزيد أنه كان يقول : أشتهى أن أكْوِىَ يَدَ من يكتب إذَنْ بالألف لأنها مثل أَنْ ولَنْ، ولا يدخل التنوين فى الحروف .

ويكتب نحو لَنَسْفَعًا بالألف لأن الوقف عليها بالألف، وكذلك يكتب اِضْرِبًا زيدا ولا تَضْرِبًا عمرا بالألف على رأى من آدّعى أنه الأكثر، ووجَّهَهُ بأن النون الخفيفة تنقلب ألفًا إذا كان ما قبلها مفتوحا فى الوقف .

وذهب بعضهم إلى أنهـا تكتب بالنون تشبيهـا[1] لنونه بنون الجمع نحو اِضْرِبُنْ للجمع المـذكور وبه جزم الشيخ أثير الدين أبو حَيَّانَ . ووجَّهَهُ بأنه لو كتب بالألف لالتبس بأمر الآثنين ونهيهما فى الخط، وإن كنتَ إذا وقفتَ عليه وقفتَ بالألف، فلم تُرَاعَ حالة الوقف فى ذلك، لأن الوقف منع من آعتباره ما عرض فيه من كثرة

(١) أى تشبيها لنون التوكيد التى فى الفعل المسند إلى المفرد بنون التوكيد التى فى الفعل المسند إلى الجمع .

الإلباس، لأنهم لو أرادوا (على الوقف بالألف) كتابتَه بالألف، كَثُرَ اللّبْسُ بالوقف والخط، فتجنبوا ما كثر به الإلباس. و يكتب كل آسم فى آخره ياء نحو قاضى وغازى وداعى وحادى وسارى ومُشْتَرِى ومُهْتَدِى ومُسْتَدْعِى ومُفْتَرِى فى حالتى الرفع والجرّ بغير ياء، كما فى قولك : جاء قاضٍ ومررت بقاضٍ، وكذا فى الباقيـات؛ وفى حالة النصب باليـاء مع زيادة ألِف بعـدها كما فى قولك : رأيتُ قاضيـاً وغازيا وداعيا وما أشبهه .

و إن كان جَمْعاً ، فإن كان غير منصرف كُتِبَ فى حالتى الرفع والخفض بغير ياء على ما تقدّم .

فيُكْتَبُ فى الرفع هؤلاء جوارٍ وغواشٍ وسَـوَارٍ ودَواعٍ، وفى الخفض مررت بجَوَارٍ وسَوَارٍ وغواشٍ ودواعٍ بغير ياء فى الحالتين .

و يكتب فى النصب بالياء إلا أنه لا تزاد الألف بعدها، فتكتب رأيت جوارىَ وسوارىَ ودواعِىَ .

فإذا دخلت الألف واللام فى جميع هذه الأسماء، أثبتت فيها الياء سواء المنصرف وغير المنصرف، فيكتب هذا الداعى والغازى والقاضى والمستدعى وهؤلاء الجوارى والسوارى والدواعى بالياء فى الجميع .

قال آبن قتيبة : وقد يجوز حذفها، وليس بمستعمل إلا فى كتابة المصحف .

و يكتب نحو : رَهْ أمرا بالرؤية، ولم يَرَهْ نفيا للرؤية، وقِهْ أمرا بالوقاية، ولم يقِهْ نفيا لذلك وما أشبهه بالهاء و إن كانت الهاء تسقط منه حالة الدَّرْج، لأن الوقف عليها بالهاء. وكذلك قولهم : مِمَّهْ[1] أتيت، و مجِىءَ مَهْ جئتَ، لأن الوقف على ما الآستفهامية بعد حذف ألفه بالهاء فيكتب بالهـاء، بخلاف ما إذا وقعت ما المحذوف ألفها بعد

(١) فى الأصل والضوء : « مه أنت » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

الجار نحو : حَتَّامَ وإلَامَ وعَلَامَ ، فإنه لا تلحقها الهاء لشدّة الاتصال فلا تكتب بالهاء .
وتكتب تاء التأنيث فى نحو : رحمة ونعمة ونقمة وقسمة وخدمة وطلحة وقمحة بالهاء ،
لأن الوقف عليها بالهاء على الصحيح ؛ و بعضهم يقف عليها بالتـاء ، وهى لغة قليلة
فتكتب بالتاء موافقةً للوقف . وقد وقع فى رسم المُصْحَف الكريم مواضعُ من ذلك
نحو قوله تعالى : ﴿ أَفَبِنِعْمَتِ اللهِ يَكْفُرُونَ ﴾ كتبوا أَفَبِنِعْمَتْ بالتاء ، والأكثر ما تقدّم . ٥

قال ابن قتيبة : وأجمع الكُتَّابُ على كتابة السَّـلامُ عليكَ ورحمت الله و بركاته
فى أوّل الكتاب وآخره بالتاء . قال : فإن أضفت تاء التأنيث إلى مضمر ، صارت تاء
فتكتب شَجَرتك وناقتك ورحمتك وما أشبهه بالتاء .

أما أخت و بنت ، وجمعُ المؤنث السالمُ مثل : قائمات وصائمات وتائبات ، وتاءُ
التأنيث الساكنةُ فى آخر الفعل نحو : قامتْ وقعدتْ ، وما أشـبه ذلك ، فإنه يكتب ١٠
جميع ذلك بالتاء لأن الوقف عليها بالتاء .

قال ابن قتيبة : وهَيْهَاتَ يوقف عليها بالهاء والتاء ، والإجماع على كتابتها بالتاء
ثم اللفظ الذى يكتب على نوعين :

النـــوع الأوّل

أن يكون اسما لحرف من حروف الهجاء ؛ وهو على وجهين : ١٥

الوجـــه الأوّل

أن يكون اسما قاصرا على الحرف لم يُسَمَّ به غيره ؛ وله حالان

أحدهما — أن يقصد اسم ذلك الحرف لا مُسَمَّاه فيكتب الملفوظ به نحو : جيم
إذا سئل كتابته فيكتب بجيم و ياء وميم .

الثـانى ــ أن يقصد مسماه لا آسمه فيجب الاقتصار فى الكتابة على أول حرف فى الكلمة، و يكتب بصورة ذلك الحرف مثل : قٓ نٓ صٓ، ولذلك كتبت الحروف المفتتح بها السور على نحو ما كتبوا حروف المعجم . وذلك لأنهم أرادوا أن يضعوا أشكالا لهذه الحروف تميز بها، فهى أسماءٌ مدلولاتها أشكال خَطِّية، ولو لم يضَعُوا لها هذه الأشكال الخطية، لم يكن للخط دلالة على المنطوق . ولو آقتصروا على كتبها على حسب النطق ولم يضعوا لهـا أشكالا مفـردة تميز بها لم يمكن ذلك، لأن الكتابة بحسب النطق متوقفـةٌ على معـرفة كل حرف حرف وشكلُ كل حرف حرف غير موضوع ، فآستحال كتبها على حسب النطق . ألا ترى أنك إذا قيل لك : آكتب جيم، عين، فاء، راء، فإنما تكتب هذه الصورة "جعفر" والملفوظ بلسان الآمر بالكتابة جيم والمكتوب ج . ولو كان تصوير اللفظ بصور هجائه، لكان المكتوب "جيم" كالملفوظ على قياس غيره من الألفاظ .

و يشهد لذلك ما حكِىَ أن الخليل رحمـه الله قال يوما لطلبته : كيف تنطِقون بالجيم من جعفر؟ فقالوا جيم فقال : إنمـا نطقتم بالآسم ولم تلفِظوا بالمسئول عنه، ثم قال : الجواب جَه لأنه المسمَّى من الكتاب (يريد جيما مفتوحة، و إنما أتى فيها بالهاء ليمكن الوقف عليها) .

الوجـــه الثـانى

ألّا يكون الآسم قاصرا على الحرف بأن يسمَّى به غيره أيضا كما إذا سُمِّىَ رجل بقاف أو بياسين، فللكُتّاب فيه مذهبان :

أحدهما ــ أن تكتب صورة الحرف هكذا قٓ و يسٓ .

والثانى ــ أن يكتب الملفوظ به هكذا "قاف" و"ياسين" وهو آختيار أبى عمرو بن الحاجب رحمه الله .

النـــوع الثـانى

ألّا يكون آسما لحرف من حروف المعجم ، وهو على وجهين أيضا

الوجـــه الأوّل

أن يكون له معنًى واحدٌ فقط

فيكتب هكذا (زيد) إذا طلب كتابة زاى، ياء،[1] دال .

٥

الوجـــه الثـانى

أن يكون له أكثر من معنى واحد

فيكتب بحسب القرينة كما إذا قيل لك : آكتب شعرا فإن دلت القرينة على أن المراد هذا اللفظ كتب هكذا (شعرا) وإلا فيكتب ما ينطبق عليه الشعر إذ هو معنى الشعر .

١٠

الضـــرب الثـانى

ما تغير عن أصله ، وهو على ثلاثة أنواع

النـــوع الأوّل

ما تغير بالزيادة . والزيادة تقع فى الكتابة بثلاثة أحرف

الحـــرف الأوّل

١٥

الألف ، وتزاد فى مواضـــع

(منها) تزاد بعد الميم فى مائة فتكتب على هذه الصورة (مائة) فرقا بينها وبين مِنْهُ وإنمــا كانت الزيادة من حروف العــلة دون غيرها لأنها تكثر زيادتها ، وكان حرف العلة ألفا لأنها تشبه الهمزة ، ولأن الفتحة من جنس الألف . ولم تكن الزيادة ياء ، لأنه يستثقل فى الخط أن يُجْمَعَ بين حرفين مثلين فى موضع مأمون فيه اللبس .

---

(١) عبارة الضوء : فان كان له معنى (أى واحد) كتب على هذه الصورة "زيد" وهى أوضح .

٢٠

ألا ترى إلى كتابتهم خَطِيئة على وزن فَعيلة بياء واحدة ولو كتبت على صيغة لفظها، لوجب أن تكتب بياءين ياء لبناء فعيلة، وياء هي صورة الهمزة . ولم تكن الزيادة واوا لآستثقال الجمع بين الياء والواو،وجُعِلَ الفرق في مائة ولم يجعل في منه لأن مائة آسم ومنه حرف والآسم أحمل للزيادة من الحرف،ولأن المـائة محذوفة اللام بدليل
٥ قولهم : أمْأَيت الدراهم، بجعل الفرق في مائة بدلا من المحذوف مع كثرة الآستعمال؛ ثم آختلف في المثنّى منه فقيل لا يزاد في مائتين لأن موجب الزيادة اللبس ولا لَبْس في التثنية، والراجح الزيادة كما في الإفراد، لأن التثنية لا تغير الواحد عما كان عليه .

أما في حالة الجمع ، فقـد آتفقوا على منع الزيادة فكتبوا "مئين ومئات" بغير ألف بعد الميم، لأن جمع التكسير يتغير فيه الواحد، وجمع السلامة ربما تغير فيه
١٠ أيضا فغلبت .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : وقد رأيت بخط بعض النحاة "مأة" على هذه الصورة بألف عليها نبرة الهمزة دون ياء. قال: وكثيرا ما أَكْتُبُ أنا "مئة" بغير ألف كما تكتب "فئة" لأن كَتْبَ مائة بالألف خارج عن القياس. فالذى أختاره أن تكتب بالألف دون اليـاء على وجه تحقيق الهمزة، أو بالياء دون الألف على
١٥ وجه تسهيلها .

(ومنها) تزاد بعد واو الجمع المتطرّفة في آخر الكلمة إذا آتصلت بفعل ماض أو فعل أمر مثل ضَرَبُوا وآضْربوا وما أشبههما، فتكتب بألف بعد الواو. وسَمَّى آبن قتيبة هذه الألفَ ألفَ الفصل لأنها تفصل بين الفعل[(١)] كى لا تلتبس الواو في آخر الفعل بواو العطف . فإنك لو كتبتَ أَوْرَدُوا وصدَرُوا مثلا بغير ألف ثم آتصلت بكلام

٢٠ (١) لعل الأظهر لأنها تفصل بين الفعل وما بعده من الكلام .

بعدها، ظن القارئ أنها واو العطف . ولمّا فعلوا ذلك فى الأفعال التى تنقطع واوُها عن الحرف كالفعلين المتقدّمين، فعلوا ذلك فى الأفعال التى تتصل واوُها بالحرف قبلها نحو كانوا و بانوا ليكون حكم هذه الواو فى جميع المواضع واحدا . أما إذا لم تقع طَرَفا فى آخر الكلام نحو : ضربوهم وكَالُوهُمْ ووَزَنُوهُمْ ، لم تلحق به الألف . فلو آتصلت واو الجمع المذكورة بفعل مضارع نحو : لن يضربوا ولن يذهبوا . فمذهب بعض البَصْريِّينَ أنه لا تلحقها الألف . ومذهب الأخفش لُحوقُها كالماضى والأمر .

ولو آتصلت بآسم نحو: ضاربوهم وضاربو زيد. فمذهب البَصْريِّينَ أنها لا تُلْحَق بل يجعل الآسم تلو الواو . ومذهب الكوفيين أنها تلحق فيكتبون ضارِبُوا زيد وقاتِلُوا عمرو وهُمُوا بألف بعد الواو فى الجميع، والراجح الأوّل .

(ومنها) زادها الفرّاء فى يدعو و يغزو فى المفرد حالة الرفع خاصّةً تشبيها بواو الجمع وأطلق آبن قتيبة النقل عن بعض كُتّاب زمانه بأنها لا تُلْحَق فى مثل ذلك ، لأن العلة التى أُدخِلتْ هذه الألف لأجلها فى الجمع لا تلزم هنا، لأنك إذا كتبتَ الفعل الذى تتصل واوه به من هذا الباب مثل : أنا أرجو وأنا أدعو، لم تشبه واوُه واوَ العطف أيضا إلا بأن تزيل الكلمة عن معناها، لأن الواو من نفس الفعل لا تفارقه إلا فى حال جزمه، والواو فى صَدَرُوا ، ووردُوا واوُ جمع مكتفٍ بنفسه يمكن أن يجعل للواحد ونتوهم الواو عاطفةً لشىء عليه . قال : وقد ذهبوا مذهبا . غير أن متقدّمى الكُتّاب لم يزالوا على إلحاق ألف الفَصل بهذه الواوات كلها ليكون الحكم فى كل موضع واحدا .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : وفَصَّل الكسائى فى حالة النصب فقال : إن لم يتصل به ضمير نحو [لن يدعو كتب بألف، و إن آتصل به ضمير نحو](1) لن يدعوك، كتب بغير ألف فرقا بين الحالين .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(ومنها) تزاد شــذوذا بعد الواو المبدَلة من الألف فى الرِّبو[١] فتكتب بألف بعد الواو على هــذه الصورة (الربوا) تنبيهــا على أن الأصل يكتب بالألف . ووجه الشذوذ أنه من ذوات الواو فكان قياسه أن يكتب بالألف .

وقد زيدت فى مواضع من المصحف، كما فى قوله تعالى : ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا هَلَكَ﴾ تنبيهــا على أنه كان ينبغى أن تكون صورة الهمزة ألفا على كل حال ولا يعتدّ بالضم والكسرة إذ اللغة الأصلية فيها إنما هى فتح الراء دائما، والقياس كتابته بصورة الحركة التى قبل الهمزة، وكذلك كتبوا "لَا أَوْضَعُوا" بزيادة ألف بعد اللام ألف، وذلك مختص برسم المصحف الكريم دون غيره فلا يقاس عليه؛ والله أعلم .

الحــرف الثـانى

الواو، وتزاد فى مواضع أيضـا

(منهـا) تزاد فى عمرو بعد الراء إذا كان عَلَمًا فى حالتى الرفع والجرّ فرقا بينه و بين عُمَرَ . وكانت الزيادة واوا ولم تكن ياء لئلا يلتبس بالمضاف إلى ياء المتكلم، ولا ألفا لئــلا يلتبس المرفوع بالمنصوب . وجعلت الزيادة فى عمرو دون عُمَـرَ، لأن عَمْرا أخفُّ من عُمَر من حيث بناؤه على فَعْل ومن حيث ٱنصرافُه . أما فى حالة النصب فــلا تزاد فيــه الواو و يكتب عمرو بألف وعُمَرُ لا يكتب بألف لأنه لا ينصرف، وكذلك المحلَّى باللام كالعَمْر والمضاف كعَمْرِه والواقع قافية شعر كقول الشاعر :

إنَّمَـا أَنْتَ فِى سُــلَيْم كَواوٍ * أُلْحِقَتْ فِى الهِجَاءِ ظُلْمًا بِعَمْرِ

وكذلك عَمْرٌ واحد عُمُور الأسنان : وهو اللحم الذى بينهـا، وما هو بمعنى المصــدر مثل قولهم : لَعَمْرُ الله لا تزاد فيه الواو إذ لا لَبْس . ولم يفرقوا فى الكتابة بين عُمَر العَلَم وعُمَرَ جمع عُمْرَةٍ لأنهما ليسا من جنس واحد فلا يلتبسان .

(ومنها) تزاد فى أولئك بين الألف واللام فرقا بينها و بين إليك إذ حذفوا ألف أولئك الذى بعد اللام لكثرة الاستعمال فالتبست بإليك، وكانت الواو أولى بالزيادة من الياء، لمناسبة ضمة الهمزة؛ ومن الألف؛ لاجتماع صورتى الألف، وهم يحذفون الواحدة، إذا اجتمعت صورتاها، وجعلت الزيادة فى أولئك دونَ إليك، لأن الاسم أحمل للزيادة من الحرف ولأن أولئك قد حذف منه الألف فكان أولى بالزيادة لتكون كالعوض من المحذوف .

قال ابن الحاجب : وحملوا أولى عليه مع عدم اللبس كما حملوا مائتين على مائة .

(ومنها) تزاد فى أُولِى وفى أُولُو بين الألف واللام، أما فى أُولِى فللفرق بينها و بين إلى، وأما فى أولو فبالحمل على أُولِى بالياء، صرح به الشيخ أبو عمرو بن الحاجب، وقاله الشيخ أثير الدين أبو حيان بحثا وادّعى أنه لم يَظْفَرْ فى تعليله بنصّ . قال : وحمل التأنيثُ فى أُولَات على التذكير فى أُولَى .

(ومنها) تزاد فى أُوَيْحِىّ تصغير أَحِى بين الألف والحاء، والتغيير يأنس بالتغيير . وجعلت الزيادة واوا لمناسبة ضمة الهمزة كما فى أولئك ونحوه . وأكثر أهل الخط لا يزيدونها لأن التصغير فرع عن التكبير وليس ببناء أصلىّ .

الحرف الثالث

الياء المثناة تحت

وتزاد فى مواضع من رسم المصحف الكريم فيكتبون قوله تعالى : ﴿ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ بياءين بين الألف والدال من قوله : "بِأَيْيْدٍ" . وقوله تعالى : ﴿من نَبَإِى الْمُرْسَلِينَ﴾ بياء بعد الألف من نبإ، وقوله تعالى : ﴿من مَلَإِيهِ﴾ و ﴿من مَلَإِيهِمْ﴾ بياء قبل الهاء فيهما . وهذا مما يجب الانقياد إليه فى المصحف اقتداءً بالصحابة

رضوان الله عليهم . أما فى غير المصحف فيكتب بأيد بياء واحدة لأن الهمزة فيه أوّل كلمـة فتصوّر ألفا كغيرها من الهَمزات الواقعة أوّلا على ما سـيأتى بيانه إن شاء الله تعالى. ويكتب من نبإ ومن ملئه ومن ملَئهم بغير ياء لأن الهمزة فى نبإ وملإ أخيرة بعد فتحة فتصوّرً ألِفا كما فى نحو: كلا وخطإ، وكذلك إذا أضيف إليه الضمير.

٥ وذهب بعضهم إلى أنها تكتب فى هذا ياء على ما يناسب حركتها سواء أضيفت نحو : من كلئه أو لم تضف نحو من الكَلَئ .

قال بعضهم : والأقيس أن يكتب ياء مع الضمير المتصل نحو : من خطئه لأنها صارت معه كالمتوسطة ويكتب ألفا إذا تطرّفت نحو : من خطإ اعتبارا بمـا يؤول إليه فى التخفيف، والله أعلم .

١٠

النـــوع الثـانى

ما يغيّر بالنقص

والنقص يقع فى الكتابة على وجهين :

الوجـــه الأوّل

مالا يختص بحرف من الحروف، وهو المدغَم

١٥ فيكتب كلُّ مشدّد من كلمـة واحدة حرفا واحدا نحو : شدّ ومدّ وادّكر ومقرّ واقشعرّ فيكتب بدال واحدة فى شدّ ومدّ وادّكر، وراءٍ واحدة فى مقرّ واقشعرّ وإن كان فى اللفظ حرفان، فإن الحرف المدغم فيما بعـده هو متلفـظ به سا كنا مدغما ، فكان قياسه أن تكتب له صورة بحسب النطق، لكنه لمـا أدغم ضَعُفَ بالإدغام، إذ صار النطق به وبالمدغم فيه نطقا واحدا فاقتصر فى الكتابة على حرف واحد ولم يجعل

٢٠ للأوّل صورة اختصارا . وسواء كان المدغم إدغام مِثْلٍ نحو : رَدَّ، أو مقارب نحو:

آطجع أصله آضطجع . وأجروا نحو : قَنَتُّ مُجرى ما هو من كلمة واحدة وإن كان من كلمتين لشدّة آتصال الفعل بالفاعل مع كون الحرفين مثلين .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : وكذلك نحو : مِمَّ وعَمَّ[1] .

الوجـــه الثـانى

ما يختص بحرف من الحروف

ويحصـــر ذلك فى خمســـة أحـــرف :

الحـــرف الأوّل

الألف ، وتحـــذف فى مواضعَ

(منهـا) تحذف مع لام التعريف إذا دخلت عليها لام الجرّ ، فيكتب لِلْقوم ولِلْغلام وللناس بلامين متواليتين من غير ألف ؛ بخلاف ما إذا دخلت عليها باء الجرّ فإنهـا لا تُحذَف ، فيكتب بالقوم وبالغلام وبالناس بألف بين الباء واللام . وإن كان فى أوّل الكلمة ألف ولام من نفس الكلمة ليستا اللتين للتعريف نحو الألف واللام فى آلتقاء وآلتفات وآلتبـاس . ثم دخلت لام الجرّ أو باؤه ثبتت الألف ، فيكتب بآلتقائنا ولِآلتفاتنا ولِآلتبـاس الأمر علىّ وبآلتباسـه ، فإن أدخلتَ ألف التعريف ولامه على الألف واللام اللتين من نفس الكلمة للتعريف ولم تَصِل الكلمةَ بلام الجرّ وبائه لم تحـذف شيئا ، فيكتب الآلتقاء والآلتفات والآلتبـاس بألفين[2] ولامين ، وكذلك إذا وصلتهما بلام الجرّ أو بائه ، فيكتب بالآلتقـاء وبالآلتفات وبالآلتباس وللآلتقاء وللآلتفات وللآلتباس .

(ومنهـا) تُحذَف بعد اللام الثانية من لفظ الله تعالى ، وبعد الميم من الرحمن إذا دخلت عليها الألف واللام ، فيكتب الله بلامين بعدهما هاء على هذه الصورة "الله"

(١) فى الأصل : «وعم وإلام » والسياق يقتضى حذف كلمة «وإلام» لأنها ليست من الباب .

(٢) فى الأصل : «بلامين» والسياق يقتضى ما أثبتناه .

وإن كانت المدّة بعد اللام الثانية توجب ألفاً بعدها ، ويكتب الرحمن بنون بعد الميم على هذه الصورة "الرحمن" وإن كانت المدّة على الميم توجب ألفا بعدها ، لأنه لا التباس فى هذين الاسمين ، ولكثرة الاستعمال . فلو تجرّدا عن الألف واللام كتبا بالألف كما قالوا : لاهِ أبوك ، يريدون لله أبوك ، فحذفوا حرف الجرّ والألف واللام وكتبوه بالألف . وكقولك : رَحمانُ الدنيا والآخرة فيكتبونه بالألف . ٥

(ومنها) تحذف بعد اللام من السلام فى عبد السلام وفى السلام عليكم ، فيكتبان على هذه الصورة : " عبد السّلٰم " و " السّلٰم عليكم " .

(ومنها) تحذف بعد اللام من ملائكة فتكتب على هذه الصورة : "ملٰئكة" .

قال أحمد بن يحيى : لأنه لا يشبه لفظ مثله ، ولكثرة الاستعمال .

١٠ (ومنها) تحذف بعد الميم من سموات ، فتكتب على هذه الصورة : "سمٰوات" .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : وعلة الحذف فيه علة الحذف فى الملائكة من كثرة الاستعمال وعدم الشبه . وأما الألف الثانية منه وهى التى بعد الواو ، فإنها لا تحذف ، لأنها دليل الجمع ، ولأنها لو حذفت لاجتمع فى الكلمة حذفان ، وقد كُتِبَتْ فى المصحف بحذف الألفين جميعا فيجب الانقياد إليه فى المصحف خاصّةً .

١٥ (ومنها) تحذف بعد اللام فى أولئك ، وبعد الذال من ذلك فيكتبان على هذه الصورة : "أولئك" و "ذلك" . فلو تجرّد أولاء وذا عن حرف الخطاب وهو الكافُ ، كتبا بالألف فيكتبان على هذه الصورة : " أولاء " و " ذا " .

(ومنها) تحذف بعد ها التنبيه إذا اتصلت بذا(١) التى للإشارة وكانت خالية من كاف الخطاب فى آخر الكلمة ، فتحذف من هذا وهذه وهؤلاء ، فيكتب الجميع بغير ٢٠ ألف ، فإن اتصلت باسم الإشارة الكاف نحو ذاك امتنع الحذف ، فيكتب بألف

(١) أى وأولاء كما يؤخذ من التمثيل .

بعد الهاء على هذه الصورة "ها ذاك" ولا يضر آختلاف حرف الخطاب بالنسبة للإفراد والجمع والتذكير والتأنيث . وأما تا و تِى فى الإشارة بتا(١) للمذكر وبتى للمؤنث، فإن الألف لا تحذف معهما إذا آتصلت بهما ها التنبيه، فيكتب هاتا وهاتى وهاتان .

وذكر أحمد بن يحيى : أنها حذفت من هأنتم وهأنا وهأنت أيضا، فتكتب بألف واحدة بعد الهاء فى جميع ذلك . قال : وهو القياس؛ وكان الأصل أن تكتب بألفين على هذه الصورة : ها أنتم وها أنا وها أنت؛ ثم تلى الهمزة . ودليل أن ألف ها قد حذفت من ها التنبيه فى غير آتصالها بذا وما والاها من رسم المصحف فى ثلاثة مواضع من القرءان الكريم فى النور ﴿ أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ وفى الزخرف ﴿ يٰأَيُّهَ السَّاحِرُ ﴾ وفى الرحمن ﴿ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ .

قال آبن قتيبة : ويكتب أيها الرجل وأيها الأمير بالألف وإن كان قد كتب فى القرءان الكريم بالألف وغير الألف لآختلافهم فى الوقف عليها .

(ومنها) تحذف من ثمانية عشر وثمانى نساء، بخلاف ما إذا حذفت الياء منها نحو ثمان عشرة وعندى من النساء ثمانٍ فإنه لا تحذف الألف، بل تكتب على هذه الصورة : "ثمان عشرة وعندى من النساء ثمان" لأنه قد حذف منه الياء فلو حذف الألف، لتوالى الحذف فيكثر؛ فمثل قول الشاعر :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ ثَمٰنِيًا وَثَمٰنِيًا * وَثَمَانَ عَشَرَةَ وَٱثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعَا

يكتب الأولان بغير ألف والثالثة بالألف . وفى ثمانين وجهان : أحدهما إثبات الألف بعد الميم فيها، لأنه قد حذف منه الياء إذ الياء فى ثمانين ليست ياء ثمانية، لأنها حرف الإعراب المنقلبُ عن الواو فى حالة الرفع، فلو حذفت الألف أيضا لتوالى فيه الحذف . والوجه الثانى الحذف، لأن الياء منه كأنها لم تحذف بدليل أنه

(١) كذا فى الضوء أيضا ولعله سهو أو سبق قلم فإن تا وتى للمؤنث كما هو واضح .

قد عاقبتها ياء أخرى فهما لا يجتمعان ، فكأن اليـاء موجودة إجراء للعاقِب مجرى المُعاقَب . وإذا قلت ثمانون بالواو، فحكمُه حكم ثمانين بالياء فى جواز الوجهين .

(ومنها) تحذَف بعد اللام من ثلاث فيكتب على هذه الصورة : "ثَلٰث" سواء كانت مفردة، نحو عنـدى ثَلٰث من البَطّ، أو مضافة نحو ثَلٰث نساء، أو مركبة نحو ثلث عشرة آمرأة ، أو معطوفة نحو ثلث وثلاثون جارية ، وحكم ثلثـة بالتاء كذلك فى جميع الصور .

وكذلك تحـذف أيضا من ثلاثين وثلاثون بالياء والواو ، فيكتبان على هـذه الصورة : "ثلثين" و "ثلثون" .

فأما ثُلاثَ المعدولُ كما فى قوله تعالى : ﴿مَثْنَى وثُلَاثَ﴾ . فقال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمـه الله : لم أقف فيـه على نَقْل . قال : والذى أختاره أن يكتب بالألف لوجهين : أحدهمـا أنه لم يكثر كثرة ثلٰث ، وثلثـة ، وثلثين ، وثلثون . والثانى أنها لو حذفت لألتبست بثلٰثٍ الذى ليس بمعدول .

قال آبن قاسم رحمه الله : وقد ذكر فى "المُقْنِـع"(١) أنه محذوف فى الرسم .

(ومنها) تحذف من — يا — التى للنـداء إذا آتصلت بهمزة نحو يا أحمـد ، يا إبراهيم يا أبا بكر، يا أبانا ، فتكتب على هذه الصورة : يٰأحمد، يٰإبراهيم ، يٰأبا بكر، يٰأبانا . ثم الأظهر أن المحذوف هو ألف يا لا صورة الهمزة .

وقال أحمد بن يحيى : المحـذوف صورة الهمزة لا الألف من يا نعم إذا كانت الهمزة المتصلة بيا كهمزة آدم آمتنع الحـذف ، وكتبت بألفين على هذه الصورة : يا آدم، لأنهم قد حذفوا ألفا من آدم لتوالى أَلِفَيْنِ، وحرف النداء مع المنادى كالكلمة الواحدة بدليل أنه لا يجوز الفصل بينهما فلو حذفت الألف من يا لآجتمع فيما هو كالكلمة الواحدة حذف أَلِفَيْنِ .

(١) هو كتاب « المقنع فى رسم المصحف » للامام أبى عمـرو الدانى ، وتوجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٣ قراءات .

أما إذا لم يلِ يا همزةٌ البتةَ نحو: يا زيد، ويا جعفر، فالذى يستعمله الكُتَّابُ فيه إثبات الألف فى يا . وفى كلام أحمد بن يحيى تجويز كتابته بغير ألف أيضا، توجيها بأنهم جعلوا يا مع ما بعدها شيئا واحدا، إذ أقاموا يا مُقَام الألف واللام بدليل أنهم لا ينادون ما فيه ألف ولام، فلا يقولون يا الرجل .

٥ (ومنها) تحذف من الحارث إذا كان عَلَمًا ودخلت عليه الألف واللام، فيكتب على هـذه الصورة : الحٰرث . أما إذا عَرِىَ عن الألف واللام، فإنه يثبت فيـه الالف لئـلا يلتبسَ بحرب بالبـاء المُوَحَّدَةِ إذ قد سمى به، وإنمـا آمتنع اللبس مع الألف واللام لأنهما إنمـا يدخلان من الأعلام على ما كان صفةً إذا أريد به معنى التفاؤل وَحْرْبٌ ليس بصفة فلم يدخلا عليـه وإن كانا قد دخلا على بعض المصادر ١٠ كالعَلَاء . وكذلك إذا كان حارث آسم فاعل من الحرث فإنه يكتب بالألف أيضا كما إذا عرى عن الألف واللام .

(ومنها) تحذف مما كثر آستعماله من الأعلام الزائدة على ثلاثة أحرف إذا لم يحذف منها شىء، سـواء كان ذلك العلم من اللغة العربية نحو : مالك، وصالح، وخالد، أو من اللغة العجمية نحو: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وهارون، وسليمان، فتكتب ١٥ على هذه الصورة: مٰلك، وصٰلح، وخٰلد، وإبرٰهيم، وإسمٰعيل، وهٰرون، وسليمٰن، بخلاف ما إذا لم يكثر آستعماله كحاتم، وجابر، وحامد، وسالم، وطالوت، وجالوت، وهاروت وماروت، وهامان وقارون، فإنها لا تحذف ألفها .

وقد حذفت فى بعض المصاحف من هاروت، وماروت، وهامان، وقارون، فكتبت على هذه الصورة : هروت، ومروت، وهمن، وقرون .

٢٠ قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمـه الله : وذكر بعض شيوخنا أن إثباتها فى نحو : صالح، وخالد، ومالك جيدٌ .

وقال أحمد بن يحيى : يجوز فيه الوجهان، وهو قضية كلام ٱبن قتيبة .

أما إذا كان العَلَمُ الذى كَثُرَ ٱستعماله على ثلاثة أحرفٍ فما دونها نحو : هَالَة[1] ولام، فإنه لا تحذف ألفه ، وكذلك إذا حذف منه شيء غير الألف نحو : إسراءيل وداود، لأنهم قد حذفوا من إسراءيل صورة الهمزة، ومن داود الواو فٱمتنع حذف الألف لئلا يتوالى الحذف .

ويلتحق بذلك فى الإثبات ما لو خيف بالحذف ٱلتباسه : كعامر، وعَبَّاس، فلا تحـذف منه الألف أيضـا ، لأنه لو كتب بغير ألف ، لٱلتبس عامر بعُمَر، وعباس بعَبْس .

(ومنها) تحذف ٱستحسانا ممـا كثر ٱستعماله ، ممـا فى آخره الألف والنون نحو شعبان، وعثمان وما أشبههما، فيكتبان على هذه الصورة "شعبٰن" و "عثمٰن" .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمـه الله : إلا أنهـم لم يحذفوا ألفَ عِمْرَان والإثبات فى نحو : شعبان حسنٌ أيضا .

قال ٱبن قتيبة : فأما شَيْطَان، ودِهْقَان، فإثبات الألف فيهما حسن . وكان القياس إذا دخلت عليهما الألف واللام أن يكتبا بغير ألف ، إلا أن الكُتَّابَ مُجْمِعُون على تَرْكِ القياس فى ذلك .

(ومنها) تحذف من كل جمع على وزن مفاعل أو وزن مفاعيل، إذا لم يحصل بالحذف ٱلتباس الجمع فيه بالواحد لموافقته له فى الصورة، بحيث لا يقع اللَّبْسُ مثل خواتم ودوانق فى وزن مفاعل؛ ومحاريب وتمـاثيل وشياطين فى وزن مفاعيل

---

(١) فى الأصل والضوء : «هالة وأوس ولام» وهو لا يتفق والسياق .

تحذف الألف فيكتب على هذه الصورة : خَواتم، ودَوانق، ومحاريب، وتَماثيل، وشَياطين، ودهاقين . إذ المفرد منها خَاتَمٌ، ودَانِقٌ، ومِحْرَابٌ، وتِمْثَالٌ، وشيطان ، ودِهْقَان، وهي لا تشابه صور الجمع فيها . بخلاف ما إذا كان يلتبس فيه الجمع بالواحد، مثل: مساكين في وزن مفاعيل جمع مِسْكين فإنه يكتب بالألف لئلا يلتبس بالواحد. فلو كان الحذف يؤدّى إلى موافقته للواحد في الصورة لكنه في غير موضع المفرد نحو: ثلاثة دراهم ، ودراهم جياد، ودراهم معدودة، حذفتْ منه الألفُ وكتب على هذه الصورة : ثلاثة دراهم، ودراهم جياد، ودراهم معدودة، لأنه لا يلتبس حينئذ. بخلاف عندى دراهم ونحوه فإنه لو حذفت الألف منه لألتبس بدرهم المفرد .

ثم الحذف في مفاعلَ ومفاعيلَ على ما تقدّم إنما هو على سبيل الجواز، وإلا فالإثبات أَجْوَدُ .

وشَرط بعض المغاربة في جواز الحذف شرطا، وهو ألّا تكون الألف فاصلا بين حرفين متماثلين؛ فلا تحذَف الألف من نحو : سكاكين، ودكاكين، ودنانير، لئلا يجتمع مثلان في الخط وهو مكروه في الخط ككراهته في اللفظ .

وقد كُتِبَ في المصحف مساكين، ومساكنهم بغير ألف على هذه الصورة: مَسَٰكِينُ ومَسَٰكِنُهُمْ، وإن كان اللبس موجودا .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله : وإنما كتبتا كذلك لأنهما قد قرئا بالإفراد فكتبتا على ما يصلح فيهما من القراءة . كما كتبوا ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾ بغير ألف على هذه الصورة ﴿وَمَا يُخَٰدِعُونَ﴾ لأنه يصلح لقراءة يَخْدَعُونَ من الثلاثي .

(ومنها) تحذف الألف الأولى مما كان فيه ألفان ، مما جمع بالألف والتاء المزيدتين نحو: صالحات ، وعابدات ، وقانتات ، وذاكرات ، فتكتب على هذه الصورة : "صالِحات، وعابِدات، وقانِتاتٍ، وذاكِراتٍ" .

وكذلك تحذف من صـفات جمع المذكر السالم نحو : الصالحين، والقانتين ، فيكتب على هذه الصورة : " الصّٰلحين " و" القٰنتين " وإن لم يكن فيـه ألف أخرى حملا على المؤنث .

وقال بعض المغاربة : إن كان مع ألف الجمع ألف أخرى كالسماوات ، والصالحات ، فيختـار حذف ألف الجمع وإبقـاء الأخرى . وثبت في المصحف بحذف الألفين جميعا على هذه الصورة : "سموت، وصلحت" وكذلك سياحات، وغَيَابات . وإن كان ليس فيـه ألف أخرى فالمختار إثبات الألف كالمسلمات ، وثبت أيضا فى المصحف محذوف الألف على هذه الصورة : مسلمت .

قال : وتحذف أيضـا فى جمع المذكر السالم من الصفات المستعملة كثيرا : كالشاكرين، والصادقين، والخاسرين، والكافرين، والظالمين، وما أشبهها فى كثرة الاستعمال فتكتب على هـذه الصورة : " الشكرين، والصـدقين ، والخسرين، والكفرين، والظلمين " .

نعم إن خِيفَ اللبس فيما جمع بالألف والتاء مثل طالحات، امتنع الحذف لأنه لو حذفت الألف منه، لالتبس بطَلَحَاتٍ جمع طَلْحَةٍ . وكذلك لو خيف اللبس فيما جمع بالواو والنون، نحو حاذرين، وفارهين، وفارحين . فلو حذفت الألف منه، لالتبس بحَذِرين، وفَرِهين، وفَرِحين؛ وهما مختلفان فى الدلالة، لأن فاعلا من هذا النوع مذهوب به مَذْهَب الزمان، وفَعِل يدل على المبالغة لا على الزمان .

وكذلك لو كان مضعّفا مثل شَابّات، والعادّين، فلا يجوز فيـه حذف الألف لأنه بالإدغام نقص فى الخط إذ جعلوا الصورة للمُدْغَم والمُدْغَم فيـه شكلا واحدا . ولذلك كتبوا فى المُصْحَف : الضَّالِّين والعادّين بالألف . وقد أجرِى مُجْرَى المُضَعَّف فى الإثبات ما بعد ألفه همزةٌ نحو: الخائنين . وقد حذفت ألفه فى بعض المصاحف

فكتب على هذه الصورة : " انخثنين " . ويتعين الإثبات أيضا فيما هو معتلّ اللام مثل : دانيات حملا على دانين ، كما حذف من الصالحين حملا على الصالحات ، ومثل : الرامين لأنه قد حذف منه لام الفعل . وحمل ما جمع بالألف والتاء عليه كما حمل الصالحين على الصالحات فى حذف الألف ، وإن كانت العلة فيهما مفقودة .

٥ قال ٱبن قتيبة : وكذلك ما كان من ذوات الياء والواو لا يجوز فيه حذف الألف نحو : هم القاضُون ، والرامُون ، والساعُون ، لأنهم حذفوا الياء لٱلتقاء الساكنين لمّا ٱستثقلوا ضمةً فى الياء بعد كسرة فسكنوا ثم حذفوا الياء ، فكرهوا أن يحذفوا الألف أيضا لئلا يخلُّوا بالكلمة .

(ومنها) تحذف إحدى الألفين مما ٱجتمع فيه ألفان مثل : أادم ، وأازر ، وأامن ،
١٠ وأامين ، وأاتين ، وأانفا ، ووراأك ، وقراأة ، وبراأة ، وشناأن ، وشبهه ، فتكتب على هذه الصورة : " آدم ، وآزر ، وآمن وآمين ، وآتين ، وآنفا ، ووراءك ، وقراءة ، وبراءة ، وشنآن " فلو ٱنفتح الأول منهما كما فى قرأا لفعل الٱثنين من القراءة ، كتب بألفين على هذه الصورة : (قرأا) لئلا يلتبس بفعل الواحد ، إذ المفرد تقول فيه قرأ فتكتبه بألف واحدة . وذهب قوم إلى أنه فى التثنية يكتب أيضا بألف واحدة
١٥ مسندا إلى ألف الٱثنين ، وبه قال أحمد بن يحيى . والذى عليه المتأخرون وهو الأجود عند ٱبن قتيبة ما تقدّم .

(ومنها) تحذف إحدى الألفات مما ٱجتمع فيه ثلاث ألفات ، مثل براأات جمع براءة ، ومساأات جمع مساءة ، فتكتب بألفين فقط على هذه الصورة : " برآت " و " مسآت " لأنها فى الجمع ثلاث ألفات . فلو حذفوا ٱثنتين ، أخَلُّوا بالكلمة .

٢٠ (ومنها) تحذف من أوّل الكلمة فى الٱستفهام فى ٱسم ، أو فعل ، نحو : أاللهُ أَذِنَ لَكُمْ ؟ أالسِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ ؟ أالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأنثيين ؟ أاصطفى البَنَاتِ عَلَى

أَلْبَنِينَ ؟ أالرجل فى الدار؟ أاسمك زيد أم عمرو ؟ فتكتب بألف واحدة على هـذه الصورة : آللهُ ؟ آلسِّحْرُ ؟ آلذَّكَرَيْنِ ؟ آلرجل ؟ آسمك ؟ آلآن ؟ .

ثم مذهب أحمد بن يحيى ، وعليه جرى آبن مالكٍ رحمه الله : أنه لا فرق بين المكسورة، والمضمومة . والذى ذهب إليه المغاربة أنها تكتب بألفين ، إحداهما ألف الوصل، والأخرى همزة الآستفهام .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : وجاز فى نحو: ألرجل، الأمران، ورسمت فى المصحف بألف واحدة نحو : آلذكرين، آلآن .

(ومنها) تحذف من ما الآستفهامية إذا دخل عليها حرف من حروف الجرّ، نحو: عَمَّ تسأل ؟ وفِيمَ تُفَكِّر؟ ومِمَّ فَرِقْتَ؟ ولِمَ تكلَّمتَ ؟ وبِمَ عَلِمْتَ ؟ وحَتَّامَ تَغْضَبُ ؟ وعَلَامَ تَدْأَبُ ؟ فتكتب كلها بغير ألف فى آخرها فرقا بينها وبين ما الموصولة ، ويصير حرف الجر كأنه عوض من الألف المحـذوفة . وكان الحذف من الآستفهامية دون الموصولة لأن آخرها منتهى الآسم ،والأطراف محلُّ التغيير. بخلاف الموصولة، لأنها متوسطة من حيث إنها تحتاج إلى صلة .

وحكى الكوفيون ثبوتها فى الآسفهامية أيضا؛ والله أعلم .

تذنيب

تحذف الهمزة المصوّرة بصورة الألف فى أربعة مواضع :

الأوّل ـــ تحذف بعد الباء من بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، فتكتب بغير ألف على هذه الصورة "بسم". والقياس إثباتها كما تكتب يأيها بالألف لكنها حذفت لكثرة الآستعمال،أما فى غير بسم الله الرحمن الرحيم،فظاهر كلام آبن مالك أنها لا تحذف، فتثبت فى بآسم ربك، وفى بآسم الله، مفردا .

وقال بعضهم : إن كان مضافا إلى لفظ الله تعالى وليس متعلَّقُ الباء ملفوظا به ، حذفت و إلا فلا ، فتثبت فى بآسم ربك لأنه غير مضاف إلى لفظ الله تعالى ، وفى نحو قولك : تبركت بآسم الله ، لأن متعلقه ملفوظ به .

وقال الفرّاء فى قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ إن شئتَ أثبتَّ و إن شئت حذفتَ ، فمَنْ أثبت قال : ليست مبتدأ بها ، وليس معها الرحمن الرحيم ؛ ومَنْ حذف ، قال : كان معها الرحمن الرحيم فى الأصل ، فحذفت فى الآستعمال . فإن أضفتَ الآسم إلى الرحمن أو القاهر ونحوه ، فقال الكسائىّ : تحذف ، وقال الفرّاء : لا يجوز أن تحذف إلا مع الله لأنها كثرت معه ، فإذا عَدَوْتَ ذلك أثبت الألف .

الثانى — تحذف بين الفاء والواو ، وبين همزة هى فاء الفعل من وزن الكلمة ، مثل قولك : فَأْت وأْت ، لأنهم لو أثبتوا لها صورة الألف ، لكان ذلك جمعا بين ألفين : إحداهما صورة همزة الوصل ، والأخرى صورة الهمزة التى هى فاء الفعل ، مع أن الواو والفاء شديدتا الآتصال بما بعدهما لا يوقف عليهما دونه ، وهم لم يجمعوا بين ألفين فى سائر هجائهم إلا على خلاف فى المتطرفة كما مرّ ، لأن الأطراف محلّ التغييرات والزيادة ، فلذلك حذفوها فى نحو : فأذن ، وأْتُمن فلان ، وعليه كتبوا ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ فلو كانت الهمزة بين غير الفاء والواو و بين الهمزة التى هى فاء الفعل ثبتت ، نحو آئتو و ﴿ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ﴾ . ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى﴾ وكذلك لو كانت آبتداء والهمزة فاء الفعل ، نحو آئْذن لى ، آؤتمن فلان ، ثبتت أيضا ؛ أوليست فاء ، نحو : ثم آضرب ، وآضرب ، فاضرب . وكذلك فى ﴿وأْتُوا البيوت﴾ .

الثالث — تحذف فى آبن وآبنة ممـا وقع فيه آبن مفردا صفةً بين عَلَمين ، غير مفصول ، فيكتب نحو جاء فلان بن فلان ، أو فلانة بنة فلان بغير ألف فى آبن وآبنة . ولا فرق فى ذلك بين أن يكون العَلَمَان آسمين ، نحو هذا أحمد بن عُمَرَ ، أو كُنْيتين ،

نحو: هذا أبو بكر بن أبي عبدالله، أو لقبين، نحو: هذا نَبْتٌ بن بطة، أو آسما وكنيةً، نحو: هذا زيد بن أبي قُحافَةَ، أو لقبا وآسما، نحو: هذا أنف الناقة بن زيد، أو كنية ولقبا، نحو: هذا أبوالحارث بن نَبْت، أو لقبا وكنية، نحو: هذا بدرالدين بن أبي بكر.

فهذه سبع صور: تسقط فيها الألف من آبن ولا تسقط فيما عداها، فلو قلتَ
٥ هذا زيد آبنك، وآبن أخيك، وآبن عمك، ونحو ذلك مما ليس صفة بين علمين(١)، أثبتَّ فيه الألفَ. وكذلك إذا كان خبرا كقولك: أظنّ زيداً آبنَ عمرو، وكأنّ بكرا آبنُ خالد، وإن زيدا آبن عمرو، فتثبُت الألف في الجميع. ومنه في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ٱبْنُ اللَّهِ﴾ كتبتا في المصحف بالألف. فلو ثنيت الآبن، ألحقتَ فيه الألف صفة كان أو خبرا، فتكتب: قال
١٠ عبد الله، وزيدٌ آبنا محمد كذا وكذا، وأظنّ عبد الله وزيدا آبني محمد فَعَلَا كذا بالألف. وكذلك إذا ذكرتَ آبنًا بغير آسم، فتكتبُ: جاء آبن عبد الله بالألف أيضا. وحكم آبنة مؤنثا في جميع ما ذكر حكم الآبن، تقول: جاءت هندٌ بنْةُ قيس، فتحذف الألف. وشرط الأستاذ أبو الحسن بن عُصْفُورٍ أن يكون مذكرا فلا تسقط من آبنة.

ونقل أحمد بن يحيى عن أصحاب الكسائيّ: أنه متى كان منسوبا إلى آسم أبيه
١٥ أو أمه أو كنية أبيه أو أمّه وكان نعتا، حذفوا الألف فلم يُجزه في غير الآسم والكنية في الأب والأم. قال: وأما الكسائيّ فقال: إذا أضفت إلى آسم أبيه أو كنية أبيه، وكانت الكنية معروفا بها كما يعرف بآسمه، جاز الحذف، لأن القياس عنده الإثبات والحذف آستعمال! فإذا عدى الآستعمال، رُجِعُ إلى الأصل.

وحكى آبن جِنّي عن متأخري الكُتّاب: أنهم لا يحذفون الألف مع الكنية،
٢٠ تقدّمت أو تأخرت. قال: وهو مردود عند العلماء على قياس مذاهبهم.

(١) في الأصل: «مما ليس له صيغة» وفي الضوء: «مما ليس بين علمين» والسياق يقتضي ما أثبتناه.

والألف تحـذف من الخط فى كل موضـع يحذف منـه التنوين وهو حُذِفَ مع الكُنى .

الرابع — تحذف من كل مُعَرّف بالألف واللام إذا دخلت عليه لامُ الابتداء، نحو: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ أو لامُ الجرّ، نحو للدّار ألفُ ساكن غيرك؛ وقياسها الإثبات كما أثبتوها فى لابنك قائم، ولِأبيك مال؛ وسبب حذفها التباسها بلا النافية .

وذهب بعضهم : إلى أنها لا تحذف مع لام الابتداء فرقا بينها وبين الجارّة . ولم يحذفوها من نحو: مررت بالرجل؛ والله أعلم .

الحـرف الثـانى

اللام، وتحـذف فى مواضـع

(منها) تحذف من الذى للزومها، فكأنها ليست منفصلة ، وكذلك تحذف من جمعه وهو الذين لأنه يشبه مفرده فى لزوم البناء ، ولفظ الواحد كأنه باق فيـه ؛ ولم يحذفوه من المثنّى كما فى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا ﴾ فكتبوه بلامين فرقا بينـه وبين الجمع . وإنمـا اختصت التثنية بالإثبات ، لأنها أسبق من الجمع، واللبس إنمـا حصل بالجمع .

(ومنها) تحذف من الّتى للزومها كما تقدّم، ومن تثنيتها وهى الّتان، وجمعها : وهى الّاتى لأنهما لا يلتبسان، بخلاف تثنيه الذى وحروفه .

وقال أحمد بن يحيى : كتبوا اللاتى (الّتى) واللائى (الّئى) وأسقطوا لاما من أولها وألفا من آخرها . قال : وهذا للاستعمال لأنه يقل فى الكلام مثله ، ويدل عليه ما قبله وما بعده، ولو كتب على لفظه كان أولى .

قال الشـيخ أثير الدين أبو حَيّان رحمه الله : والذى عهـدناه من الكُتّاب أنه لا تحذف الألف لئلا يلتبس بالمفرد .

(ومنها) تحذف من الليل والليـلة على أجود الوجهين، فيكتبان بلام واحدة على هـذه الصورة : "الّيل والّيْلة" : لأنّ فيه اتباع المصحف ؛ وأجاز بعضهم كتابته بلامين . قال أبو حَيّان : وهو القياس .

(ومنها) تحذف من [اللّعِب][1] ونحوه، ممـا دخل عليه لام الجرّ فيكتب بلامين وإن كان فى اللفظ ثلاث لامات .

(ومنها) قال أحمـد بن يحى : يكتب الّطيف بلام واحدة، لأنه قـد عُرِف لحـذف، وهذا بخلاف اللّهْو، واللّعِب، واللُّعْبَـة، واللاعبين، واللّغْو، واللُّؤْلُؤ، واللّاتِ، واللهم، واللّهَب واللوّامة، فإنها لا تحذف منها اللام .

قال ابن قتيبة : وكل اسم كان أوّلُه لامًا ثم أدخلت عليه لام التعريف، كتبتَه بلامين، نحو : اللهم، واللبن، واللحم، واللجام، وما أشبه ذلك . وإن كانوا قد اختلفوا فى الليل والليلة لموافقة المصحف كما تقدم .

الحـــرف الثـالث

النون، وتحـــذف فى مواضـــع

(منهـا) تحذف مِنْ عَنْ إذا وصلت بِمَنْ أو بِمَـا ، فتكتب عَمّن وعَمّا وعَمّ .

(ومنها) تحذف مِنْ مِنْ الجارّة إذا وُصِلَتْ بِمَنْ أو ما ، فتكتب مِمّن ومِمّـا .

(ومنها) تحذف مِنْ إنْ إذا وُصِلَتْ بلَمْ، فتكتب إلّمْ .

(ومنها) تحذف من أنْ المفتوحة إذا وُصِلَتْ بلا، فتكتب ألّا .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

الحـرف الرابع

الواو ، وتحـذف فى مواضـع

(منها) تحذف لأمن اللبس ، مثل ما كتبوا من قوله تعالى : ﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ . ﴿وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ﴾ بغير واو فى يدعو ويمحو ، لأن ذكر الداع فى الأوّل، وذكر الله تعالى فى الثانى يمنع أن يكون الفاعلُ جماعةً فلا يحصل اللبس ، بخلاف قولك لا تضربوا الرجل، فإنه لو حذف لألتبس الجمع فيه بالواحد .

(ومنها) تحذف مما توالى فيه واوان فى كلمة واحدة ، مثل : داوود، وطاووس، ورؤوس، ويَسْتَوُون، ويَلْوُون، وأُوُوا إلى الكَهْفِ، ويَسُوُّوا، وتَبَوَّؤُوا، وجَاؤُوا، وبَاؤُوا، وأَسَاؤُوا، ويَؤُودُهُ، ويَؤُوسٌ، وفادرؤوا، ومُبَرَّؤُون، فيكتب بواو واحدة.

وكتب بعضهم طاوُوس ونحوه بواوين على الأصل، والقياس الاقتصار على واو واحدة كراهة اجتماع المثلين .

وٱستثنى ٱبن عُصْفُور من ذلك موضعًا، وهو ألا يؤدّى إلى اللبس ، نحو : قؤول وصؤول على وزن فَعُول فإنه يلتبس بقَوْلٍ وَصَوْلٍ، وٱختاره أحمد بن يحيى .

(ومنها) تحذف مما توالى فيه ثلاث واوات فى كلمتين ككلمةٍ، مثل: ليسوءوا، وينوءون، فتكتب ليسوءوا، وينوءون، بواوين فقط ، ويكتب لَوَّوْا، وٱجْتَوَوْا، وٱلْتَوَوْا، بواوين، لأنه لو حذفت إحدى الواوين لألتبس الجمع بالمفرد .

ووقع فى المصحف كتابة يَسْتَوُونَ، ويَلْوُونَ، بواو واحدة، وذلك لأن فى يستوون ونحوه ٱجتمع واوان وضمة ، فناسب الحذف، وفى لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ، ونحوه ٱنفتح ما قبل الواو فناسب الإثبات .

(ومنها) تحذف للجزم كما فى قولك : لم يَغْدُ، فتحذف الواو علامةً للجزم ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم .

الحـــرف الخـامس

اليـاء ، وتحـــذف فى مواضـــع

(منها) للجزم كما فى قولك : لم يَقْضِ ، فتحذف الياء من آخره علامةً للجزم .

(ومنها) تحذف لمراعاة الفواصل، نحو قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ بغير ياء فى آخرها لمراعاة ما قبله من قوله : ﴿ والْفَجْرِ ﴾ .

(ومنهـا) تحـذف فيما توالى فيه ياءان أو ثلاثة ، فتَكْتُبُ النَّبِيِّنَ ، وخَاسِئِينَ ، وخَاطِئِينَ ، و إِسْرَائيل ، وما أشبه ذلك بياءين فقط (1) ، و إن كان فى اللفظ ثلاث ياءات .

(ومنها) تحذف لأمن اللبس ، فتَكْتُبُ قارءين جمع قارئ بياء واحدة ، فرقا بينها و بين قَارِئَيْنِ تثنية قارئ فإنها تكتب بياءين .

(ومنها) تحذف مدّة ضمير (2) الغائب مثل قولك : ضربه ، فتكتبه بغير واو ، و إن كنت تلفظ به لأنك إذا وقفت حذفتها ووقفت على الهـاء ساكنة ، وكذلك مدّة ضمير الغائبين ، مثل قولك : ضربهُـمُ فى لغة من وصل الميم ، وكذلك حذفوها إذا وليت الكاف ، نحو : ضربكُمُ زيد ولكُمُ فى لغة من وصـل الميم بواو و بياء ، لأنه إذا وقف حذف الصلة ؛ والله أعلم .

النـــــوع الثـالث

ما يُغـــيَّر بالبـــدل

والحروف التى يدخلها البدل ثلاثة أحرف : الألف ، والواو ، والياء ؛ والألف والياء أكثرهما تعاقبا .

فتنوب الياء عن الألف فى ثلاثة محال :

---

(١) لعل فى العبارة سقطا والأصل فيكتب بياء فقط و إن كان فى اللفظ ياءين وبياءين فقط و إن كان الخ .

(٢) تعلق هذا بالحرف الرابع أكثر منه بالخامس .

المحـل الأوّل

الأسم، وهو ثلاثة أحوال

الحال الأوّل — أن تكون الألف فيه رابعة فصاعدا، نحو : المِعـزى، والمُستدعىٰ، والحُبلىٰ، والمَرضىٰ، والمَلهىٰ، والمَدعىٰ، والمُشترىٰ، ومقلىٰ، ومَثنىٰ، وكذلك أعمىٰ، وأعشىٰ، وأظمىٰ، وأفنىٰ، وأدنىٰ، وأعلىٰ، ومُعافىٰ، ومُنادىٰ، وما ٥
أشبه ذلك، فتكتب الألف فى جميع ذلك ياءً سواء كان منقلبا عن واو أو منقلبا عن ياء، لأنك إذا ثنيته ثنيته بالياء؛ ومن ثم كتبت ياويلتىٰ، وياحسرتىٰ، ويا أسفىٰ، بالياء إشعارا بأنها مما تمال أو تقلبها عند التثنية ياء، إلا فيما قبلها ياء نحو : الدُّنْيا، والعُلْيا، والقُصْيا، وهُدْيا، ومَعْيَا، ومَحْيَا، وعام حَيًا ورُؤْيَا، وسُقْيَا، فإنك لا تكتب
الألف فيها ياءً كراهة أن تجتمع ياءان فى الخط . نعم يغتفر ذلك فى نحو: يحيىٰ ورَيّىٰ ١٠
عَلَمين، للفرق بين يحيىٰ علما وبينه فعلا وبين ريّى علما وبينه وصفا، وكان البدل فى العَلَم دون الوصف والفعل لأن الفعل والصفه أثقل .

قال ابن قتيبة : وأحسبهم اتبعوا فى يحيىٰ رسم المصحف .

فلو كان مهموزا، نحو: مستقرأ ومستنبئا (١)، أو قبل آخره ياء نحو: خَطَايَا، وزَوَايَا، ورَكَايَا، والحَوَايَا، والحيا، وما أشبهه كتب بالألف . ١٥

الحال الثانى — أن تكون الألف فيه ثالثة، فإن كانت مبدلة عن ياء، نحو: فتىٰ، ورحىٰ، وشوىٰ، والهُدىٰ، والمَدىٰ للغاية، والهوىٰ لهوىٰ النفس، ونَدىٰ الأرض، ونَدىٰ الجُود، وحَفىٰ الدابة، والكرىٰ : النوم، والقَذىٰ، والأذىٰ، والخَنىٰ : فُحْشُ القول، والضَّنىٰ: المرض، والرَّدى: الهلاك، والطَّوىٰ : الجوع، والأَسىٰ: الحُزْنُ، والعَمى : فى القلب والعين، والجَنىٰ : جَنى الثمرة، والصَّدى : العطشُ، والثَّرى : ٢٠

(١) كذا فى الضوء أيضا وليس مما نحن فيه .

فى الجسد، والضَّوى : الهُزَال، والثَّرى : التراب النَّدِىّ، والجَوى : داء فى الجوف، والسَّرى : [سَـيْرُ] (١) الليل، والسَّلَى : سلى الناقة، ومِنًى : المكان المعروف، والمَدى الغاية، والصَّدى : اسم طائر يقال إنه ذكر البوم، والنَّسَى : عرق فى الفَخِذ، وطُوًى : وَادٍ، والوَغى : الحربُ، والوَحى : العَجَلُ، والوَرى : الخَلْقُ، والذَّرى : الناحية ٥ وأنا فى ذَرى فلان، والمعى واحد الأمعاء، والحِجى والنُّهى : العَقْلُ، والحَشى واحد الأحشاء، وما أشبه ذلك كتب بالياء .

وإن كانت منقلبة عن واو، نحو عصا، ومَنًا للقَدْر، ورَجًا لجانب البئر، والقَنَا فى الأنف، والرِّما والقَرَا للظهر، والعَشا فى العين، والقَفَا : قَفَا الإنسان، والصَّغَا : ميلكُ للرجل، ووَطًا جمع وطاة، و[لَهًا جمع] (٢) لهاة، والفَلَا جمع فلاة، كتب بالألف .

١٠ وتفترق الواو من الياء فيه بطرق أقربها التثنية تقول فى الأول : فتيان، ورحيان، وسويان .

قال ابن قتيبة : فلو ورد عليك اسم قد ثُنِّى بالواو والياء عَمِلْتَ على الأكثر الأعمّ . وذلك نحو رَحًى، فإن من العرب من يقول : رحوت الرَّحاء، ومنهم من يقول : رحَيت، قال : وكَتْبها بالياء أحبُّ إلىّ لأنها اللغة العالية .

١٥ وكذلك الرِّضا، من العرب من يقول فى تثنيته : رضيان، ومنهم من يقول : رضوان، قال : وكتابته بالألف أحبّ إلىّ، لأن الواو فيه أكثر، وهو من الرضوان . وكذلك الحكم فى متى، لأنها لو سُمّى بها وثُنِّى، لقلتَ متيان، فيعلم أنه من ذوات الياء . وتقول فى الثانى : عَصَوَان ومَنَوَان ورَجَوَان، فيعلم أنه من ذوات الواو . فإذا أشكل عليك شىء فلم تَعلَمْ أهو من ذوات الواو [أو من ذوات الياء] (٢) ؟ نحو ٢٠ خَسَا بالخاء المعجمة والسين المهملة، كتبته بالألف لأنه هو الأصل .

(١) تقدّم فهو مكرر . (٢) الزيادة عن ضوء الصبح .

ومنهم من يكتب الباب كلَّه بالألف على الأصل وهو أسهل للكُتَّاب. وعلى تقدير كَتْبِها بالياء فلو كان منوّنا فالمختار عندهم أنها تكتب بالياء أيضا، وهو قياس المبرّد، وقياس المازنى أن يكتب بألف إذ هى ألف التنوين عنده فى جميع الأحوال.

وقاس سيبويه المنصوب(١) بالألف لأنه للتنوين فقط.

قال ٱبن قتيبة: وتعتبر المصادر بأن يرجع فيها إلى المؤنث، فما كان فى المؤنث بالياء كَتَبْتَه بالياء، نحو: العَمى، والظَّمى، لأنك تقول: عَمْيَاء وظَمْيَاء، وما كان المؤنث فيه بالواو كتبته بالألف، نحو: العَشَا فى العين، والعَنَا وهو كثرة شعر الوجه، والقَنا فى الأنف، لأنك تقول: عَشْواء، وقَنْواء، وعَنْواء.

قال: وكل جمع ليس بين جمعه وبين واحده فى الهجاء إلا الهاء من المقصور، نحو الحصى، والقَطا، والنَّوى، فما كان جمعه بالواو كتبته بالألف، وما كان جمعه بالياء كتبته بالياء.

وكتبت لدَى بالياء لأنقلابها ياء فى لَدَيْكَ.

وأما كِلَا، فالصحيح من مذهب البصريين أنها تكتب بالألف، لأن ألفه عن واو. ومن زعم أنها عن ياء كالمِعى، كَتَبَها بالياء. وأجاز الكوفيون كتبها بالياء وهو خطأ على مذهبهم، لأن الألف عندهم للتثنية؛ وألف التثنية لا يجوز أن تكتب ياء لئلا يلتبس المرفوع بغيره. وقياس كلتا عند البَصْريين أن تكتب ياء، وشذ كتابتها بالألف.

قال ٱبن قتيبة: والذى أسْتَحِبُّه أن تُكْتَبَ كِلَا وكِلْتَا فى حال الرفع بالألف، وفى حالتى الجر والنصب بالياء. فإذا قلت: أتانى كِلَا الرجلين أو كِلْتَا المرأتين، كتبته بالألف. وإذا قلت: رأيت كلى الرجلين أو كلتى المرأتين كتبته بالياء، لأن العرب قد فرقت بينهما فى اللفظ(٢) فقالوا: رأيت الرجلين كليهما، ومررت بالرجلين كليهما، ومررت بالمرأتين كلتيهما. وقالوا: جاءنى الرجلان كلاهما، والمرأتان كلتاهما.

(١) لعله المنصوب فقط فقال يكتب بالألف الخ. (٢) أى مع المكنى كما هى عبارة ٱبن قتيبة.

وتَتْرى إن لم تنوّن ، فألفهـا للتأنيث ، وإن نونت فهى للإلحاق ؛ وقياسهـا أن تكتب بالياء . ومن زعم أنه فَعْل ، فألفه بدل التنوين كألف صبرا ، فهو قياسه. ووقع فى كلام آبن البادس أن تترى فى الخط بياء ، وهو خلاف المعروف .

تنبيـــــــه

٥ لو آتصل الآسم الذى يكتب بالياء بضمير متصـل ، نحو : رَحَاك ، وقَفَاك ، ومَلْهَاك ، ومَرْعَاك ، فقيـل يكتب بالياء كحال عدم آتصالهـا ، فيكتب على هـذه الصورة : رحيك ، وقفيك ، وملهيك ، ومَرْعيك .

قال الشيخ أثير الدين أبو حَيّان رحمه الله : وآختيار أصحابنا فيه بالألف إذا آتصل به ضمير خفض أو ضمير نصب ، سواء كان ثلاثيا أم أزيد ، إلا إحدى خاصةً فإنها ١٠ تكتب بالياء حال آتصالها بضمير الخفض ، نحو من إحديهما كحالها دون الآتصال .

وآختلفوا إذا آتصلت بتـاء تأنيث تنقلب هاء فى الوقف ؛ فذهب البَصْريون إلى كتابتها ألفا ، نحو الحصاة ، وآختار الكوفيون كتابتها بالياء نحو الحصية .

الحال الثالث — أن تكون الألف فيه ثانيـة ، نحو ما وذا إذا كانا آسمين ، فيكتب بالألف على صورة النطق به .

١٥ المحـــل الثـانى

الفعـــل ، وله حالان

الحال الأوّل — أن تكون الألف فيه رابعةً فصاعدًا ، نحو : أعْطى ، وآسْتَعْلى ، وتَدَاعى ، وتعادى ، وآسْتَدْنى ، وما أشبهه ، فتكتبه كلَّه بالياء إلا أن يكون مهموزا ، نحو : أخطأ ، وأنبأ ، وتخاطأ ، وآستنبأ ، فإنه يكتب بالألف ، وكذلك إذا كان قبل آخره ياءٌ ، ٢٠ نحو : استحيا ، وتحايا ، وأعيا ، وتعايا ، وآستعيا ، وما أشبهه ، فإنك تكتبه بالألف .

ووقع فى بعض المصاحف : ﴿ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ بالألف فى آخر نخشى، وفى بعض المصاحف بالياء .

الحال الثانى — أن تكون الألف ثالثةً ، فتردّه إلى نفسك ، فإن ظهرتْ فيه الواو فآكتبه بالألف ، نحو قولك : عدا ، ودعا ، ومحا ، وغزا ، وسلا ، وعلا من العلو. لأنك تقول : عدوت ، ودَعَوْتُ ، ومحوت ، وغزوت ، وسلوت ، وعلوت . وشذّ زكى ، فكتب بالياء وإن كان من ذوات الواو ، لأنه من زكى يزكو ، إلا أن العرب يُميلون الأفعالَ ذوات الواو . وإن ظهرت فيه الياء فآكتبه بالياء ، نحو قولك : قضى ، ومشى ، وسعى ، وعسى ، لأنك تقول : قضيت ، ومشيت ، وسعيت ، وعسيت ، ويجوز كتابته بالألف أيضا .

تنبيـــــه

لو آتصل بالفعل ضمير متصل ، نحو : رماه ، وجزاه ، ورعاه ، فقيل يكتب على حاله بالياء ، فيكتب على هذه الصورة : رميه ، وجزيه ، ورعية ، والصحيح كتابته بالألف .

قال آبن قتيبة : وكل ما لحقته الزيادة من الفعل لم تنظر إلى أصله ، وكتبته كله بالياء ، فتكتب أَغْزَى فلان فلانا ، وأدنى فلان فلانا ، وألهى فلان فلانا بالياء . وهو من غزوت ، ودنوت ، ولهوت ، لأنك تقول فيه : أغزيت ، وأدنيت ، وألهيت . وكذلك تكتب يُغْزى ، ويُدْنى ، ويُلْهى ، على البناء لما لم يسم فاعله بالياء ، لأنك تقول فى تثنيته : يُغْزَيان ، ويُدْنَيان ، ويُدْعَيان .

المحــــل الثـــالث

بعض الحــــروف

وآعلم أن الحرف الذى فى آخره ألف فى اللفظ إنما يكتب أَلِفًا على صورة لفظه ، نحو : ما ، ولا ، وألا ، وما أشبهها ، وآستثنوْا من ذلك أربع صور فكتبوها بالياء .

إحداها ــ بلَى، قال بعض النحاة : لإمالتها ، وقال سيبويه : لأنه إذا سمى بها وثنيت قيل بَلَيَان كما يقال فى متى مَتَيان .

الثـانية ــ إلى، وكُتبت بالياء ، لأنها تُرَدّ إلى الياء فى قولهم : إليك .

الثـالثة ــ على، وكتبت بالياء لأنها تُرَدُّ إلى الياء أيضا فى قولهم : عليك .

٥ قال ابن قتيبة : وكان القياس فيهـا وفى إلى أن تكتبا بالألف لعدم جواز الإمالة فيهما .

الرابعـــة ــ حتَّى،وكتبت بالياء حملا على إلى، لكونهما بمعنى الانتهاء والغاية، ولأنه قد روى فيها الإمالة عن بعض العرب فروعى حكمها .

تنبيـــــــه

١٠ لو وليتْ ما الاستفهامية حتَّى، أو إلى، أو على، كُتِبْنَ بالألف على هذه الصورة: حَتَّامَ، و إلامَ، وعلَامَ، لأنها شديدة الاتصال بمـا الاستفهامية بدليل أن ما بعدها لا يوقف عليه إلا بذكرها معه، فكأنّ الألف وقعت وَسَطًا فصارت كحال ما كتب بالياء إذا اتصل بضمير خفض أو ضمير نصب، فإنه يكتب بالألف .

قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله : فإن وُصل فى حَتَّامَ و إلى الهـاء ١٥ الجائرة، فلك أن تجريها على الاتصال ولا تَعْتَدَّ بها، ولك أن تعتدّ بها وترجعَ الألف فى حتَّى، و إلى، وعلى، إلى أصلها، فتكتب بالياء يعنى على هذه الصورة حتى مه، و إلى مه، وعلى مه .

فائـــــدة

قد يُكْتَبُ بالياء ما هو من ذوات الألف للمجاورة كما فى قوله تعالى : ﴿والضُّحى ٢٠ وَاللَّيْلِ إِذا سَجى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ فإن الضُّحى ونحوه قياسه عند البصريين

أن يكتب بالألف لأنه من ذوات الواو ، ولكنه كتب بالياء لمجاورة سجى، وسجى
وإن كان من ذوات الواو أيضا ، كتب بالياء لمجاورة قَلى الذى هو من ذوات الياء،
فسجى مجاور، والضحى مجاور المجاور .

وأما الواو فقد نابت عن الألف فى مواضعَ من رسم المصحف الكريم، وهى :
الصلاة، والزكاة، والحياة، والنجاة، ومِشْكَاة، ومَنَاة، فتكتب على هذه الصورة : ٥
الصلوة، والزكوة، والحيوة، والنجوة، ومنوة، ومِشْكوة . فمنهم من كتبها كذلك
فى غير المصحف أيضا اتباعا للسَّلَف فى ذلك ؛ ومنهم من كتبها بالألف وهو
القياس، ووجه بأن رسم المصحف متبع فى القرءان خاصةً ، ولا يكتب شىء من
نظائر ذلك إلا بالألف . كالقناة، والقطاة، اقتصارا على ما ورد به الرسم السلفىّ .

قال ابن قتيبة : وقال بعض أهل الإعراب : إنهم كتبوا هذه الكلمات بالواو ١٠
على لغات الأعراب، وكانوا يُميلون فى اللفظ بها إلى الواو شيئا . وقيل : بل كتبت
على الأصل، إذ الأصل فيها واو، لأنك إذا جمعت قلت : صلوات، وزكوات،
وحيوات : وإنما قلبت ألِفًا، لما انفتحت وانفتح ما قبلها .

قال : ولولا اعتياد الناس لذلك فى هذه الأحرف الثلاثة ، أى الصلاة، والزكاة،
والحياة، لكان من أحب الأشياء إلىّ أن تكتب كلها بالألف . وجمعوا فى الربا ١٥
بين العوض والعوض منه ، فكتبوه بواو وألف بعدها على هذه الصورة : الربوا .
وفى بعض المصاحف : ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا﴾ بألف بغير واو، وما سواه فلا خلاف فيه .

تنبيـــــه

لو اتصل بشىء مما أبدلت ألفه واوا ضمير، نحو صلاتهم، وزكاتهم، وحياتك،
ونجاته، ومِشْكَاته، ورباه، كتبت بالألف دون الواو[1]، والله أعلم . ٢٠

---

(١) فى الأصل والضوء : «دون الياء» والصواب ما أثبتناه .

القســـــم الثـانى

ما ليس له صـــورة تخصــــه

وهو الهمزة، إذ تقع على الألف والواو والياء، وعلى غير صورة؛ ولها ثلاثة أحوال:

الحـال الأوّل

أن تكون فى أوّل الكلمـــة

فتكتب ألفا بأىّ حركة تحركت، من فتحة مثل: أحمـد، وأيوب، وأحد؛ أو ضمة نحو: أخذ، وأُكْرِمَ، وأوحِىَ، وأولئك؛ أو كسرة نحو: إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، وإثمد، وإبل، وإذ، وإذا وإلى، وإلّا، وإمّا، سواء فى ذلك همزة القطع مثل: أَكْرَمَ، وهمزة الوصل مثل: اتخذ، والهمزة الأصلية مثل: آمرئٍ، والهمزة الزائدة مثل: إشاح. وذلك لأن الهمزة المبتدأة لا تخفف أصلا من حيث إن التخفيف يقرّبها من الساكن، والساكن لا يقع أوّلا، فجعلت لذلك على صـورة واحدة. وآختصت الألف بذلك دون الياء والواو حيث شاركت الهمزةَ فى المخرج، وفارقت أختيها فى الخفّة، ولافرق فى ذلك بين أن تكون الهمزة مُبْتَدَأَةً كما فى الصور المذكورة، أو تقدّمها لفظ آخر، نحو: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِىَ﴾ وفَبِأَىّ، وأفأنت، وبأنه، وكأنه وكأين، وبإيمـان، ولإيلاف، ولَبِإمام، وسأترك، ولأُقَطِّعن، ومررت بأحمد، وجئتُ لِأُكْرِمَك، وآكتحلتُ بالإثمد، إلا فيما شذّ من ذلك، نحو هؤلاء، وآبْنَؤُمّ، ولئن، ولِئَلّا، ويومئذ، وحينئذ، وما أشبهها، فإنه كان القياس أن تكتب الهمزة فيها ألفا لأنها وقعت أوّلا، لكنهـم خالفوا فكتبوا همزة هؤلاء، وآبْنَؤُم بالواو، وإن كانت فى الحقيقــة مبتدأة بدليل أن ها حرف تنبيه وهو منفصل عن آسم الإشارة. وكذلك آبنُ آسم أضيف إلى الأم، لكنهم شبهوها بهمزة لَؤُم، فكتبوها

بالواو، وراعَوْا فى ذلك كثرة لزوم هاء الإشارة، وعدم انفكاك ابنؤم الواقع فى القرءان، فكأنها صارت همزة متوسطة . وكتبوا همزة لئن، ولئلا، وحينئذ، ويومئذ، وما أشبهها ياء وإن كانت أوّل كلمة، وكان القياس أن تكتب بالألف . أما لئن، فلأن أصلها لِأَنْ بلام ألف ونون . وأما لِئَلّا، فلأن أصلها لِأَنْ، بلام ألف ونون منفصلة من لا، بدليل أنهم إذا لم يجيئوا بعدها بلا، كتبوها لِأَنْ، نحو جئتَ لأن ٥
تقرأ، لكنهم جعلوا اللام مع أنْ كالشيء الواحد . وكذلك حينئذ، ويومئذ، فإن الأصل أنْ يفصل الظرف المضاف للجملة التى بقى منها إذِ المنوّنة تنوينَ العِوَض وأن يكتبَ بالألف، لكن جعل الظرف مع إذٍ كالشيء الواحد، فوصل بإذ، وجعلت صورة الألف ياءً كما جعلوها فى يَئِسَ . وكذلك الحكم فى كل ظرف أضيف إلى ماذكر، سواء المفرد، كالأمثلة المذكورة، والجمع نحو أزْمانَئِذ . وسيأتى الكلام ١٠
على ما يتعلق من ذلك فى الفصل والوصل إن شاء الله تعالى .

الحال الثانى

أن تكون متوسطة؛ ولها حالتان

الأولى — أن تكون ساكنة، فلا يكون ما قبلها إلا متحركا وتكتب بحركة ما قبلها . فإن كان ما قبلها مفتوحا، كتبت ألفًا نحو : رأس، وكأس، وبأس، ١٥
ويأس، وضأن، وشأن، ودأب، وتأمُرُ، وتأكُلُ . وإن كان ما قبلها مضموما، كتبت واوًا، نحو: مؤْمن، ونؤْمن، وتُؤْوِى، وتؤتى، ومؤتى، ويؤفك، وما أشبهها . وإن كان ما قبلها مكسورا، كتبت ياء، نحو : بئر، وذئب، وبئس، وأنبِئْهم، ونبئْنا، وجئت، وجئنا، وشئت، وشئنا، وامْتَلَأْتَ، وما أشبهها .

الثانية — أن تكون الهمزة متحركة، والنظر فيها باعتبارين : ٢٠

الاعتبار الأوّل — أن يكون ما قبلها ساكنا، وحينئذ فلا يخلو، إما أن يكون حرفا من حروف العلة (وهى الألف والواو والياء) أو حرفا صحيحا . فإن كان الساكن الذى قبلها حرفَ علة نُظِرَ، إن كان حرف العلة ألفا، فإن كانت حركة الهمزة فتحةً، فلا تثبت للهمزة صورة نحو: ساءل، وأبناءنا، وأبناءكم، ونساءنا، ونساءكم، وجاءنا، وجاءكم، (وساءل، فَاعَلَ من السؤال) وما أشبهه . وإن كانت ضمة تثبت لها صورة الواو نحو : التَّسَاؤُلُ، وآباؤكم، وأبناؤكم، وأولياؤكم، وبآبَائنا(١)، وشبه ذلك، وإن كان حرف العلة واوا أو ياء، فإما أن تكونا زائدتين للمدّ، أو تكون الياء للتصغير أو أصليتين أو ملحقتين بالأصل . فإن كانتا زائدتين للمدّ نحو : خطيئة، ومقروءة، وهنيئا، مريئا، أو ياء تصغير نحو : أُفَيْئس تصغير أَفْؤُس جمع فاس، فلا صورة للهمزة . وإن كانتا أصليتين نحو : سوْءة، وهيئة، أو ملحقتين بالأصل نحو : جيئل (وهو الضَّبُعُ)، وحَوْءَبَة (وهو الدلو العظيم)، والحَوْءَبُ (اسم موضع)، والسَّمَوْءَل (اسم رجل)، فإنك تحذفها وتنقل حركتها إلى الساكن قبلها فتقول : سوَة، وهية، وجيل، وحوبة، وحَوب وسَمول . ولا صورة للهمزة حينئذ فى تحقيقها ولا فى حذفها . وإن كان الساكن الذى قبلها حرفا صحيحا نحو : المَرْأَةُ، والكَمْأَةُ، ويَسْأَمُ، ويُسْئِمُ، ويَلْؤُمُ ونحو ذلك، فتنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وتحذف الهمزة . والأحسن الأقيس ألا تثبت لها صورة فى الخط لا فى التحقيق ولا فى الحذف والنقل .

ومنهم من يجعل صورتها الألفَ على كل حال، فيكتبها على هذه الصورة: المرأة والكَمْأة، ويسأم، ويسإم، ويلأُم، وهو أقل استعمالا . وقد كتب منه حرف فى القرءان بالألف، وهو قوله تعالى : "يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ" .

(١) كذا فى الأصل، وليس هذا موضعها كما هو ظاهر .

ومنهم من يجعل صورتها على حسب حركتها، فيكتب المرأة، والكمأة، ويسأم، بالألف، ويكتب يسئم بالياء، ويكتب يلؤم بالواو. وآستثنى بعضهم من ذلك ما إذا كان بعدها حرف علة نحو: سؤول، ومشئوم فلم يجعل لها صورة أصلا، وإذا كان مثل: رءوس يكتب بواو واحدة فلا صورة لها. وكذلك الموءودة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ على ما كتبت في المصحف بواو واحدة لا يجعل لها صورة.

الآعتبار الثاني — أن يكون ما قبلها متحركا فينظر، إن كانت مفتوحة مفتوحا ما قبلها، كتبت ألفا نحو: سأل، ورأيت، ورأوك، وبدأكم، وأنشأكم، وقرأه، وليقرأه، وشبه ذلك. إلا إن كان بعدها ألف فلا صورة لها نحو: مآل ومآب. وذهب بعضهم إلى أنها تصوّر ألفا فتكتب بألفين. وإن كانت مفتوحة مكسورا ما قبلها نحو: خاطئة، وناشئة: وليبطئن، وموطئا، وخاسئا، وينشئكم، وشانئك، صوّرت بمجانس ما قبلها (وهو الكسرة) فتصوّر ياء. وإن كانت مفتوحة، مضموما ما قبلها نحو: الفؤاد، والسؤال، ويؤده إليك، ويؤلف، ومؤجلا، ومؤذن، وهزؤا، وشبهه، صوّرتها بمجانس ما قبلها. وإن كانت مضمومة، مضموما ما قبلها، نحو: نؤم، كصبر جمع صبور، أو مضمومة، مفتوحا ما قبلها نحو: لؤم، كتبت بالواو في الحالتين، إلا إن كان بعدها في الصورتين واو[1] نحو: رءوس، ونئوم، وإن كانت مضمومة، مكسورا ما قبلها نحو: يستهزءون، وأنبئكم، ولا ينبئك، وسنقرئك، كتبت بواو على مذهب سيبويه، وياء وواو بعدها[2] على مذهب الأخفش.

(١) أى فلا صورة لها. (٢) هذا خاص بنحو يستهزءون و يقرءون.

الحـال الثـالث

أن تكون الهمزة آخرا؛ ولها حالتان أيضا

[الحـالة] الأولى

أن يكون ما قبلها ساكنا، والنظر فيها بآعتبارين

الآعتبار الأوّل — أن يكون ما قبلها صحيحا، فتحذف الهمزة وتلقى حركتها على ما قبلها ولا صورة لها فى الخط نحو: جزء، وخبء، ودفء، والمرء، وملء. سواء فى ذلك حالة الرفع والنصب والجرّ. وقيـل: إن كان ما قبل الساكن مفتوحا، فلا صورة لها. وإن كان مضموما، فصورتها الواو، وإن كان مكسورا، فصورتها الياء مطلقا. وقيـل: إن كان مضموما أو مكسورا فعلى حسب حركة الهمـزة، فيكتب الجزء، والدفء، بالواو فى الرفع وبالألف فى النصب وباليـاء فى الجرّ. وإن كان شىء من ذلك منصوبا منوّنا فيكتب بألف واحدة، هى البدل من التنوين. وقيل: يكتب بألفين، إحداهما صورة الهمزة، والأخرى صورة البدل من التنوين.

الآعتبار الثانى — أن يكون ماقبلها معتلا، فينظر إن كان حرف العلة زائدا للمدّ، فلا صورة لها نحو نبىء، ووضوء، وسماء، والسُّوء، والمسىء، وقرّاء، وشاء، ويشاء، والمـاء، وجاء، (1) إلا إن كان منوّنا منصوبا، فَيَكْتُبُهُ البَصْريون بألفين، والكوفيون وبعض البَصْريين بواحدة، وهذا إذا كان حرف العلة ألفا نحو: سماء: الألف الواحدة حرف العلة، والأخرى البدل من التنوين. فإن آتصل ما قبله ألف بضمير مخاطب أو غائب، فتصوّر الهمزة واوا رفعا نحو: هذا سماؤك، وياءً جرّا نحو: نظرت إلى سمائك، وألفا واحدة هى ألف المدّ نَصْبًا نحو: رأيت سماءك. أما إذا كان حرف

---

(1) هذه الألفاظ الأربعة ليس فيها مد زائد ولعله مصحف وأصله [و بناء ونساء والمساء وخباء الخ]. فليحرر.

العلة ياء أو واوا نحو : رأيت وضوءا ، فيكتب بألف واحدة . وإن كان حرف العلة غير زائد للمدّ، فلا صورة للهمزة فى الخط .

الحالة الثانية

أن يكون ما قبل الهمزة متحرّكا

فتكتب صورة الهمزة على حسب الحركة قبلها . فإن كانت الحركة فتحة ، رسمت ألفا نحو : بَدَأَ، وأَنْشَأَ "ومِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ" والمَلَأُ، ويُسْتَهْزَأُ، على البناء للفعول، ويُنْشَأُ كذلك، ورأيت آمْرَأً وما أشبهه . وإن كانت كسرة رسمت ياء نحو : قُرِئَ، وآستُهْزِئَ ، ولكل آمْرِئٍ ، ومن شَاطِئٍ ، ويَسْتَهْزِئُ ، على البناء للفاعل، وبرئ ومررت بآمْرِئ . وإن كانت ضمة، رسمت واوا نحو : آمرؤ، واللؤلؤ، وما أشبه ذلك، إلا فى مثل النبأ إذا كان منصوبا منوّنا فقيل : يكتب بألفين نحو : سمعت نبأا، وقيل : بواحدة وهو الأَوْلى . وإن آتصل بها ضمير، فعلى حسب الحركة قبلها كحالها إذا لم يتصل بها ضمير. وقيل: إن كان ماقبلها مفتوحا فبألف، نحو : لن يقرأ، إلا أن تكون هى مضمومة فبواو، إن قلنا بالتسهيل بين الهمزة والواو، وبالياء إن قلنا بإبدالها ياء، وقيل : إن آنضم ما قبلها أو آنكسر، فكما قبل الآتصال بالضمير، فتجعل صورتها على حسب الحركة قبلها. وإن آنفتح ما قبلها وآنفتحت فبالألف، نحو : لن يقرأ ، وكذلك إذا آنفتح ما قبلها وسكنت نحو : لم يقرأ ، ولم يُنَبَّأْ ، وآقرأ، وإن نشأ وما أشبهه . وإن آنفتح ما قبلها وآنضمت فبالواو، نحو : يقرؤه، وقيل : بالواو والألف كما كتبوا فى المصحف : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا ﴾ و﴿ نَبَؤُا الْخَصْمِ ﴾ و﴿ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ﴾ ﴿ أَوَ مَنْ يُنَشَّؤُا ﴾ بواو وألف فى الجميع . أو آنكسرت فبالياء، نحو: من المقرئ، وقيل بها وبألف كما كتبوا فى المصحف : ﴿ مِن نَّبَاي الْمُرْسَلِينَ ﴾ بألف وياء .

تنبيـــــــــه

قد تقدّم فى الحذف أن همزة الوصل تحذف فى بعض مواضعَ وتثبت فيما عداها . فحيث ثبتت ، كتبت بحسب حالها إذا ٱبتدئ بها . فإن كانت يبتدأ بها مضمومة ، كتب ما يليها واوا إن كانت همزة أو واوا مبدلة منها ، نحو : اؤتمِنَ فلان ، وقلت لك اؤمر فلانا بكذا ؛ وإن كانت يبتدأ بها مكسورة ، كتب ما يليها ياء إن كانت همزة أو ياء مبدلة منها ، نحو : ٱئذن لى يا زيد ، ائت القوم ، ائت عليهم كذلك وإن كان النطق بها واوا بضم ماقبلها ، نحو : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ يَقُولُ ٱئْذَنْ لِى ﴾ تكتبه ياءً على الهمزة فى الابتداء بها ؛ ويستثنى فاء افعل من نحو يَوْجل مثل يَؤْسن فإنهـا تكتب واوا بعـد الواو والفاء كما فى قولك فٱوجل ، وٱوجل . يكتبان بإثبات ألف الوصل ، والواو بعدها ولم يكتبوها على ٱبتداء الهمزة . أما بعد غير الواو والفاء ، فإنها تكتب بحسب الابتداء بها ، نحو : قلت لها ٱيجلى ، أو ثم ٱيجلى ، وقلت لكم ٱيجلوا ، فإنك تلفظ به واوا وتكتبه ياء للانفصال ؛ وإن كانت قبلها كسرة كانت ياء لفظا وخطا ، نحو : قلت لَكِ ٱيجلى ، وكذلك إذا ٱبتدئ بهمزة الوصل ، نحو : ٱيجلى يا هند .

وٱعلم أنه إذا وقعت همزة ٱستفهام وبعـدها همزة قطع صوّرت همزة القطع بعدها بمجانس حركتها . فإن كانت الحركة فتحة كتبت ألفـا ، نحو : أأسجد ، وإن كانت الحركة ضمة كتبت واوا ، نحو : أؤُنْزِل ، وإن كانت الحركة كسرة كتبت ياء ، نحو : أَئِنَّكَ لأنها إذا خُفِّفت بالبدل كان إبدال المفتوحة ألفا ، وإبدال المضمومة واوا ، وإبدال المكسورة ياء . وقد تحذف المفتوحة خطا فتكتب بألف واحدة ، نحو : أسجد كما فى رسم المصحف .

وٱختلف فى الساقطة من الهمزتين والحالة هذه ، فقيل الثانية ، وهو قول أحمد ٱبن يحيى ، وقيل الأولى وهو قول الكسائى .

فلو كانت ثلاث ألفات فى اللفظ، نحو قوله تعالى : ﴿ أآلِهَتُنَا خَيْرٌ ﴾ فقال أحمد ابن يحيى : تكتب بواحدة .

وآختلف فى الثابتة ، فذهب الفراء وثعلب وآبن كيسان إلى أنها الآستفهامية لأنها حرف معنًى . وحكى الفراء عن الكسائى : أنها الأصلية، وحكاه آبن السيد عن غير الكسائى وحُكى عنه أنها ألف الجمع .

وقد تكتب غير المفتوحة ألفا، نحو قوله : أإنّك، لأن الألف هى الأصل ، والهمزة حرف زائد لمعنًى كالواو والفاء فلا يعتدّ به، لكنه قليل؛ والله أعلم .

الجملة الثانية

فى حالة التركيب والفصل والوصل

وآعلم أن الأصل فصل الكلمة من الكلمة ، لأن كل كلمة تدل على معنًى غير معنى الكلمة الأخرى ، فكما أن المعنيين متميزان فكذلك اللفظ المعبِّر عنهما يكون متميزا . وكذلك الخط النائب عن اللفظ يكون متميزا بفصله عن غيره . ويستثنى من ذلك مواضعُ كتبت على خلاف الأصل :

(منها) أن تكون الكلمتان كشىء واحد، وذلك فى أربعة مواضعَ :

الموضع الأوّل — أن تكون الكلمتان قد رُكِّبتا تركيبَ مزج، مثل : بعلبك ، ليدل على أن التركيب الذى يعتبر[1] فيه وصل الكلمة بالأخرى هو تركيب المزج، وهو أن يتحد مدلول اللفظين . بخلاف ما إذا رُكبتا تركيبَ إسناد، نحو : زيد قائم ، أو تركيبَ إضافة، نحو: غلامُ زيدٍ، أو تركيبَ بناء لم يتحد فيه مدلول اللفظين، نحو: خمسةَ عشرَ ، وصباحَ مساءَ ، وبينَ بينَ، وحَيْصَ بَيْصَ، فإن هذا كله يكتب مفصولا لا تخلط فيه كلمة بأخرى .

---

(١) لعله يغتفر .

الموضع الثانى — أن تكون إحدى الكلمتين لا يبتدأ بها فى اللفظ، نحو الضمائر البارزة المتصلة، ونون التوكيد، وعلامة التأنيث والتثنية والجمع فى لغة أكلونى البراغيث، وغير ذلك مما لا يمكن أن يبتدأ به، فكل هذا يكتب متصلا وإن كان من كلمتين.

الموضع الثالث — أن تكون إحدى الكلمتين لا يوقف عليها، وذلك ما كان ٥ نحو باء الجر، وفاء العطف، ولام التأكيد، وفاء الجزاء، فإن هذه الحروف لا يوقف عليها، فلما آمتزجت فى اللفظ آمتزجت فى الخط فتكتب متصلة، وإن كانت فى الحقيقة كلمتين.

الموضع الرابع — أن تكون الكلمة مع الأخرى كشىء واحد فى حال تما فآستصحب لها الآتصال غالبا، مثل: بعلبك، إذا أعرب إعراب المضاف ١٠ والمضاف إليه، فإن هذا الإعراب يقتضى أن تفصل إحدى الكلمتين من الأخرى، لأن الإعراب قد فصلهما. أما إذا أعرب إعراب ما لا ينصرف فلا يصح فيه الفصل أصلا، لأن اللفظ الثانى منتهى الآسم، فهو مفرد فى المعنى وفى اللفظ.

وكتبوا لئلا مهموزةً وغير مهموزة بالياء (وكان القياس أن تكتب بالألف) كما تكتب لأنْ إذا كانت اللام مكسورة بالألف فكذلك إذا زيدت عليها لا، إلا أن ١٥ الناس آتبعوا رسم المصحف، وكذلك لئِنْ فعلت كذا تكتبه بالياء آتباعا للمصحف، وإن كان القياس أن يكتب بالألف. وسيأتى الكلام على وصل لا بإن فيما بعد إن شاء الله تعالى.

(ومنها) توصل مِنْ الجارّة وهى المكسورة الميم بما بعدها بعد حذف النون منها على ما تقدّم فى موضعين:

٢٠ الموضع الأوّل — توصل بِمَن المفتوحة الميم مطلقا، سواء كانت موصولة، نحو: أخذت الدرهم مِمَّنْ أخذتَه منه، أو موصوفة كما فى المثال المذكور فإنها فيه تحتمل

المعنيين جميعا ، أو آستفهامية ، نحو : مِمَّنْ أنت؟ أو شرطية ، نحو : مِمَّن تأخُذْ درهما آخُذْ منه ، وإنما وصلت بها لأجل آشتباههما خطا إذ لو كتبتا مِنْ مَنْ لكانتا مشتبهتين فى الصورة ، فأدغمت نون مِنْ فى ميم مَنْ ونُزِّلت منزلة المدغم فى الكلمة الواحدة ، فلم يجعل له صورة بل حذف مع كتبه متصلا ، وقد تقدّم الكلام على ذلك فى الحذف . هذا هو المشهور الراجح . ٥

وقال الأستاذ آبن عصفور : إن كانت مَنْ آستفهاميةً ، كتبت مفصولة على قياس ما هو من المدغمات على حرفين .

الموضع الثانى — توصل بعد حذف النون أيضا بما ، إذ كانت موصولة ، نحو : عجبتُ مما عجبتَ منه ، أو آستفهامية ، نحو : مِمَّ هذا الثوب ؟ أو زائدة كما فى قوله تعالى : ﴿مِمَّا خَطَايَاهُمْ أُغْرِقُوا﴾ . أما إذا كانت شرطية ، نحو : مِنْ ما تأخُذْ آخُذْ ، أو موصوفة ، نحو : أكلتُ من ما أكلتَ منه ، فإن القياس يقتضى أن تكون مفصولة . ١٠

وقال الأستاذ أبو الحسن بن عصفور : إذا كانت ما غير آستفهامية ، كتبت مِنْ معها ، وقضيته أنها لا تكتب متصلة إلا فى حالة الآستفهام فقط ، وتكتب منفصلة فيما عداها .

قال الشيخ أثير الدين أبو حيّان رحمه الله : والأوّل أصح لأنّ علة الوصل فى مِمَّن مفقودة فى مما ، وهى آلتباس اللفظين خطًّا . ١٥

(ومنها) توصل عن بما بعدها بعد حذف النون منها على ما تقدّم ، فى موضعين :

الموضع الأوّل — توصل بمَنْ الموصولة غالبا ، نحو : رَوَيْتُ عَمَّنْ رَويتَ عنه ، ويجوز فصلها ، فتفصل عن مِنْ مَنْ وتثبت النون فى عن ، وأما مَنْ غيرُ الموصولة ، فالقياس فصلها ، فتكتب فى الآستفهام عن من تسأل ؟ وفى الشرط ، عن مَنْ ترض أرضَ عنه ، فتفصل عَنْ مِنْ مَنْ على ما مرّ . ٢٠

وزعم آبن قتيبة أن عَنْ مَنْ تكتب موصولة بكل حال، سواء الموصولة وغيرها كما تكتب عمّ وعما موصولة من أجل الإدغام . وزعم غيره أنه لا يؤثر الإدغام فى ذلك لأنهما كلمتان إلا فى نحو : عما قليل لزيادتها .

الموضع الثانى — توصل بما الآستفهامية، كما فى قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ وتحذف الألف من ما على ما تقدّم فى الحذف .

(ومنها) توصل مَعَ بما إذا كانت زائدة، وتقطع إذا كانت موصولة، قاله آبن قتيبة.

(ومنها) توصل فى بمَنْ فى موضعين :

الموضع الأوّل — توصل بمَنْ الآستفهامية دائما، نحو قولك : فيمَنْ تفكر؟ ولكن لا تحذف الياء منها كما حذفت النون من عَنْ ومن، إذ لا إدغام هنا .

الموضع الثانى — توصل بما إذا كانت موصولة فى الغالب، نحو: فكّرْتُ فيما فكّرت فيه، ولا تسقط الياء على ما مرّ . ويجوز فى هذه الحالة فصلها، فتفصل "فى" عن "ما". وتكتب على هذه الصورة "فى ما". وكذلك توصل بما إذا كانت آستفهامية، نحو قوله تعالى : ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ ولا تحذف ياؤها كما تقدّم .

أما مع إذا آتصلت بما أو بمن، فإنها تكتب منفصلة . قاله آبن قتيبة .

قال بعض النحاة : أظنّ سبب ذلك قلة الآستعمال، وإلا فما الفرق بين مع وبين فى . قال : وقد يمكن أن يفرق بينهما فى الآسمية، فإن فى لا تكون إلا حرفا، ومع إن تحرّكت كانت آسما؛ وإن سكنت، نخلاف والأصح الآسمية، وأيضا فإنها تنفصل مما بعدها .

(ومنها) توصل الحروف النواصبُ للآسم، الروافعُ للخبر، إذا دخلت على ما الزائدة نحو : إنما وكأنما وليتما. فتكتب إنّ وكأنّ وليْتَ متصلات بما، نحو : إنما فعلت كذا، وإنما كلمتُ أخاك، وإنما أنا أخوك، وكأنما وجْهُه قمر، وليتما هذا الشىء لى،

ونحو ذلك. فإن كانت ما موصولة، كتبت مفصولة، نحو : إنَّ ما قلتَ لَحَقٌّ، وكأنَّ ما حَدَّثت صحيحٌ، وليت ما لَكَ لى . على أنه قد جاء فى القرءان كثير من ذلك متصلا . وزعم بعضهم أنه لم يأت فى القرءان مفصولا إلا قوله تعالى فى الأنعام : ﴿إنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ . وقد كتبوا فى المصحف : ﴿إنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ فى الطور وغيره متصلا، وكذلك : ﴿إنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ . مع رفع كيد ونصبه، وإن كانت ما موصولة فى الموضعين . ٥

(ومنها) توصل قلّ بما إذا دخلت عليها، نحو : قلّما أتيتك مائة مرة .

(ومنها) توصل إن الشرطية بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون، نحو : ﴿إلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ .

(ومنها) توصل إن الشرطية بما إذا جاءت بعدها بعد حذف النون، نحو : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ . وإنما حذفت النون فى هذه وما قبلها لإدغامها كما فى ممّا وعمّا ونحوه . ١٠

(ومنها) توصل أين بما، نحو : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ﴾ . لأن ما إذا دخلت على أين صارت جازمة إذ تقول : أين تكون أكون، فترفع النون، فإذا دخلت عليها ما، قلت : أينما تَكُنْ أكُنْ بجزمت، فصارت أين وما كأنهما كلمة واحدة . فإن كانت ما موصولة، فصلت نحو : أين ما آشتريتَ، تريد أين الذى آشتريتَ . ١٥

ولم يصلوا متى بما بل كتبوها منفصلة عنها، إذ لو وصلت للزم قلب الياء ألفا كما فى حتام، فتكتب مَتَامَ فيتعذّر إدراكها .

(ومنها) توصل حيث أيضا بما، نحو: ﴿وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ . كما تقدّم فى أين . ٢٠

(ومنها) توصل كل بما المصدرية، إذا دخلت عليها، نحو: كُلَّمَا جئتنى أحسنتُ إليك . فإن كانت نكرة منعوتة كتبت مفصولة، نحو : كلُّ ما تفعلُ حسنٌ ، وكلُّ ما كان منك حسنٌ .

قال ابن قتيبة : وكلُّ مَنْ مقطوعة على كل حال ومكان .

٥ (ومنها) توصل هلْ بِلا، وتحذف إحدى اللامين على هذه الصورة (هَلَّا فعلت) وتقطعها من بل، فتكتب (بَلْ لا تفعل) .

قال ابن قتيبة : والفرق بينهما أنّ لا إذا دخلت على هل تغير معناها، فكأنها معها كلمـة واحدة؛ وإذا دخلت على بل لم تغـير المعنى تقول : بل تفعـل، وبل لا تفعل، كما تقول : كى تفعل، وكى لا تفعل .

١٠ (ومنها) توصل بين بما الزائدة، نحو : بينما أنا جالس، وبينما أنا أمشى .

(ومنها) توصل أىّ بما إذا كانت ما زائدةً كما فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ وكما تقول : أيّمـا الرجلين لقيتَ فأكرم . فإن كانت ما موصولة قطعت فتكتب أىُّ ما تراه أوفقُ، أىُّ ما عندك أفضلُ، مقطوعةً .

١٥ (ومنها) يوصل يوم وحين بإذٍ من قولك يومئذ وحينئذ، وكان القياس الفصل، على ما تقدّم فى الهمزة .

(ومنها) توصل لَئِنْ ولِئَلَّا وإن كان كل منهما كلمتين . إذ الأصل لَإنْ ولأنْ لا وقد تقدّم بيان كتابتهما بالياء دون الألف، لكونهم جعلوه مع ما بعده كالشىء الواحد

(ومنها) توصـل أَنْ المفتوحة بلا إذا دخلت عليها بعد حذف النون على أحد

٢٠ الأقوال فتكتب على هذه الصورة(أَلَّا) (والثانى): تفصل منها وتثبت النون، فتكتب على

هـذه الصورة : (أن لا يقوم) . و (الثالث) : يُفَصَّل بين أن تكون مخفَّفة عن الثقيلة ، فتكتب مفصولة نحو : علمت أن لا يقومُ زيدٌ ، وعلمت أن لاضرر عندك ، التقدير أنه لا يقوم وأنه لا ضرر عندك ولذلك ثبتت فى قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ أو ناصبة للفعل فتقدّر كَتْبَها متصلة على اللفظ وتحذفها فى الخط ، نحو : يعجبنى ألَّا تقوم ، وهو قول الأخفش وآبن قتيبة وآختيار آبن السيد . ٥
(والرابع) : التفصيل بين أن تدغم بِغُنَّةٍ ، فتكتب منفصلة ، أو بغير غُنَّةٍ فينوَى الآتصال وتحذف خطا . ويروى عن الخليل ، وآستحسنه بعض الشيوخ : وقد وقع فى القرءان مواضع متصـلة ومواضع منفصـلة فيجب آتباعها آقتـداء بالسلف . وقـد وقع فى المصحف وصـل مواضعَ القياسُ فصلُها ، فيجب وصلها فى المصحف آتباعا لرسمه ، وتوصل فى غيره فى الغالب أو فى بعض الأحوال . ١٠

(ومنها) وصلت بئس بمـا فى موضعين :

أحدهما — ﴿ بِئْسَمَا آشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ﴾ فى البقرة .

والثـانى — ﴿ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنْ بَعْدِى ﴾ فى الأعراف .

(ومنها) وصلت نعم بمـا للإدغام . وحكى آبن قتيبة فيه الفصل والوصل .

(ومنها) وصلت إن بلم مع حذف النون للإدغام فى قوله تعالى : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾ فى هُودٍ ، بخلاف التى فى القَصَص فإنها كتبت مفصولة بإثبات النون . ١٥

(ومنها) وصلت أن بلَنْ مع حذف النون للإدغام فى سورة الكهف فى قوله : ﴿ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ .

(ومنها) وصلت أَمْ بمَنْ فى نحو قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ﴾ .

قال محمد بن عيسى : كل ما فى القرءان من ذكر أم فهو موصول إلا أربعة مواضع : ٢٠

فى النساء : ﴿أَم مَّنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ . وفى التوبة : ﴿أَمَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَه﴾، وفى الصَّافَّات : ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ . وفى فُصِّلَتْ : ﴿أَم مَّنْ يَأْتِي آمِنًا﴾ .

(ومنها) وصلت كى بلا فى نحو : كَيْلَا ولِكَيْلَا فى أربعة مواضعَ فى المصحف : ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ فى آل عمران . و ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ فى الحج . و ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ فى الأحزاب . و ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ فى الحديد ٥ وما عداها فهو مقطوع كما فى أول الأحزاب .

ووجه ٱبن قتيبة المقطوع بأنك تقول : أتيتك كى تفعل وكى لا تفعل، كما تقول : حتّى تفعل وحتّى لا تفعل فيختلف المعنى بالنفى والإثبات فيه .

الفصـــــل الخامس

١٠ من البـاب الثـانى من المقـالة الأولى

فيما يُكْتَبُ بالظاء، مع بيان ما يقع الاشتباهُ فيه ممـا يُكْتَب بالضاد

وإنمـا خصت الظاءُ بالذكر دُونَ الضاد لقلّة وقوع الظاء وكثرة وقوع الضاد؛ وخُصَّ ما يكتَب بالظاء بالذكر دُونَ ما يُكتَب بالذال المعجمة، لأن الدال والذال فى صُورة الكتابة واحد ، فلا يظهَر خَطَأ الكاتب فيه، بخلاف الظاء والضاد ، فإن ١٥ شكْلَهما مختلف فيظهَر خطأ الكاتب وعُوَارُه فيه؛ فلذلك وقعتِ العِناية بالتنبيه على ما يكتب بالظاء دُونَ ما يكتَب بالذال المعجَمة .

وقد أورَدْتُه على حروف المعجَم ليقربَ تناوُلُه .

حرف الألف

فيه — أظلَّه الشيء: إذا غَشِيَهُ؛ أما أضَلَّه من الضَّلال إذا ضَلَّ دابتَه إذا نَدَّتْ، ٢٠ فبالضـاد .

حرف البـاء

فيه — بهظه الأمرُ : إذا أتعبه . وفيه، البَظْر، وهو اللَّحمة المتدليَّة من فرْج المرأة، التى تُقْطَع بالختَان .

حرف التـاء المثناة فوق

فيه — التَّقْرِيظُ ، وهو المدح ؛ والتَّلَمُّظ ، وهو تحريك الشفتين بعد الأكل لابتلاع ماحَصَل بين الأسنان .

حرف الجـيم

فيـه — الجَوَّاظ ، وهو الجـافى المتكبِّر ، أو الأكُول ؛ والجُحُوظ ، وهو نُتُوُّ العين ونُدُورها ؛ ومنه أبو عُثْمان الجاحظُ ، وجَحْظَة البرمَكِيُّ .

حرف الحـاء المهملة

فيه — الحِفْظ ، وهو ضِدُّ النِّسيان ؛ والحَفِيظة ، وهى المَوْجِدَة ؛ والحَظُّ ، وهو الغِنى والنصيب . ومنه قوله تعالى: ﴿ إنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ . وقوله : ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْـلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ ﴾ . أما الحَضُّ بمعنى الحث فإنه بالضاد . ومنه قوله تعالى : ﴿ ولا يَحُضُّ على طَعَامِ المِسْكِينِ ﴾ . والحُظْوة، وهى الرفعة؛ والحظر، وهو المنع . ومنه قوله تعـالى : ﴿ كُلًّا نُمِدُّ هؤُلاءِ وهؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّك ومَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ . وقوله : ﴿ كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ ﴾ . وفى معناه الحظِير، وهو المَحُوط من قصب ونحوه . أمَّا الحُضُور خلافُ الغَيْبة فإنه بالضاد ؛ والحَنْظَل ، وهو النَّبَات المُرُّ المعروف .

حرف الشين المعجمة

فيه — الشَّظِيَّة ، وهى القِطعـة من الشىء؛ والشِّظَاظ ، وهى عِيدانٌ لِطَافٌ يُجمَعُ بها العِدْلان؛ والشَّظَف ، وهو خُشُونة العيش؛ والشُّوَاظ ، وهو لَهَب النار .

ومنه قوله تعالى : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نارٍ ونُحَاسٌ﴾ . والشَّيْظَمُ، وهو الفَرَس الطويل الظهر؛ والشَّنَاظِى، وهى أطراف الجبال .

حرف الظاء المعجمة

فيه — الظَّنُّ، بمعنى التخمين والشَّكّ؛ والظِّنَّة، وهى التُّهَمة . أما الضَّنُّ بمعنى البخل فإنه بالضاد، وعلى المعنيين قرئ قوله تعالى : ﴿ وَمَاهُوَ عَلَى الغَيْبِ بضَنِينٍ ﴾ بالضاد والظاء، لاتّجاه المعنيين فى النبىّ صلى الله عليه وسلم إذ ليس ببَخِيل ولا متَّهَم؛ وفيه ظَلَّ يفعل كذا : إذا فعله نهارا . ومنه قوله تعالى : ﴿فظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ . وقولُه : ﴿ فظَلْتُمْ تفَكَّهُونَ ﴾. وقوله :﴿وانْظُرْ إلى إلٰهِكَ الَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عاكِفًا﴾ .

أما ضَلَّ من الضلال، خلاف الهدى؛ وضَلَّ الشىءُ : إذا ضاع، فالبضاد .

وفيه الظِّلُّ، خلاف الحَرِّ حيثما وقع ومايُشْتَقُّ منه؛ والظُّلْم ومايَتَشعَّب منه، والظَّلام وما يتفرّع منه، والظَّلْمُ (بفتح الظاء) وهو ماء الأسنان؛ والظَّلِيمُ، وهو ذَكَر النَّعَام؛ والظَّبْىُ : واحدُ الظِّباء؛ والظَّبْية الأنثى منـه؛ والظَّبْية : حَيـاءُ الناقة؛ والظُّبَةَ، وهو حدُّ السيف؛ والظَّرْف، وهو الوِعاء الحَسَن؛ والظَّعْن، وهو السَّفَر . ومنـه قوله تعالى :﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ و يَوْمَ إقَامَتِكُمْ﴾ . والظِّرَاب، وهى الهِضاب . أما الضِّرَابُ مصدر ضاربتُه فإنه بالضاد؛ والظَّعِينةُ، وهى المرأة؛ والظِّلْف، وهو للبقر والغَنَم كالحافر للخيل؛ والظَّلَف، وهو نزاهة النفس؛ والظُّفُر، واحدُ الأظفار، والظَّفَر، وهو النصر . أما ضَفْر الشَّعر ونحوه فبالضاد، والظِّئْر، وهى المُرْضِـعة؛ والظَّهْر، وهو العُضْو المعروف . أما الضَّهْر، وهو صخرة فى الجبـل يخالف لونُهـا لونَه فإنه بالضاد؛ والظَّهِير، وهو المُعِين؛ والظَّهِيرة، وهى وَسَط النهار؛ والظَّمأ، وهو العَطَش؛ والظِّرار جمع ظِرٍّ، وهو الغليظ من الأرض . أما الضَّرير بمعنى الأعمى فبالضـاد،

والظَّرِبَان ، وهى دُوَيْبَّةٌ منتنة الريح ؛ والظَّلَعُ ، وهو الغَمْز يقال : ناقة ظالع إذا غمزَتْ فى المشى . أما الضِّلَع واحد الأضلاع فإنه يكتَب بالضاد ، ومنه قولهم : فرسٌ ضَلِيع .

حرف العين المهملة

فيــه ـ العَظْم ، وهو معروف ؛ والعَظَمة ، وهى الكِبرياء وما تصرَّف منها ، وعَظَّه الدهر وعَظّته الحرب . أما العَضُّ بالأسنان فبالضاد ، والعَظْل[1] ، وهو الشدّة ، ومنــه تَعاظُلُ الجراد والكلاب فى السِّـفاد . أما العَضْل بمعنى المنع فإنه بالضاد ، ومنــه قوله تعــالى : ﴿ فلا تَعْضُلُوهُنَّ أن يَنْكِحْنَ أزْواجَهُنَّ ﴾ . وكذلك قولهم : أعضَلَ الأمرُ إذا صَعُب . ومنه الداء العُضَال ؛ وسوق عُكَاظ ، وهو سُـوق كان يقام للعرب فى الجاهلية ، وأصل العَكْظِ الحَبْس .

حرف الغين المعجمة

فيه ـ الغَيْظ بمعنى الحَنَق وما تفرَّع عنه ، أما غاض المـاءُ بمعنى غار ، والغَيْضَة ، وهى مَنْبِتُ الشجر فى المـاء فبالضاد ، والغِلَظ وما تصرف منه .

حرف الفــاء

فيه ـ الفَظَاظة ، وهى القسوة ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ﴾ . أما آنْفِضاض الجمع فبالضاد ، ومنه قوله تعالى : ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ . وكذلك آفْتِضاض البكر والكِتَاب ، والفَظِيع ، وهو الشنيع ، وفاظَ الرجُل إذا مات . أما فَيْض الإناء والدمع بمعنى السَّـيَلان فبالضاد ؛ ومن ثَمَّ جاز أن يكتب فاظَتْ نفسُه بالظاء على معنى ماتت نفسه ، ويجوز أن يكتب بالضاد على معنى سالَتْ نفسه .

(١) كذا فى الضوء أيضا بالظاء المشالة . وفى اللسان مادة (ع ض ل) : « وأصل العضــل المنع والشدّة » أى بالضاد الساقطة ، ولم يذكره بهذا المعنى فى مادة (ع ظ ل) .

حرف القـاف

فيه ـ القَيْظ، وهو صميم الحَرّ وما تصَرَّف منه . أما القَيْض الذى هو القشر الأعلى من البيض فبالضاد، وكذلك قَيَّض الله له كذا ، أى أتاحه له ، والقَرَظ ، وهو ثمرة شجرة السَّنْط التى يدبَغُ بها الجلد . أما القَرْض بمعنى القطع فبالضاد، ومنه قَرْض المال .

حرف الكاف

٥

فيــه ـ الكَظْم ، وهو كَتْم الحُزْن، والكَظُّ ، وهو شدّة الحرب، وكاظِمَةُ ، وهو آسم مكان بالبحرَيْن .

حرف اللام

فيه ـ لَظَى : آسمُ جهنَّمَ، واللَّظُّ ، وهو اللزوم . ومنــه " أَلِظُّوا بياذا الجَلَالِ والإكرام" أى آلزموا هــذا الآسم فى الدعاء والمناجاة به، واللَّحْظ ، وهو النظر بمُؤْخِر العين ؛ واللَّمَظ، وهو بياضُ الجَحْفلة السُّفْلى من الفرس، ومنه قيل: فرس ألْمَظُ ؛ واللَّفْظ، وهو معروف وما تصرف من جميع ذلك .

١٠

حرف النون

فيه ـ النَّظْم وما تصرف منه، والنَّظَر بالعين وما تصرف منه، والنَّظِير وهو المثل . أما النَّضَارة بمعنى البَهْجة فبالضاد، ومنه قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ . ومنه آشتقاق بنى النَّضِير، وفى معناه النُّضَارُ آسمُ الذهب؛ والنَّظَافة، وهى خلاف القَذَارة .

١٥

حرف الواو

فيه ـ الوَظِيف : ما فوقَ الرُّسْغ من ذوات الحافِر؛ والوَظِيفةُ، وأصلها الطعام الراتِب ثم آستُعمِلت فيما هو أعَمُّ من ذلك .

حرف اليـاء

٢٠

اليَقَظَة ، وهى خلاف النوم .

المقالة الثانيــــة

فى المسالك والممالك، وفيها أربعة أبواب

الباب الأوّل

فى ذكر الأرض على سبيل الإجمال

وفيه ثلاثة فصول ٥

الفصـــــل الأوّل

(فى معرفة شكل الأرض، وإحاطة البحر بها، وبيان جِهَاتها الأربع، وما آشتملت عليه من الأقاليم الطبيعية، و بيان مَوْقع الأقاليم العُرْفية من الأقاليم الطبيعية، وذكر حدودها الجامعةِ لها، ومعرفة طريق آستخراج جهة كل بلد؛ وفيه طَرَفان) .

الطَّـــرَف الأوّل ١٠

فى شكل الأرض، وإحاطة البحر بها

أما شكل الأرض فقد تقرّر فى علم الهيئة أن الأرض كُرِيَّة الشَّكْل والماء مُحِيط بهـا من جميع جهاتها إلا ما آقتضته العِنَاية الإلٰهيَّة من كشف أعلاها لوقوع العِمارة فيه؛ وقيل هى مُسَطَّحة الشَّكْل؛ وقيل كالتُّرْس؛ وقيل كالطَّبْل . والتحقيق الأوّل و بكل حال فالماء محيط بها من جميع جهاتها كما تقدّم . ١٥

قال فى "تقويم البُلْدان"(١): وأحواله معلومة فى بعض المواضع دون بعض، فمن المعلوم الحالِ الجانبُ الغربىُّ ويسمَّى بحر أُوقِيانُوسَ (بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنةٌ ثم قاف مكسورة ثم ياء مثناة تحتُ مفتوحةٌ ثم ألف بعدها نون ثم واو ثم سين مهملة) .

---

(١) هذه الفقرة تناسب الكلام على البحار وقد ذكرها هناك .

ثم للأرض أربع جهات :

الأولى — المَشْرِق، سميت بذلك لشُرُوق الشمس منها ، و يقال لها الشَّرْق أيضا .

الثانيـة — المَغْرِب ، سميت بذلك لغروب الشمس فيها ، و يقال لها الغَرْب أيضا .

الثالثـة — الشَّمَال (بفتح الشين) وهى التى اذا آستقبلتَ المَشْرِق كانت على شِمَالك(١) و يقال لها الشام أيضا ، لأن الشام كانت فى جهة الشَّمال عن بلاد العرب فسميت الجهة به ، وأهل مصر يسمون هذه الجهةَ : البَحْرِيَّة ، لكونها جهة البحر الرومىّ ، أو تسميةً لها بآسم الريح التى تَهُبُّ منها ، فقد سبق أنهم يسمُّون الرِّيح التى تَهُبُّ من الشمال البحريةَ ، لأنها يساربها فى البحر كيف كان .

الرابعـة — الجَنُوب (بفتح الجيم) وهى التى اذا آستقبلت المشْرِق كانت على جانبك الأيمن ولم يُسَمَّ بالأيمن كما سُمِّى مقابلُه بالشَّمال ، لأنه لما ذكر الشَّمال لم يبق إلا الجانبُ الأيمن فآستُغْنِيَ عن ذكره ، وأهل مصر يسمون هذه الجهة : القبلية ، لوقوعها فى جهة قِبْلتهم ولذلك يبدَءُون بها فى التحديد ، و إن كان الأصل الآبتداء بالمشرق ، لأن منه مبدأ حركة الفَلَك .

ثم كُرَة الأرض يقسمُها خطٌّ فى وسَطها بنصفين : نصفٍ جنوبِيٍّ ، ونصف شَمَالىّ ، و يسمَّى هذا الخط خط الآستواء ، لآستواء الليل والنهار عنده فى جميع فصول السنة ، و يقاطعه خطٌّ آخرُ يقسِمُها بنصفين : نصفٍ شرقىّ ونصف غربىّ ، وتصير الأرضُ به أربعةَ أرباع ، و يسمى هذا الخط خطَّ نصف النهار لمسامتة الشمس له فى نصف النهار ، وكلٌّ من هذين الخطين مقسوم بمِائة وثمانين درجةً ، كل درجة ستون دقيقةً . وسيأتى تقدير ذلك بالأميال والفراسخ والمراحل والبُرُد فى الكلام على بُعْد ما بين البُلْدان فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

(١) فى الأصل : «المغرب» وهو خطأ .

وآعلم أن كُلّ ما بَعُد عن أقصى العِمارة فى المغْرِب إلى جهة المَشْرِق يعبَّر عنه عند علماء الهيئة والميقات بالطُّول؛ وقد آختلف فى آبتداء ذلك : فالقُدَماء آبتدءوه من جزائر بالبحر المحيط تُعْرَف بالخالدات، يأتى الكلام عليها فى جملة جزائر البحر المحيط، والمحقِّقون على آبتـداء ذلك من ساحل البحر المحيط الغَرْبىّ الذى هو أقصى العمارة الآنَ، و بينهما عَشْرُ دَرَج، ونهايةُ العمارة فى المشرق موضعٌ يقال له كُنْدُر، ومنتصفُ ما بين الآبتداء والنهاية الشرقية يسمّى قُبَّة أرين، ويعبَّر عنه بقبة الأرض؛ وهى على بعد رُبْع الدَّوْر من المبدإ الغربىّ، ويختلف الحال فيه بآختلاف الآبتداء من الجزائر الخالدات أو من الساحل. وما بَعُد عن خط الآستواء المقدّم ذكره يعبَّر عنه بالعَرْض؛ فإن كان فى جهة الجنوب فالعَرْض جنوبىٌّ، وإن كان فى جهة الشَّمال فالعَرْض شَمَالىّ . ويعتبَر الطُّول والعرض فى الأمكنة من البُلْدان وغيرها بالدَّرَج والدقائق على ما سيأتى بيانه فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

ثم النِّصف الجنوبىُّ من الأرض لا عِمَارة فيه إلا فيما قارب خَطَّ الآستواء فى بعض بلاد الزَّنْج والحبشة، وما والى ذلك مما لا يزيد عَرْضُه على ثلاث دَرَج فيما أورده السلطان عماد الدين صاحب حماه فى "تقويم البُلْدان" أو ستَّ عشْرةَ درجةً وخمسٍ وعشرين دقيقة فيما ذكره إسحاق الحارثىّ وغيره . وأكثر المعمور إنما هو فى النصف الشَّمالىّ؛ والعمارة فيه فيما بين خط الآستواء إلى نهاية ستٍّ وستين درجةً ونصف درجة فى العَرْض؛ وما وراء ذلك إلى نهاية الشَّمال خرابٌ لا عمـارةَ فيه، وغالب العمارة واقع بينما يجاوز عَرْضُه عشْرَ درج إلى حدود الخمسين درجةً، وما وراء ذلك فى جهة الجنوب إلى خط الآستواء، وفى جهة الشَّمال إلى حدّ العمارة غالبُه جبال وقِفَار؛ وغالبُ العمارة فى الطُّول من ساحل البحر المحيط الغربىِّ إلى تسعين درجة فما دُونَها .

الطَّـــرَف الثـانى

فيما ٱشتملت عليه الأرضُ من الأقاليم الطبيعية

قد قَسَّم الحكَماءُ المعمورَ إلى سبعة أقاليم ممتدّة من المغرب إلى المشرق فى عُرُوض قليلة تتشابهُ أحوال البقاع فى كل إقليم منها، ثم ٱختلفوا فى ترتيبها بحسَب العرض، فقوم جعلوا ٱبتداء الأوّل منها خطَّ الآسـتواء، وآخِرَ السابع منتهى العمارة فى الشَّمال ٥ وهو ستٌّ وستون درجة على ما تقدّم .

قال فى "تقويم البُلْدان" : والذى عليه المحقِّقون أن ٱبتداء الإقليم الأوّل حيثُ العَرض ٱثنتا عشرةَ درجة وثلثا درجة، وما و راء ذلك إلى خط الآستواء خارج عن الإقليم الأوّل فى جهــة الجنوب، وآخر الإقليم السابع حيثُ العرضُ خمسون درجة ١٠ وثلث درجة، وما و راء ذلك إلى نهـاية العُمْران فى الشَّمال خارجٌ عن الإقليم السابع إلى الشمال فيكون من العمران ما لم يدخل فى الأقاليم السبعة ، وعليــه وقع الترتيب فى هذا الكتاب .

الإقليم الأوّل — مبدؤه حيثُ العرض ٱثنتا عَشْرةَ درجةً وثلثَا درجة كما هو مذهب المحققين على ما تقدّم ، ووَسَطه حيث العرض ستَّ عشرةَ درجة ونصفُ ١٥ وثمن درجة، وآخره حيث العرض عشرونَ درجة وربعٌ وثُمنُ درجة ، فتكون سعته سبع درجات وثلثى درجة وثمن درجة .

الإقليم الثانى — مبدؤه حيث العرض عشرون درجة وربعٌ وثمن درجةٍ، ووسَـطُه حيث العرض أربع وعشرون درجة وثلثـا درجة، وآخره حيثُ العرض سـبعٌ وعشرونــ درجة ونصفِ درجة ؛ فتكون سَـعَتُه بالتقريب سـبع دَرَج ٢٠ وثلاثَ دقائق .

الإقليم الثالث — مبدؤه حيث العرضُ سبعٌ وعشرون درجة ونصفُ درجة ؛ ووسَطُه حيث العرض ثلاثون درجة وثلثا درجة ؛ وآخره حيث العرض ثلاث وثلاثون درجة ونصف وثمن درجة بالتقريب ؛ [فتكون سعته ست درجات وثمن درجة بالتقريب](1) .

الإقليم الرابع — مبدؤه حيث العرض ثلاث وثلاثون درجة ونصفُ وثمن درجة ؛ ووسطه حيث العرضُ ست وثلاثون درجة وخمسُ وسدسُ درجةٍ ؛ وآخره حيث العرضُ تسع وثلاثون درجة إلا عُشْرا ؛ فتكون سعتُه خمسَ دَرَجات وسبعَ عشرةَ دقيقةً بالتقريب .

الإقليم الخامس — مبدؤه حيث العرضُ تسع وثلاثون درجة؛ ووسطه حيث العرضُ إحدى وأربعون درجةً وربعُ درجة ؛ وآخره حيث العرضُ ثلاث وأربعون درجة وربعُ وثمنُ درجةٍ ؛ فتكون سعَتُه أربعَ درجات وربعَ وثمنَ وعُشْرَ درجةٍ بالتقريب .

الإقليم السادس — مبدؤُه حيث العرض ثلاث وأربعون درجة وربعُ وثمنُ درجة؛ ووسطه حيث العرض خمس وأربعون درجة وعُشْرُ درجة؛ وآخره حيث العرض سبع وأربعون درجة وخمسُ درجة؛ فتكون سَعتُه ثلاثَ درجات ونصف وثمنَ وخُمسَ درجة .

الإقليم السابع — مبدؤه حيث العرضُ سبع وأربعون درجة وخمسُ درجة؛ ووسطه حيث العرض ثمانٍ وأربعون درجة ونصفُ وربعُ وثمنُ درجة ؛ وآخره حيث العرضُ خمسون درجةً وثلثُ درجة؛ فتكون سعته ثلاثَ درجات وثمانَ دقائق .

(١) الزيادة عن تقويم البلدان والضوء .

وأما أطوال هذه الأقاليم فإنها تختلف فى الطُّول والقِصَر بآعتبار القُرْب من خط الآستواء والبعدِ عنــه ؛ فكلَّما قَرُب الإقليم من خط الآستواء كان أكثر طُولا من الذى يليــه : ضرورةَ أن أوسع الكُرَة وَسَطُها وما بعده من الجانبين يقصُر شيئا فشيئا .

٥ فطول الإقليم الأوّل — من آبتدائه من ساحل البحر المحيط الغربىّ إلى ساحل البحر المحيط الشرقىّ فيما ذكره فى "تقويم البُلْدان" مائةٌ وآثنتان وسبعون درجةً وسبع وعشرون دقيقة .

وطول الإقليم الثـانى — مائة وأربع وستون درجة وعشرون دقيقةً .

وطول الإقليم الثالث — مائة وأربع وخمسون درجة وخمسون دقيقة .

١٠ وطول الإقليم الرابـع — مائة وأربع وأربعون درجة وسبع عشرةَ دقيقة .

وطول الإقليم الخامس — مائة وخمس وثلاثون درجة وآثنتان وعشرون دقيقة.

وطول الإقليم السادس — مائة وستٌّ وعشرون درجة وسبع وعشرون دقيقة.

وطول الإقليم الســابع — مائة وتسعَ عشرة درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

الفصـــل الثـانى

من الباب الأوّل من المقالة الثانية

فى البحار التى يتكرر ذكرها بذكر البُلْدان فى التعريف بها والسَّفَر إليها ، وفيه طرفان :

الطـــرف الأوّل

فى البحــر المحيــط ٥

وهو المستدير بالقَدْر المكشوف من الأرض . وأحوالُه معلومة فى بعض المواضع دون بعض .

فمن المعلوم الحالِ منه الجانبُ الغربىُّ ، ويسمَّى بحر أُوقيانُوس ، وفيه الجزائر الخالدات المتقدّم ذكرها فى الكلام على الأطوال .

ويأخذ فى الامتداد من سواحل بلاد المغرب الأقصى من زُقَاق سَبْتَةَ الذى بين ١٠ الأندَلُس وبَرِّ العُدْوة إلى جهة الجنوب حتّى يتجاوز صحراء لَمْتُونة ، وهى بادية البربر بين طَرَف بلاد المغرب من الجَنُوب وبين طرف بلاد السودان من الشَّمال ، ثم يمتدّ جَنُوبا على أرضٍ خرابٍ غير مسكونة ولا مسلوكة حتّى يتجاوز خط الاستواء المتقدّم ذكره إلى الجنوب .

قال الشريف الإدريسى : وماؤه هناك ثخين غليظ شديد الملوحة ، لا يعيش ١٥ فيه حيوان ، ولا يسْلُك فيه مركب .

ثم يعطِف إلى جهة الشرق وراء جبال القُمْر التى منها منابع نيل مصر الآتى ذكْرُها ، فيصير البحر المذكور جنوبيا عن الأرض ، ويمتدّ شرقا على أراض خراب وراء بلاد الزنج ، ثم يمتدّ شرقا وشمالا حتّى يتصل ببحر الصين والهند ، ثم يأخذ مشرّقا حتّى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة ، وهنالك بلاد الصين ؛ ثم ينعطف ٢٠

فى شرق الصين إلى جهة الشّمال و يصير فى جهة الشرق عن الأرض ، و يمتدّ شمالا على شرقى بلاد الصين حتّى يتجاوز حدّ الصين ، و يسامت سـدّ يأجوج ومأجوج، ثم ينعطف و يستدير على أرضٍ غير معلومة الأحوال ، و يمتد مغرّبا و يصير فى جهة الشمال عن الأرض، ويسامت بلاد الروس و يتجاوزها؛ ثم ينعطف غربا وجنوبا و يستدير على الأرض و يصير فى جهة الغرب منها، و يمتدّ على سواحل أمم مختلفة من الكُفّار حتّى يُسامتَ بلاد رُومية من غربها، ثم يمتدّ جنوبا و يتجاوز بلاد روميــة ويسامت البــلاد التى بينها و بين الأندلس ، ويتجاوزها إلى ســواحل الأندلس ؛ و يمتدّ على غربِى الأَندَلُس جنوبا حتّى يجاوزه وينتهى إلى زُقاق سَبْتة الذى وقعت البداءة منه .

الطَّـــرَف الثـانى

فى البحار المنبثة فى أقطار الأرض ، ونواحى الممالك، وما بها من الجزائر المشهورة ، وهى على ضربيـــن

الضـــرب الأوّل

الخارج من البحر المحيط وما يتصل به

والمشهور منه ثلاثة أبحر :

البحــــر الأوّل

الخارج من البحر المحيط الغربى إلى جهة الشرق

وهو (بحر الروم) وأضيف إلى الروم لسكنى أممهم عليه من شَمَالِيِّه، و يعبَّر عنه بالبحر الرومىّ أيضا، وقد يعبَّر عنه بالبحر الشامىّ، لوقوع سواحل الشام عليه من شرقية. ومَخْرَجُه من المحيط من بحر أُوقِيانُوس المتقدم ذكره بين الأندلس و برّ العُدْوة

من بلاد المغرب، ويُسمّى هناك بحرَ الزُّقَاق، وربما قيل زُقَاق سَبْتَةَ، لمجاورته لها على ما سيأتى؛ وهو هناك فى غاية الضيق .

قال الشريف الإدريسىّ : والثابت فى الكتب القديمة أن سَعَته عشرةُ أميال ولكنه آتسع بعد ذلك .

قال آبن سعيد : وهو فى زماننا ثمانيةَ عشرَ ميلا . ٥

قال فى "الروض المعطار": ويذكر أنه كان عليه قنطرة عظيمة بين الأندلس وساحل طَنْجة من بر العُـدْوة، مبنيَّةٌ بالحجارة، لا يُعْلم لها نظير فى معمور الأرض، يمرّ عليها الناس والدوابُّ من جانب إلى جانب، وأن البحر قبل الفتح الإسلامىّ بمائة سنة طمى فأغرق القنطرةَ، وربما ظهرت لأهل المراكب تحت الماء . قال : والناس يقولون إنه لا بُدَّ من ظهورها قبل فَنَاء الدنيا . ١٠

ويبتدئ هذا البحر من أوّل بحر الزُّقاق المقدّم ذكُره، ويمتدّ على (سواحل الغرب) إلى حدود الديار المِصْريَّة فيمرّ على مدينة (طَنْجَةَ) حيث الطول ثمانُ درج، والعرض خمس وثلاثون درجةً ونصفٌ؛ ثم يَعْطِف جنوبا وشرقا إلى مدينة (سَلَا) .

ثم يمتدُّ شَرْقا وشَمَالا إلى مدينة (سَبْتَةَ) ويمتدّ كذلك حتّى يسامت مدينة (فاس) قاعدة الغـرب الأقصى على بُعْد منه؛ ثم يمتـدّ إلى حدود مدينة (تِلِمْسَان) قاعدة الغرب الأوسـط؛ ثم يأخذ شرقا بمَيْلة إلى الشمال حتّى يصير عند (الجـزائر) فُرْضة بِجَايَةَ، ويمرّ حتّى يسامت (بجايةَ) . ١٥

ثم يمتـدُّ حتى يجاوز مدينة (مَرْسى الخرز) الذى به مَغَاص المَرْجان شرقىَّ قُسَـنْطينةَ : آخرِ مملكة بِجايةَ من الشرق، ثم يتجاوز مملكة بجـايةَ إلى أوّل حدود إفريقية، ويمرّ فى سمت وسط المشرق حتّى يقابل مدينة (تُونُس) قاعدة إفريقية من شمالها، ويدخل منه خَوْر إلى تُونُس المذكورة . ٢٠

ثم يمتدّ بعد أن يتجاوز تُونُس نحوَ تسـعين ميلا شرقا نَصًّا، ثم يَعْطِف جنوبا حتّى يصير له دخلة كبيرة فى الجنوب؛ وفى فَمِ هذه الدخلة حيث يعطف البحر عن الشرق إلى الجنوب جزيرة (قَوْصَرَة) مقابلة لجزيرة صقلية .

ثم يمتدّ فى الجنوب إلى قريب من مدينة (سُوسَة)؛ ثم يشرق إلى سُوسةَ المذكورة ثم يأخذ شرقا وجنوبا إلى مدينة (المَهْدِيَّة)؛ ثم يمرّ شرقا وجنوبا حتّى يتجاوز مدينة (صَفَاقُسَ)، ويمتدّ حتّى يجاوز جزيرة (جِرْبَةَ)؛ ثم يعطف شمالا ويصير للبر الجنوبى دخلةٌ فى البحر، ويمتـدّ شرقا وشَمَالا حتّى يبلغ مدينة (طرابُلُس) وهى آخر مـدنِ إفريقيَةَ؛ ثم يمتدّ شرقا حتّى يجاوز حدود إفريقية عند طول إحدى وأربعين درجة، ثم يمتدّ شَمَالا على سـواحل (بَرَقَةَ) الآتى ذكرها فى جملة نواحى الديار المصرية إلى (طَلْميثا) ثم ينعطف إلى جهة الشمال، ويكون للبرّ فى البحر دخلةٌ إلى (رأس أوثان) وهو جبل داخل فى البحر، ثم يشرق من رأس أوثان (إلى رأس تُنْبِى) وهو جبـل فى البحر قبالة رأس أوثان من جهة الشرق؛ ثم يعطف إلى الجنوب ويمتدّ جنوبا حتّى يسامت (عقبـة بَرْقـة) وهى أوّل حدود الديار المصرية ، على ما يأتى ذكره فى تحديدها .

ثم يمتـدّ على سواحل مصر ، ويمرّ شرقا وجنوبا إلى مدينة (الإسكندرية) من قواعد الديار المصرية .

ثم يأخذ شرقا إلى عند مَصَبِّ فِرْقة النيل الشرقية ، ويأخذ مشرِّقا إلى (رشيد) [عند مصب فرقة النيل الغربية، ويمتدّ كذلك إلى مدينة (دمياط) عند مصب فرقة النيل الشرقيـة، ويأخذ شرقا إلى الطينة] (١) ثم إلى (الفَرَما) ثم إلى (العَرِيش) ثم إلى (رَفَحَ) وهى مـنزلة فى طَرَف رمل الديار المصرية من جهة الشام على مرحلة من

(١) الزيادة عن الضوء .

غَزَّة ، حيث الطُّول نحـو ستٍّ وخمسين درجة ونصفٍ والعرضُ آثنتان وثلاثون درجة ؛ ومن هنا ينقطع تشريقه .

ثم ينعطف ويأخذ شَمَالًا على (ســواحل الشام) الآتى ذكرها فى الكلام على المملكة الشامية فيمتدّ إلى مدينة (غَزَّة)، ثم إلى (عَسْقَلان) ، ثم إلى (يَافَا) مِيناء الرملة من أعمال الصَّفْقة الساحلية من دمشق؛ ثم إلى (قَيْسارِيَّة) . (بفتح القاف) وهى مدينة خراب تعدّ من جُنْد فلسطين، كانت من أُمَّهات المُدُن، ثم إلى (عَثْلِيثَ) من أعمال صَفَد ، ثم إلى (عَكَّا) من أعمالها، ثم إلى (صُور) من أعمالها ، ثم إلى (بَيْروت) من أعمال الصفقة الشمالية من دمشق ، ثم إلى (جُبَيل) وهى مدينـة قديمة خراب، ثم إلى (أَنَفَــةَ) من أعمال طرابلس ، ثم إلى مدينـة (طرابلس) ، ثم إلى (أَنْطَرْطُوس) من أعمالها، ثم إلى (بُلُنْياس)[1] من أعمالها، ثم إلى (جَبَــلة) من أعمالها، ثم إلى (اللَّاذِقِيَّة) من أعمالها، ثم إلى (السُّوَيْدِية) ميناء أَنْطاكِيَةَ من أعمال حَلَب ، ثم يأخذ البحر غربا بشمال (إيَاس) ، مدينة الفتوحات الجاهانية ، ثم إلى (المَصِّيصة) ثم إلى (أَذَنَة) ثم إلى (طَرَسوس) ثم يمتــدّ شَمَالًا بغَرْب حتى يجاوز حدود بلاد الأرمن ؛ ويمتدّ على سواحل بلاد الروم التى هى الآن بيد التركمان الآتى ذكرها فى مكاتبات ملوكهم إلى (الكُرْك) . (بضم الكاف وسكون الراء المهملة) وهى بلدة بساحل بلاد المسلمين هى الآن بيــد صاحب قبرس ، ثم يمرّ شَمَالًا إلى (العَلَايَا) ، ويقابلها من البرّ الآخر (دِمياط) من سواحل الديار المصرية تقريبا ؛ ثم يمرّ إلى (أَنْطالِيــةَ)، ثم إلى (بِلَاط)، ثم إلى (طنفزلو)، ثم إلى (إياس لوق)، ثم إلى (مَغْنيسيا)، ثم إلى مدينـة (ابزو) وهى بلدة على فم الخليج القسطنطينى من الشرق ، وبهـا يعرف الخليج فيقال فم ابزو ، ويقابلها من البر الآخر غربىَّ مدينة الإسكندرية ، فيما بينها وبين بَرْقة ؛ ثم يجاوز الخليج المذكور، ويمتدّ مغرّبا بمَيْلة

(١) قال فى معجم البلدان : (بضمتين وسكون النون) . وفى القاموس : (بلنياس كسرطراط) فلعل فيه لغتين .

إلى الجنوب على سواحل الروم والفرنجـة، فيمرّ على بلاد المَرَا ، وهى مملكة أوّلها فم الخليج القسطنطيني المتقدّم ذكره من جانبه الغربىّ . كانت فى الأيام الناصرية (ٱبن قلاوون) مشتركة بين صاحب القسطنطينية وبين طائفة الكيتلان من الفرنج، وقد فتحها الآن ٱبن عثمان وٱستملكها من الروم .

٥ ثم يأخذ بين الغرب والجنوب حتى يجاوز بلاد (الملفجوط) وهم جنس من الروم لهم لسان ينفردون به . ويقابلها من البر الآخر شرقىّ بَرْقَةَ، ثم يمتدّ فى الغرب إلى بلاد إقليرنس، ثم إلى بلاد الباسليسة، وهى ٱمرأة ملكت هذه البلاد بعد السبعمائة فعُرِفَتْ بها .

ويقابلها من البر الآخر أوساط برقة . وبآخر هذه المملكة من جهة الغرب (جَوْن البنادقة) وهو خليج يخرج من بحر الروم هـذا ، ويمتدّ غربا بشَمَال حتّى

١٠ يصير طَرَفُه غربىّ رومية ، وعلى طرفه مدينـة (البُنْدُقية) ومن فمه إلى منتهاه نحو سبعمائة ميل ، ثم يجاوز فم الخَوْر المذكور إلى مملكة بولية ، وأوّلها فم خَوْر البنادقة من الجانب الغربىّ . ويقابلها من البحر الآخر (طَلْمِيثا) فُرْضة بَرْقة المتقدّمة الذكر، ثم يمتدّ فى الغرب إلى بلاد (قلفرية) من جملة مملكة بولية المتقدّمة الذكر .

ويقابلها من البر الآخر بلاد أَطْرابُلُس من بلاد إفريقية، ثم يمتدّ إلى ساحل

١٥ (رومية)، المدينة المعظمة المشهورة .

ويقابلها من البر الآخر شرقىّ تُونُس من إفريقيـة . ثم ينقطع تغريبـه ويأخذ جَنُوبا حتّى يجاوز سواحل بلاد رومية المذكورة إلى بلاد التُّشْقان ، وهم جنس من الفرنج وبلادهم معروفة بنبات الزَّعْفران .

ويقابلها من البر الآخر مدينة تُونُس : قاعدة إفريقية المتقدّمة الذكر ، ويمتدّ

٢٠ فى الجنوب إلى بلاد (بِيزَة) وهى بلدة على الركن الشمالىّ من جزيرة الأندَلُس إليهـا ينسب الفرنج البيازنة والحديدُ البيزانىّ .

ويقابلها من البرّ الآخر (مَرْسَى الخَرَز) آخر مملكة بِجَايَةَ من الشرق على ما تقدّم ذكره . ثم يمتدّ إلى بلاد (جَنَوة) الآتى ذكرها فى الكلام على البلاد الشمالية، ثم يأخذ غربا إلى جبل البُرت ، وهو الجبل الفاصل بين جزيرة الأندلس وبين الأرض الكبيرة ذات الأمم المختلفة، ثم ينقطع تغريبه ويعطف مشرِّقا ويدخل الركن الشرقىّ من الأندلس فيه؛ ويمتدّ فى الشرق، ويستدير على الركن المذكور، ثم يعطف غربا ويمتدّ على (سواحل الأندلس) إلى مدينة (بَرْشَلُونة) ثم إلى مدينة (طَرْطُوشة) .

قال فى "الروض المعطار" : ويقابلها من البر الآخر مدينة بجاية .

قال فى (تقويم البلدان) : وعرض البحر بينهما ثلاثة مجار؛ ثم يمتدّ كذلك بين الغرب والجنوب إلى مدينة بَلَنْسِية، ثم يعطف غربا إلى دانِيَةَ؛ ثم يمتدّ غربا بجنوب إلى مدينة مالقَةَ ثم يمرّ إلى الجزيرة، وهى مقابلة لساحل سَبْتة وطَنْجة حيث وقع الابتداء .

وسيأتى الكلام على ضبط مالم يُضبط من البلاد على ساحل هذا البحر بالحروف مع ذكر صفاتها عند التعرّض لذكرها فى الكتاب فى مواضعها إن شاء الله تعالى .

وطول هذا البحر من البحر المحيط إلى ساحل الشام فيما يُذكر ألْف فرسخ ومائة وسبعون فرسخا، وغاية عَرْضه فى بعض الأماكن سمّائة ميل .

وأما ما يتصل بالبحر الرومىّ المتقدّم الذكر فبحر نِيطَش[1] (بنون مكسورة وياء مثناة تحت ساكنة وطاء مهملة مكسورة وشين معجمة فى الآخر) . وهو المعروف فى زماننا ببحر القِرِم، لتركُّب بلاد القِرِم على ساحله ، ويعرف أيضا بالبحر الأرمنىّ، لتركُّب بعض بلاد أرمِينِيَةَ على بعض سواحله ، وربما قيل فيه البحر الأسودُ، وهو متصل ببحر الروم المذكور من شماليّه، ويتركب عليه من آخره (بحر مانيطش) بزيادة لفظ "ما" فى أوّله وباقى الضبط على ما تقدّم وهو المعروف فى زماننا ببحر الأَزَق ،

(١) ورد فى معجم البلدان لياقوت « بنطس » بضم الطاء والسين المهملة ، وذكر مؤلفه أنه وجده هكذا بخط أبى الريحان البيرونى .

لتركُّب بلاد الأَزَق على ساحله الشرقىّ وليس وراءه بحر متصلٌ به، ولذلك يُعبر عنه بعضهم ببحيرة ما نيطش، وهو يصبُّ فى بحر نيطش، وبحر نيطش يصب فى بحر الروم؛ ولذلك تُسرع المراكبُ فى سيرها من القِرِم إلى بحر الروم، وتبطئ فى سيرها من بحر الروم إلى القِرِم لآستقبالها جَرَيان المـاء .

٥ وأوّل بحر نيطش المذكور مما يلى بحر الروم . (الخليج القسطنطينى) المتقدّم ذكره فى تحديد بحر الروم، وهو خليج ضيق للغاية بحيث يرى الإنسان صاحبه من البر الآخر.

قال آبن سعيد : وطول هذا الخليج نحو خمسين ميلا .

وذكر فى "تقويم البُلْدان" عن بعض المسافرين أن طوله سبعون ميلا وآتصاله بالبحر الرومىّ من جانبه الشمالى، ويمتدّ شمالا (على سواحل بلاد الروم) من البر الشرقىّ

١٠ منه إلى (قلعة الجرون)، وهى قلعة خراب على ساحل هذا الخليج مقابِل القسطنطينية، ويمتدّ من الجرون شمالا بميلةٍ يسيرة إلى الشرق إلى مدينة كربى على خليج القسطنطينية على القرب من الجرون المذكورة؛ ثم يمتدّ شرقا بشَمالٍ إلى مدينـة (كترو) وهى آخر مدن القسطنطينية التى على هذا الساحل، ثم يمتدّ إلى مدينة (كِينولِى) وهى بلدة على الخليج القُسْطنطينى، ثم يأخذ بين الشَّمال والغرب، ويكون للبر دخلة فى البحر إلى

١٥ جهة الغرب، وعلى طَرَف هذه الدّخلة فرضة (سنوب) من سواحل الروم الآتى ذكرها فى مكاتبات ملوك الكفر، ثم يأخذ فى الآتساع إلى مدينة (سامسون)، وهى بلدة من سواحل بلاد الروم، ثم يأخذ مُشَرِّقًا إلى مدينة (طرابزون)، وهى فُرْضَةٌ للروم بهذا الساحل، ثم يمتدّ شَمَالًا بميلة إلى مدينة (سُخُوم)، وهى مدينة على ثلاثة أيام عن طرابزون شرقا بِشَمالٍ، وبينها وبين بلاد الكَرَج يوم واحد، ويقال إنها من بلاد الكَرَج؛ ثم يمتدّ

٢٠ شرقا بشمال إلى مدينة (أَبْخَاس) وهى مدينـة فى جبل على ساحل البحر على القرب من سُخُوم؛ ثم يتضايق البحر مُغَرِّبًا ويضيق من البر الآخر حتى يتقارب البرّان ويصير

الماء بينهما مثل الخليج، وهو مصب بحر مَا نيِطش فى بحر نيِطش، وعلى جانب هذا الخليج مدينة (الطامَانِ) من سواحل الروم ، وهى حدّ بلاد الروم، من مملكة بركة المشتملة على القِـرِم، ودَشْت القَبْجَاقِ، والسراى، وخُوَارِزْم على ما سيأتى بيانه فى مكاتبات القانات؛ ثم يأخذ فى الاتساع شرقا وشمالا وغربا ويصير كالبركة، ويمتدّ على سواحل الأَزَقِ الآتى ذكرها فى مكاتبات حاكمها إلى مدينة (الشقراقِ) وهى أوّل بلاد الأَزَقِ ، ومنها ينتهى تشريقُه ؛ ثم يَعْطِفُ إلى الشَّمَال ويأخذ إلى مدينة (الأَزَقِ) ثم يستديرُ من الأزقِ حتَّى يصير إلى الغرب، وينتهى إلى الخليج الذى بين بحر نيطش وبحر مانيطش المتقدّم ذكره .

وهناك مدينة الكِرْش من بلاد الأَزَقِ، مقابل مدينة الطَّامَانِ المتقدّمة الذكر من البر الآخر، ثم يمرّ جَنُوبا ويمتدّ على سواحِل القِرم الآتية الذكر فى مكاتبة حاكمها، فيمرّ إلى مدينة (الكَفَا) فرضة القِرِم .

ويقابلها من البر الآخر مدينة (طرابزون) المتقدّمة الذكر، ثم يمتدّ كذلك إلى مدينة صُوداَق ، وهى فُرْضة ببلاد القِرِم أيضا .

ويقابلها من البر الآخر مدينة (سامسون) المتقدّمة الذكر، ثم يأخذ فى الانضمام جنوبا ويعطف مشرِّقا بحيث يكون للبر دخلة فى البحر، ويمتـدّ على سواحل بلاد البلغار إلى مدينة (صَارِى كِرمان) من بلاد البلغار ، وبينها وبين صُلْغَات مدينة (القِرِم) خمسة أيام .

ويقابلها من البر الآخر مدينة (سَنُوب) المتقدّمة الذكر، ثم يأخذ فى الاتساع غربا بميلة إلى الجنوب ويمتدّ كذلك إلى مدينة (أقْجَا كِرمَان) من بلاد البلغار، ثم يأخذ جنوبا ويمتـدّ على (سواحل بلاد القُسْطَنْطِينِيَّة) إلى بلدة صَقْجِى، وعندها يصب نهر طُنَا (بطاء مهملة مضمومة بعدها نون وألف) وهو نهر عظيم بقـدر

مجمـوع دِجْلَةَ والفُـرَات ، ثم يتضايق ويأخذ شرقا حتّى ينتهى إلى أوّل الخليـج القُسْطَنْطِينِيّ المتقدّم ذكره ، ثم يأخذ جنـوبا ويتقارب البَرّانِ ويمتـدّ كذلك إلى مقابل مدينة كربى المتقدّمة الذكر ، ثم يمتدّ كذلك إلى مدينة (القُسْطَنْطِينيَّة) قاعدة ملك الروم الآتى ذكرها فى مكاتبة مَلِكها .

٥ ويقابلها من البر الآخر قلعة الجرون المتقدّمة الذكر ، ثم يمتدّ حتّى يصبّ فى بحر الروم حيث وقع الابتداء . وسيأتى الكلام على ضبط ما لم يضبط من البلاد التى على ساحل هـذا البحر المتقدّمة الذكر مع ذكر صفاتها عنـد الكلام على مكاتبات ملوكها وحُكّامها إن شاء الله تعالى .

وبحر نيطش المتقدّم ذكره على القرب من الخليج القُسْطَنْطِينِيّ جزيرة (مَرْمَرا)

١٠ الآتى ذكرها عند الكلام على مكاتبة مَلِكها فى جملة ملوك الكفر إن شاء الله .

البحـــر الثـانى

الخارج من المحيط الشرقىّ إلى جهة الغرب

وهو بحر يخرج عند أقصى بلاد الصِّينِ الشرقية الجنوبية ممـا يلى خط الاستواء حيث لا عرض ، وقيل : على عرض ثلاث عشرة درجة فى الجنوب ، ويمتدّ غربا

١٥ بشَمَال على (سواحل بلاد الصِّينِ) الجنوبية ، ثم على المفاوز التى بين الصِّينِ والهِنْد حتّى ينتهىَ إلى (جبال قَامُرُون) الفاصلة بين الصِّينِ والهِنْد .

قال ابن سعيد : ومدينة الملك بهـا فى شرقيهـا ، ثم يجاوز (جبال قامرون) المذكورة ويمتدّ على سواحل بلاد (الهند) من الجنوب ، ويمرّ على (سُفَالة الهند) وهى سُوفَارة ، ويمتدّ حتّى ينتهىَ إلى آخر الهنـد ، ثم يمتدّ على مفازة السِّنْد الفاصلة

٢٠ بينه وبين البحر ، ويمرّ حتّى ينتهىَ إلى فم بحر فارس الخارج من هذا البحر إلى جهة الشَّمال على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ويجاوزه إلى بلاد اليَمَن فيمرّ على (ساحل مَهْرَة) : أوّل بلاد اليَمَن؛ ويمتدّ من شَمَاليها على سواحل اليَمَن من جنوبيه حتَّى ينتهىَ إلى مدينة (عَدَن) فرضة اليمن ، ثم يمرّ من عَدَن إلى الشَّمَال بميـلة إلى الغرب نحو مجرا حتَّى ينتهىَ إلى (باب المَنْدَب) وهو فُرْضَةٌ بين جبلين، ويخرج منه ويمتـدّ غربا بميلة إلى الشَّمال آثنى عشر ميلا، ثم يعطف شَمالا ويمتدّ على سواحل اليَمَن الغربية إلى (عَلَافِقَة) فرضة مدينة (زَبِيدَ)؛ ٥
ثم يمتدّ شَمالا أيضا إلى مدينة (حَلْى) من أطراف اليَمَن من جهة الحجاز، وهى المعروفة بحَلْى آبن يعقوبَ؛ ثم يمتد شَمَالا على (ساحل الحجاز) إلى (جُدَّةَ)، فرضةٌ على بحر القُلْزُم؛ ثم يمتدّ شَمالا إلى (الجُحْفَة) ميقاتِ الإحرام لأهل مصر؛ ثم يمتدّ شمالا بميلة إلى الغرب حتَّى يتصل بساحل (يَنْبُعَ)؛ ثم يأخذ بين الغرب والشَّمال حتَّى يجاوز (مَدْيَنَ) الآتى ذكرها فى كُوَرِ مصر القديمة؛ ويمتدّ شَمَالا بجنوب حتَّى يقارب (أَيْلَةَ) الآتى ذكرها ١٠
فى كُوَر مصر القديمة أيضا ؛ ثم يعطف إلى الجنوب حتَّى يجاوز أَيْلَةَ المذكورة إلى مكان يعرف (برأس أبى محمد) ويكون للبرّ دخلة فى البحر فى جهة الجنوب، ثم يعطف شَمالا حتَّى ينتهىَ إلى فُرْضَـةِ (الطُّور) وهى مكانُ حَطٍّ وإقلاعٍ لمراكب الديار المصرية، وما يصل إليها من اليَمَن وغيرها؛ ويمرّ فى الشَّمال حتى يصل إلى فُرْضَـةِ (السُّوَيس) وهى مكانُ حَطٍّ وإقلاعٍ للديار المصرية أيضا ؛ وعنده ينتهى بر العرب ببحر القلزم ويبتدئ بر العجم . ١٥

وهناك يقرب هذا البحر من بحر الروم على ما تقدّم ذكره فى الكلام على أصل هذا البحر .

ثم من السُّوَيْس يعطف إلى الجنوب على ساحل مصر، ويمتدّ موازيا لبلاد الصعيد حتَّى ينتهى إلى مدينة (القُلْزُم) التى ينسب إليها هذا البحر الآتى ذكرها فى الكلام على كُوَرِ مصر القديمة ، ويقابلها من برّ الحجاز أَيْلَةُ، ثم يأخذ عن القُلْزُم جنوبا بميلة إلى الشرق حتَّى يسامتَ فُرْضَةَ الطُّورِ المتقدّم ذكرها ، وتصير فرضة الطُّور بين أَيْلَةَ ٢٠

والقُلْزُم غربىّ الدخلة المتقـدّم ذكرها ، ثم يمتدّ كذلك حتّى ينتهى إلى (القُصَير) ، فُرْضَة قُوص ، ثم يتسع فى جهتى الجنوب والشرق حتّى يكون آتّساعه تسعين ميلاً ، وتسمّى تلك القطعة المتسعة بِرْكَةَ الغرُنْدُلِ ، وهى التى أغرق الله تعالى فيها فرعون ، ثم يأخذ جنوبا بميلة يسيرة إلى الغرب إلى (عَيْذابَ) ، فُرْضَةُ قُوص أيضا . ويقابلها من بَرّ الحجاز جُدَّةُ ، فرضَةُ مكة المشرّفة ، ثم يمتدّ فى سمت الجنوب على (سـواحل بلاد السودان) حتّى يصير عند (سَوَاكِنَ) من بلاد البجاة ، ثم يمتدّ كذلك حتّى يحيط (بجزيرة دَهْلَكَ) وهى جزيرة قريبة من ساحل هذا البحر الغربىّ ، وأهلها من الحبَشَة المسلمين . ويقابلها من البرّ الآخر جنوبىُّ حَلْىِ آبن يعقوبَ من بلاد اليَمَن ، ويمتدّ حتى يصل إلى رأس (جبل المَنْدَب) المتقدّم ذكره .

وهناك يضيق البحر حتّى يرى الرجل صاحبه من البرّ الآخر .

ويقال : إنه بقدر رميتى سَهْم ، وتُرى جبال عَدَنَ من جبال المَنْدَبِ فى وقت الصحو ، ثم يتجاوز باب المَنْدَب ويأخذ شرقا وجنوبا ، ويتسع قليلا قليلا ويمرّ على بقية سواحل الحبشة حتّى يمرّ بمدينة (زَيْلَعَ) من بلاد الحبشة المسلمين .

ويقابلها عَدَنَ من برّ اليَمَن ، وهى عن عَدَن فى الغرب بميلة إلى الجنوب ، ثم يمرّ إلى مدينة مَقْدِشُو[1] ، ثم يمتدّ كذلك حتّى ينتهىَ إلى (خليج بَرْبَرَا) الخارج من بحر الهند فى جانبه الجنوبىّ على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

ويتجاوز فم هذا الخليج ويمتدّ على (سواحل بلاد الزَّنْج) حتّى ينتهىَ إلى آخرها ، ثم يمتدّ على (سواحل بلاد الواق واق) على أماكنَ مجهولة حتّى ينتهى إلى مبدئه من البحـر المحيط الشرقىّ . على أنه فى تقويم البُلْدان لم يتعرّض لساحل هـذا البحر الجنوبىّ فيما هو شرقىّ باب المَنْدَبِ لعدم تحققه .

(١) فى تقويم البلدان [بكسر الدال] وفى معجم البلدان [بفتح الدال] فهما لغتان .

وآعلم أن هذا البحر يسمّى فى كل مكان بآسم ما يسامته من البُلْدان، أو باسم بعض البُلْدان التى عليه . فيسمّى فيما يقابل بلاد الصِّين : بحرَ الصِّين، وفيما يقابل بلاد الهِنْد إلى ما جاورها إلى بلاد اليمن شرقىّ باب المَنْدَب : بحرَ الهند، وفيما دون باب المندب إلى غايته فى الشمال والغرب : بحرَ القُلْزُم ، نسبةً إلى مدينة القُلْزُم المتقدّمة الذكر فى ساحل الديار المصرية .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وطول هذا البحر من طَرَف بلاد الصِّين الشرقىّ إلى القُلْزُم ألفان وسبعمائة وثمانية وأربعون فرسخا بالتقريب، ومقتضى كلام آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" أن طوله أربعة آلاف وتسعمائة وستة وستون فرسخا وثلثان ، فإنه قد ذكر أن طولَ بحر الصين والهند إلى باب المَنْدَب أربعة آلاف وخمسمائة فرسخ، ثم ذكر أن طول بحر القُلْزُم ألف وأربع مائة مِيلٍ، وهى أربعمائة وستة وستون فرسخا وثلثان وبين الكلامين بونٌ .

وكلام صاحب تقويم البُلْدَان أقرب إلى الصواب . فإنه آستخرجه من تضريب الدَّرَج وآستخراج أميالها وفراسخها . وبآخر بحر القُلْزُم من الذراع الآخذ إلى جهة السُّوَيْس على مِيلٍ من مدينة القُلْزُم موضع يعرف (بذَنَب التِّمْسَاح) يتقارب بحر القلزم وبحر الروم فيما بينه وبين الفَرَما حتى يكون بينهما نحو سبعين مِيلا فيما ذكره آبن سعيد .

قال فى "الروض المِعطار" : وكان بعض الملوك قد حفره ليوصل ما بين القلزم وبحر الروم فلم يتأت له ذلك لآرتفاع القلزم وآنخفاض بحر الروم، والله تعالى قد جعل بينهما حاجزا كما ذكر تعالى فى كتابه . قال : ولما لم يتأت له ذلك آحتفر خليجا آخر مما يلى بلاد تِنِّيس ودِمْياط وجرى الماء فيه من بحر الروم إلى موضع يعرف بقيعان (؟) .

فكانت المراكب تدخل من بحر الروم إلى هذه القرية، وتدخل من بحر القُلْزُم إلى ذَنَب التمساح فيقرب ما فى كل بحر إلى الآخر، ثم ٱرتدم ذلك على طول الدهر.

وقد ذكر ٱبن سعيد أن عمرو بن العاص كان قد أراد أن يخرق بينهما من عند ذَنَب التمساح المتقـدّم ذكره فنهاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنـه . وقال : إذَنْ يَتَخَطَّفُ الرومُ الحُجَّاجَ .

وذكر صاحب "الروض المِعْطَار" أن الرشـيد همّ أن يوصل ما بين هــذين البحرين من أصل مَصَبّ النيل من بحر بلاد الحبشة وأقاصى صعيد مصر فلم يتأت له قسمة ماء النيل ، فرام ذلك مما يلى بلاد الفَرَمَا فقال له يحيى بن خالد : إن تَمّ هذا تُخُطِّف الناسُ من المسجد الحرام ومكة ، وٱحتجّ عليه بمنع عمر بن الخطاب عمرو ٱبن العاص من ذلك، فأمسك عنه .

ويتفرّع من البحر الهندىّ بحران عظيمان مشهوران، وهما (بحر فارس، والخليج البربرىّ) .

فأما بحر فارس، فهو بحر ينبعث من بحر الهند المتقدّم ذكره من شماليّه، ويمتدّ شَمَالا بميلة إلى الغرب غربىّ (مفازة السِّنْد) الفاصلة بينه وبين بحر الهند، ثم على غربىّ بلاد السند ، ثم على أرض (مُكْرَانَ) من نواحى الهند، ويخرج منه من آخر مُكْرَانَ خَوْرٌ يمتدّ شرقا وجنوبا على ساحل مُكْرَانَ والسِّنْد حتّى يصير السند غربيّه ، ثم ينعطف آخره على (ساحل بلاد كِرْمَانَ) من شماليها حتّى يعودَ إلى أصل بحر فارس، فيمتدّ شمالا حتّى ينتهىَ إلى مدينة (هُرْمُوز) وينتهى إلى آخر كِرْمَانَ فيخرج منه خَوْر يمتـدّ على ساحل كِرْمَانَ من شماليّها ، ثم يرجع من آخره على ساحل بلاد فارس من جنوبيها حتى يتصلَ بأصل بحـر فارس، ويمتـدّ شَمَالا ثم يعطف ويمتدّ مغرّبا إلى (حصن ٱبن عُمَارَةَ) من بلاد فارس، وقيل من بلاد كِرْمَانَ، وهو اليوم خراب؛

ثم يمتدّ مغرّبا فى جبال منقطعة ومفاوزَ إلى مدينة (سِيْرَافَ)؛ ثم يمتدّ كذلك إلى (سِيفِ البحر) بكسر السين، وهو ساحل من سواحل فارس، فيه مزارع وقرى مجتمعة؛ ثم يمتدّ إلى (جَنَّابَةَ) من بلاد فارس، ثم يمتـدّ إلى (سِينِيزَ) من بلاد فارس، وقيل من الأهواز؛ ثم يمتدّ إلى مدينة (مَهْرُوبانَ) من سواحل خوزستان، وقيل من سواحل فارس، وهى فُرْضَةُ (أَرَّجَانَ) وما والاها، ثم يمتدّ مغرّبا بميلة يسيرة نحو الشَّمال إلى مدينة (عَبَّادَانَ) من أواخر بلاد العِرَاقِ من الشرق على القرب من البَصْرَةِ عند مَصَبِّ دِجْلَةَ فى هذا البحر، ثم ينعطف ويمتدّ جَنُوبا إلى (كَاظِمَةَ) وهى جَوْنٌ على ساحل البحرين مما يلى البصرة على مسيرة يومين منها؛ ثم يمتدّ إلى (القَطِيفِ) من بلاد البَحْرَيْنِ ثم يمتدّ كذلك إلى مدينة (عُمَانَ) فُرْضَةُ بلاد البحرين، وإليها تنتهى مراكب السند والهند والزَّنْج، ويخرج على القرب منها عن يمين المُقْلِع من ساحلها فى جهة الغرب بحرٌ ببلاد (الشِّحْرِ) من اليَمَن أيضا، وإليها ينسب العَنْبَر الشِّحْرِىُّ الطَّيِّبُ كما تقدّم ذكره فى النوع الخامس فيما يحتاج إليـه من نفيس الطيب؛ ثم يمرّ على سـواحل (مَهْرَةَ) من شرقىّ بلاد اليمن حتّى ينتهى إلى مَبْدَئه من بحر الهند .

قال فى "تقويم البُلْدان": وبفم هذا البحر ثلاثة أجبُلٍ يخشاها المسافرون، يقال لأحدها كُسَيْر، والثانى عُوَيْر، والثالث ليس فيه خَيْر .

قال ٱبن الأثير فى "عجائب المخلوقات": وطول هذا البحر أربعمائة فرسخ وأربعون فرسخا، وعُمْقُه ثمـانون باعا .

وأما الخليج البَرْبَرِى، فهو ينبعث من بحر الهند المتقدّم ذكره فى جنوبى جبل المَنْدَبِ المتقدّم الذكر، ويمتـدّ فى جنوبى بلاد الحبشة، ويأخذ غربا حتّى ينتهى إلى مدينة بَرْبَرَا (بباءين موحدتين مفتوحتين وراءين مهملتين الأولى منهما ساكنة)

وهى قاعدة الزَّغَاوَةِ من السُّودَان، حيث الطولُ ثمـان وستون درجةً، والعرضُ ست درج ونصف .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وطوله من المشرق الى المغرب نحو خمسمائة مِيلٍ .

قال الشريف الإدريسىّ : وموجه كالجبال الشواهق ولكنه لا ينكسر. قال: يركب فيه إلى جزيرة قنبلو، ويقال قنبلة، وهى جزيرة للزَّنْج فى هذا البحر .

قال فى "القـانون" : وطولها آثنتان وخمسون درجة، وعرضهـا فى الجنوب ثلاث درج .

قال الإدريسىّ : وأهلها مسلمون .

البحـــر الثـالث

الخارج من المحيط الشمالى، المعروف ببحر بَرْدِيلَ

(بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت ولام فى الآخر) .

قال آبن سعيد: ويقال له بحر برطانية أيضا، وهو بحر يخرج من شَمالىّ الأَنْدَلُس ويأخذ شرقا إلى خلف جبل الأبواب الفاصـل بين الأَنْدَلُس والأرض الكبيرة، ويقرب طرفه الشرقى حتّى يبقى بينه وبين بحر الروم المتقـدّم ذكره أربعون مِيلًا، وهناك مدينة (بَرْدِيلَ) التى يضاف البحر إليها .

الضـــرب الثـانى

من البحار المنبثة فى أقطار الأرض ماليس له آتصال بالبحر المحيط

وهو بحر الخَزَرِ (بفتح الخـاء والزاى المعجمتين، وراء مهملة فى الاخر) .

ويسمّى بحر جُرْجَانَ لوقوع مدينة جُرْجَانَ على ساحله ، وبحرَ طَبَرِسْتَانَ لوقوع ناحية طَبَرِسْتَانَ على ساحله أيضا ، وهذا البحر بحر مِلْحٌ منفرد عن البحار لا ٱتصال له بغيره البتة .

قال ٱبن حوقل : وهو مظلم القعر، ويقال : إنه متصل ببحر نِيطش من تحت الأرض . ٥

قال المسعوديّ : وهو غلط لا أصل له ، ولم أدر من أين أخذه قائله ، أَمِنْ طريق الحِسّ، أم من طريق الاستدلال والقياس .

قال الشريف الإدريسيّ : وهو مدوّر الشكل إلى الطُّول، وقيل مثلث الشكل كالقلْع، وعلى ساحله الجنوبيّ بلاد الجيل والدَّيْلَم، وعلى جانبه الشرقيّ بلاد جُرْجَانَ والمفـازَةُ التى بين جُرْجَانَ وخُوَارَزْم، وعلى جانبه الشَّمالىّ بلاد التُّرْك والخزَر وجبال سِيَاهْكُوهْ، وعلى جانبه الغربيّ بلاد إيلاقَ وجبال الفتيق، وٱبتداؤه من جهة الغرب عند مدينة (باب الحديد) المعروف بباب الأبواب من بلاد أَرَّانَ ، حيث الطول ست وستون درجة والعرض نحو إحدى وأربعين درجة على القرب من دَرْبَنْـد شِرْوَانَ، ثم يمتدّ جنوبا من باب الحـديد أحدا وخمسين فرسخا ، وهناك مصب نهر الكُرّفيه، ثم يمتدّ مشرقا بٱنحراف إلى الجنوب ستة عشر فرسخا، فيمرّ على أراضى مُوقان من عمل أَرْدَبيل من أَذَرْبِيجـانَ ، ثم يمتدّ جنوبا وشرقا حتّى تبلغ غايته فى الجنوب حيث العرض سبع وثلاثون درجة قبالة مدينة (آمل) قصبة طَبَرِسْتَانَ؛ ثم ينعطف ويمتـدّ شرقا حتّى يجاوز بلاد الجيل إلى مدينة آبَسْكُونَ ، وهى فُرْضَـةُ جُرْجَانَ ؛ ثم يمتدّ إلى نهايته فى الشرق حيث الطول ثمـانون درجةً والعرض نحو أربعين عند مدينة جُرْجانَ، وهى فى الشرق منه قريبة من ساحله؛ ثم ينعطف ويمتدّ شَمالا وغربا حتّى يبلغ نهايته فى الشمال حيث العرضُ نحو خمسين درجة، والطولُ تسع وسبعون

(الأرقام الهامشية: ١٠، ١٥، ٢٠)

درجة ؛ وفى شماليّه وغربيّه يصبّ نهر إتِل[1] الذى عليه مدينة السراى قاعدة مملكة أزبك الآتى ذكرها فى مكاتبة قانهم إن شاء الله تعالى .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وليس فى هذا البحر جزيرة مسكونة .

الفصـــل الثـالث

من البـاب الأوّل من المقـالة الثـانية

فى كيفية آستخراج جهات البُلْدان والأبعاد الواقعة بينها، وفيه طَرَفان

الطـــرف الأوّل

فى كيفية آستخراج جهات البُلْدان

إذا كنتَ فى بلدوأردتَ أن تعرف جهة بلد آخر عن البلد الذى أنت فيه ، فالذى أطلقه كثيرمن المُصَنّفين أنك تعرف طول البلد الذى أنت فيه وعرضَه ، وطولَ البلد الآخر وعرضَه ، وتقابل بين الطولين وبين العرضين ، فإن كان ذلك البلد أعرضَ من بلدك مع مساواته له فى الطول ، فهو عنك فى جهة الجنوب . وإن كان أطولَ من بلدك مع مساواته له فى العرض ، فهو عنك فى جهة الشرق . وإن كان أقلّ طولا مع مساواته فى العرض ، فهو عنك فى جهة الغرب . وإن كان أطولَ وأعرضَ من بلدك ، فهو عنك بين الشرق والشّمال . وإن كان أقلّ طولا وعرضا ، فهو عنك بين المغرب والجنوب . وإن كان أقلّ طولا وأكثرَ عرضا ، فهو عنك بين الجنوب والشّمال . وإن كان أكثر طولا وأقل عرضا ، فهو عنك بين الشرق والجنوب .

والذى ذكره المحققون من علماء الهيئة أن البلد إذا كان أطولَ من بلدك مع مساواته له فى العرض ، يكون عنك فى جهة الشرق بميلة إلى الشّمال . وإذا كان أقلّ

(١) إتل (على وزن إبل) : نهر ببلاد الروس بآسم قرية هناك .

طولا مع مساواته له فى العرض ، يكون فى جهة الغرب بميلة إلى الشّمال أيضا .
وإذا كان أقلّ طولا وعرضا، يكون بين المغرب والجنوب على ما تقدّم، إلا أن يقلّ
الفصل بينهما بأن يكون أقل من درجة ، فإنه يحتمل أن يكون كذلك وأن يكون
على وسط المغرب . وإذا كان أقلّ طولا وأكثر عرضا، فإنه يكون بين المشرق
والمغرب على ما تقدّم، إلا أن يقلّ الفصل بينهما فيحتمل أن يكون كذلك وأن يكون ٥
على وسط المشرق .

الطرف الثانى

فى معرفة الأبعاد الواقعة بين البُلْدان

قد تقدّم أن الأطوالَ والعُرُوضَ فى الأمكنة والبُلْدان تعتبر بالدَّرَج والدقائق
وأن الدّرجة مقسومة بستين دقيقة، ثم الذى حققه القدماء كبَطْلَيْمُوس صاحب ١٠
المَجَسْطِى وغيره تقدير الدرجة بستة وستين مِيلًا وثلثَىْ ميل، وبه أخذ أكثر المتأخرين
وعليه العمل . وما وقع لأصحاب الرَّصَدِ المَأْمُونىّ مما يخالف ذلك بنقص عشر درج
ممـا لا تعويل عليه .

وقد نقل علاء الدين بن الشاطر من المتأخرين فى "زيجه" عن القدماء أنهم قدروا
الدرجة بالتقريب بعشرين فرسخا، وبستين مِيلًا، وبمائتى ألف وأربعين ألف ذراع، ١٥
وبخمسة بُرُدٍ، وبمسير يومين .

وقدّر الشافعىّ رضى الله عنه ذلك بسير يومين بالأيام المعتدلة دون لياليهما،
وقدّر السير بالسير المعتدل، وتقدير الدرجة كما بين الفُسْطَاطِ ودِمْيَاطَ، فإنّ عَرْض
دِمْيَاطَ يزيد على عرض الفُسْطَاطِ بدرجة وكسر يسير على ما سيأتى ذكره .

فإذا أردت أن تعرف كم بين البلد الذى أنت فيه وبين بلد آخر على الخط المستقيم، ٢٠
فلك حالتان :

الحالة الأولى — أن يكون ذلك البلد على سَمْتِ بلدك الذى أنت فيه فى الطول أو العرض، فآنظر كم درجة بينهما بالزيادة والنقص فآضربه فى ست وستين، وهو ما لكل درجة من الأميال، فما خرج من الضرب فهو بُعْد ما بينهما من الأميال على الخط المستقيم، فآعتبره بما شئتَ من المراحل والفراسخ والبُرُدِ على ما تقدّم بيانه .

الحالة الثانية — ألّا يكون ذلك البلد على سَمْت بلدك الذى أنت فيه . فطريقك أن تقابل بين عَرْض بلدك وطوله، وبين عرض البلد الآخر وطوله، وتنظر كم فَضْلُ ما بين الطولين وبين العرضين، وهو ما يزيده أحد الطولين أو أحد العرضين على الآخر فتضرب كُلًّا من فَضْل الطولين وفضل العرضين فى مثله، وتجمع الحاصل من الضربين فما كان خذ جَذْرَهُ، وهو القدر الذى إذا ضربتَه فى مثله حصل عنه ذلك العدد، فما بلغ فهو مقدار ما بين بلدك والبلد الآخر من الدرج، فآضربه فى ست وستين وثُلُثين على ما تقدّم، فما بلغ فهو أميال . فآعتبره بما شئت من المراحل والفراسخ والبُرُدِ على ما تقدّم .

مثال ذلك — أن الفُسْطَاطَ طوله خمس وخمسون درجة، وعرضه ثلاثون درجة ودِمَشْقَ طولُها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصفُ درجة، ففضل ما بين طوليهما خمس درج، وفضل ما بين عرضيهما ثلاث دَرَج ونصف درجة، فتضرب فضل ما بين الطولين، وهو خمس درج فى مثله يبلغ خمسا وعشرين، وتضرب فضل ما بين العرضين، وهو ثلاث ونصف فى مثله يبلغ آثنى عشر وربعا، فتجمع ماحصل من الضَّرْبَين، وهو خمس وعشرون وآثنا عشر وربع ويكون سبعا وثلاثين وربعا فخذ جَذْرَها يكن ستا ونصفَ سُدُسٍ تقريبا، وهو ما بين الفُسْطَاطِ ودِمَشْقَ من الدَّرَج، فآضربه فى ست وستين وثُلُثين، وهى ما للدرجة الواحدة من الأميال يكن أربعمائة وخمسةَ أميال وثلثَ سدسِ ميلٍ، فإذا آعتبرت كل أربعة

وعشرين مِيلًا بمرحلة على ما تقدّم ، كانت سبع عشرة مرحلةً تقريبا ، وهو القدر الذى بين الفُسْطَاطِ ودِمَشْق على الخط المستقيم .

أما الطرق المسلوكة إلى البُلْدان على التعاريج بسبب البحار والجبال والأودية وغيرها ، فإنها تقتضى الزيادة على ذلك .

وقد ذكر أبو الرَّيْحان البيرونى فى كتابه "القانون" : أن زيادة التعريج على الاستواء يكون بقدر الخمس تقريبا . فإذا كان بين البلدين أربعون مِيلًا على الخط المستقيم كانت بحسب سير السائر خمسين مِيلًا .

قلت : وفيه نظر لطول بعض التعاريج على بعض فى الزيادة بالبحار والجبال عن الخط المستقيم على ما هو مشاهد فى الأسفار .

اللهم إلا أن يريد الغالب كما تقدّم بين الفُسْطَاطِ ودِمَشْق ، فقد مرّ أن بينهما على الخط المستقيم سبع عشرة مرحلة بالتقريب ، فإذا أضيف إليها مثلُ خمسها ، وهو ثلاثة وخمسان ، كانت عشرين مرحلة ، وهو القدر المعتاد فى سيرها بالسير المعتدل .

واعلم أن أطوال البُلْدان وعُرُوضها قد وقع فى الكتب المصنفة فيها ككتاب "الأطوال" المنسوب للفُرْس . و"رسم المَعْمُور" المترجم للمأمون من اللغة اليونانية . "والزيجات" وغير ذلك اختلاف كثير وتباين فاحش . وممن صرح بذكر ذلك أبو الريحان البيرونى فى كتابه "القانون" فقال عند ذكرها : ولم يتهيأ لى تصحيح جميعها ، وقد صححت ما أمكن منها .

قال فى "تقويم البُلْدان" : إلا أن معرفة ذلك بالتقريب خير من الجهل بالكلية .

البـاب الثـانى

من المقـالة الثـانيـــة

فى ذكر الخلافة ومَنْ وليها من الخلفاء، ومَقَرّاتهم فى القديم والحديث، وما انطوت
عليه الخلافة من الممـالك فى القديم، وما كانت عليه من الترتيب،
٥ وما هى عليـه الآن، وفيـه فصلان

الفصـــل الأوّل

فى ذكر الخلافة ومن وليهـا من الخلفاء : من خلفاء بنى أُمَيَّـةَ بالشام ، وخلفاء
بنى العبّاس بالعراق، وخلفاء الفَاطِمِيِّينَ بمصر، وخلفاء بنى أُمَيَّةَ بالأَنْدَلُس

أما الخلافة ، فسيأتى فى المقالة الخامسة فى الكلام على الولايات أن المراد بها
١٠ خلافة النبىّ صلى الله عليه وسلم بعده فى أمته . ولذلك كان يقال لأبى بكر الصِّدِّيق
رضى الله عنه: خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الراجح أنه لا يجوز أن يقال
فى الخليفة خليفة الله إلى تمام القول فيما سيأتى ذكره هناك، إن شاء الله تعالى .

وأما مَنْ وليها من الخلفاء، فعلى أربع طبقات :

الطبقـــة الأولى

١٥ الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم

وأوّلهم : " أبو بكر الصـدِّيق رضى الله عنـه " بويع بالخـلافة فى اليوم
الذى مات فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم، على ما سيأتى ذكره فى الكلام على البيعات
من المقالة الخامسة إن شاء الله تعالى .

وبقى حتّى تُوُفِّىَ لتسع ليال بَقِينَ من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة
٢٠ ودفن مع النبىّ صلى الله عليه وسلم، فى حُجْرة عائشة رضى الله عنها .

وبويع بعده " عمر بن الخطاب رضى الله عنه " فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر رضى الله عنه بعد أن عَهِدَ له بالخلافة، وتُوُفِّى يوم السبت سلْخَ ذى الحجة الحرام سنة ثلاث وعشرين بطعنة أبى لُؤْلُؤَةَ : غلامِ المغيرة بن شعبة ، ودفن مع النبىّ صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه .

وفى أيامه فتحت الأمصار : ففتحت دِمَشْقُ على يد خالد بن الوليد وأبى عُبَيدة آبن الجَرَّاحِ، وتبعها فى الفتح سائرُ بلاد الشام ففتحت بَيْسَانُ، وطَبَرِيَّةُ، وقَيْسَارِيَّةُ، وفَلَسْطِينُ، وعَسْقَلانُ، وبَعْلَبَكُّ، وحِمْصُ، وحَلَبُ، وقِنَّسْرِينُ، وأَنْطَاكِيَّةُ؛ وسار إلى بيت المَقْدِسِ فى خلال ذلك، ففتحه صُلْحاً .

وفُتِح من بلاد الجزيرة الفراتية : الرَّقَّةُ ، وحَرَّانُ، والمَوْصِل، ونَصِيبِينُ، وآمِدُ، والرُّها .

وفُتِح من العراق : القَادِسِيَّةُ، والمَدَائِنُ، على يد سعد بن أبى وَقَّاص، وزال مُلْكُ الفُرْسِ، وآنهزم مَلِكُهم يَزْدَجِرْدُ إلى فَرْغَانَةَ من بلاد التُّرْك .

وفتحت أيضا كُوَرُ دِجْلَةَ، والأُبُلَّةِ، على يد عُتْبَةَ بن غَزْوَانَ .

وفتحت كُوَرُ الأَهْوَازِ على يد أبى موسى الأشعرى .

وفتحت نَهَاوَنْدُ، وإِصْطَخْرُ، وأَصْبَهَانُ ، وتَسْتُرُ، والسُّوسُ، وأَذْرَبِيجَانُ، وبعض أعمال خُرَاسَانَ .

وفتحت مِصْرُ، والإِسْكَنْدَرِيَّةُ، وأَنْطَابُلُسُ، وهى بَرْقَةُ، وطَرَابُلُسُ الغرب؛ على يد عمرو بن العاص .

وبويع بالخلافة بعده " عثمان بن عَفَّانَ رضى الله عنه " لثلاث بقين من المحرّم سنة أربع وعشرين؛ وقتل بالمدينة لثمانَ عشرةَ ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين، وقيل يوم الأضحى، وقيل غير ذلك .

وبويع بالخلافة بعده "عليّ كرّم الله وجهه" يوم قَتْل عثمان ، وقتـل لسبعَ عشرةَ ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة بالعراق، ودفن بالنَّجَف على الصحيح المشهور .

وبويع بالخلافة لابنه "الحسن" بالكوفة من العراق يوم قتل أبيه، وسلم الأمر لمعاوية لخمس بقين من ربيع الأوّل سـنة إحدى وأربعين، وقيل فى ربيع الآخر، وقيل فى جمادى الأولى، ولحق بالمدينة فأقام بها إلى أن تُوُفِّىَ بهـا فى ربيع الأوّل سنة تسع وأربعين، وقيل ست وخمسين .

الطبقـــة الثانيـــة

خلفاء بنى أميـــة

أوّلهم: "مُعَاوِيَةُ بن أبى سُفْيَانَ" كان أميرا على الشام فى خلافة عمر بن الخَطَّاب رضى الله عنه، وآستمرّ بها إلى أن سلّم الحسنُ إليه الأمرَ، فآسـتقلَّ بالخلافة وبقِىَ حتّى توفى بدِمَشْقَ مستهلَّ رجب الفرد سنة ستين من الهجرة، وقيـل فى النصف من رجب، وهو أوّل من رتب أمور الملك فى الإسلام .

وقام بالأمر بعده آبنه "يَزِيدُ" بالعهد من أبيه؛ وبويع له بعد وفاته فى رجب سنة ستين، وتوفى لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة أربع وستين .

وقام بالأمر بعده آبنـه "مُعَاوِيَةُ" وبويع له بالخـلافة فى النصف من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين، فأقام بالخلافة أربعين يوما، وقيل ثلاثة أشهر، وقيل عشرين يوما .

وقام بالأمر بعده "مَرْوَانُ بن الحكَم" وبويع له بالخلافة بالجابِيَة فى رجب سنة أربع وستين ، ثم جُدّدت له البَيْعَةُ فى ذى القَعْدَةِ من السـنة المذكورة؛ وتُوُفِّىَ بالطاعون بدِمَشْقَ فى شهر رمضان سنة خمس وستين .

وقام بالأمر بعده آبنه "عبد الملك" بالعهد من أبيه؛ وبويع له بالخلافة في الثالث من شهر رمضان المذكور، وتوفِّي بدِمَشْق منتصف شوّال سنة ست وثمانين .

وقام بالأمر بعده آبنه "الوليد" بالعهد من أبيه؛ وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وتوفى بدِمَشْق في منتصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعين .

وقام بالأمر بعده أخوه "سليمان بن عبد الملك" وبويع له يوم موت أخيه الوليد، وكان أبوه قد عهد أن يكون هو الخليفة بعد أخيه الوليد، وتوفى بدَابِق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين .

وقام بالأمر بعده آبن عمه "عمر بن عبد العزيز" بعهده له؛ وبويع له بالخلافة يوم موته، وتُوُفِّي بخُنَاصِرَة لخمس وقيل لستٍّ بقين من رجب سنة إحدى ومائة .

وقام بالأمر بعده "يزيد بن عبد الملك بن مَرْوان" بعهد من أخيه سليمان أن يكون له الأمر من بعد عمر بن عبد العزيز، وقيل : بعهد من أبيه أن يكون له الأمر بعد أخيه سليمان، ولكنه سلم لآبن عمه عُمَر؛ وبويع له يوم موت عمر، وتوفى بجَوْلانَ لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة .

وقام بالأمر بعده أخوه "هشام بن عبد الملك" بعهد من أخيه يَزِيدَ؛ بويع له بالخلافة في يوم موته، وتوفى بالرُّصَافَة لِستٍّ خلون من ربيع الأوّل سنة خمس وعشرين ومائة .

وقام بالأمر بعده "الوليد بن يَزِيدَ بن عبد الملك" بويع له بالخلافة لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وقتل لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين[1] .

(١) أى فكانت خلافته سنة واحدة وشهرين .

وقام بالأمر بعـده آبنه "يزيد" المعروف بالناقص، سمى بذلك لنقصه الجندَ ما كان زادهم يَزِيدُ؛ بويع له بالخـلافة يوم قَتْلِ الوليد، وتوفى بِدَمَشْق لعشر بقين من ذى الحجة من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعده أخوه "إبراهيم بن الوليد" بويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه فى ذى الحجة المذكور، فمكث أربعة أشهر، وقيل أربعين يوما ثم خلع نفسه . ٥

وقام بالأمر بعده "مَرْوان بن محمد بن مروان بن الحكم الجعـدى" بتسليم إبراهيم بن الوليد الأمرَ إليه؛ وفى أيامه ظهرت دعوة بنى العبّاس، وقصدته جيوشهم فهـرب إلى مصر، فأُدْرِك وقتل بقرية يقال لهـا بُوصِير من الفَيُّوم، وبزواله زالت دولة بنى أُمَيَّة .

الطبقـــة الثالثـــة ١٠

خلفـاء بنى العَبّاس بالعِـراق

وأوّل من قام بالأمر منهم بعد خلفاء بنى أُمَيَّة "السَّفَّاحُ" وهـو أبو العبّاس عبد الله بن محمد بن علىّ بن عبد الله بن العباس: عمّ النبىّ صلى الله عليه وسلم؛ بويع له بالخـلافة بالكوفة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيـع الآخر سنة آثنتين وثلاثين ومائة، وتوفى بالأنبار لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة . ١٥

وقام بالأمر بعده أخوه "المنصور" أبو جعفر عبد الله؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه السَّفّاح، وتوفى بطريق مكة وهو محرم بالحج سنة ثمان وخمسين ومائة، ودفن بالحَجُون .

وقام بالأمر بعده آبنه "المَهْدىّ" أبو عبد الله محمد؛ بويع له بالخلافة يوم مات أبوه بطريق مكة وهو يومئذ ببغداد، وتوفى بماسَبَذانَ فى المحرّم سنة تسع وستين ومائة .

وقام بالأمر بعده آبنه "الهادى" أبو محمد موسى؛ بويع له بعد أبيه يوم موته وهو غائب[1]، فسار إلى بغـداد ودخلها بعد عشرين يوما، وتوفى لأربع عشرة ليـلة خلت من ربيع الأوّل سنة سبعين ومائة . ٢٠

(١) كان مقيا بجرجان يحارب أهل طبرستان بعسكر أبيه .

وقام بالأمر بعده "الرشيد" أبو محمد هرون بن المهدى ؛ بويع له بالخلافة ليلة مات أخوه الهادى ، وتوفى ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "الأمين" أبو عبدالله محمد، ويقال أبو موسى، ويقال أبو العبّاس، بالعهد من أبيه هرون الرشيد؛ وبويع له صبيحة الليلة التى توفى فيها أبوه الرشيد، وقتل لخمس بقين من المحرّم سنة ثمان وتسعين ومائة .

ثم قام بالأمر بعده أخوه "المأمون" أبو العبّاس ، ويقال أبو جعفر عبدالله ، بالعهد له من أبيه الرشيد أن يكون له الأمر بعد أخيه الأمين؛ وبويع له بالخلافة يوم قتل أخيه الأمين ببغداد وهو غائب ؛ وبويع له البيعة العامة لخمس بقين من المحرّم سنة ثمان وتسعين ومائة، وتوفى بأرض الروم لليلة بقيت من رجب، وقيل لثمان خلون منه سنة ثمانى عشرة ومائتين، ودفن بطَرَسُوس .

وقام بالأمر بعده أخوه "المعتصم بالله" أبو إسحاق محمد بن هرون الرشيد ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه المأمون وهو يومئذ بطَرَسُوس، فسار إلى بغداد، فدخلها مستهلّ رمضان سنة ثمانى عشرة ومائتين، وتوفى بسامرّا لثمانى عشرة ليلة مضت من ربيع الأوّل سنة سبع وعشرين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ابنه "الواثق بالله" أبو جعفر هرون ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وتوفّى بسُرَّ مَنْ رَأَى لستّ بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

وقام بالأمر بعده أخوه "المتوكل على الله" أبو الفضل جعفر؛ بويع له بالخلافة يوم موت أخيه الواثق، وقتل لثلاث خلون من شوّال سنة سبع وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ٱبنه "المستنصر بالله" أبو جعفر محمـد ؛ بويع له بالخلافة صبيحة قتل أبيـه المتوكل، وتوفى بسَامَرّا لثلاث خلون من ربيع الآخر، وقيـل لخمس خلون من ربيع الأوّل سنة ثمان وأربعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده "المستعين بالله" أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله المتقدّم ذكره ؛ بويع له بالخلافة فى اليوم الثانى من موت المستنصر ، وخلع نفسه لأربع خلون من ربيع الآخر سنة ثمـان وأربعين ومائتين، وجهّز إلى واسط، فقتل بهـا فى آخر رمضان من السنة المذكورة .

وقام بالأمر بعده "المُعْتَزّ بالله" أبو عبدالله محمد، وقيل أبو الزبير بن المتوكل على الله المتقدّم ذكره؛ بويع له ببغداد حين خلع المستعينُ نفسَه، وبايعه المستعين فيمن بايع، وخلع لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين، ثم قتل بعد ذلك .

وقام بالأمر بعده "المهتدى بالله" أبو عبـد الله، ويقال أبو جعفر محمد بن الواثق بالله المتقدّم ذكره ؛ بويع له بالخلافة بعد ليلتين من خلع المعتز بالله، وقتـل لأربع عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين، وكان يقال هو فى بنى العباس مثل عمر بن عبد العزيز فى بنى أُمَيَّةَ .

وقام بالأمر بعده "المعتمد على الله" أبو العباس، ويقال أبو جعفر أحمـد ابن جعفر المتوكل المتقدّم ذكره ؛ بويع له بالخلافة يوم قتل المهتدى بالله، وتوفى لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين .

وقام بالأمر بعده "المعتضد بالله" أبو العباس أحمـد بن الموفق ، طلحة بن جعفر المتوكل ؛ بويع له بالخلافة يوم قتـل المعتمد على الله، وتوفى ببغداد لسـبع وقيل لثمـان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمـانين ومائتين .

وقام بالأمر بعده ٱبنه "المكتفى بالله" أبو محمد علىّ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المعتضد وهو غائب بالرّقّة، وكتب إليه بذلك فأخذ البيعة على من عنده وسار إلى بغداد، فدخلها لثمان خلون من جمادى الأولى من سنته، وتوفى ببغداد لثلاث عشرة ليلة، وقيل لثنتى عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين.

وقام بالأمر بعده أخوه "المقتدر بالله" أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله المتقدّم ذكره، وخلع لعشر بقين من ربيع الأوّل سنة ست وتسعين ومائتين.

وبويع "المرتضى بالله" أبو محمد عبدالله بن المعتز، فأقام يوما وليلة ثم ٱضطرب عليه الأمر فٱختفى، وعاد الأمر إلى المقتدر فظفر بٱبن المعتز نصادره، ثم أخرج من دار السلطان ميّتا لليلتين خلتا من ربيع الآخر من السنة المذكورة، ثم خلع المقتدر بالله نفسه، وبويع بالخلافة أخوه القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد فأقام يومين، ثم عاد الأمر إلى المقتدر بالله وبقى حتّى قتل لثلاث خلون من شوّال سنة عشرين وثلثمائة.

وقام بالأمر بعده أخوه "القاهر بالله" المتقدّم ذكره، لليلتين بقينا من شوّال سنة عشرين وثلثمائة، ثم خلع وسملت عيناه لستّ خلون من جمادى الأولى سنة ٱثنتين وعشرين وثلثمائة.

وقام بالأمر بعده ٱبن أخيه "الراضى بالله" أبو العباس أحمد بن المقتدر بالله المتقدّم ذكره، وتوفى لستّ عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وثلثمائة.

وقام بالأمر بعده أخوه "المتقى بالله" أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بالله المتقدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة لعشر بقين من ربيع الأوّل سنة تسع وعشرين وثلثمائة. وخلع وسملت عيناه لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة.

وقام بالأمر بعده ابن عمه "المستكفى بالله" أبو القاسم[1] عبدالله بن المكتفى بالله المتقـدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة يوم خلع المتقى بالله بمشاركته[2] له، ثم خلع وسملت عيناه فى جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة.

وقام بالأمر بعده ابن عمه "المطيع لله" أبو القاسم، ويقال أبو العباس الفضل ابن المقتدر بالله المتقدّم ذكره، بويع له بالخلافة يوم خلع المستكفى، وخلع نفســه منها للعجز بالمرض فى الثالث عشر من ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة.

وولى الخلافة بعده ابنه "الطائع لله" أبو بكر عبد الكريم؛ بويع له بالخلافة يوم خلع أبيه المطيع لله، وقبض عليه لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شعبان سـنة إحدى وثمانين وثلثمائة فخلع نفسه.

وقام بالأمر بعده "القادر بالله" أبو العباس أحمد بن إسحاق؛ بويع له بالخلافة يوم خلع الطائع، وكان غائبا بالبطائح فأحضر، وجددت له البيعة ببغداد فى شهر رمضان من السنة المذكورة، وتوفى حادى عشر ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة.

وقام بالأمر بعده ابنه "القائم بأمر الله" أبو جعفر عبد الله، بالعهد من أبيه، وجدّدت له البيعة بعد موت أبيه، توفى ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة.

وقام بالأمر بعده ابن ابنه "المقتدى بأمر الله" عبد الله [بن] ذخيرة الدين محمد ابن القائم بأمر الله المتقدّم ذكره، وتوفى فجأة فى الخامس والعشرين من المحرّم سنة سبع وثمانين وأربعمائة.

وقام بالأمر بعده ابنه "المستظهر بالله" أبو العباس أحمد؛ بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه، وتوفى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة.

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٥٧) والنجوم الزاهرة (ج ٣ ص ٢٧٣) أيضا. وفى حياة الحيوان (ج ١ ص ١١٥): «أبو العباس».

(٢) ليست هذه الكلمة فى العقد ولا فى حياة الحيوان وهى قليلة الجدوى كما ترى.

وقام بالأمر بعده ابنه "المسترشد بالله" أبو منصور الفضل ؛ بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه المستظهر، وقتل فى قتال الباطنية سابع عشر ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "الراشد بالله" أبو جعفر المنصور، بالعهد من أبيه ؛ وجددت له البيعة يوم قتله ، وخلع فى منتصف ذى القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة . ٥

وقام بالأمر بعده "المقتفى لأمر الله" أبو عبد الله محمد بن المستظهر المتقدّم ذكره؛ بويع له بالخلافة يوم خلع الراشد بالله ؛ وتوفى ثانى ربيع الأوّل سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "المستنجد بالله" أبو المظفّر يوسف؛ بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المقتفى، وتوفى تاسع ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة . ١٠

وقام بالأمر بعده ابنه "المستضىء بالله" أبو محمد الحسن؛ بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المستنجد من أقاربه بيعةً خاصة، وفى عشره (١) بيعةً عامة، وتوفى ثانى ذى القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "الناصر لدين الله" أبو العباس أحمد ؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المستضىء، وتوفى أوّل شوّال سنة اثنتين وعشرين وستمائة . ١٥

وقام بالأمر بعده ابنه "الظاهر بأمر الله" أبو نصر محمد؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه الناصر، وتوفى رابع عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "المستنصر بالله" أبو جعفر المنصور؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه الظاهر، وتوفى لعشر خلون من جمادى الأولى سنة أربعين وستمائة .

وقام بالأمر بعده ابنه "المستعصم بالله" أبو أحمد عبد الله؛ بويع له بالخلافة يوم موت أبيه المستنصر بالله ، وقتله هولاكو ملك التتار فى العشرين من المحرّم ٢٠

(١) أى عاشر ربيع الآخر التالى للبيعة الخاصة الواقعة فى التاسع .

سنة ست وخمسين وستمائة . وبقتله آنقرضت الخلافة العباسية من بغداد ؛ وهــو الثامن والثلاثون من خلفاء بنى العباس ببغداد إذا عدّت خلافة آبن المعتز، وحسبت خلافة القاهر أوّلا وثانيـا خلافةً واحدة .

الطبقة الرابعـــــة

خلفاء بنى العبّاس بالديار المصرية من بقَايا بنى العبّاس

وأوّل من قام بأمر الخلافة بها "المستنصر بالله" أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبى نصر محمــد المتقدّم ذكره . وذلك أنه لمـا قتل التـتر المستعصم المتقدّم ذكره، وبقيت الخلافة شاغرةً نحوا من ثلاث سنين ونصف ثم قَدِم جمـاعة من عرب الحجـاز إلى مصر فى رجب سنة تسع وخمسين وستمائة أيامَ الظاهر بيبرس ، ومعهم المستنصر المذكور ، وذكروا أنه خرج من دار الخلافة ببغداد لمّـا ملكها التّـتَرُ ، فعقد الملك الظاهر له مجلسا حضره جماعة من العلماء، منهم الشــيخ عزّ الدّين بن عبد السلام شيخ الشافعية، وقاضى القضاة تاجُ الدين آبن بنت الأعز الشافعى، وهو يومئذ قاضى الديار المصرية بمفرده، وشهد أولئك العرب بنسبه، ثم شهد جماعة من الشهود على شهادتهم بحكم الاستفاضة، وأثبت آبن بنت الأعز نسبَه، ثم بايعه الملك الظاهر بالخلافة وأهلُ الحلِّ والعقد، وآهتم الملك الظاهر بأمره، وآستخدم له عسكرا عظيما، وتوجه الملك الظاهر إلى الشام وهو صحبته فجهّزه من هناك بعسكره إلى بغداد طمعا أن يستولى عليها وينتزعها من التتـار ، فخرج إليه التتار قبل أن يصل بغداد فقتلوه، وقتلوا غالب عسكره فى العشر الأوّل من المحرّم سنة ستين وستمائة . فكانت خلافته دون السـنة؛ وهو أوّل خليفة لقب بلقب خليفــة قبله ، وكانوا قبل ذلك يلقبون بألقاب مرتَجَلَة .

وقام بالأمر بعده "الحاكم بأمر الله" أبو العباس أحمد بن حسين بن أبى بكر ابن الأمير أبى على القبى ابن الأمير حسن بن الراشد بالله أبى جعفر المنصور المتقدّم ذكره فى الخلفاء ببغداد. قدِمَ مصر سنة تسع وخمسين وستمائة، وهو ابن خمس عشرة سنة فى سلطنة الظاهر بيبرس، وقيل إن الظاهر بعث من أحضره إليه من بغداد، وجلس له مجلسا عاما أثبتَ فيه نسبَه، وبايعه بالخلافة فى سنة ست وستين وستمائة، وأشركه معه فى الدعاء فى الخطبة على المنابر، إلا أنه منعه التصرفَ والدخول والخروج. ولم يزل كذلك إلى أن ولِىَ السلطنة الملكُ الأشرف خليل بن المنصور قلاوون، فأسكنه بالكبش بخط الجامع الطولونى، فكان يخطب أيام الجمعة فى جامع القلعة ويصلى، ولم يطلق تصرفه إلى أن تسلطن المنصور لاچين، فأباح له التصرف حيث شاء وأركبه معه فى الميادين؛ وتوفى فى شهور سنة إحدى وسبعمائة.

وقام بالأمر بعده ابنه "المستكفى بالله" أبو الربيع سليمان بالعهد من أبيه الحاكم؛ وبويع له بالخلافة يوم موت أبيه، واستقر على ما كان عليه أبوه من الركوب والنزول وركوب الميادين مع السلطان إلى أن أعيد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة المرّة الثانية بعد خلع الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فى شهور سنة تسع وسبعمائة، فحصل عند السلطان منه وحشة، فجهزه إلى قُوص ليقيم بها، وبقى بقُوص حتّى توفى فى سنة أربعين وسبعمائة.

وولى الخلافة بعده ابنه "المستعصم بالله" أبو العباس أحمد بعهد من أبيه المستكفى بأربعين شاهدا بمدينة قوص، ودعى له على المنابر فى العشر الأخير من شوّال سنة أربعين وسبعمائة.

ثم خلعه الناصر محمد بن قلاوون، وبايع بالخلافة "الواثق بالله" أبا إسحاق إبراهيم ابن الحاكم بأمر الله المتقدّم ذكره، وأمر بأن يدعى له على المنابر، وتحمل له راية

الخلافة ، فجرى الأمر على ذلك . وكان قد همّ بمبايعته بعد موت المستكفى فلم يتم له . فلما توفى الملك الناصر فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، أعيد المستعصم بالله أحمد المتقدّم ذكره إلى الخلافة بعد خلع الواثق إبراهيم، وبقى حتّى توفى رابعَ شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

٥ ثم ولى الخلافة بعده أخوه "المعتضد بالله" أبو الفتح أبو بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان سابع عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وتوفى عاشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

وولى الخلافة بعده آبنه "المتوكل على الله" أبو عبدالله محمد بن المعتضد بالله المتقدّم ذكره بالعهد من أبيه المعتضد، وآستقرّ له الأمر بعد وفاة أبيه يوم الخميس

١٠ ثانى عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وبقى حتّى خلعه الأمير أَيْبَكْ أتابكُ العساكر فى سلطنة الملك المنصور علىّ بن الأشرف شعبان بن حسين .

وولى الخلافة مكانه "المستعصم بالله" أبو يحيى زكريا بن الواثق إبراهيم المتقدّم ذكره، فأقام فى الخلافة دون ثلاثة أشهر . ثم أعيد المتوكل على الله محمد بن أبى بكر إلى الخلافة ثانيا فى أواخر المحرّم أو أوائل صفر سنة تسع وسبعين وسبعمائة،

١٥ وآستمر حتّى قبض عليه الظاهر برقوق وآعتقله بقلعة الجَبَل فى مستَهَلّ شهر رجب سنة خمس وثمانين وسبعمائة .

وولّى الخلافة مكانه "الواثق بالله" أبو حفص عمر بن الواثق بالله إبراهيم المتقدم ذكره، فبقى حتّى توفى فى العشر الأوّل من شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، فأعاد الظاهر برقوق المستعصم بالله زكريا المتقدّم ذكره ثانيا إلى الخلافة، والمتوكل

٢٠ على الله فى الآعتقال والناس لا يَرَوْنَ فى كل ذلك الخليفةَ غيره .

ثم عنّ للملك الظاهر برقوق بعد ذلك فأطلق المتوكلَ على الله من الاعتقال، وأكرمه وأحسن إليه فى ثانى جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وبقى فى الخلافة حتى توفى سابع عشرى شهر رجب الفرد سنة ثمان وثمانمائة.

وولى الخلافة بعده ابنه "أبو الفضل العباس ولُقِّبَ المستعينَ بالله" وبقى فى الخلافة على سَنَنِ من تقدّمه من الخلفاء العبّاسيين بالديار المصرية من قصور ٥ أمره على العهد إلى السلطان والدعاء له على المنابر قبل السلطان إلى أن قبض على الناصر فرج بن برقوق بالشام فى الثانى عشر من ربيع الأوّل من سنة خمس عشرة وثمانمائة، فاستقلَّ بالأمر واستبدّ به، وأجمع له أمر الخلافة: من ضرب اسمه على السِّكَّة فى الدّنانير والدراهم والدعاء له على المنابر بمفرده، والعلامة على التقاليد والتواقيع والمكاتبات وغيرها، وفوَّض أمر تدبير دولته للأمير "شيخ" وكُتب له تفويضٌ ١٠ فى ورق، عرضُه ذراعٌ ونصفٌ بذراع البز، يزيد عما كان يكتب فيه للسلاطين نصف ذراع بقلم مختصر الطومار.

وكان المتولى لأمر كتابته المقرّ الشمسىّ محمد العمرى عين أعيان كُتَّاب الدّست الشريف بالأبواب الشريفة السلطانية، ونائب كاتب السر. وسيأتى ذلك فى الكلام على التواقيع فى المقالة الخامسة إن شاء الله تعالى. ١٥

وأما مقرّات الخلفاء، فهى أربع مقرّات:

المقـــرّة الأولى

المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام

كانت مقرّة الخلفاء الراشدين إلى حين انقراضهم؛ وذلك أن مبدأ النبوة كان بمكة ثم هَاجَر النبىُّ صلَّى الله عليه وسلم إلى المدينة، وأقام بها حتَّى تُوُفِّىَ فى الثالث[1] عشر ٢٠ من ربيع الأوّل سنة إحدى عشرةَ من الهجرة.

(١) المشهور أن وفاته يوم الاثنين الثانى عشر الخ ولكن فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٨ طبع بولاق) "لثلاث عشرة خلت من ربيع الأوّل" ولعل المؤلف اعتمده.

ثم كان بعده فى الخلافة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علىّ، ثم الحسن إلى حين سَلَّمَ الأمر لمعاوية، وإنما كان مُقام علىّ والحسن بالعراق زمن القتال بينهما وبين معاوية .

المقـــرّة الثانيـــة

الشـــأم

وهى دار خلفاء بنى أُمَيَّة إلى حين آنقراضهم

٥

قد تقدّم أن معاوية كان أميرا على الشأم قبل الخلافة، ثم آستقل بالأمر حين سَلَّم إليه الحسنُ، وبقى فى الشأم هو ومَنْ بَعْدَهُ إلى حين آنقراض خلافتهم، فقتل مَرْوَانُ ابن محمد على ما تقدّم ذكره . وكانت دار إقامتهم دِمشق، وإن نزلوا غيرها فليس لإقامة .

المقرّة الثـالثـــة

العِـــراق

١٠

وهى دار خلفاء بنى العباس

وكان أوّل مبايعة السَّفَّاح به بالكوفة على ما تقدّم ، ثم بنى بعـد ذلك بالأنْبَارِ مدينـةً وسماها الهاشمية ونزلها . فلما ولى أخوه أبو جعفر المنصـورُ الخلافةَ بعـده بنى بَغْدَاد وسكنها وصارت منزلا لخلفاء بنى العبّاس بعده إلى حين آنقراض الخلافة منها بقتل التتر المستعصمَ آخرَ خلفائهم بها .

١٥

المقـــرّة الرابعـــة

الديار المصـــرية

وهى دار الخـــلافة الآن

وقد تقدّم سبب آنتقال الخلافة إليها بعد آنقراضها من بغداد فى الكلام على من ولى الخلافة من الخلفاء، فأغنى عن إعادته هنا .

٢٠

وقد تقدّم أن الحاكم بأمر الله ثانى خلفائهم بمصر أسكنه الأشرف خليل بن قلاوون بالكبش بخط الجامع الطُّولُونىّ . أما الآن فاستقرّت دار الخلافة بخطّ المشهد النفيسىّ بين مصر والقاهرة، ولا أخلى الله هذه المملكة من آثار النبوّة .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الثانية

فيما انطوت عليه الخلافة من الممالك فى القديم، وما كانت عليه من الترتيب، وما هى عليه الآن

أمّا ما انطوت عليه من الممالك ، فاعلم أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قد فتح مكة وما حول المدينة من القرى كخيبر ونحوها .

وفتح خالد بُصْرى من الشأم فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه، وهى أوّل فتح فتح بالشأم، ثم كانت الفتوح الكثيرة فى خلافة عمر رضى الله عنه، ففتح بلاد الشأم، وكُوَر دِجْلَة والأُبُلَّة ، وكُوَر الأهْوَاز، وإصْطَخْر، وأصْبَهَان ، والسُّوس ، وأذَرْ بيجان ، والرّىّ، وجُرْجَان، وقَزْوِين ، وزَنْجان، وبعض أعمال خُرَاسَان ، وكذلك فتحت مصْرُ، وبَرْقَةُ، وطَرَابُلُس الغرب .

ثم فتح فى خلافة عثمان رضى الله عنه : كَرْمَانُ، وسجِسْتَان، ونَيْسَابُورُ، وفَارِسُ، وطَبَرِسْتَان، وهَرَاةُ، وبقية أعمال خُرَاسَانَ . وفتحت أرْمِينيَةُ، وحَرَّانُ، وكذلك فتحت إفْرِيقيَةُ، والأَنْدَلُس، وسد الإسلامُ ما بين المشرق والمغرب، وكانت الأموال تُجْبى من هذه الأقطار النائية والأمصار الشاسعة، فتحمل إلى الخليفة، وتوضع فى بيت المال بعد تكفية الجيوش وما يجب صرفه من بيت المال . ولم يزل الأمر على ذلك إلى أثناء خلافة بنى العباس، ما عدا الأَنْدَلُس فإن بقايا خلفاء بنى أمية استولوا

عليه حتّى يقال : إن الرشيد كان يستلقى على ظهره وينظر إلى السحابة مارّة يقول : "اذهبى إلى حيث شئت يأتِنى خَرَاجُكِ" ثم آضطرب أمر الخلافة بعد ذلك وتقاصر شأنها وآستبدّ أكثر أهل الأعمال بعمله من خلافة الراضى على ما سيأتى ذكره فى الكلام على ترتيب الخلافة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

---

٥ وأما ترتيب الخلافة ، فله حالتان :

الحـالة الأُولى

ما كان عليه الحـال فى الزمن القـــديم

اعلم أن الخلافة لآبتداء الأمر كانت جارية على ما أُلِفَ من سيرة النبىّ صلى الله عليه وسلم : من خُشونة العيش ، والقُرْب من الناس ، وآطّراح الخُيَلاء ، وأحوال ١٠ الملوك ، مع ما فتح الله تعالى على خلفاء السلف من الأقاليم ، وجبى إليهم من الأموال التى لم يفُزْ عظماء الملوك بجزء من أجزائها . وناهيكَ أنهم فتحوا عِدّةً من الممالك العظيمة التى كانت يضرب بها المثَل فى عظَم قدرها ، وآرتفاع شأن ملوكها ، من ممالك المشرق والمغرب . حتّى ذكر عظماء الملوك عند بعض السلف فقال : "إنما المَلِكُ الذى يأكل الشعير ويَعُسّ على رجليه بالليـل ماشيا وقد فُتِحَتْ له مشارقُ الأرض ومغاربُها" ١٥ يريد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ولم يزل الأمرُ على ذلك إلى أن سلّمَ الحسنُ رضى الله عنه الأمرَ لِمُعَاوِيَةَ ؛ وإلى ذلك الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : "الخِلَافةُ فى أمّتى ثلاثونَ سنةً ثم مُلْكٌ بعد ذلك" فكان آخر الثلاثين خلافةَ الحسن .

فلما سلّم الحسن رضى الله عنه لمعاوية بعد وقوع الآختلاف وتَبَايُنِ الآراء ، آقتضى الحال فى زمانه إقامة شِعَارِ الملك ، وإظهارَ أُبَّهَةِ الخلافة ، فأخذ فى ترتيب أمور الخلافة ٢٠ على نظام الملك لما فى ذلك من إرهاب العدوّ وإخافته . بل كان ذلك شأنه وهو

أمير بالشأم قبل أن يلي الخلافة. حتّى حكى صاحب "العِقْد" وغيرُه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قَدِمَ الشأم فى خلافته، وهو راكب على حمار، ومعه عبد الرحمن بن عوف، ومعاويةُ أميرٌ على الشام، فخرج معاوية لملاقاته فى مَوْكب عظيم، فلقيه فى طريقه فى خِفٍّ من القوم فلم يشعُرْ به وتعدّاه طالبا له؛ ثم عُرِّفَ ذلك فيما بعد، فرجع وسلَّم على أمير المؤمنين عمر، ومشى الى جانبه، فلم يلتفت إليه وطال به ذلك، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتعبْتَ الرجل يا أمير المؤمنين، فالتفت إليــه حينئذ، وقال: أنت صاحب المَوْكب الآنَ مع ما يبلغنى من وقوف ذوى الحاجات ببابك؟ — فقال: يا أمير المؤمنين: إنا بأرضٍ يكثر فيها جواسيسُ العــدوّ فأحتاجُ أن أظهِر لهم من أُبَّهَــة المُلْك والسلطان ما يَزَعُهُمْ، فإن أمرتنى به، ائتمرت، وإن نهيتَنى عنــه، انتهيت — فقال: إن كان ما قلتَ حقًّا، فإنه لرَأْىُ أديبٍ! وإن كان غيْرَ حق، فإنه لخُــدْعة أريب. لا آمُرُك ولا أَنْهــاك — فقال عبد الرحمن: لَحَسَنٌ يا أمير المؤمنين! ما صــدَرَ به هذا الفتى عما أوردْتَه فيه — فقال: لِحُسْنِ مَصَادِرِه وموارده جَشَّمْنَاهُ ما جشمناه.

فلما صارت الخلافة إليه، زاد فى حسن الترتيب وإظهار الأُبَّهة، وأخذ الخلفاء بعده فى مضاعفة ذلك والاحتفال به حتّى أمست الخلافة فى أغنى ما يكون من ترتيب الملك، وفاقت فى ذلك الأَكَاسِرَةَ والقياصرة. بل اضْمَحَلَّ فى جانب الخلافة سائر الممالك العظام، وانطوى فى ضمنها ممالك المشارق والمغارب، خصوصا فى أوائل الدولة العباسية فى زمن الرشيد ومَنْ والاه.

حتّى يحكى أن صاحبَ عَمُّورِيَّةَ من ملوك الروم كانت عنده شريفــةٌ مأسورةٌ فى خلافة المُعْتَصِم فعــذّبها، فصاحت وَا مُعْتَصِماه! فقال لهــا: لا يأتى المعتصم لخلاصك إلا على أبْلَقَ. فبلغ ذلك المعتصم، فنادى فى عسكره بركوب الخيل البُلْق،

وخرج وفى مقــدّمة عسكره أربعــةُ آلاف أبلق، وأتى عَمُّــورِيّةَ فحاصرها وخلص الشريفة، وقال : آشهدى لى عند جدّك المصطفى صلى الله عليه وسـلم أنى جئت لخلاصِك، وفى مقدّمة عسكرى أربعة آلافِ أبْلَقَ .

وقد حكى آبن الأثير فى تاريخه : أنه لمــا وصلت رُسُل ملك الروم إلى بغداد فى سنة خمس وثلثمائة فى خلافة المقتدر ، رُتِّبَ من العسكر فى دار الخلافة مائة وستون ألفا ما بين راكب وراجل، ووقف بين يدى الخليفــة سبعُمائة حاجب، وسبعة آلاف خادم خَصِىٍّ : أربعــة آلاف بِيض وثلاثة آلاف سُــود، ووقف الغِلْمَان الحُجَرِيَّةُ الذين هم بمثابة مماليك الطباق الآن بالباب، بتمام الزينة والمناطق المُحَلَّاةِ ، وزينت دار الخلافة بأنواع الأسلحة، وغرائب الزينة، وغُشِّيت جُدْرَانُها بالستور، وفرشت أرضها بالبُسُطِ، وكان عدّة البسط آثنين وعشرين ألف بساط، وعدّة الستور المعلقة ثمانيةً وثلاثين ألف ستر، منها آثنا عشر ألف ستر من الديباج المُذْهَبِ؛ وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب والفضة بأغصانها وأوراقها، وطيورُ الذهب والفضة على أغصانها، وأغصانُها تتمايل بحركات موضوعة، والطيور تُصَفِّرُ بحركات مرتبة، وألقيت المراكب والدبادب فى دِجْلَةَ بأحسن زينة . وكان هنــاك مائة سَـبُع مع مائة سَبَّاع، الى غير ذلك من الأحوال الملوكية التى يطول شرحها .

هذا مع تقهقر الخلافة وآنحطاط رتبتها يومئذ. ولم تزل الخلافة قائمةً على ترتيب واحد فى النفقة والجرايات والمطابخ وإقامة العساكر إلى آخر أيام الراضى بالله .

فلما ولى المُتَّــقِى لله، تقاصر أمرُ الخلافة وتناقص، وقَنِــع الخلفاء من الخلافة بالدعاء على المنابر وضَرْبِ آسمهم على الدنانير والدراهم، وربمــا خطب الواحد منهم بنفســه ، ومع ذلك فكان الخليفــة هو الذى يولِّى أربابَ الوظائف من القُضاة وغيرهم، وتكتب عنه العهود والتقاليد وغيرها لا يشاركه فى ذلك سلُطَان .

وأما شعار الخلافة :

فمنها "الخاتم" : والأصل فيه ما ثبت في الصحيح "أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم قيل له : إن الملوك لا يقرءون كتابا غير مختوم فاتّخذ خاتما من ورق، وجعل نقشه محمدٌ رسول الله" فلما توفّى رسول الله صلّى الله عليه وسلم، لبسه أبو بكر بعده ثم لبسه عمر بعد أبي بكر، ثم لبسه عثمانُ بعد عمرَ، فوقع منه في بئر فلم يُقدَرْ عليه . ٥

وآتخذ الخلفاء بعد ذلك خواتيمَ، لكل خاتم نقشٌ يخصه، وبقي الأمر على ذلك إلى آنقراض الخلافة من بغدادَ .

ومنها "البُرْدة" وهي بردة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان الخليفة يلبسها في المواكب .

قال ابن الأثير : وهي شَمْلَةٌ مُخطَّطة، وقيل كِساءٌ أسودُ مربّع فيه صِغَرٌ، وقد آختلف في وصولها إلى الخلفاء . ١٠

فحكى المَاوَرْديُّ في الأحكام السلطانية عن أبان بن تغلب أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم كان وَهَبها لكعب بن زُهَير حين آمتدحه بقصيدته التي أولها : "بَانَتْ سُعَادُ" فآشتراها منه معاوية . والذي ذكره غيره أن كعبا لم يسمح ببيعها لمعاوية، وقال : لم أكن لأوثِر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا . فلما مات كعب ١٥ اشتراها معاويةُ من ورثته بعشرة آلاف درهم .

وحكى المَاوَرْديّ أيضا عن حَمْزَةَ بن ربيعة أن هذه البردة كان النبيّ صلّى الله عليه وسلم أعطاها لأهل أَيْلَةَ أمانًا لهم، فأخذها منهم عبد الله بن خالد بن أبي أوفى وهو عامل عليهم من قِبَلِ مَرْوانَ بن محمد آخرِ خلفاء بني أُمَيَّةَ وبعث بها إليه، وكانت في خزَانته حتّى أُخذت بعد قتله . وقيل آشتراها أبو العبّاس السفّاحُ، أوّلُ ٢٠ خلفاء بني العبّاس بثلثمائة دينار .

ومنها "القَضِيب" : وهو عُود كان النبيّ صلّى الله عليه وسلم يأخذه بيده .
قال المـاورديّ : وهو من تركة النبيّ صلّى الله عليه وسلم التى هى صدقة .

قلت : وكان القضيب والبردةُ المتقدّما الذكر عند خلفاء بنى العبّاس ببغدادَ إلى أن آنتزعهما السلطان سنجر السَّلْجُوقِيّ من المسترشد بالله، ثم أعادهما إلى المقتفى عند ولايته فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة . والذى يظهر أنها بقيت عندهم إلى آنقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة فإن مقـدار ما بينهما مائةٌ و إحدى وعشرون سنة، وهى مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدّم من مدتهما .

ومنهـا "ثياب الخلافة" : وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه فى الكلام على ترجمة الملك السعيد إسماعيل أحد ملوك بنى أيوبَ باليَمَنِ أنه كان به هَوَجٌ ، فآدّعى أنه من بنى أميـة ولبس ثياب الخـلافة ، ثم قال : وكان طول الكم يومئذ عشرين شِبْراً، فيحتمل أنه أراد زمن بنى أميـة، وأنه أراد زمن بنى أيوب .

ومنها "اللون" فى الأعلام والخِلَع ونحوها .

وكان شعار بنى أُمية من الألوان الخُضْرَة ، فقـد حكى صاحب حماة عن الملك السعيد إسمـاعيل المتقدم ذكره : أنه حين آدّعى الخلافة وأنه من بنى أميّـةَ لبس الخُضْرَةَ ؛ وهذا صريح فى أنه شِعَارُهم .

أما بنو العباس فشعارهم السَّوَادُ ؛ وقـد آختلف فى سبب آختيارهم السَّوَادَ، فذكر القاضى المَـاوَرْدِيّ فى كتابه "الحاوى الكبير" فى الفقه : أن السبب فى ذلك أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم فى يوم حُنَيْنٍ ويومِ الفَتْح عقد لعمه العبّاس رضى الله عنه رايةً سوداء .

وحكى أبو هلال العسكرىّ فى كتابه "الأوائل" : أن سبب ذلك أن مَرْوَانَ آبن محمد آخِرَ خلفاء بنى أُمَيَّةَ حين أراد قتل إبراهيم بن محمد العبّاسىّ أوّلِ القائمين من بنى العبّاس بطلب الخلافة قال لشيعته : لا يَهُولنكم قتلى ، فإذا تمكنتم من أمركم فآستخلفوا عليكم أبا العبّاس يعنى السَّفَّاحَ ؛ فلما قتله مَرْوان ، لبس شيعتُه عليه السَّوادَ ، فلزمهم ذلك وصار شِعَاراً لهم .

ومن غريب ماوقع مما يتعلق بذلك ماحكاه آبن سعيد فى "المغرب" أن الظافر الفاطمىّ أحدَ خلفاء مصر لما قتله وزيره عباس ، بعث نساءُ الخليفة شعورَهن طىَّ الكُتُب إلى الصالح طلائع بن رزيك ، وهو يومئذ والٍ بمنية بنى خَصيب[1] ، فحضر إليهم وقد رفع تلك الشعور على الرماح ، وأقام الرايات السود إظهارا للحرب على الظافر ، ودخل القاهرة على ذلك ، فكان ذلك من الفأل العجيب ، وهو أن مصر انتقلت إلى بنى العباس بعد خمسٍ عشرة سنة ، ورفعت راياتهم السُّود بها .

* * *

وأما تولية الملوك عن الخلفاء ، فكان الحال فيه مختلفا باعتبار السلطان بحضرة الخلافة وغيره . فإن كان الذى يوليه الخليفة هو السلطانَ الذى بحضرة الخلافة ، كبنى بُوَيْه وبنى سلجوق وغيرهم ، فقد حكى آبن الأثير وغيره أن السلطان طُغْرُلْبَك ابن ميكائيل السَّلجُوقىّ لما تقلد السلطنة عن "القائم بأمر الله" فى سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، جلس له الخليفة على كرسىٍّ آرتفاعُه عن الأرض نحو سبعة أذْرُعٍ ، وعليه الْبُرْدَةُ ، ودخل عليه طغرلبك فى جماعةٍ ، وأعيانُ بغداد حاضرون ، فقبَّل طُغْرُلْبَك الأرضَ ويدَ الخليفة ، ثم جلس على كرسىٍّ نُصِب له ، ثم قال رئيسُ الرؤساء وزيرُ الخليفة عن لسان الخليفة : " إن أمير المؤمنين قد ولَّاك جميعَ ما ولَّاه الله تعالى من

(١) وتعرف بمنية آبن الخصيب ، ومنية أبى خصيب ، نسبة إلى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر فى عهد الخليفة هارون الرشيد العباسىّ . وهى المعروفة اليوم بـ«المنيا» عاصمة الإقليم المعروف بآسمها .

بلاده، وردّ إليك أمر عباده، فاتق الله فيما ولّاك، واعرف نعمته عليك" ثم خلع على طغرلبك سبع جبّات سود بزيق واحد، وعمامة سوداء، وطوّق بطوق من ذهب، وسوّر بسوارين من ذهب وأعطى سيفا بغلاف من ذهب، ولقبه الخليفة. وقرئ عهده عليه فقبل الأرض ويد الخليفة ثانيا وانصرف، وقد جهّز له فرس من إصطبلات الخليفة بمركب من ذهب مقندس فركب وانصرف إلى داره، وبعث إلى الخليفة خمسين ألف دينار، وخمسين مملوكا من الترك بخيولهم وسلاحهم مع ثياب وغيرها. ولعل هذا كان ترتيبهم فى لبس جميع ملوك الحضرة.

وإن كان الذى يوليه الخليفة من ملوك النواحى البعيدة عن حضرة الخليفة كملوك مصر إذ ذاك ونحوهم، جهز له التشريف من بغداد صحبة رسول من جهة الخليفة، وهو جبّة أطلس أسود بطراز مذهب وطوق من ذهب يجعل فى عنقه، وسواران من ذهب يجعلان فى يديه، وسيف قرابه ملبّس بالذهب، وفرس بمركب من ذهب، وعلم أسود مكتوب عليه بالبياض اسم الخليفة ينشر على رأسه، كما كان يبعث إلى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ثم أخيه العادل. فإذا وصل ذلك إلى سلطان تلك الناحية، لبس الخلعة والعمامة، وتقلد السيف وركب الفرس وسار فى موكبه حتى يصل إلى محل ملكه. وربما جهز مع خلعة السلطان خلع أخرى لولده أو وزيره أو أحد من أقاربه بحسب ما يقتضيه الحال حينئذ.

وآخر من وصلت إليه الخلعة والطوق والتقليد من ملوك بنى أيوب من بغداد الناصر يوسف بن العزيز بن السلطان صلاح الدين عن المستعصم فى سنة خمس وخمسين وستمائة.

وأما الوظائف المعتبرة عندهم، فعلى ضربين :

الضـــــرب الأوّل

وظائف أرباب السيوف؛ وهى عدّة وظائف

منها "الوزارة" فى بعض الأوقات دون بعض .

وقد ذكر القُضَاعىّ وغيره أن أوّل من لُقِّب بالوزارة فى الإســلام، أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وزير أبى العبّاس السَّفّاح أوّل خلفاء بنى العبّاس، ولم يكن ذلك قبــله، ثم جرى الأمر على ذلك فى آتخاذ الخلفاء الوزراء إلى آنقراض الخلافة ببغداد بقتل التتار المستعصمَ فى سنة ست وخمسين وستمائة، ووزيره يومئذ مؤيد الدين بن العلقمىّ، وقتله هولاكو ملك التتار بعد قتل المستعصم لممالأته على المستعصم مع التتار، وهو آخر وزراء الخلافة ببغداد .

ومنها "الحِجَابة" : وكان موضوعها عنـدهم حفظ باب الخليفـة والآستئذان للداخلين عليه، لا التَّصَدّى للحكم فى المَظَالم كما هو الآن .

وقد ذكر القضاعىّ فى "تاريخ الخلائف" ما يقتضى أن الخلفاء لم تزل تتخذ الحُجّابَ من لَدُن الصِّدِّيق رضى الله عنه فمن بعده، خلا الحسنَ بن علىّ فإنه لم يكن له حاجب .

ومنها "وِلَاية المَظَالم" : وموضوعها قَوْدُ المتظالمين إلى التناصف بالرَّهْبــة، وزَجْر المتنازعين عن التجاحُد بالهيبة . كما قاله المَــاوَرْدِىُّ فى "الأحكام السلطانية" وهى شبيهة بالجوبية الآن فى هذا المعنى؛ وكانت عندهم من أعلى الوظائف وأرفعها رتبة لا يتولّاهَا إلا ذَوُو الأقدار الجليلة، والأخطار الحفيلة .

ومنهــا "النِّقَابَةُ على ذوى الأنساب" : كالطالبيين والعباسيين ومَــنْ فى معناهم، كما فى نقَابة الأشراف الان بالديار المصرية وأعمالها ؛ وكانت لديهم من

وظائف أرباب السيوف، ولذلك آستُصْحِبَ هذا المعنى فى نقيب الأشراف الآن، فيكتب فى ألقابه الأميرىُّ، وإن كان من أرباب الأقلام على ماسيأتى ذلك فى كتابة توقيعه إن شاء الله تعالى .

الضـــرب الثـانى

٥ وظائف أرباب الأقلام، وهى نوعان : دينية وديوانية

فأما الديوانية — فأجلُّها "الوِزَارَةُ" إذا كان الوزير صاحب قَلَم . وقد مرّ القول فى آبتداء وزارة الخلفاء وآنتهائها فى الكلام على وزارة أرباب السيوف فى الضرب الأوّل .

وأما الدينية — فمنها "القَضَاء" وكانت ولاية القضاء عن الخليفة تارةً تكون ١٠ عامّة لبغداد وأعمالها، وتارة قاصرةً على بغداد أو أحد جانبيها .

ومنها "الحِسْبَةُ" وأمرها معروف .

ومنها "ولاية الأوقاف" والنظر عليها .

ومنها "الولاية على المساجد" والنظر فى أمر الصلاة .

ومن الوظائف الخارجة عن حضرة الخلافة لأرباب السيوف الإمارةُ على ١٥ الجهاد، والإمارةُ على الحج وغيرها .

ومن الوظائف الخارجة عن الحضرة لأرباب الأقلام ولايةُ قضاء النواحى، والحسبةُ بها إلى غير ذلك من ولايات زعماء الذمة وغيرهم .

الحـالة الثـانيـة

ما صار إليه الأمر بعد آنتقال الخلافة إلى الديار المصرية عند آستيلاء التتار على ٢٠ بغداد لما بايع الملك الظاهر بيبرس البندقدارى فى سنة تسع وخمسين وستمائة

"المستنصر بن الظاهر" أوّل الخلفاء بمصر على ما تقدّم ذكره وكُتب له عهد عنه بالسلطنة من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر، وعمل له السلطان الدهاليز وآلات الخلافة ورتب له الجمدارية، وآستخدم له عسكرا عظيما وجهزه إلى بغداذ للاستيلاء عليها فقتله التتار على ما تقدّم .

ثم لما بايع الظاهر أيضا الإمام "الحاكم بأمر الله" ثانى خلفائهم أيضا فى سنة تسع وخمسين وستمائة على ما تقدّم ذكره، بقى مدّة، ثم أشركه معه فى الدعاء فى الخطبة على المنابر فى سنة ست وستين وستمائة، إلا أنه منعه من التصرف والدخول والخروج؛ ولم يزل كذلك إلى أن ولى السلطنة الملكُ الأشرفُ "خليل بن المنصور قلاوون" فأطلق سبيله، وأسكنه فى الكبش على القرب من الجامع الطُّولُونى؛ وكان يخطب أيام الجمع بجامع القلعة إلى أن ولى السلطنة الملكُ المنصورُ حُسام الدين لاچين، فأباح له التصرف والركوب إلى حيث شاء؛ وبقى الأمر على ذلك إلى أن ولى الخلافة "المستعصم بالله" أبو العباس أحمد بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان المرة الثانية بعد موت الملك الناصر محمد بن قلاوون، ففوّض إليه السلطان نظر المشهد النفيسىّ وآستقرّ بأيدى الخلفاء إلى الآن .

والذى آستقرّ عليه حال الخلفاء بالديار المصرية أن الخليفة يفوّض الأمور العامّة إلى السلطان، ويكتب له عنه عهدٌ بالسلطنة ويدعى له قبل السلطان على المنابر إلا فى مصلّى السلطان خاصة فى جامع مصلاه بقلعة الجبل المحروسة، ويستبدّ السلطان بما عدا ذلك: من الولاية والعزل وإقطاع الإقطاعات حتّى للخليفة نفسه، ويستأثر بالكتابة فى جميع ذلك .

قلت: ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن قُبض على السلطان الملك الناصر فرج آبن الظاهر برقوق بالشام فى أوائل سنة خمس عشرة، وثمانمائة على ما تقدّم ذكره،

فاستقل الإمام "المستعينُ بالله" خليفة العصر بأمر الخلافة: من الكتابة على العهود ومناشير الإقطاعات، والتقاليد، والتواقيع، والمكاتبات وغيرها، وأُفرد بالدعاء على المنابر، وضرب آسمه على الدنانير والدراهم والطرز على ما تقدّم ذكره فى الكلام على ترتيب الخلفاء، وهيئته فى لبسه عند ركوبه بالمدينة فى المواكب أو غيرها .

٥ فعمامته مدوّرة لطيفة عليها رَفْرَفٌ من خَلْفه تقــدير نصف ذراع فى ثلث ذراع مرسل من أعلى عمامته إلى أسفلها ، وفوق ثيابه كاملية ضـيقة الكُمّ مُفَرَّجَةُ الذيل من خلف وتحتها قباء ضيق الكُمّ .

أما تقليده السلطان السلطنة، فالذى رأيته فى بعض التواريخ فى عهد الإمام الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمــد بن أبى الربيع سليمان ، إلى الســلطان الملك المنصور ١٠ أبى بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد مبايعة الحاكم المذكور عند موت أبيه فى ســنة آثنتين وأربعين وسبعمائة : أنه طلع القضاةُ والأمراء إلى القلعة وآجتمعوا بدار العدل، وجلس الخليفة على الدرجة الثالثة من التخت، وعليه خِلْعَةٌ خضراء، وعلى رأسه طرحة سوداء مرقومة بالبياض، وخرج السلطان من القصر إلى الإيوان من باب السرّ على العادة، فقام له الخليفة والقضاة والأمراء، وجاء السلطان فجلس ١٥ على الدرجة الأولى من التخت دون الخليفة، ثم قام الخليفة فقرأ : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ إلى آخر الآية، وأوصى السلطانَ بالرفق بالرعية، وإقامة الحق، وإظهار شعائر الإسلام ونُصْرة الدِّين؛ ثم قال: "فوّضت إليك جميع أمر المسلمين، وقلدتك ماتقلدته من أمور الدين". ثم قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ إلى آخر الآية، ثم أُتِيَ الخليفةُ بخِلْعَةٍ سوداء وعمامة سوداء مرقومة الطرف بالبياض، ٢٠ فألبسها السلطانَ وقلّده سيفَه، ثم أُتِيَ بالعهد المكتوب عن الخليفة للسلطان فقرأه القاضى علاء الدين بن فضل الله كاتب السر إلى آخره . فلما فرغ من قراءته، تناوله الخليفة

فكتب عليه ما صورته — فوضت إليه ذلك — وكتب — أحمد بن عم محمد صلّى الله عليه وسلم — وكتب القضاة الأربعة شهادتهم بالتولية ، ثم أُتِى بالسماط على العادة .

وأخبرنى مَنْ حضر تقليد السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق عن الإمام المتوكل على الله أبى الفتح محمد المشار إليه فيما تقدّم : أنه حضر الخليفة وشيخ الإسلام سراجُ الدين البلقينىّ، والقضاة الأربعة (١) وأهل العلم، وأمراء الدولة إلى مَقْعَد بالإصْطَبْلات السلطانية يعرف بالحرّاقة، وجلس الخليفة فى صدر المكان على مَقْعَد مفروش له، ثم أتى السلطان وهو يومئذ حَدَثٌ ، فجلس بين يديه ، وسأله شيخ الإسلام عن بلوغه الحُلُمَ فأجاب بالبلوغ ، فخطب الخليفة خطبةً، ثم خاطب السلطان بتفويض الأمر إليه على نحو ما تقدّم ذكره، ثم أُتِىَ الخليفةُ بخِلْعَةٍ سوداء وعمامة سوداء مرقومة فوقها طرحة سوداء مرقومة ، ثم جلس الخليفة فى مكانه الذى كان جالسا فيه ، ونُصِبَ للسلطان كرسىٌّ إلى جانب مقعد الخليفة فجلس عليه ، وجلس الأمراء والقضاة حوله على قدر منازلهم، وقد آستقرت جائزة تقليد السلطنة للخليفة ألف دينار مع قماش سكندرىّ .

أما حضوره بمجلس السلطان فى عامة الأيام، عند حضوره إلى السلطان لسلام أو مُهِمٍّ أو غير ذلك، فقد أخبرنى بعض جماعة الخليفة أن الإمام المتوكلَ المتقدّمَ ذكرُه كان إذا حضر إلى مجلس السلطان الظاهر ، قام له ، وربما مشى إليه خطوات وجلس على طَرَف المَقْعَدِ وأجلس الخليفة إلى جانبه .

(١) القضاة الأربعة فى ذلك الوقت هم : القاضى الشافعى صدر الدين محمد المناوى، والقاضى الحنفى جمال الدين يوسف الملطى ، والقاضى المالكى ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون ، والقاضى الحنبلى برهان الدين إبراهيم بن نصر الله العسقلانى .

البـاب الثـالث

من المقـالة الثـانيــة

في ذكر مملكة الدّيار المصرية ومضافاتها، وفيه ثلاثة فصول

الفصـــل الأوّل

٥ في مملكة الدّيار المصرية ومضافاتها، وفيه طرفان

الطـــرف الأوّل

في الدّيار المصرية، وفيه آثنا عشر مقصدا

المقصـد الأوّل

في فضلها ومحاسنها

١٠ أما فضلها فقد ورد في الكتاب والسنة ما يشهد لها بالفضيلة، ويقضي لها بالفخر قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ يريد بالقوم بني إسرائيل، وبالأرض أرض مصر؛ ووصفها بالبركة إما بمعنى الفضل كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾. وإما من الخصب ١٥ وسعة الرزق بدليل قوله تعالى مخبرا عن قوم فرعون: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾. وقال جل وعز: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ فأمر بالعبادة في بيوتها إشارة إلى شرف أرضها ورفعة قدرها.

وقد ذكر الله تعالى اسمها فى غير موضع من كتابه العزيز فى ضمن قصص الأنبياء عليهم السلام . فقال تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام : ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ وفى موضع آخر : ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ وقال حكاية عن فرعون لعنه الله : ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ وفى معناه قوله تعالى خطابا لبنى إسرائيل : ﴿اهْبِطُوا مِصْرَ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ على قراءة الحسن والأعمش مصر غير مصروف .

قال القضاعى : وكذلك قراءة من قرأ ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ مصروفا بناء على أن مصر مذكر سمى به مذكرا فلم يمنع الصرف فيه ، والتصريح بذكرها دون غيرها من الأقاليم دليل الشرف والفضل .

وقد ورد أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ بِلَادًا يُذْكَرُ فِيهَا القِيراطُ فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لأهلها نَسَبًا وصِهرًا" أراد بالنسب هاجر أم إسماعيل عليه السلام ، وكان بعض ملوك مصر قد وهبها لزوجته سارّة . وأراد بالصهر مارية أمّ إبراهيم ، ولد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، كان المقوقس قد أهداها للنبىّ صلى الله عليه وسلم فى جملة هديته .

ويروى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : "إذا فتح اللهُ عليكم مصرَ فاتخذوا بها جُنْدا كثيفا ، فذاك خير جند الأرض ، قيل : ولم ذاك يا رسول الله ؟ قال : لأنهم فى رِبَاط إلى يوم القيامة" .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "مصرُ أطيبُ الأرضين ترابا وعَجَمُها أكرم العجم نِصَابا" .

ويقال فى التوراة : "مصرُ خزائنُ الله ، فمن أرادها بسوء قصمه الله" .

وقال عمرو بن العاص رضى الله عنه : "ولايةُ مصرَ جامعةٌ تعدل الخلافة" .

ومن كلام كعب الأحبار : " مصرُ بلد معافًى من الفتن ، فمن أرادها بسـوء كبه الله على وَجْهه " .

ووصفها الكِنْدِيّ فقال : "جَبَلُها مُقَدس ، ونيلها مبارَك ، وبها الطُّور الذى كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام " .

٥ قال كعب الأحبار : "كلم الله تعالى موسى من الطور الى طُوًى" وفى التوراة "وادٍ مقدّس أفيح" يريد وادى موسى عليه السلام .

ودخلها جماعة من الأنبياء عليهم السلام، منهم إبراهيم، ويعقوب، ويوسف، وإخوته عليهم السلام .

ونقـل فى " الروض المعطار" عن الجاحظ أن عيسى بن مريم عليه السـلام

١٠ ولد بها بكُورة أهْناسَ[1] الآتى ذكرها فى كُوَرِ مصر المقدّسة ، وأن نخلة مريم كانت بأهناس قائمة إلى زمانه . وذكر أيضا أن موسى عليه السـلام وُلِدَ بها بمدينة أسْكَرَ شرقىّ النيـل ، وهى الآن قرية من الأعمال الإطفيحيـة الآتى ذكرها فى أعمـال الدّيار المصرية .

وبها سجن يوسفَ عليه السلام بمدينة بُوصير الخراب من الأعمال الجيزية على

١٥ القرب من البَدْرَشِين .

قال القُضَاعىّ : أجمع أهـل المعرفة من أهل مِصْرَ على صحة هـذا المكان ، وأنّ الوَحْىَ كان ينزل عليه به ، وسطحه معروف بإجابة الدّعاء .

سأل كافور الإخشيدىّ الإمامَ أبا بكر بن الحدّاد الفقيه الشافعى عن موضع يستجاب فيه الدّعاء ، فأشار عليه بالدّعاء على سطح هذا السجن .

٢٠ قال القضاعىّ : وعلى القرب منه مسجد موسى عليه السلام ، وهو مسجد مبارك .

(١) الذى أجمعت عليه كتب الدين والتاريخ أنه ولد بقرية بيت لحم ببلاد فلسطين وليس بمصر .

و بسفح المُقَطَّم بالقرافة الصغرى قبرُ (يَهُوذَا و رُو بِيل) من إخوة يوسف عليه السلام .

وقد روى أنه دخلها من الصحابة رضوان الله عليهم ما يزيد على مائة رجل ، ودُفِن بقرافتها جماعة منهم فيما ذكره ابن عبد الحكم عن ابن لَهِيعَةَ خمسةُ نفر، وهم: عمرو بن العاص، وعبد الله بن حُذَافَةَ ، وأبو بَصْرة الغفاري ، وعُقْبَةُ بن عامر الجُهَنِيّ ، وعبد الله بن الحارث الزبيدي وهو آخرهم موتًا .

قال القُضَاعى : وذكر غير ابن لَهِيعَةَ أن مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّد الأنصارى أيضا مات بها، وهو أميرها .

*
* *

أما محاسنها، فلا شك أن مصر مع ما اشتملت عليه من الفضائل ، وحُفَّتْ به من المآثر أعظمُ الأقاليم خَطَرًا ، وأجلُّها قَدْرًا، وأفخمها مملكة ، وأطيبها تُربةً، وأخفُّها ماء وأخْصَبُها زَرْعًا ، وأحسنُها ثمارًا، وأعْدَلُها هواءً، وألطفها ساكنًا .

ولذلك ترى الناس يرحلون إليها ، وُفُودا، ويَفِدُون عليها من كل ناحية ، وقلَّ أن يخرج منها مَنْ دخلها، أو يرحلَ عنها من وَلِجَها، مع ما اشتملت عليه من حسن المَنْظَرِ ، وبهجة الرَّوْنَقِ لا سيما فى زمن الربيع، وما يبدو بها من الزروع التى تملأ العينَ وَسَامَةً وحُسْنًا ، وتروقُ صورةً ومعنًى .

قال المسعودى : وصف الحكماءُ مِصْرَ فقالوا : ثلاثة أشهر لؤلؤةٌ بيضاء، وثلاثة أشهر مِسْكَةٌ سوداء، وثلاثة أشهر زُمُرُّدةٌ خضراء، وثلاثة أشهر سَبِيكَةٌ حَمْراء .

فاللؤلؤة البيضاء، زمانَ النيل، والمِسْكَةُ السوداء، زمانَ نُضُوب الماء عن أرضها والزُّمُرُّدَةُ الخضراء، زمانَ طلوع زروعها، والسَّبِيكَةُ الحمراء، زمانَ هَيْج الزرع واكتهاله .

وقد قيل : لو ضُرِب بينها و بين غيرها من البلاد سورٌ ، لَغَنِيَ أهلها بها عما سواها ولما احتاجوا إلى غيرها من البلاد. وناهيك ما أخبر الله تعالى به عن فرعون

مع عتوه وتجبره وادعائه الربوبيـة بافتخاره بملكها بقوله : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وهى إقليم العجائب، ومعدن الغرائب؛ كان أهلها أهل ملك عظيم، وعز قديم؛ و إقليمها أحسن الأقاليم منظرًا، وأوسعها خيرًا؛ وفيها من الكنوز العظيمـة ، ما لا يدخله الإحصاء . حتى يقال إنه ما فيها موضع إلا وفيه كنز .

قلت : أما ما ذكره أحمد بن يعقوب الكاتب فى كتابه فى "المسالك والممالك" من ذمه مصر بقوله : هى بين بحر رطب عفن كثير البخارات الرديئة، يولد الأدواء ويفسد الغذاء؛ وبين جبل وبر يابس صلد، لشدة يبسه لا تنبت فيه خضراء، ولا تنفجر فيه عين ماء؛ فكلام متعصب خرق الإجماع ، وأتى من سخيف القول بما تنفر عنه القلوب وتمجه الأسماع؛ وكفى به نقيصة أن ذم النيل الذى شهد العقل والنقل بتفضيله، وغض من المقطم الذى وردت الآثار بتشريفه .

المقصـــد الثـانى

فى ذكر خواصها وعجائبها ، وما بها من الآثار القديمة

أما خواصها ، فمن أعظمها خطرًا معدن الزمرد الذى لا نظير له فى سائر أقطار الأرض، وهو فى مغارة فى جبل على ثمـانية أيام من مدينـة قوص، يوجد عروقا خضرًا فى تطابيق حجر أبيض، وأفضـــله الذبابى، وهو أقل من القليل، بل لا يكاد يوجد .

ولم يزل هذا المعدن يستخرج منه الزمرد الى أثناء الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" فأهمل أمره وترك .

قال فى "مسالك الأبصار": وجميع ملوك الأرض وأهلُ الآفاق تستمدّ منه .
وقد مرّ القول عليه فى جملة الأحجار الملوكية فى أواخر المقالة الأولى .

وأعظم خطرا منه وأرفع شأنا البَلَسانُ الذى تسمية العامّة البَلْسَمَ، وهو نبات يزرع ببُقْعة مخصوصة بأرض المَطَرِيَّةِ من ضواحى القاهرة على القرب من عَيْن شَمْس، ويسقى من بئر مخصوصة هناك، يقال إن المسيح عليه السلام اغتسل بها حين قدمت به أُمُّه إلى مصر، والنصارى تزعم أنه حفرها بعَقِبه وهو طِفْلٌ، حين وضعته أُمُّه هنـاك . ٥

ومن خاصتها أن البَلَسان لا يعيش إلا بمائها ولا يوجد فى بقعة من بقاع الأرض غير هذه البقعة .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات": وطول هذه الأرض ميـلٌ فى ميل، ١٠
وشأنه أنه يُفْصد فى شهر كيهك من شهور القِبْط، ويجمع ما يسيل من دُهْنه ويصفى ويطبخ ويحمـل إلى خزانة السـلطان، ثم ينقل منـه قَدْر معلوم إلى قلاع الشـام والبيمارستان ليستعمل فى بعض الأدوية؛ وملوك النصارى من الحَبَشة والروم والفرنج يستهدُونه من صاحب مصر ويهادونه بسببه ، لمـا يعتقدونه فيـه من أثر المسيح عليه السلام فى البئر، وله عليهم بذلك اليَدُ الطُّولى والمِنَّةُ العظمى، لا يساويه عندهم ذهب ولا جوهر . ١٥

قال فى "مسالك الأبصار": والنصارى كافّةً تعتقد فيه ما تعتقد، وترى أنه لا يتم تنصُّر نَصْرانِيّ حتّى يوضع شيء من هذا الدهن فى ماء المعمودية عند تغطيسه فيها .

وبها معدن النَّطْرُون، وهو منها فى مكانين .

أحدهمـا — بِرْكة النَّطْرون التى بالجبل الغربىّ غربىّ عمل البحيرة الآتى ذكره ٢٠

فى جملة أعمالهـا المسـتقرة، وهى من أعظم المعادن وأكثرها مُتَحَصَّلًا على حَقَارة النطرون وقلة ثمنه .

قال فى "التعريف" : لا يعرف فى الدنيا بركة صغيرة يُسْتَغَلُّ منهـا نظيرها ، فإنها نحو مائة فدّانٍ تغل نحو مائة ألف دينار .

٥ والثـانى — مكان بالخَطَّارة من الشرقية، ولايبلغ فىالجَوْدَةِ مبلغ البركة الأولى، ولا يبلغ فى المُتَحَصَّلِ قريبا من ذلك .

وبهـا أيضا مَعْدن الشَّبِّ على القرب من أُسْوان، وهو من المعـادن الكثيرة المتحَصَّل أيضا إلى غير ذلك من الخواصّ .

وبها معدن النِّفْطِ على ساحل بحر القُلْزُمِ، يسيل دهنه من أعلى جَبَلٍ قليلا قليلا ١٠ وينزل إلى أسفله فيتحصل فى دِبارٍ قد وضعها له الأوّلون ، وتأتى العرب فتحمله إلى خزائن السلاح السلطانية .

*
* *

وأما عجائبها، فكثيرة :

(منها) جبل الطير شرقىّ النيل، مقابل مُنْيَة أبى خَصِيبٍ، فيه صَدْع يأتى إليه ١٥ جنس البواقير من الطير، وهو المعروف بالبَحّ فى يوم من السنة فيضيعون مناقيرهم فى ذلك الصدع واحدا بعد واحد حتى يتعلق منها واحد فى ذلك الصدع فيتركونه ويذهبون .

قال ٱبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : قال أبو بكر الموصلى : سمعت من أعيان تلك البـلاد أنه إذا كان العام مخصبا ، يُقْبَض على طائرين ؛ وإن كان متوسطا ، يقبض على طائر واحد؛ وإن كان جَدْبًا، لم يقبض على شىء .

٢٠ (ومنها) مكان بالجبل الشرقىّ عن النيل، على القرب من أَنْصنا به تلال رمل إذا صُـعد إلى أعلاها وكسح الرمل إلى أسافلها سمعت له أصوات كالرعد، يسمع من البر الغربىّ من النيل .

وقد أخبرنى بعض أهـل تلك البلاد أنه إذا كان الذى صَعِد على ذلك المكان جُنُبًا أو كانوا جماعة فيهم جنب، لم يسمع شىء من تلك الأصوات لو كسح الرمل.

(ومنها) مكان بالجبل المذكور على القرب من إخْميمَ به تِلَالُ رمل إذا كسحها الإنسان من أعلى إلى أسفل، عادت إلى ما كانت عليـه وآرتفع الرمل من أسفلها إلى أعلاها. ٥

قال فى "الروض المعطار": وعلى النيل جبل يراه أهل تلك الناحية مَنْ آنتضى سيفَه وأولجه فيه وقبض على مَقْبِضه بيديه جميعا، آضطرب السيفُ فى يديه وآرتعد فلا يقدِر على إمساكه ولو كان أشدّ الناس؛ وإذا حُدّ بحجارة هـذا الجبل سِكِّينٌ أو سيف لا يؤثر فيه حديد أبدا، وجذب الإبر والمَسَالَّ أشدّ جذبا من المِغْناطيس، ولا يبطل فعلها بالثوم كما يبطل المغناطيس، أما الحجر نفسه فإنه لا يجذب. ١٠

قال القُضاعىّ: وبجبل زماخير الساحرةِ يقال إن فيه خِلْقَةً من الجبل ظاهرةً مشرفةً على النيل لا يصـل إليها أحد يلوح فيها خط مخلوق "باسمك اللهم". وعلى القرب من الطُّور عين ماء فى أَجَمَـةِ رملٍ ينبُعُ المـاء من وسطها فوّاراتٍ لطيفةً وينبسط ماؤها حولها نحو الذراع، ثم يغوص فى الرمل فلا يظهر له أثر، ولا يعرف أحد إلى أين يذهب، وهى على ذلك مدى الدهور والأيام لا ينقطع نبعها، ولا يجتمع ماؤها فى مكان يدركه البصر، وعجائبها أكثر من أن تذكر. ١٥

المقصـد الثـالث

فى ذكر نيلها ومبدئه وآنتهائه، وزيادته ونَقْصه، وما تنتهى إليه زيادته، وما تصل إليه فى النقص وقاعدتُه

أما آبتداؤه وآنتهاؤه، فآعلم أن آبتـداءه من أوّل الخراب الذى هو جنوبى خط الآستواء المقدّم ذكره، ولذلك عَسُرَ الوقوف على حقيقة خبره. ٢٠

وقـد ذكر الحكماء أنه ينحدر من جبـل القمر، إما (بفتح القاف والميم كما هو المشهور، وإما بضم القاف وسكون الميم) كما نقله فى "تقويم البُلْدان" عن ضبط ياقوت فى "المشترك" وابن سعيد فى "معجمه".

قال فى "رسم المعمور" وطَرَفه الغَرْبى عند طول [ست وأربعين] (١) ونصف وعرض إحدى عشرة ونصف فى الجنـوب، وطرفه الشرقى حيث الطول إحدى وستون درجةً ونصف والعرض بحاله. قال فى الرسم: ولونه أحمر. وذكر الطوسىّ أنهم شاهدوه على بُعْد، ولونه أبيض لمـا غلب عليه من الثلج. واعترضه فى "تقويم البُلْدان" بأن عرض إحدى عشرة فى غاية الحرارة لاسيّما فى الجنوب لحضيض الشمس.

قال بطليموس: والنيل ينحدر من الجبل المذكور من عشرة مسيلات، بين كل مسيلين منها درجة فى الطول المقدّم بيانه، والغربىُّ منها، وهو الأوّل عند طلوع ثمان وأربعين درجة، والثانى عند طلوع تسع وأربعين، وعلى ذلك حتّى يكون العاشر منها عند طلوع سبع وخمسين، كل مَسِيل منها نهر، ثم تجتمع العشرة وتصب فى بطيحتين كلُّ خمسةٍ منها تصب فى بَطِيحة، ثم يخرج من كل واحدة من البطيحتين أربعـة أنهار، ثم تتفرّع إلى ستة أنهار، وتسير الستة فى جهـة الشمال حتّى تصب فى بحيرة مدوّرة عند خط الاستـواء تعرف ببحيرة كورى، فيفترق النيـل منها ثلاث فِرَق. ففرقة تأخذ شرقا وتذهب إلى مَقْدَشو من بلاد الحبشة المسلمين على ساحل البحر الهندىّ مقابل بلاد اليمن. وفرقة تأخذ غربا وتذهب إلى التُّكْرُور وغانةَ من مملكة مالى من بلاد السُّودان، وتمرّ حتّى تصب فى البحر المحيط الغربىّ عند جزيرة أوليل وتسمّى نيل السودان.

(١) الزيادة عن كتاب رسم المعمور من البلاد للعلامة محمد بن موسى بن شاكر الخوارزمى أحد الإخوة الثلاثة المعروفين ببنى موسى المتوفى سنة ٢٥٩ هـ المطبوع منه الجزء الخاص بإفريقية.

وفرقة تأخذ شمالا — وهى نيل مصر — فيمر فى الشمال على بلاد زغاوة ، وهى أول ما يلقى من بلاد السودان .

ثم يمر على بلاد النوبة حتى ينتهى إلى مدينتها دنقلة الآتى ذكرها فى الكلام على ممالك السودان .

ثم يمر شمالا بميلة إلى الغرب إلى طول إحدى وخمسين، وعرض سبع عشرة على حاله .

ثم يمر مغربا بميلة قليلة إلى الشمال إلى طول آثنتين وثلاثين، وعرض تسع عشرة .

ثم يرجع مشرقا إلى طول إحدى وخمسين .

ثم يمر فى الشمال إلى الجنادل، وهو الجبل الذى ينحدر عليه النيل بين منتهى مراكب النوبة فى آنحدارها ومراكب مصر فى صعودها ، حيث الطول ست وخمسون درجة، والعرض آثنتان وعشرون درجة .

ثم يمر شمالا إلى مدينة أسوان الآتى ذكرها فى أعمال الديار المصرية على القرب من الجنادل المقدمة الذكر .

ويمر شمالا بميلة إلى الغرب إلى طول ثلاث وخمسين، وعرض أربع وعشرين .

ثم يشرق إلى طول خمس وخمسين .

ثم يأخذ فى الشمال حتى ينتهى إلى مدينة الفسطاط الآتى ذكرها فى قواعد مصر المستقرة .

ويمتد فى جهة الشمال أيضا حتى يصير بالقرب من قرية تسمى شطنوف[1] من قرى مصر، من عمل منوف فيفترق بفرقتين : فرقة شرقية وفرقة غربية . فأما الفرقة الشرقية، فتمر فى الشمال حتى تأتى على قرية تسمى المنصورة من عمل المرتاحية،

(١) كذا ضبطه ياقوت بالعبارة . وقال فى القاموس : "شطنوف كحلزون" .

فتتشعب شُعْبتين وتمرّ الغربية منهما، وهى العظمى إلى دمياط من شرقيّها، وتصب فى بحر الروم حيث الطول ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة، والعرض إحدى وثلاثون وخمس وعشرون دقيقة؛ وتمر الشرقية منهما على أُشْمُوم طَنَاح، من غربيها حتّى تجاوز بلاد المَنْزِلَة، وتصب فى بحيرة شرقىّ دِمْياط حتّى بحيرة تنِّيس حيث الطول أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة .

وأما الفِرقة الغربية، فتمر من شَطَّنَوْف المقدّم ذكرها حتّى تأتى بالقرب من قرية تسمى بأبى نُشَّابَة من عمل البحيرة، فتتشـعب شعبتين، الغربية منهما، وهى العظمى تأخذ شمالا بين عمل البحيرة من شرقيها وبين جزيرة بنى نصر من غربيها، والشرقية تأخذ شَمالا أيضا بين جزيرة بنى نصر من شرقيها، و بين عمل الغربية من غربيها . و يسمّى هذا البحر بحر أَبيار، و يمرّ حتّى يلتقىَ مع الفرقة الغربية عند قرية تسمّى الفَرَسْتَق من الغربية بالقرب من مدينة أَبْيار المنسوب اليها البحر المقـدّم ذكره، و يصير شعبة واحدة و يمرّ حتّى يصب فى البحر الرومىّ غربى قرية تسمّى رشيد حيث الطول ثلاث وخمسون، والعرض إحدى وثلاثون .

ومن هذه الفرقة يتفرّع خليج صغير يدخل إلى بُحَيرة تَسْتَرُوه(١) الآتى ذكرها فى جملة البحيرات، و يتفرع من كل فرقة من هذه الفرق وما يليها من أعلى النيل خُلْجانٌ يأتى ذكر المشهور منها فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

وأما زيادته ونقصه، فقد آختلف فى مَدَد زيادته؛ فنقل المسعودىّ عن العرب أنه يستـمد من الأنهار والعيون . ولذلك تغيض الأنهـار والعيون عنـد زيادته . و إذا غاض زادت؛ و يؤيده ما روى القضاعىّ بسـنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : "إنّ نيل مصر سـيدُ الأنهار، سخر الله له كلّ نهـر بين

(١) كذا ضبطها المؤلف فيما يأتى وألحق بها الهاء، وكذلك ياقوت إلا أنه حذف منها الهاء : نسترو .

المشرق والمغرب أن يمدّه، فأمدّته الأنهار بمائها، وفجّر الله له الأرض عيونا فانتهى جريُه إلى ما أراد الله، فأوحى الله إلى كل منها أن يرجع إلى عُنْصُره" .

ويقال عن أهل الهند : زيادته ونقصه بالسيول، ويعرف ذلك بتوالى الأنواء وكثرة الأمطار، وركُود السحاب .

وقالت القِبْطُ : زيادته من عيون فى شاطئه رآها مَنْ سافر ولَحِق بأعاليه؛ ويؤيده ما رواه القضاعى بسنده إلى يزيد بن أبى حبيب "أن معاوية بنَ أبى سفيان رضى الله عنه قال لكعب الأحبار أسألك بالله! هل تجـد لهذا النيل فى كتاب الله عز وجل خبرا؟ قال : إى والله! إن الله عز وجل يُوحِى إليه فى كل عام مرتين، يوحى إليه عنـد خروجه فيقول إن الله يأمرك أن تجـرىَ، فيجرى ما كتب الله له، ثم يُوحى إليه بعد ذلك فيقول : يانيلُ إن الله يأمرك أن تنزلَ، فينزل" . ولا شك أن جميع الأقوال المتقدّمة فرع لهذا القول، وهو أصل لجميعها .

وبكل حال فإنه يبدأ بالزيادة فى الخامس من بشُونه من شهور القِبْط . وفى ليلة الثانى عشر منه يوزن الطِّينُ، ويعتبر به زيادة النيل بما أجرى الله تعالى العادة به، بأن يوزن من الطين الجافّ الذى يعلوه ماء النيل زنة ستة عشر درهما على التحرير، ويرفع فى ورقة أو نحوها ويوضع فى صُنْدُوقٍ أو غير ذلك، ثم يوزن عند طلوع الشمس فمهما زاد اعتبرت زيادته كل حبة خروب بزيادة ذراع على الستة عشر درهما .

وفى السادس والعشرين منه يُؤخذ قاع البحر وتقاس عليه قاعدة المقياس التى تبنى عليها الزيادة .

وفى السابع والعشرين ينادى عليه بالزيادة، ويحسب كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا إلى أن يكمل آثنى عشر ذراعا، فيحسب كل ذراع أربعا وعشرين أصبعا، فإذا وفّى ستة عشر ذراعا، وهو المعبر عنه بماء السلطان، كسر خليج القاهرة،

وهو يوم مشهود، وموسم معدود؛ ليس له نظير فى الدنيا؛ وفيه تكتب البشارات بوفاء النيـل إلى سـائر أقطار المملكة، وتسير بهـا البُرُد، ويكون وفاؤه فى الغالب فى مسرى من شهور القِبْط، وفيها جُلّ زيادته .

وفى النيروز، وهو أوّل يوم من توت يكثر قطع الخُلْجانِ والتُّرَع عليه، وربما
٥ آضطرب لذلك ثم عاد .

وفى عيـد الصليب، وهو السابع عشر من توت المذكور يقطع عليـه غالب بقية التُّرع .

وقد حكى القُضَاعِىّ عن آبن عفير وغيره عن القِبْط المتقدّمين أنه إذا كان المـاء فى آثنى عشر يوما من مسرى آثنى عشر ذراعا، فهى سَنَةُ ماء، وإلا فالمـاء
١٠ ناقص، وإذا تمّ المـاء سـتة عشر ذراعا قبـل النيروز فالمـاء يتم، ثم غالب وفائه يكون فى النصف الأوّل من مسرى، وربمـا وفّى فى النصف الثـانى منها، وقد يتأخر عن ذلك .

وفى الثامن من بابه يكون نهاية زيادته .

ورأيت فى "تاريخ النيل" أنه تأخر وفاؤه فى سنة ثمان وسبعمائة إلى تاسع عشر
١٥ بابه فوفى ستة عشر ذراعا، وزاد أصبعين بعد ذلك فى يومين : كل يوم أصبع بعد أن آستسقى الناس أربع مرات، وهذا ممـا لم نسمع بمثله فى دهر من الدهور .

وقد جَرَتْ عادتُه أنه من حين آبتداءِ النداءِ بزيادته فى السـابع والعشرين من بئـونه إلى آخر أبيب تكون زيادته خفيفـة ما بين أصبعين فما حولها إلى نحو العشرة، وربمـا زاد على ذلك . فإذا دخلتْ مسرى، آشـتدّت زيادته وقويت،
٢٠ فيزيد العشرة فما فوقها، وربما زاد دون ذلك . وأعظم ما تكون زيادته على القرب من الوفاء حتّى ربما بلغ سبعين أصبعا . »

ومن العجيب أنه يزيد فى يوم الوفاء سبعين أُصْبُعًا مثلا، ثم يزيد فى صبيحة يوم الوفاء أصبعين فما حولها، ويتم على ذلك . وله فى آخر بابه زيادة قليلة يعبر عنها بصَبة بابه لما يَنْصَبُّ إلى النيل من ماء الأملاق .

وقد ذكر عبد الرحمن بن عبد الله بن الحَكَم وغيره : أنه لما فتح المسلمون مصر أتى أهلُها إلى عمرو بن العاص حين دخل شهر بئونة، فقالوا : أيُّها الأمير إن لنيلنا هذا سُنَّةً لا يجرى إلا بها، وهو أنه إذا كان اثنا عشر من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بِكْرٍ من أبويها فأرضيناهما فيها، وزيناها بأفضل الزينة، وألقيناها فيه . فقال : هذا مما لا يكون فى الإسلام، فأقاموا أبيب ومسرى وهو لا يزيد قليلا ولا كثيرا . فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى أمير المؤمنين عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه يعرّفه ذلك، فكتب إليه أن أصبت، وكتب رُقْعَةً إلى النيل فيها :

من عَبْدِ الله عمرَ أمير المؤمنين إلى نيل مصر .

أما بعدُ، فإن كنت تجرى من قِبَلِكَ، فلا تَجْرِ، وإن كان الله الواحدُ القهّارُ الذى يُجْرِيكَ، فنسأل الله أن يُجْرِيَكَ .

وبعث بها إليه، فألقاها فى النيل، وقد تهيأ أهل مصر للخروج منها، فأصبحوا يوم الصليب، وقد بلغ فى ذلك اليوم ستة عشر ذراعا .

ويروى أنه وقع مثل ذلك فى زمن موسى عليه السلام، وهو أن موسى عليه السلام دعا على آل فِرْعَوْنَ، فحبس الله عنهم النيل حتّى أرادوا الجَلَاء، فرَغبوا إلى موسى فدعا لهم بإجراء النيل رجاء أن يؤمنوا، فأصبحوا وقد أجراه الله فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا .

ورأيت فى "تاريخ النيل" المتقدّم ذكره : أنه فى زمن المستنصر أحد خلفاء

الفاطميين بمصر مكث النيل سنتين لم يطْلُع، وطلع فى السنة الثـالثة وأقام إلى
الخامسة لم ينزل، ثم نزل فى وقته ونَضَب المـاء عن الأرض، فلم يوجد من يزرعها
لقلة الناس؛ ثم طلع فى السنة السادسة وأقام حتّى فرغت السابعة، ولم يبق إلا صُبَابة
من الناس، ولم يبق فى الأقاليم ما يمشى على أربع غير حمار يركبه الخليفة المستنصر،
٥ وأنه وفّى ست عشرة ذراعا[(١)] فى ليلة واحدة بعد أن كان يخاض من برّ إلى برّ، وأقل
ما آنتهى إليه قاع النيل فى النقص ذراع واحد وعشرة أصابع، ووقع ذلك من سنة
الهجرة وإلى آخر الثمانمائة مرتين فقط : المرّة الأولى — فى سنة خمس وستين ومائة
من الهجرة . وبلغ النيل فيها أربع عشرة ذراعا وأربعة عشر أصبعا . والمرّة الثانية —
فى سنة خمس وثمـانين وأربعمائة . وبلغ فيها سبع عشرة ذراعا وخمسة أصابع .

١٠ وقد وقع مثل ذلك فى زماننا ، فى سنة ست وثمـانمائة . وأغيى ما آنتهى إليه
القاعُ فى الزيادة ممـا رأيتُه مسطورا إلى آخر سـنة خمس وعشرين وسبعمائة تسـعة
أذرع . وسمعت بعض الناس يقول إنه فى سـنة خمس وستين وسبعمائة كان القاع
آثنتى عشرة ذراعا .

وأقل ما بلغ النقص فى نهاية الزيادة آثنتا عشر ذراعا وأصبعان . وذلك فى سنة
١٥ أربع وعشرين وأربعمائة، وأغى ما كان ينتهى إليـه فى الزمن المتقدّم ثمـانية عشر
ذراعا حتّى تعجب الناس من نيل بلغ تسع عشرة ذراعا فى زمن عمر بن عبد العزيز،
ثم آنتهى فى المـائة السابعة إلى أن صار يجاوز العشرين فى بعض الأحيان .

ومن العجيب أنه فى سـنة تسع وسـبعين وثلثمائة كان القاع على سبع أذرع،
ولم يُوفِ بل بلغ خمس عشرة ذراعا وخمس أصابع؛ وفى سنين كثيرة كان القاع فيها

٢٠ (١) الذراع والاصبع يذكران ويؤنثان وقد جريا فى كلامه تارة بالتذكير وتارة بالتأنيث وكل صحيح.

دون الذراعين ، وجاوز الوفاء إلى ثمانى عشرة ذراعا فما دونها . ولا عبرة بقول المسعودى فى "مروج الذهب" إن أقل ما يكون القاعُ ثلاثة أذرع ، وإنه فى مثل تلك السنة يكون متقاصرا . فقد تقدّم ما يخالف ذلك ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ .

٥ قلت : وقد جرت عادة صاحب المقياس، أنه يعتبر قياسه زمن الزيادة فى كل يوم وقت العصر، ثم ينادى عليه من الغَدِ بتلك الزيادة أصابعَ من غير تصريح بذَرْع إلا أنه يكتب فى كل يوم رقاعا لأعيان الدولة من أرباب السيوف والأقلام، كأرباب الوظائف من الأمراء، وقضاة القضاة من المذاهب الأربعة، وكاتب السرّ وناظر الخاص، وناظر الجيش، والمحتسب، ومَنْ فى معناهم، فيذكر زيادته فى ذلك ١٠ اليوم من الشهر العربىّ وموافقه من القِبْطِىّ من الأصابع وما صار إليه من الأذرع ويذكر بعد ذلك ما كانت زيادته فى العام الماضى فى ذلك اليوم من الأصابع وما صار إليه من الأذرع والبعادة بينهما بزيادة أو نقص، ولا يُطْلِع على ذلك عوامّ الناس ورَعَاعهم، فإذا وفَّى ستة عشر ذراعا صرح فى المناداة فى كل يوم بما زاد من الأصابع، وما صار إليه من الأذرع، ويصير ذلك مشاعا عند كل أحد .

١٥ وأما مقاييسه، فقد ذكر إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب "العجائب" أن أوّل من وضع مقياسا للنيل (خصليم) السابع من ملوك مصر بعد الطوفان: صنع بركة لطيفة وركب عليها صورتى عُقَابٍ من نُحَاس : ذكر وأنثى ، يجتمع عندها كهنتهم وعلماؤهم فى يوم مخصوص من السنة ، ويتكلمون بكلام فيصَفِّر أحد العقابين . فإن صفَّر الذكر آستبشروا بزيادة النيل. وإن صفَّرت الأنثى آستشعروا عدم زيادته ٢٠ فهيئوا ما يحتاجون إليه من الطعام لتلك السنة .

قال المسعودى : وقد سمعتُ جماعة من أهل الخبرة يقولون : إن يوسفَ عليه السلام حين بنى الأهرام اتخذ مقياسا لمعرفة زيادة النيل ونقصانه .

قال القضاعىّ : وذلك بمدينة مَنْف، وقيل : إن النيل كان يقاس بأرض يقال لها علوة إلى أن بُنِى مقياسُ مَنْف، وأن القِبْط كانت تَقيس عليه إلى أن بَطَل .

قلت : وموضع المقياس بمَنْف إلى الآن معروف على القرب من الأهراء اليوسفية من جهة البلدة المعروفة بالبَدْرَشِين ، وقيل كانوا يقيسونه بالرَّصاصة .

قال المسعودىّ : ووَضَعت دَلُوكَة العجوزُ ملكة مصر بعد فرعون مقياسا بأَنْصِنَا صغير الأذرع ، ووضعت مقياسا آخر بإِخْميم ، ووَضعت الرُّومُ مقياسا بقَصْرِ الشَّمع .

قال القضاعىّ : وكان المقياس قبل الفتح بقَيْسارِيّة الأَكْسية بالفُسْطاط إلى أن ابتنى المسلمون أبنيتهم بين الحصن والبحر ؛ ثم جاء الإسلام وفتحت مصر والمقياس بمَنْف .

كان النيل يقاس بمنف ويدخل القيّاس إلى الفسطاط فينادى به ، ثم بنى عمرو ابن العاص مقياسا بأُسوان ، ثم بنى مقياسا بدَنْدَرَة ، ثم بنى فى أيام معاوية مقياسا بأَنْصِنَا .

فلما ولى عبد العزيز بن مَرْوَانَ مصر ، بنى مقياسا صغير الأذرع بحُلْوَانَ من ضواحى الفُسْطَاط ؛ ثم لما ولى أسَامَةُ بن زيد التَّنُوخىّ بنى مقياسا فى جزيرة الصِّنَاعة المعروفة الآن بالرَّوْضة بأمر سليمان بن عبد الملك : أحد خلفاء بنى أُميّة سنة سبع وتسعين من الهجرة ، وهو أكبرها ذرعا ؛ ثم بنى المتوكِّلُ[1] مقياسا أسفل الأرض بالجزيرة المذكورة فى سنة سبع وأربعين ومائتين فى ولاية يزيد بن عبد الله[2] على مصر ، وهو المعمول عليه إلى زماننا هذا .

(١) كذا فى ياقوت والمقريزى والنجوم الزاهرة . وفى الأصل : «المأمون» وهو خطأ .
(٢) كذا فى المقريزى والنجوم الزاهرة . وفى الأصل : «يزيد بن عبد الملك» وهو خطأ .

وكانت النصارى تتولّى قياسه فعزلهم المتوكل عنه ورتّب فيه أبا الردّاد عبدَ الله بن عبد السلام بن أبي الردّاد المؤدّب ، وكان رجلا صالحا، فآستقرّ قياسه في بَنِيه إلى الآن، ثم أصلحه أحمد بن طولون في سنة تسع وخمسين ومائتين .

ثم كل ذراع يعتبر بثمانية وعشرين أصبعا إلى تمام آثنتي عشرة ذراعا، ثم يكون كلّ ذُراع أربعةً وعشرين أصبعا، فلما أرادوا وضعه على ستة عشر ذراعا، وزعوا الذراعين الزائدين ، وهما ثمانية وأربعون أصبعا على آثني عشر ذراعا لكل ذراع منها أربعة أصابع، فصار كل ذراع ثمانية وعشرين أصبعا ، وبقي الزائد على ذلك كل ذراع أربعة وعشرون أصبعا .

قال القضاعي : وكان سبب ذلك فيما ذكره الحسن[1] بن محمد بن عبد المنعم في رسالة له أن المسلمين لمــا فتحوا مصر عرض على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما يلقاه أهلها من الغلاء عند وقوف النيل في حدّ لمقياس لهم فضلا عن تقاصره ، ويدعوهم ذلك إلى الآحتكار، والآحتكار يدعوهم إلى زيادة الأسعار، فكتب عمر إلى عمرو آبن العاص يسأله عن حقيقــة ذلك، فأجابه : إني وجدت ما تروى به مصر حتّى لا يَقْحَط أهلها أربع عشرة ذراعا ، والحد الذي يروى منه سائرها حتّى يفضُل عن حاجتهم ويبقى عنــدهم قوت سنة أخرى ست عشرة ذراعا ، والنهايتــان المخوفتان في الزيادة والنقصان، في الظمإ والاستبحار ، اثنتا عشرة ذراعا في النقصان وثمــاني عشرة ذراعا في الزيادة. فاستشار عمر رضي الله عنه عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه في ذلك ، فأشار بأن يكتب إليــه أن يبني مقياسا ، وأن يَفُضَّ ذراعين على آثنتي عشرة ذراعا، ويبقي ما بعدهما على الأصل .

(١) كذا في المقــريزي (ج ١ ص ٥٨) والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٣١٢) وفي الأصل : « الحسين » .

قال القضاعى : وفى هذا نظر فى وقتنا لزيادة فساد الأنهار، وآنتقاض الأحوال، وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها إلى آخرها أربعة وعشرون أصبعا كل ذراع بغير زيادة على ذلك .

قال المسعودى : فإذا تم النيل خمس عشرة ذراعا، ودخل فى ست عشرة، كان فيه صلاح لبعض الناس ولا يُستَسْقَى فيه، وكان فيه نقص من خراج السلطان. وإذا انتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعا ، ففيه تمام خراج السلطان وأخصب الناسُ، وفيه ظمأ ربع البلد، وهو ضارّ للبهائم لعدم المرعى .

قال : وأتم الزيادات العامة النافعة للبلد كله سبع عشرة ذراعا ، وذلك كفافُها وريُّ جميع أرضها . وإذا زاد على السبع عشرة ذراعا وبلغ ثمانى عشرة، استبحر من مصر الربع، وفى ذلك ضرر لبعض الضِّياع . قال : وذلك أكثر الزيادات .

قلت : هذا ما كان عليه الحال فى زمانه وما قبله وكان الحال جاريا على ما ذكره فى غالب السنين إلى ما بعد السبعمائة .

أما فى زماننا، فقد علَت الأرض مما يرسب عليها من الطين المحمول مع الماء فى كل سنة وضَعُفت الجسور، وصار النيل بحكمة الله تعالى إلى ثلاثة أقسام : متقاصرة وهى ست عشرة ذراعا فما حولها ؛ ومتوسطة وهى سبع عشر ذراعا إلى ثمان عشرة ذراعا فما حولها؛ وعالية وهى ما فوق ثمان عشرة، وربما زادت على العشرين .

المقصـــد الرابـــع
فى ذكر خُلْجَانها

وخلجانها القـــديمة ســـتة خُلُـــجٍ :

الخليـــج الأوّل
(المَنْهى)

وهو الخليج الذى حفره " يوسف الصدّيق عليه السلام " ومَخْرَجه بالقرب من دَرْوَة سَرَبَام ، من عمل الأشْمُونين الآتى ذكرها ، وهى المعروفة بِدَرْوَةِ الشَّريف ، ويأخذ شَمالا إلى مدينـة البهنسى ، ثم إلى قرية اللّاهُون من عمـل البهنسى ، ويمرّ فى الجبل حتّى يجاوزه إلى إقليم الفَيُّوم ، ويمرّ بمدينته وينبثُّ فى نواحيه .

وهذا النهر من غرائب أنهار الدنيا تجِفُّ فُوَّهته فى أيام نقص النيل ، وباقيه يجرى فى موضـع ويجف فى آخر إلى إقليم الفَيُّوم ، فيجرى شتاءً وصيفًا من أعين تنفجر منه ولا يحتاج الى حفرٍ قطُّ .

ويقال : إن " يوسفَ عليه السلام " حفره بالوَحْيِ ومياهه منقسمة على آستحقاق مقدّرٍ ، كما فى دِمَشْقَ من البلاد الشامية .

وقال فى " الروض المعطار " : وكانت مَقَاسِمُه بحجر اللّاهُون على القرب من القرية المنسوبة إليه المتقدّمة الذكر . قال : وهو من عجائب الدنيا ، وهو شاذَرْوان بين قبتين من أحكم صنعة ، مُدَرّج على ستين درجة ، فيها فوارات فى أعلاها وفى وسطها وفى أسفلها ، يسقى الأعلى الأرضَ العُلْيَا ، والأوسطُ الأرضَ الوُسْطى ، والأسفل الأرضَ السُّفْلى بوزن وقدر معلوم .

قال : ويقال إن يوسف عليـه السلام عمله بالوحى ، وإنّ مَلِكَ مِصْرَ يومئذ لما عاينه قال هذا من مَلَكُوت السماء .

ويقال إنه عمل من الفِضّة والنُّحاس والرخام .

قلت : قد ذهبت معالم هذا اللاهون وبقى بعض بنائه ونُقِلت المقاسم الى مكان آخر بالفيوم تسقى الآن الأراضى على حكمها .

ومن غرائب أمره أن به التماسيحَ التى لا تحصى كثرةً ، ولم يشتهر فى زمن من الأزمان أنها آذتْ أحدا قطُّ . ٥

الخليـــج الثـــانى

خليج القاهرة الذى يكسر سدّه يومَ وفاء النيل

حفره عمرو بن العاص وهو أمير مصر، فى خلافة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه .

قال القضاعىّ : أمر بحفره عام الرَّمادة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وساقه إلى بحر القُـلْزُمِ ، فلم يتم عليه الحول حتّى جرَتْ فيـه السفن وحمل فيها الزاد والأطعمة إلى مَكَّةَ والمدينةِ، ونفع الله بذلك أهلَ الحجاز . ١٠

وذكر الكِنْدىّ فى كتاب "الجند العربىّ" أن حفره كان سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وفرغ منه فى ستة أشهر، وجرت فيـه السفن ووصلت الى الحجـاز فى الشهر السابع .

قال الكِنْدِىّ : ولم يزل يحمل فيـه الطعام حتّى حَمَلَ فيه عمر بن العزيز ، ثم أضاعته الوُلاة فترك وغلب عليـه الرمل ، وصار منتهاه إلى ذنَب التِّمساح من ناحية الطُّور والقُلْزُم . ١٥

وذكر ابن قديد : أن أبا جعفر المنصور أمر بسـده حين خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب ليقطع عنه الطعام .

ولم يكن عليه قنطرة إلى أن بنى عليه عبد العزيز بن مَرْوَانَ قنطرة فى سنة تسع [وستين][1] .

وقد ذكر[2] المسعودى فى " مروج الذهب " أنه انقطع جريان هذا الخليج عن الإسكندرية إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة لردم جميعها وصار شرب أهلها من الآبار .

قال ابن عبد الظاهر : وليس لها أثر فى هذا الزمان . قال : وإنما بنى السلطان الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب هاتين القنطرتين الموجودتين الآن على بستان الخشاب وباب الخرق ، يعنى قنطرة السدّ وقنطرة باب الخرق فى سنة نيف وأربعين وستمائة .

وذكر فى موضع آخر من خططه أن القنطرة التى عليه خارجَ باب القنطرة بناها القائد جوهر سنة ستين وثلثمائة ؛ وقنطرة اللؤلؤة — وهى التى كانت بالقرب من مَيْدان القمح ، وبعضها باق إلى الآن — من بناء الفاطميين أيضا ؛ واللؤلؤة التى تنسب هذه القنطرة إليها مَنْظرة على بَرِّ الخليج القبلىّ ، بناها الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمىّ ، كانت مستنزها لخلفاء الفاطميين ينزلون فيها فى أيام النيل ويقيمون بها إلى آخر النيل .

قلت : أما باقى القناطر التى على هذا الخليج : كقنطرة عُمر شاه ، وقنطرة سُنْقُر ، وقنطرة أمير حسين ، فكلها مستحدَثة فى الدولة التركية ، وغالبها فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون .

قال ابن أبى المنصور فى " تاريخه " : وأوّل من رتب حفره على الناس المأمونُ ابن البطائحى ، وكذلك البساتين فى دولة الأفضل ، وجعل عليه واليا بمفرده .

(١) الزيادة عن المقريزى (ج ٢ ص ١٤٦) . (٢) هذه الفقرة ليس هذا موضعها وإنما موضعها فى الكلام على خليج الأسكندرية ، وقد ذكرها المؤلف هناك فى (ص ١٠٥)

الخليـــج الثـالث
خليـــج السَّـــرْدُوس

ويقال السَّرْدُوسى بزيادة ياء فى آخره ، وهو الذى حفره هامانُ لفرعون .

قال ابن الأثير فى " عجائب المخلوقات " : ويقال : إنه لما حفره سأله أهل
البلاد أن يجريه إليهم على أن يجعلوا له على ذلك مالا ، فتحصل له من ذلك مائة
الف دينار فحملها إلى فرعون ، فقال : ويحك ! إنه ينبغى للسيد أن يعطف على
عبيده ولا ينظر إلى ما فى أيديهم، وأمر بردّ المـال إلى أربابه .

قال : وكان هذا الخليج أحد نزهات الدنيا يُسار فيه يوما بين بساتينَ مشتبكة
وأشجار مُلْتَفَّة وفواكه دانية .

قلت : أما الآن فقد ذهب ذلك ، وبطل الخليج وعوّض عنه بحر أبى المنجا
الآتى ذكره .

الخليـــج الرابع
خليـــج الإسكندرية

وهو خليج مخرجه من الفرقة الغربية من النيل عند قرية تسمّى العَطْف تُقَابِل
فُوَّة، مدينة المزاحمتين، ويميل غربا حتّى يتصل بجُدْران الإسكندرية، وتدخل منه
قناةٌ تحت الأرض إلى داخلها ، ويتشعب منها شُعَبٌ كثيرة تدخل دُورَها، وتخرج
من دار إلى أخرى، ويخالط أبارها فيحلو ماؤها وتملأ منها صهار يجها حينئذ فتمكث
من السنة إلى السنة .

وكانت فُوَّهَةُ هـذا الخليج فيا تقـدم جنوبى فُوَّهته الآن عنـد قرية تسمّى
الظاهرية من عمل البُحَيْرة، وكان يمرّ على دَمَنْهور مدينة البحيرة ، ثم نقل إلى مكانه
الآن ويقال إن أرضه فى القديم كانت مفروشة بالبلاط .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وهو من أحسن المتنزهات لأنه مخضرّ الجانبين بالبساتين ؛ وفيه يقول ظافر الحدّاد الشاعر السكندرىّ :

وعَشِيَّةٍ أهدَتْ لِعَيْنِكَ مَنْظَراً * جاءَ السُّرُورُ بهِ لقَلْبِكَ وَافِدَا
رَوْضٌ كمُخْضَرِّ العِذَارِ وجَدْوَلٌ * نَقَشَتْ عَلَيْهِ يَدُ الشَّمَالِ مَبَارِدَا
والنَّخْلَ كالغِيدِ الحِسَانِ تَزَيَّنَتْ * ولَبِسْن مِن أَثْمَارِهِنَّ قَلَائِدَا

وقد ذكر المسعودىّ فى "مروج الذهب" : أنه آنقطع جَرَيان هذا الخليج عن الإسكندرية إلى سنة آثنتين وثلاثين وثلثمائة لردم جميعها ، وصار شرب أهلها من الآبار .

الخليج الخامس

خليج سخا[1]

ويقال إن الذى حفره بَرْصا : أحد ملوك مصر بعد الطوفان .

الخليج السادس

خليج دمياط

ولم أقف على تفاصيل أحواله[2] .

[بحر أبى المنجا]

أما بحر أبى المنجا ، فإنه وإن عظم شأنه مستحدَث ، حفره الأفضل بن أمير الجيوش وزير المستعلى بالله الفاطمىّ .

قال آبن أبى المنصور فى "تاريخه" : وكان سبب حفره أن البلاد الشرقية كانت جارية فى ديوان الخلافة ، وكان معظمها لا يروى فى أكثر السنين ولا يصل

(١) فى الأصل : « منجا » وهو خطأ . وخليج سخا من الخلجان الفرعونية القديمة وهو مذكور ضمنها فى الجزء الأول من النجوم الزاهرة ص ٥٦ (٢) موقعه الحالى هو الجزء الشمالى من فرع دمياط الحالى المعروف بفرع النيل الشرقى فى المساحة ما بين سمنود ودمياط .

المـاء إليها إلا من خليج السَّرْدوس المتقـدّم ذكره ، أو من غيره من الأماكن البعيـــدة .

وكان يشارف العمل يهودىٌّ آسمه أبو المنجا ، فرغب أهل البـلاد إليه فى فتح ترعة يصل المـاء منها إليهم فى آبتـدائه فرفع الأمر إلى الأفضل ، فركب فى النيل
٥ فى آبتدائه فى مركب ورمىٰ بحُزَم من البُوص فى النيل وجعل يتبعها بمركبه إلى أن رماها النيل إلى فم ذلك البحر فحفر من هناك ، وآبتدأ حفره يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة ، وأقام الحفر فيه سنتين وغُرِمَ فيه مال كثير . وكان فى كل سنة تظهر فائدته ، ويتضاعف آرتفاع البلاد التى تحته ، وغلب عليه إضافته إلى أبى المنجا لتكلمه فيه . فلما عرض على الأفضل ماصرف عليه آستعظمه وقال:
١٠ غَرِمنا عليـه هذا المـال العظيم والآسم لأبى المنجا ، فسماه البحر الأفضلىّ فلم يتم له ذلك ولم يعرف إلا بأبى المنجا ، ثم سطى بأبى المنجا المذكور بعـد ذلك ونُفِى إلى الإسكندرية . ولمـا ولى المأمون بن البطائحى الوزارة تحدّث معه الأمراء فى أن يتخذ لفتحه يوما كفتح خليج القاهرة ، فابتنى عندسدّه منظرة متسعة ينزل فيها عند فتحه .

قلت : وكانت فيه معـدّية يعدّى فيها بين قليوب و بيســوس ، وكان يحصل
١٥ للناس بها مشقة عظيمة لكثرة المـارّين ، فعمر عليها الظاهر بيبرس رحمه الله قنطرةً عظيمة بحجر صَلْد ، من غرائب البناء ، تمرّ عليها الناس والدواب ، فحصل للناس بها الآرتفاق العظيم ، وهى باقية على جِدَّتها إلى زماننا .

وكان سدّه يقطع فى عيد الصليب فى سابع عشر توت ، ثم آستقر الحال على أن يقطع يوم النَّوروز ، فى أوّل يوم من توت حرصا على رىّ البلاد .
٢٠ وأما بقية خُلُجِ الديار المصرية المستحدثة وتُرَعها بالوجهين : القبلىّ والبحرى ، فأكثر من أن تحصر ، ولكل منها زمن معروف يقطع فيه .

المقصـــد الخامس

فى ذكر بُحَيرات الديار المصرية، وهى أربع بحيرات

الأولى منها — "بُحَيْرَةُ الفَيُّوم" ويُعبَّر عنها بالبِرْكة، وهى بُحَيرةٌ حُلْوَةٌ بالقرب من الفيوم بين الشمال والغرب عنه، على نحو نصف يوم، يصب فيها فضلات مائه المنصب إليه من خليجه المَنْهَى المتقدّم ذكره، وليس لها مَصْرِفٌ تنصرف إليه لإحاطة الجبل بها، ولذلك غلبت على كثير من قرى الفَيُّوم وعلا ماؤها على أرضها .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وطولها شرقا بغرب نحو يوم، وبها أسماك كثيرة تحصل من صيدها جملةٌ كثيرةٌ من المال؛ وبها من آجام القَصَب والطَّرْفاء والبَرْدِىّ ما يتحصل منه المال الكثير .

الثانية — "بحيرة بُوقِير" (بضم الباء المُوَحَّدَة وسكون الواو وكسر القاف وسكون الياء المثناة تحتُ وراء مهملة فى الآخر) وهى بُحَيرةُ ماء مِلْح يخرج من البحر الرومى بين الإسكندرية ورشيد، ولها خليج صغير مشتق من خليج الإسكندرية المتقدّم ذكره، يأتيها ماء النيل منه عند زيادته؛ وبها من صيد السمك ما يتحصل منه المال الكثير، وفيها من أنواع الطير كلُّ غريب، وبجوانبها المَلَّاحَاتُ الكثيرة التى يحمل منها المِلْح إلى بلاد الفرنج وغيرها .

قلت : وقد وقع للسلطان عماد الدين صاحب حماة، رحمه الله، وَهَمٌ بجعل هذه البحيرة هى بحيرة نَسْتَرُوه الآتى ذكرها ؛ على أن هذه البحيرة قد انقطع مَدَدها من البحر الملح فى زماننا بواسطة غَلَبَة الرمل على أَشْتُونها الموصل إليها الماء من بحر الروم فخفَّت وصارت سبخة طويلة عريضة؛ ومات ما كان يصاد منها من السمك البُورِىّ، وما يتحصل منها من المِلْح المنعقد بسواحلها ، وعاد على الإسكندرية

بواسطة ذلك ضرر كبير لأنه كان الغالب على أهلها أكل السمك ويحصل لهم بالملح رفق كبير .

الثـالثة — "بحيرة نَستَرُوه" (بفتح النون وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوقُ وضم الراء المهملة وسـكون الواو وهاء فى الآخر) وهى بحـيرة ماء مِلح أيضا بالقرب من البَرَلُّس فى آخر بلاد الأعمال الغربية الآتى ذكرها، متسعة الأرجاء إذا توسطها المركب لا تُرى جوانبها لعظمها، لبعد مركزها عن البر، وبالقرب منها قرية تسمَّى نَسْـتَرُوه، وهى التى تضاف إليها، وداخلها قرية أخرى تسمَّى سِنْجار لازرع فيهما ولا نفع ، وليس بهما غير صـيد السمك ، وهى الغـاية القُصْوى فيما يتحصل من المـال .

قال صاحب حماة : يبلغ متحصل صيد سمكها فى كل سنة فوق عشرين ألف دينار مصرية، وليس يساويها بحيرة من البحيرات فى ذلك .

قلت : وأخبرنى بعض مباشريها أنها فى زماننا قد تميز متحصلها عن ذلك نحو مثله للاجتهاد فى الصيد، وكثرة الضبط وٱرتفاع السعر .

الرابعـــة — "بحيرة تِنِّيس" قال السمعانى (بكسر التاء المثناة فوق والنون المشدّدة المكسورة ثم ياء مثناة تحت وسـين مهملة فى الآخر) وهى بُحَـيْرة متصلة بالبحر الرومى أيضا بآخر عمـل الدقهلية والمُرْتاحية الآتى ذكره ، وفيها مصبُّ بحر أُشْمُومَ المنفرق من الفرقة الشرقيـة من النيل، ولذلك يعـذب ماؤها فى أيام زيادة النيل، وبوسطها تِنِّيس الآتى ذكرها فى الكلام على الكُوَرِ القديمة .

قال صاحب "الروض المعطار" : طمى عليها البحر قبل الفتح الإسلامى بمائة سنة فغرّقها وصارت بحيرة، ويتصل بهذه البحيرة من جهة الغرب "بحيرة دمياط" وهما فى الحقيقة كالبحيرة الواحدة .

المقصـــد السادس
فى ذكر جبالهـا

اعلم أن وادىَ مصْرَ يكتنفه جبلان شرقا وغربا ، يبتدئان من الجنادل المتقدمة الذكر فوق أُسْوان آخذَيْن فى جهـة الشَّمال على تقارب بينهما بحيث يُرى كل منهما من الآخر والنيل مارّ بين جَنَبتيهما .

فأما الشرقىّ منهما فيمرّ بين النيل و بحر القُلْزُم المتقدّم الذكر حتَّى يجاوز الفُسْطَاطَ فينعطف و يأخذ شرقا حتَّى يأتىَ على آخر بحـر القُلْزُم من الشَّمال ، يرتفع فى موضـع و ينخفض فى آخر ؛ وفى أوائل هـذا الجبل من جهة الجنوب على القرب من مدينة قُوص (مَعْدن الزُّمُرُّد) المتقدّم ذكره فى خواص الدّيار المصرية ، فى مغارة طويلة فى قطعة جبل عالية ، تسمَّى قرشنده ليس هناك أعلى منها ، وعلى القرب من ذلك (مقطع الرُّخام) الملوّن من الأبيض والسُّمّاقى وسائر الألوان المستحسنة التى لا تساوى حُسْنًا .

و يسمَّى الجبل المطلّ منـه على النيل مقابل المراغات من عمل إخميم "جبل الساحرة" وأظنه جبل زماخير الساحرة المتقدّمة الذكر فى عجائب الدّيار المصرية .

و يسمَّى الجبل المطل منه على النيل مقابل مدينة مَنْفَلُوط "جبل أبى فيدة" بفاء و ياء مثناة تحت .

و يسمَّى الجبل المطل منه على النيل مقابل منية بنى خصيب من الأُشْمُونين . "جبل الطيلمون" و يعرف الآن بجبـل الطَّير ، وقد تقدّم ذكره فى جملة عجائب الديار المصرية .

ويسمَّى ما سامت الفُسْطَاط والقرافة منه "المُقَطَّم" وربما أُطْلِقَ المُقَطَّم على جميع المُقَطَّم[1] ؛ وقد اختلف فى سبب تسميته بذلك ، فقيل سمى بٱسم مُقَطَّم الكاهن كان مقيما فيه لعمل الكيميَا .

(١) لعله على جميع الجبل .

وقال أبو عبــد الله اليمنى : سمى بالمُقَطَّم بن مصر بن بيصر، وكان عبدا صالحا انفرد فيه لعبادة الله تعالى .

وذكر الكندى فى كتاب "فضائل مصر" ما يوافق ذلك : وهو أن عمرو بن العاص رضى الله عنه سار فى سفح المُقَطَّم ومعه المُقَوْقِسُ، فقال له عمرو : ما بالُ جبلكم هذا أقرعَ ليس عليه نبات كجبال الشام ؟ فلو شققنا فى أسفله نهرا من النيل وغرسناه نخــلا ؛ فقال المقوقس : وجدنا فى الكتب أنه كان أكثر البلاد أشجارا ونبتا وفاكهة ، وكان ينزله المُقَطَّمُ بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، فلما كانت الليــلة التى كلم الله تعالى فيهــا موسى عليــه السلام، أوحى الله تعالى إلى الجبال : إنى مكلِّمٌ نبيا من أنبيائى على جبل منك، فسمَت الجبــال كلُّها وتشامخت إلا جبلَ بيت المقدس فإنه هبط وتصاغر، فأوحى الله تعالى إليه : لِمَ فعلت ذلك؟ وهو به أخبر، فقال : إعظاما وإجلالا لك يا رب! فأمر الله تعالى الجبال أن يحبُّوه كل جبل مما عليه من النبت، فجاد له المُقَطَّمُ بكل ما عليــه من النبت حتَّى بقِيَ كما ترى، فأوحى الله تعالى إليه إنى معوضك على فعلك بشجر الجنة أو غَرْس الجنة .

وأنكر القضاعى وغيره أن يكون لمصر ولد اسمــه المقطم ، وجعلوه مأخوذا من القطم وهو القطع، لكونه منقطع الشجر والنبات .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وفيه كنوز عظيمة، وهيا كلُ كثيرة، وعجائبُ غريبة . وللملوك مصر فيه من الجواهر والذهب والفضــة والأوانى، والآلات النفيسة، والتماثيل العجيبة، وتراب الصنعة ما يخرج عن حدّ الإحصاء .

قال فى "الروض المعطار" : وإذا دُبِّرت تُرْبَتُه حصل منها ذهب صالح .

ويلى المُقَطَّمَ من جهة الشَّمال "اليَحَامِيمُ" وهى الجبــال المتفرقة المطــلة على القاهرة من جانبها الشرقى وجَبَّانَتِهَا .

قال القضاعى : وقيل لها اليَحَامِيمُ لاختلاف ألوانها ، واليَحْمُوم فى كلام العرب : الأسْوَد المظلمُ ، ولعله يريد الجبل الأحمر وما والاه .

وفى شرقىّ المُقَطَّم على بحر القُلْزم "طُورُسينا" الذى كلَّم الله تعالى موسى عليه السلام عليه ، وهو جبل مرتفع للغاية ، داخل فى البحر .

٥ قال الأزهرى : وسمى الطُّورَ بطُور بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام .

قال ابن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : ومن خاصِّيته أنه كيفما كُسِرَ ، ظهر فيه صورة شجر العليق ، وقد بُنِيَ هناك دَيْرٌ بأعلى الجبل ، وغرس بواديه بَسَاتِينُ وأشجارٌ .

* * *

وأما الغربىّ منهما ، فإنه يبتدئ من الجنادل أيضا ويمرّ فى الشَّمال فيما بين بلاد الصعيد والصحراء ، ثم فيما بين بلاد الصعيد والْوَاحَات ، ثم فيما بين بلاد الصعيد ١٠ والفَيُّوم حتّى ينتهىَ إلى مقابل الفُسْطَاط . وهناك موقع الهَرَمَيْنِ العظيمين المقدّم ذكرهما على القرب من بُوصِير ؛ ثم ينعطف ويأخذ غربا بشَمَالٍ فيما بين بلاد ريف الوجه البحرى والبَرِّيَّة حتى يجاوز بِرْكة النَّطْرُون ، ويمضى إلى قريب من الإسكندرية .

ويسمَّى فيما سامت الواحاتِ "جبل جالوت" نسبة إلى جالوت البربرى .

١٥ ويتصل به من جنوبى الْوَاحَات "جبل اللازورد" قيل إن به معدن لازورد ، وإنه امتنع استخراجه لانقطاع العمارة هناك .

المقصــد السابــع

فى ذكر زروعها ، ورياحينها ، وفواكهها ، وأصناف المطعوم بها

أما زروعها — فيزرع فيها من أنواع الحبوب المُقْتاتة وغيرها كالبُرّ ، والشعير ، ٢٠ والذُّرَة ، والأُرْز ، والبَاقِلَّى ، والحِمَّص ، والعَدَس ، والبِسلَّا ، والجُلْبان ، واللوبيا ، والسِمْسِم ، والقُرْطُم ، والخَشْخَاش ، والخِرْوَع ، والسَّلْجَم ، وبِزر الكَتَّان ، والبَرْسِيم ، وغير ذلك .

وبهـا قصب السُّكَّرِ فى غاية الكثرة، والبِطِّيخُ، والقِثّاءُ على آختلاف أنواعها، والمُلُوخِيّا، والقُلْقَاسُ، واللِّفْتُ، والبَاذنْجَان، والدُّبّاء، والهِلْيَوْنُ، والقُنَّبِيطُ، وأنواع البقول المختلفة، كالثُّومِ، والبَصَلِ، والكُرَّاثِ، والفُجْلِ وغيرها؛ وعامة زرع حبوبها على النيل عند نزوله عن أرضها من أثناء بَابَه، من شهور القِبْطِ إلى أثناء طُوبَه منها بحسب ما يقتضيه حال الزرع . وربمـا زرع فيها على السواقى والدواليب؛ وأكثر ما يكون ذلك فى بلاد الصَّعِيد خصوصا فى سِنِى الجَدْب ؛ ويُزْرَع فى الفيوم فى غير زمن النيل على نهره المنهى المتقدّم ذكره فى جملة الأنهار . ولا زرع فيهـا على المطر إلا القليل النادر بأطراف البحيرة مما لا عبرة به على قلة المطر بها بل فقده بصعيدها .

وأما رَيَاحينُها — ففيها الآسُ، والوَرْدُ، والبَنَفْسَجُ، والنَّرْجِسُ، واليَاسَمِينُ، والنِّسْرِينُ، والْبَانُ، واللَّيْنُوفَرُ، وأزهار المحمضات، والرَّيْحَانُ الفَارِسىّ على آختلاف أنواعه، والمنثور فيها بقلة، وإنمـا كثر بالإسكندرية، إلى غير ذلك من بقايا الأنواع التى يشق آستيعابها .

وأما فواكهها — ففيها الرُّطَبُ، والعِنَبُ، والتِّينُ، والرُّمَّانُ؛ والخَوْخُ، والمِشْمِشُ، والقَرَاصِيَا، والبَرْقُوقُ، والتُّفَّاحُ، والكُمَّثْرى، والسَّـفَرْجَلُ بقِلَّةٍ، واللَّوْزُ الأخضر، والنَّبِقُ، والتُّوتُ، والفِرْصَادُ، والمَوْزُ، ولا يوجد فيها الجوْزُ، والفُسْتُقُ، والبُنْدُقُ، والإجَّاصُ إلا مجلوبًا بعد جفافه . وإن زرع بأرضها شىء من ذلك، لم يُفْلح؛ والزيتون فيها بِقلَّةٍ، ولا يستخرج منه زيت البتة وإنمـا يؤكل مِلحًا .

وفيهـا من المحمضات : الأُتْرُجُّ، والحُمَّاضُ، والكِباد، والنَّارَنْجُ، واللَّيْمُونُ، على آختلاف أنواعها .

وأما أصناف المطعوم — ففيها ما يستطاب من الألْبَان ، والأجْبَان ، والعَسَل ، الذى لا يُساوى حُسْنا ، ولا يشبهه غيره من سائر الأعسال ، والسُّكَّر الكثير : من المُكَرَّر ، والتبع ، والوسط ، والنبات . ومنها يجلب إلى أكثر البلاد . قال فى "مسالك الأبصار" : وقد نُسِى به ما كان يذكر من سكَّر الأهواز .

٥ وبها من أنواع الحلوى والأشربة المتخذ ذلك من السُّكَّر ، والأشربة الفائقة ما لا يوجد فى غيرها من الأقاليم .

وبها من لحم الضأن ، والبقر ، والمعز ، مالا يعادله غيره فى قُطْرٍ من الأقطار لطافةً ولَذَّةً .

قلت : ومن محاسنها أن فاكهتها لا يدوم نوع منها فى جميع السنة فيُمَلَّ ، بل ١٠ يأتى كل نوع منها فى وقت دون وقت ، فتتشوّف النفوس إلى طلبه ، ويكون لقدومه بهجة . ولا يعترض ذلك بدوام أُكُل الجنة ، فإن الجنة أُكُلها لا يمَلُّ بخلاف مآكل الدنيا . ولأهل الرفاهيّة بذلك فرحةٌ ، وتتغالى فيه فى ابتدائه مع أنه يجتمع فى الحين الواحد من الفواكه والرياحين مالا يحتاج معه فى زمنه إلى غيره .

قال المهذّب بن مَمَّاتِى فى "قوانين الدواوين" : بعثتُ غلاما لى ليُحْضِر من ١٥ فَكَّاهِى القاهرة ما وجد بها من أنواع الفاكهة والرياحين ، فأحضر لى منها الوَرْدَ ، والنَّرجِسَ ، والبَنَفْسَجَ ، والياسَمِينَ ، والمَنْثُورَ ، والمَرْسِينَ ، والرَّيْحَانَ ، والطَّلْحَ ، والبَلَحَ ، والجُمَّارَ ، والخِيَارَ ، والبِطِّيخَ الأخضرَ ، والبَاقِلىَّ ، والتُّفَّاحَ ، والفَقُّوسَ ، والأُتْرُنْجَ ، والنَّارَنْجَ ، والأَشْبَاهَ ، واللَّيْمونَ ، والتَّمْرهِنْدِى الأخضرَ ، والعِنَبَ ، والحِصْرِمَ .

وقال بعض الجوّالين فى الآفاق : طفت أكثرَ المعمور من الأرض فلم أر مثل ٢٠ ما بمصر من ماء طوبه ، ولَبَنِ أمشير ، وخَرُّوبِ برمهات ، ووَرْدِ برموده ، ونَبِق بشنس ، وتِينِ بُؤونة ، وعَسَلِ أبيب ، وعِنَبِ مسرى ، ورُطَبِ توت ، ورُمَّانِ بابه ، ومَوْز هتور ، وسَمَك كيهك .

المقصـــد الثامن

فى ذكر مواشيها ، ووحوشها ، وطيورها

أما مَوَاشيها — ففيها الإبل المستجادة ، والبقر العظيمات القدود ، والأغنام المستطابة اللحوم ، والخيول المُسَوَّمَةُ ، والبغال النفيسة ، والحُمُرُ الفارهة مما ليس له نظير فى إقليم من الأقاليم ، ولا مصر من الأمصار .

وأما وُحُوشُها — ففى براريِّها : الغِزْلَانُ ، والنَّعَامُ ، والأَرَانِبُ ، والثَّعَالب ، والضِّبَاعُ ، والذِّئَابُ ، وغير ذلك . ويجلب إلى سلطانها الفِيَلَةُ ، والزَّرَافَاتُ ، وغيرها من الوحوش من البلاد القاصية ، والسِّبَاعُ من بلاد الشام من مملكته لتكون فى إصطبلاته زينةً لمملكته .

وأما طيورها — ففيها من الطيور الدواجن فى البيوت : الدَّجَاجُ ، والإوَزُّ ، والحَمَامُ ؛ ومن الطيور البَرِّيَّةِ : الصَّقْرُ ، والعُقَابُ ، والنَّسْرُ ، والكُرْكِىّ ، واللَّغْلَغُ ، والإوزُّ التُّركى ، والمرزم ، والبَجَعُ ، والبَلَشُون ، والحُبْرُجُ ، والحَجَلُ ، والكَرَوَانُ ، والسُّمانى ، والبُلْبُلُ ، وسائر أنواع العصافير ، والأنواع المختلفة من طيور الماء . ويجلب إلى سلطانها سائر أنواع الجوارح الصائدة على آختلاف أجناسها من أقاصى البُلْدان ، ويقع التغالى فى أثمانها للغاية القصوى على ما يأتى ذكره فى الكلام على أوصافها إن شاء الله تعالى .

المقصـــد التاسـع

فى ذكر حدودها

قد آضطربت عبارات المُصَنِّفِينَ فى المسالك والممالك فى تحديدها ، والذى عليه الجمهور أن حدّها الشَّمالىّ ، وهو المعبّر عنه عند المصريين بالبحرى ، يبتدئ مما بين الزعقة ورَفَحٍ عند حدّها من الشام والبحر شماله ، ويمتدّ غربا على ساحل البحر

المذكور حيث الشجرتان عند الشجرة التى يعلق فيها العوامُّ الخِرَق وتقول هذه مفاتيح الرمل، عند الكُثُب المجنبة عن البحر الرومىّ، إلى رَفَح ثم إلى العريش آخذا على الجِفَار، إلى الفَرَما، إلى الطينة، إلى دِمْياط، إلى ساحل رشيد، إلى الإسكندرية، وهى آخر العمارة بهذا الحدّ . ثم يأخذ على اللينونة، على العميدين، إلى بَرْقَة، إلى العَقَبة الفاصلة بين الديار المصرية و إفْرِيقِيَّة على ما تقدّم ذكره فى الكلام على سواحل البحر الرومىّ .

وحدّها الغربى — يبتدئ من ساحل البحر الرومىّ حيث العَقَبة، و يمتدّ جنوبا، وأرض إفْرِيقِيَّة غربية، على ظاهر الفَيُّوم والوَاحَاتِ حتّى يقع على صحراء الحبشة على ثمان مراحل من أُسْوان .

وحدّها الجَنُوبىّ — وهو المعبر عنه عند المصريين بالقِبْلِىّ، يبتدئ من آخر هذا الحدّ بصحراء الحبشة و يمتدّ شرقا، و بلاد الروم من بلاد البَرِّيَّة جنوبيّه حتّى يأتى إلى أسوان، ثم يمتدّ من أسوان شرقا حتّى ينتهى إلى بحر القُلْزُم مقابل أسوان على خمس عشرة مرحلة منها .

وحدّها الشرقى — يبتدئ من آخر هذا الحدّ و يمتدّ شمالا و بحرُ القُلْزُم شرقيّه، إلى عَيْذَابَ، إلى القُصَيرِ، إلى القُلْزُم، إلى السُّوَيْس، ثم يأخذ شرقا عن بركة الغُرُنْدُل التى أغرق الله تعالى فيها فرعون من بحر القُلْزُم إلى تيه بنى إسرائيل؛ ثم يعطف شمالا و يمرّ على أطراف الشام حتّى ينحطّ على ما بين الزعقة ورَفَح ساحل البحر الرومىّ حيث وقعت البداءة .

وعلى هذا التحديد جرى السلطان عماد الدين صاحب حماة فى "تقويم البُلْدان" والمقرّ الشهابىّ بن فضل الله فى "التعريف" إلا أنه فى "تقويم البُلْدان" جعل ٱبتداء الحدّ الشمالىّ نفسَ رَفَح، ونهاية الحدّ الغربىّ حدود بلاد النُّوبة؛ وفى "التعريف"

جعل ٱبتداءَ الحدّ الشمالى ما بين الزعقة ورَفَح، ونهاية الحـدّ الغربى صحراءَ بلاد الحبشة على ما تقدّم فى التحديد، والأمر فى ذلك قريب .

وخالف فى ذلك القُضَاعىّ بجعل ٱبتداء الحدّ الشّمالىّ من العَريش، وليس فيه بُعْـدٌ عن رَفَح بل فى الآثار ما يدل عليه . كما سيأتى فى موضعه إن شاء الله تعالى .

٥ وجعل الحـدّ الجَنُوبىّ يقطع بحر القُلْزُم وينتهى إلى ساحل الحجاز بالحَـوْراء : أحد منازل طريق الحجـاز من مصر؛ والحدّ الشرقىّ يمتـدّ على ساحل البحر الشرقىّ إلى مَدْيَنَ، إلى أَيْلَةَ ، إلى تيه بنى إسرائيل، إلى العَرِيش . فأدخل بحر القُلْزُم من حدّ الحَوْزاء إلى نهايته فى الشّمال، وما على ساحله من برّ الحجاز مما يسامت العَرِيشَ كأَيْلَةَ ومَدْيَنَ ونحوها فى أرض مصر .

١٠ قلت : وفيه نظر، والظاهر ما تقـدّم لأن البر الشرقىّ من القُلْزُم معدود من ساحل الحجاز من جمـلة جزيرة العرب، وهى ناحية على ٱنفرادها؛ وكأن الذى حمل القُضَاعىّ على ذلك مسامتة هذا الساحل لحدّها بساحل البحر الرومىّ على ما تقدّم.

وٱعلم أن جميع المحـدّدين لهـا وإن ٱختلفت عباراتهم فى ٱبتـداء الحدّ الشّمالى الفاصل بينها وبين الشام، هل هو من العريش أو من رَفَح ، أو بين الزعقة ورَفَح ؟

١٥ متفقون على أن ٱبتداء الحد حيث الشجرتان ، وكأنهما شجرتان قديمتان حدد فى الأصل بهما .

قال فى "التعريف": وما إخال الان بقاءَ الشجرتين، وإنما هو موضع الشجرة التى تعلّق فيها العوامُّ الخِرَق، ويقولون هذه مفاتيح الرمل عنـد الكُثُب المجنبة عن البحر الرومىّ قريبا من الزَّعْقَة .

٢٠ قال: فأما الأشجار التى بالمكان المعروف الآن بالخرّوبة[1]، ويعرف قديما بالعُشّ، فهى وإن عظمت محدثة من زمن مَنْ حدّد الأقاليم، وليست فى موضع ما ذكروه .

(١) كذا فى الضوء والتعريف . وفى الأصل : «بالسردية» .

ثم لها طُول وعَرْضٌ، فطولها ما بين جهتى الشَّمال والجنوب، وعَرْضها ما بين جهتى المشرق والمغرب . وقد قيل : إن طولها مسيرة شهر وعرضها مسيرة شهر .
وذكر القضاعى أن ما بين العريش إلى بَرْقة أربعون ليلة .

المقصـــد العـاشـــر

فى ٱبتداء عمارتها، وتسميتها مصر، وتفرّع الأقاليم التى حولها عنها ٥

أما ٱبتداء عمارتها — فقد ذكر المؤرّخون أنها عُمِرت مرتين :

المرّة الأولى — قبـل الطُّوفان؛ وأوّل من عَمَرها قبـل الطوفان نقراووس بن مصريم بن براجيل[1] بن رزائيل بن غرباب بن آدم عليه السلام، نزلها فى سبعين رجلا من بنى غرباب جبابرة، فعمَرَها . وهو الذى هَنْدس نيلَها وحفره حتّى أجراه، ووجه إلى البرية جماعةً هندسُوه وأصلحُوه، وبنى المُدُنَ وأثارَ المعادنَ، وعمل الطلسمات . ١٠

المرّة الثانية — بعد الطُّوفَان، وأوّل من عَمَرها بعد الطوفان مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، قدم إليها هو وأبوه بيصر فى ثلاثين رجلا من قومه حين قسَم نوح الأرضَ بين بنيه، فنزلوا بسفح المُقَطَّم، ونَقَرُوا فيـه منازل كبيرة نزلوا بهـا ثم ٱبتنوْا مدينة مَنْف وسكنوها على ما يأتى ذكره فى الكلام على قواعد مصر القديمة إن شاء الله تعالى . ١٥

قال ٱبن لهِيعَةَ : وكان نوح عليه السلام قد دعا لمصر أن يُسْكِنَه الله تعالى الأرضَ الطيّبة المبـاركة التى هى أُمُّ البلاد وغَوْثُ العباد، ونهرها أفضل الأنهار، ويجعلَ له فيها أفضلَ البركات، ويُسَخِّرَ له الأرضَ ولولده ويُذَلِّلَهَا لهم، ويقوّيهم عليها . فساله عنها فوصفها له، وأخبره بها .

(١) لم تتفق الكتب على هذه الأسماء بل كل كتاب يخالف الآخر فلذلك لم نعول عليهـا وٱقتصرنا على ما فى نسختنا الخطية . ٢٠

وأما تسميتها مصر — فقيل : إن نقراووس بن مصريم أول ملوكها قبل الطوفان حين عمرها سماها باسم أبيه مصريم تبركا، وإن مصر بن بيصر إنما سمى باسمه. وأكثر المؤرخين على أنها سميت بمصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام. وعلى الوجهين تكون عَلَمًا منقولا عن اسم رَجُل .

٥ وقال الجاحظ فى رسالة له فى مدح مصر : إنما سميت مِصْرُ [بمصر](١) لمصير الناس إليها .

قلت : ويجوز أن تكون سميت مصْرَ لكونها حدًا فاصلا بين بلاد المشرق والمغرب إذ المصر فى أصل لغة العرب اسم للحدّ بين الأرْضَيْن كما قاله القُضاعىّ . ومنه قول أهل هجر : اشتريت الدار بمُصُورها ، أى بحدودها .

١٠ قال القُضاعىّ : وكيف ما ...(٢) أما إن أريد بالمصر البلد العظيم فإنه ينصرف ويجمع على أمصار .

وأما تَفَرُّعُ الأقاليم التى حولها عنها — فعن ابن لَهيعة أنه لما استقرّ مصر ابن بيصر بهذه البلاد هو وأبوه بيصر وإخوته : فارق ، وماح ، وياح وكثر أولادهم ، قال له إخوته : قد علمت أنك أكبرنا وأفضلنا ، وأن هذه الأرض أسكنك إياها جدُّك

١٥ نوحٌ ، ونحن نضيّق عليك أرضك ، ونحن نطلب إليك بالبركة التى جعلك فيها جدّك نوح أن تبارك لنا فى أرض نلحق بها ونسكنها ، وتكون لنا ولأولادنا ، فقال : نعم عليكم بأقرب البلاد إلىّ ، لا تباعدوا منّى ، فإن لى فى بلادى هذه مسيرة شهر من أربعة وجوه أحوزها لنفسى ، وتكون لى ولولدى وأولادهم . فحاز مصر لنفسه ما بين الشجرتين اللتين بالعريش إلى أسوان طولا ، ومن بَرْقَةَ إلى أَيْلَةَ عَرْضا . وحاز فارق

٢٠ لنفسه ما بين بَرْقَةَ إلى إفْرِيقِيّة ، فكان ولده الأفارقة ، وبذلك سميت إفْرِيقِيةُ ، وذلك مسيرة شهر . وحاز ماح ما بين الشجرتين من منتهى حدّ مصر إلى الجزيرة ، مسيرة

(١) الزيادة عن خطط المقريزى (ج ١ ص ٢٢ طبع بلاق) .

(٢) كذا فى الأصل بدون بياض ، وهو غير مستقيم ، ولعله : وكيفما كان فإنها لا تنصرف . أما إن الخ .

شهر، وهو أبو نَبَطِ الشـام . وحاز ياح ما وراء الجزيرة كلها من البحر إلى الشرق مسيرة شهر، فهو أبو نَبَطِ العراق .

وقد قال القضاعى بعد ذكر حدود مصر الأربعة : وما كان بعد هذا من الجانب الغربى فهو من فتوح أهل مصر وثغورهم من بَرْقَةَ إلى الأَنْدَلُس .

قلت : وذلك أن المسلمين بعـد فتح مصر توجهت طائفة منهم إلى إفْرِيقِيَّةَ ففتحتها ، ثم توجهت طائفة من إفْرِيقِيَّةَ إلى الأَنْدَلُس ففتحته على ما سيأتى ذكره فى الكلام على مكاتبات ملوك الغرب إن شاء الله تعالى .

المقصد الحادى عشر

فى ذكر قواعدها القديمة، والمبانى العظيمة الباقية على ممرّ الأزمان، والقواعد المستقرّة، وما فيها من الأبنية الحسنة

وقواعدها القديمة على ضربين :

الضـــــرب الأوّل

ما قبـــل الطوفان

والمعروف لها إذ ذاك قاعدتان :

القاعدة الأولى — مدينة "أمسوس" وهى أوّل مدينة بنيت بالديار المصرية قبل الطوفان، بناها نقراووس بن مصريم بن براجيل بن رزائيل بن غرباب بن آدم عليه السلام ، أوّل ملوك مصر قبل الطوفان ، وموضعها خارج الإسكندرية تحت البحر الرومى كما ذكره بعض المؤرّخين، وشقّ لها نهرا يتّصل بها من النيل .

القاعدة الثانية — مدينة "برسان" وهى مدينة بناها نقراووس المتقدّم ذكره لابنه مصرايم وأسكنه فيها، ولم أقف على مكانها .

الضـــــرب الثـانى

قـــواعدها فيا بعـــد الطوفان

والمشهور منها ثلاث قواعد :

القاعدة الأولى — مدينـة "مَنْف" قال فى "تقويم البُلْدان" : (بكسر الميم
وسكون النون وفاء فى الآخر) والجارى على الألسـنة منف (بفتح المـيم) وموقعها
فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : طولها ثلاث وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها
ثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وهى أوّل مدينـة بنيت بمصر بعد الطوفان ، بناها
مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام حين نزل مصر .

قال فى "الروض المعطار": وأصلها بالسريانية مافه، ومعناها بالعربية ثلاثون؛
وذلك أن مصر حين نزلها كان فى ثلاثين رجلا من أهل بيته، فسماها بعددهم .

قال ابن الأنبارى فى كتابه "الزاهر": وهى على اثنى عشر ميلًا من الفُسْطَاط .

قلت : ومَنْف هـذه فى جنوبى الفُسْطَاط على القـرب من البـلدة المعروفة
بالبَدْرَشِين من عمل الجيزة، وهى المعروفة بمصر القديمة، وقد خَرِبت وصارت كيانا،
وبها آثار بنيان من الحجر الكَذَّان يوجد تحت الردم، على القرب من أحجار الأهرام
فى العظمة والمقدار، وبوسطها آثار بِرْبَاةٍ عظيمة، بها صنمان عظيمان من حجر صوّان
أبيض ، طول كل صنم منهما نحو عشرين ذراعا ، وهمـا مطروحان على الأرض،
وقد غطّى الطين أسفلَهما .

وكان على القرب منهما بيت عظيم من حجر أخضر، قطعة واحدة: جوانبه الأربعة
وأرضه وسـقفه، ولم يزل على ذلك إلى الدولة الناصرية حسن بن الناصر محمـد بن

قلاوون، وأراد الأمير شيخو أتابك العساكر نقله إلى القاهرة صحيحا فعولج فانكسر فأمر بأن تنحت منه أعتاب فنحتت وجعل منها أعتاب خانقاه وجامعه بصليبة الجامع الطولونى؛ وشرقى هذه المدينة معالم سور مبنى بالحجر الكَذَّان النحيت فصوصا صغارا بالطين والجير الذى قد علمت، لونه لون الحجر. ويقال: إنه سور الأهراء التى بناها يوسف عليه السلام لادخار الحنطة فى سنبلها .

ويذكر بعض أهل تلك البلاد أنه يوجد بعض السُّنْبُل الذى أخبر به يوسف عليه السلام تحت تلك الأرض إلى الآن . وأنه فى المقدار فوق مقدار الحنطة المتعارفة بقليل .

وفى شمالىِّ هذه المدينة بلدةٌ صغيرة تعرف بالعزيزية، يقال إنها كانت منزلة العزيز وزير الملك، وهناك مكان على القرب منها يعرف بزَلِيخَا، وفى غربيِّها إلى الشَّمال فى سفح جبل مصر الغربىّ سِجْن يوسف عليه السلام، وإلى جانبه مسجد موسى عليه السلام، وعلى القرب من السُّور المقدّم ذكره مسجد يعقوب عليه السلام.

ويقال: إن النيل كان تحت هذا السُّور، وهناك مكان يعرف بالمقياس إلى الآن.

***

القاعدة الثانية — مدينة "الإسكندرية" نسبة إلى الإسكندر بن فيلبس المقدونى ملك اليونان المقدّم ذكره .

وقد ذكر القضاعى : أنه كان بها عدة عجائبَ، من أعجبها المَنَارة، وهى مَنَارة مبنية بالحجر والرصاص ارتفاعها فى الهواء ثلثمائة ذراع كل ذراع ثلاثة أشبار، وقيل أربعمائة ذراع، وقيل مائة وثمانون ذراعا، وقيل بالجير[1] لغلبة الجير فيه . وعلى رأسها مرآة من أخلاط يرى فيها من حضر إليها على بُعْدٍ؛ وتهتدى بها المراكب السائرة إلى الإسكندرية إذ برها منخفض لا جبال فيها، تحرق بشعاعها ما أرادوا إحراقه من المراكب الواصلة، احتال عليها النصارى فى أوائل الإسلام فى خلافة الوليد

(١) لعله وقيل بالجير أى هى مبنية بالحجر والرصاص وقيل بالجير الخ تأمل .

آبن عبد الملك الأُمَوىّ فكسروها ،وتداعى هدم المنارة شيئا فشيئا إلى أوساط المائة الثامنة فآستؤصلت وبقى أثرها .

(ومنها) المَلْعَبُ الذى كانوا يجتمعون فيه فى يوم من السنة ثم يرمون بكُرَةٍ فلا تقع فى حِجْرِ أحد إلا ملك مصر ؛ وإن حضر فيــه ألف ألف من الناس كان كل منهم ناظرا فى وجه صاحبــه ؛ وإن قرئ كتاب ، سمعوه جميعا ؛ أو أُتِى بنوع من اللعب رَأَوْهُ عن آخرهم لا يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العِلْيَةِ والسِّفلَةِ .

وكان من غريب هذا المَلْعَب أن عمرو بن العاص رضى الله عنــه حضر فيه فى الجاهلية فى يوم لَعِبِ الكُرَةِ فوقعت الكرة فى حِجْرِه ، وهم لا يعرفونه ، فتعجب القوم منه وقالوا : ما رأينا هــذه الكُرَة كذبت قَطُّ إلا هذه المرة ، فآتفق أَنْ ملَكَها فى الإسلام . و(عمود السَّوارى) الذى بظاهر الإسكندرية الآن أحد عُمُدِ هذا الملعب ، وهو عمود عظيم يرمى الرجل القوىّ السهمَ عن قَوْسٍ قوىّ فلا يبلغ رأسه .

(ومنها) عمودا الإعياء ، وهما عمودان ملقيان وراء كل منهما جبل حَصْباؤُه كصُبَرِ الجمار بمِنًى يُقْبِل العيىّ بسبع حصيات حتّى يستلقَ على أحدهما ، ثم يرمى وراءه بالسبع ويقوم ولا يلتفت ، ويمضى لطَلِبته فلا يُحِسّ بشىء من تعبه .

(ومنها) القبة الخضراء ، وهى قبة ملبسة نُحَاسا كأنه ذهب إبريز لا يُبْليه القِدَم ولا تُخْلقه الدهور .

(ومنها) المِسَلَّتان ، وهما جبلان[(1)] قائمان على سَرَطانات نحاس فى أركانهما كل ركن على سرطان ، فلو أراد مريد أن يدخل تحتها شيئا إلى الجانب الآخر لفعل .

قال آبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وهاتان المَسَلَّتان إحداهما فى الركن الشرقى من البلد ، والثانية ببعض البلد ، وهمــا عمودان مُرَبَّعَان من حجر أحمر ، وعَرْض قواعدهما من الجهات الأربع أربعون شبرا ، طول كل واحدة منهما خمس قامات ، وأعلاها مُسْتَدِقٌّ ، وعرض[(2)] قاعدتهما من الجهات الأربع أربعون شبرا .

(١) لعله هيكلان ، أو بناءان .

(٢) يظهر أنه مكرر مع المذكور فى السطر قبله .

ويقال : إن عليهما مكتوب بالسريانية : "أنا يَعْمَر بن شدّاد، بنيت هذه المدينة وأردت أن أجعل فيها من الآثار المعجزة، والعجائب الباهرة، فأرسلت البتون بن مرة العادىّ ومقدام بن يعْمَر بن أبى رِغَال الثمودى إلى جبل بَرِيم الأحمر، فاقتطعوا منه حجرين وحملاهما على أعناقهما ، فانكسرت ضلع البتون ، فوددْت أن أهل مملكتى كانوا فداء له ، فأقامهما القطن بن حازم(1) المؤتفكى فى يوم السعادة" .

وقد قيل فيها : إنها إرَمُ ذات العِماد، ولم تزل عامرة إلى الفتح الإسلامى، فلما فتحها عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

" أما بعد . فإنى فتحت مدينة لا أَصِفُ ما فيها ، غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف بِنْيَة، وأربعة آلاف حَمَّام، وأربعون ألف يهودى عليهم الجزية ، وأربعمائة مَلْهًى للملوك" . ويقال : إنه وجد فيها أربعة آلاف بَقَّالٍ يبيعون البَقْل، وكان فيها من الروم يومئذ مائة ألف من أهل القوة لحقوا بأرض الروم فى المراكب ، وكان مَنْ بقى ستمائة ألف سوى النساء والصبيان .

قلت : وقد ذهب جلُّ ذلك وزال أكثره، ولم يبق من عجائبها ظاهرا إلا عمود السَّوارى، وهو عمود عظيم من حجر صوّان خارج المدينة لا يكاد يكون له نظير فى الدنيا، ويقال : إنه كان قبلها مدينة فى مكانها تسمَّى رقودة(2) بناها مصر بن بيصر بن حام ابن نوح المتقدّم ذكره حين بنى مدينة مَنْف، وعلى مِنْوالها نسج الإسكندر مدينته .

* * *

القاعدة الثالثة — "قَصْرُ الشَّمَع" الذى هو داخل مدينة الفُسْطَاط الآن ، وهو المعبر عنه فى كتب الفتوح بالحصن، بناه كسرجوس الفارسى أحد نواب مَلك الفُرْس عند استيلائهم على مصر بعد غلبة بُخْت نَصَّر الآتى ذكره فى الكلام على ملوكها .

(1) فى ياقوت : قطن بن جاود . (2) كذا فى المقريزى (ج ١ ص ١٤٥) ونهاية الأرب للنويرى (ج ١٢ من النسخة الفتوغرافية) وفى الأصل « رقوده » .

قال القضـاعى : ولم يكمله وإنمـا كمله الروم بعــد ذلك[1] ... التى فتحت مصر وهى مقرّة الملوك بهـا . وقد قيل : إن المُقَوقِس كان يقيم بالإسكندرية أربعــة أشهر من السنة، وبمدينة منف أربعة أشهر، وبقصر الشمع أربعة أشهر .

وآعلم أنه قد كان بالديار المصرية مستقَرات أخرى عظام كانت قواعد لبعض ملوكها فى بعض الأزمان، ومدن دون ذلك يأتى الكلام على جميعها بعد ذكر الكور القديمة والأعمال المستقرّة إن شاء الله تعالى .

*
* *

وأما المبانى العظيمةُ الباقية على ممرّ الأزمان — فآعلم أن ملوك مصر الأقدمين كان لهم من العناية بالبناء ما ليس لغيرهم، وكانوا يتفاخرون بذلك لإخباره على طول الزمن بعَظَمة مُلْكِهم وآقتدارهم على مالم يبلغه غيرهم . ومن أعظم أبنيتهم (الأهرام) وهى قُبورٌ آتخذوها فى غاية الوَثَاقة حفظا لأجسامهم، وكان لهم بهـا العناية التامة، وآبتنَوْا منها عدة بالجَبَل الغربى من النيل، بعضها مقابل الفُسْطَاطِ، وبعضها ببُوصِير السِّدْر وسَقَّارَة ودَهْشُور من الأعمـال الجيزية، وبعضها بَمِيْــدُومَ من البهنساوية؛ وأعظمها خَطَرا وأجلُّها قـدرا الهَرَمَانِ المقابلان للفُسْطَاطِ ، يقال إن طول عمود كل هرم منهما ثلثمائة وسـبعة عشر ذراعا، تحيط بهـا أربعة سطوح متساوية الأضلاع، طول كل ضلع منها أربعمائة وستون ذراعا .

قال أبو الصلت : ليس على وجه الأرض بناءٌ باليد حجر على حجر بهذا المقدار.

ويقال : إن لها أبوابا فى أزَج فى الأرض طول كل دَرَجٍ مائة وخمسون ذراعا؛ وباب الهَرَم الشرقى من الجهة البحرية، وباب الهرم الغربى من الناحية الغربية .

---

(١) عبارة المقريزى فى خططه (ج ١ ص ٢٨٧) : «وقال القضاعىّ : ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع، يقال : إن فارس لمـا ظهرت على الروم وملكت عليهم الشام وملكت مصر بدأت يبناء هذا القصر وبنت فيــه هيكلا لبيت النار ولم يتم بناؤه على أيديهم إلى أن ظهرت الروم عليهم فتممت بناؤه وحصنته ولم تزل فيه إلى حين الفتح» ومحلها بياض بالأصل .

والصابئة تحجُّ هـذين الهرَمَيْنِ ويقولون : إن أحدهما قبر إدريس عليـه السلام، والآخَر قبر آبنه صابئ الذى إليه ينتسبون .

وقد آختلف فى بانيها فأكثر المؤرّخين على أن بانيها سوريد(1) بن سهلوق أحد ملوك مصر قبل الطوفان ، الآتى ذكره فى الكلام على ملوكها فيما بعـدُ إن شاء الله تعالى، جعلها قبورا لأجسادهم، وكنوزا لأموالهم، حين أخبره مُنجِّمُوه وكَهَنَتُه بما دلهم عليه الرَّصْد النجومىّ من حدوث حادثة تعمّ الأرض، ورجحه محمد بن عبد الله آبن عبد الحكم وقال : لو بُنِيت الأهرام بعد الطوفان ، لكان علمها عند الناس .

وذكر آبن عُفَير عن أشياخه أن بانيها جَيَّاد بن مياد بن شمر بن شدّاد بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام . قال : ولم تزل مشايخ مصر يقولون: إن الذى بناها شدّاد بن عاد. وذهب المسعودى وغيره إلى أنه بناها يوسف عليه السلام.

وقال آبن شبرمة : بنتها العمالقة حين ملكوا مصر. وبالجملة فهما من أعظم الآثار وأقدمها وأجلِّ المبانى وأدومها؛ ولله القائل :

أُنْظُرْ إلى الهَرَمَيْنِ وآسْمَعْ مِنْهُمَا * ما يَرْوِيَانِ عَنِ الزَّمانِ الغَابِرِ
لَوْ يَنْطِقَانِ ، لَخَـبَّرَانَا بِالَّذِى * صَنَـعَ الزمانُ بأَوَّلٍ وبآخِرِ

وكيفما كان فمآلها إلى الخراب، شأن الدنيا ومبانيها .

وقد كان المأمون ، احد خلفاء بنى العبَّـاس ، حين دخل إلى مصر فى سـنة ست عشرة ومائتين قصد هدمهما فلم يقدر، فأعمل الحيلة فى فتح طاقة فى أحدهما يتوصل منها إلى مزلقان ، يصـعد فى أعلاه إلى قاعة بأعلى الهرم، بها ناوُوس من حجر، وينزل فى أسـفله إلى بئر تحت الأرض لم يعـلم ما فيها . ويقال : إنه وَجَدَ

(1) الثابت الآن تاريخيا بعد الاستكشافات وقراءة الحروف الهير وغليفية أن بانى الهرم الكبير الملك خوفو ؛ وبانى الهرم الثـانى الملك خفرع ، وبانى الهرم الثالث الملك منقرع . وآستكشف العـالم الأثرى الجليل الأستاذ سليم حسن بك فى هذه الأيام هرما رابعا بجوارها .

فى أعلاه مالا فاعتبره فإذا هو قدر المال الذى صرفه من غير زيادة ولا نقص؛ وقد أخذ الآن فى قطع حجارتهما الظاهرة لاتخاذ البلاط منها . فإن طال الزمان يوشك أن يخربا[1] كغيرهما من المبانى .

ولله المتنبى حيث يقول :

أَيْنَ الذى الهَرَمانِ من بُنْيَانِهِ؟ * ماقَوْمُهُ؟ما يَوْمُهُ؟ما المَصْرَعُ؟
تَتَخَلَّفُ الآثارُ عن أصحابها * دَهْرًا، ويُدْرِكُها الفَنَاءُ فتَتْبَعُ!

قال إبراهيم بن وصيف شاه فى كتاب "العجائب" : وقد قيل إن هوجيب أحد ملوك مصر قبل الطوفان أيضا بنى الهَرَمَ الكبير الذى بدَهْشُور ؛ والثانى بناه قِفْطريم، بن قِفط، بن قبطيم، بن مصر، بن بيصر، بن حام، بن نوح عليه السلام بعد الطُّوفان .

قال القُضاعىّ : أما الهَرَمُ الذى بدير أبى هِرْميس، وهو الهرم المدرّج، يعنى الذى شمالىّ أهرام دهشور، فإنه قبر قرياس، وهو فارس أهل مصر، كان يعدّ فيهم بألف فارس، فلما مات جزع عليه ملكه و بنى له هذا الهرم فدفنه فيه .

قال : وقبر الملك نفسه الهَرَمُ الكبير من الأهرام التى غربىّ دير أبى هِرْميس، وعلى بابه لوح من الحجر الكذّان طوله ذراع فى ذراع مكتوب بالخط البرباوىّ[2] .

ومن عظيم بنيانهم أيضا ولطيف حِكَمهم (البرَابى) وهى بيوت عبادة كانت لهم، زَبَرُوا فيها حِكَمهم ، ورقموا تواريخ ملوكهم، وصوّروا فيها صُوَر الأمم التى حولهم . فمتى قصدتهم أمة من الأمم، أوقعوا بصُوَرهم المصوّرة من النَّكال ما أرادوا، فيصيب تلك الأمة على البُعْد ما أوقعوه بتلك الصور، إلى غير ذلك من الحِكَم التى أودعوها والطِّلَّسْمَات التى وضعوها بجُدْرانها .

(١) لا يزلان إلى الآن (١٣٥٦هـ — ١٩٣٧م) وتقوم الحكومة بالمحافظة عليهما وعلى جميع الآثار بالديار المصرية، و يعتبران من مفاخر مصر الخالدة . (٢) هو المعروف الآن بالخط الهيروغليفى .

ويقال : إن أوّل من بنى البرابى بمصر دَلُوكة العجوز، التى ملكت مصر بعد فرعون لعنه الله !

قال فى "مسالك الأبصار" : وقد أخبرنى الحكيم شمس الدين محمد بن سعد الدمَشْقىّ أنه رآها وتأملها، فوجدها مشتملة على جميع أشكال الفلك ، وأن الذى ظهر له أنه لم يعملها حكيم واحد بل تولَّى عليها قوم بعد قوم حتَّى تكاملت فى دَوْرٍ، وهو ثلاثون ألف سنة ، لأن مثل هذه الأعمال لا تُعْمل إلا بالأرصاد ولا يكمل رصد المجموع فى أقل من هذه المدّة .

قلت : ويجوز أن يكون الرَّصْدُ حصل على الوجه المذكور، وزُبِرَ ورُقِمَ فى الكُتُب، فلما بنى الثانى هذه البرابىَ ، نقل منها ما زُبِرَ فى الكتب من ذلك الزمن المتقدّم .

واعلم أن أكثر البرابى بالوجه القبلىّ من الديار المصرية ، وبالوجه البحرىّ القليلُ منها ، وقد استولى الخراب على جميعها، وذهبت معالمها ولم يبقَ إلا آثارها، والذى وقفتُ عليه فى التواريخ، ووقفتُ على آثار غالبه ورسومه سبعُ بَرَابٍ :

(منها) بِرْبا سَمَنُّودَ، كانت بظاهر سَمَنُّودَ من الأعمال الغربية بالوجه البحرىّ.

قال الكندىّ : رأيتها وقد خَزَّنَ فيها بعضُ عُمَّالها قَرَضا فرأيت الجمل إذا دنا من بابها بحمله وأراد أن يدخلها، سقط كل دبيب فى القرظ فلا يدخل منها شىء إلى البربا .

قال القضاعى : ثم خربت عند الخمسين وثلثمائة .

(ومنها) بربا تُمَىّ بالمُرْتاحية من الوجه البحرى على القُرْب من مدينة تُمَىّ الخراب، وعامة أهل تلك الناحية يقولون بربا عاد، وهى باقية بجُدْرانها، وسقوفُها

من أعظم الحجارة العظيمة، إلى الآن باقية، وبأعلى بابها قطعة مبنية بالطوب الآجُرّ والجِصّ، وداخلها أحواض عظيمة من الصوّان غريبة الشأن .

(ومنها) بربا إخميم، وهى بربا بظاهر مدينة إخميم من الوجه القبلى؛ كانت من أعظم البرَابى وأحسنها صنعةً وأكبرها حكمةً، ولم تزل عامرة إلى أوساط المائة الثامنة، فأَخَذ فى هدمها والعمارة بأحجارها خطيب إخميم، ولم يَبْق إلا آثارها، وبعض جُدْرانها قائمة إلا الآن .

(ومنها) بربا دَنْدَرَةَ من الأعمال القُوصية .

قال القضاعىّ : وهى بربا عجيبة فيها مائة وثمانون كُوّة تدخل الشمس فى كل يوم فى كوّة منها، ثم تكُرّ راجعة إلى الموضع الذى بدأت منه، وهى الآن خراب لم يبق إلا آثارها .

(ومنها) بربا الأَقْصُر : وكانت بربا عظيمة فهُدِمت أيضا، ولم يبق منها إلا آثارها .

ومن بقايا الآثار بها صنم عظيم من حجر صوّان أملس، قائم على باب ضريح الشيخ أبى الحجاج الأَقْصُرىّ على حاله إلى الآن، ومرّ عليه زمنُ الشيخ وهو على ذلك، ولعله إنما أراد ببقائه التنبيهَ على ضعف عقول عَبَدَة الأصنام لكونهم يعبدون حجرا مثل هـذا .

(ومنها) بربا أَرْمَنْت، وهى بربا صغيرة قد ذهبت معالمها، ولم يبق بها إلا عُمُد صوّان قائمة من غير شىء محمول عليها .

(ومنها) بربا إسْنا، وهى متوسطة القدر بين الكبر والصغر، وقد بقى منها قطعة جيدة جُعِلت شونة للغلال، وأهل إسنا يذكرون أن الفأر لايدخلها، وإن دخلها مات .

ومن الآثار العجيبة بمصر أيضا مِسَلَّتان بعين شمس على القرب من المَطَرِيّة من ضواحى القاهرة من حجر صوّان أحمر محدّدتا الرأسين. ذكر القضاعى : أن الشمس تطلعُ على الجنوبية منهما فى أقصر يوم فى السنة، وعلى الشّمالية فى أطول يوم فى السنة، وتتردّد فيما بينهما فى بقية السنة. وذكر أنه كان عليهما صَوْمعتان من نُحَاس، إذا كان زمن زيادة النيــل تقاطر المــاء من أعلاهما إلى أسفلهما ؛ فينبتُ حولها العَوْسَجُ، وما فى معناه من الحشيش .

ومن العجائب حائطُ العجوز، وهو حائط من لَبِنٍ، بنتها دَلُوكة ملكة مصر بعد فرعون، من العَرِيش إلى أسْوان، دائرة على أراضى مصر من شرقيّها وغربيّها فى لحف جبليها؛ وجعلت بين كل ثلاثة أميال مَحْرَسا، وشقّت خليجا من النيل إلى جانبها، وآثارها باقية إلى الآن بالجانب الشرقى والجانب الغربى .

المقصد الثــانى عشر

فى ذكــر قواعدهــا المســتقرّة

وهى ثلاث قواعد، قد تقاربت واختلطت حتّى صارت كالقاعدة الواحدة .

القــاعدة الأولى

مدينـــة الفُسْـــطَاط

(بفاء مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم طاء ثانيــة فى الآخر) . ويقال فيــه فُسْتَاط بإبدال الطــاء الأولى تاء وفُسَّاط . قال الجوهرى : وكسر الفاء لغة فيهن ؛ وهى المدينــة المعروفة بين العامة بمصر واسمها القديم باب أَلْيُونَ[1] .

قال أبو السعادات بن الأثير فى نهايته : (بفتح الهمزة وسكون اللام وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو ونون فى الآخر) .

(١) وفى ياقوت : «بابليون» الباء الثانية مكسورة واللام ساكنة وقد ذكره أيضا فى أليون .

قال القضاعى : وهو آسمها بلغـة الرُّوم والسُّودَان، ولذلك يعرف القصر الذى بالشرق بباب أليُونَ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها ثلاث وخمسون درجة، وعَرْضها ثلاثون درجة وعشر دقائق .

٥ وقال فى "القانون" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة، وعَرْضها تسع وعشرون درجة وخمس وخمسون دقيقة .

وقال آبن سـعيد : طولها ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها تسع وعشرون درجة وخمس وخمسون دقيقة .

وقال فى "رسم المعمور" : طولها أربع وخمسون درجة وأربعون دقيقة .

١٠ والذى عليــه عمل أهل زماننا فى وضـع الآلات وغيرها طول خمس وخمسين درجة، وعرض ثلاثين .

واختلف فى سبب تسميتها بالفُسْطَاطِ، فقال آبن قُتَيْبَةَ : إن كل مدينة تسمّى فُسْطَاطًا ، ولذلك سميت مصر الفُسْطَاطَ .

وقال الزَّمَخْشَرِىّ : الفُسْطَاطَ آسم لضَرْب من الأبنية ، فى القدر دون السُّرادِق

١٥ والذى عليــه الجمهور أنه يسمّى بذلك لمكان فُسْطَاط عمرو بن العـاص رضى الله عنــه يعنى خيمته، وذلك أن عمرا لمـا فتح الحصن المعروف بقصر الشمع فى سنة إحدى وعشرين من الهجرة وآسـتولى عليه ضرب فُسْطَاطَه على القرب منه ، فلما قصد التوجه الى الإسكندرية لفتحها، أمر بنزع فُسْطَاطِه للرحيل، فإذا بحَمَام قد أفرخ فيه فقال : لقـد تحرّم منا بحرم، وأمر بإقرار الفسطاط مكانه؛ وأوصى على

٢٠ الحَمَام، وسار إلى الإسكندرية ففتحها ، ثم عاد إلى فُسْطَاطِه ونزل به ونزل الناس حوله ، وآبتنى داره الصغرى التى هى على القرب من الجامع العتيق مكانَ فُسْطَاطِه وأخذ الناس فى الآختطاط حوله فتنافست القبائل فى المواضع والآختطاط ، فولّى عمرو

على الخطط معاوية بن حُدَيْج التُّجيبيّ، وشريك بن سُمَىّ الغُطَيفيّ، وعمرو بن قَحْزَم الخَوْلانِيّ، وحَيْويل بن ناشرة المَعَافرى، ففصلوا بين القبائل وأنزلوا الناسَ منازلهم، فآختطوا الخطط وبَنَوُا الدور والمساجد، وعُرِفت كل خطة بالقبيلة أو الجماعة التى آختطتها أو بصاحبها الذى آختطها .

فأما الخطط والآدُرُ التى عرفت بالقبائل والجماعات :

(فمنها) خِطَّةُ أهل الراية، وهم جماعة من قُرَيْش، والأنصار، وخُزَاعَةَ، وأَسْلَمَ، وغِفَارٍ، ومُزَيْنَةَ، وأَشْجَعَ، وجُهَيْنَةَ، وثَقِيف، ودَوْس، وعَبْس بن بَغِيض، وجُرَش من بنى كِنَانَةَ، ولَيْث بن بكر؛ لم يكن لكل منهم من العدد ما ينفرد به بدعوة من الديوان فجعل لهم عمرو بن العاص رايةً لم ينسبها إلى أحد، وقال : يكون وقوفكم تحتها، فكانت لهم كالنسب الجامع، وكان ديوانهم عليها فعُرِفوا بأهل الراية، وآنفردوا بخِطَّة وحدهم، وخِطَّتهم من أعظم الخطط وأوسعها .

(ومنها) خِطَّة مَهْرَةَ، وهم بنو مَهْرَةَ بن حَيْدانَ بن عمرو بن إلحاف بن قُضَاعَةَ آبن مالك بن حِمْيَرَ، من قبائل اليَمَن .

(ومنها) خِطَّة تُجِيبَ، وهم بنو عَدِىّ وسعد آبنى الأَشْرَس بن شَبِيب بن السَّكَن بن الأشرس بن كِنْدَة؛ وتُجِيبُ آسم أمهما عرفت القبيلة بها .

(ومنها) خِطَطُ لَخْم، وهى ثلاث : الأولى، بنو لخم بن عَدِىّ بن مُرَّة بن أُدَد، ومَنْ خالطهم من جُذَام . والثانية، بنو عبد ربه[1] بن عمرو بن الحارث بن وائل آبن راشدة بن لَخْم . والثالثة، بنو راشدة بن أَذَبّ بن جَزِيلة بن لَخْم .

(ومنها) خِطَطُ اللَّفِيف، وهم جماعة من القبائل تسارعوا إلى مراكب الرُّوم حين بلغ عمرا[2] قدومُهم الإسكندرية عند فتحها، فقال لهم عمرو، وقد

(١) كذا فى آبن دقاق أيضا ووقع فى المقريزى : "بنو رية" وهو تصحيف .

(٢) فى خطط المقريزى وآبن دقاق : "فقال لهم عمرو بن جمالة" .

آســتكثرهم : إنكم لكما قال الله : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ فسُمُّوا اللَّفيفَ من يومئذ .

(ومنها) خِطَط أهل الظاهر، وهم جماعة من القبائل قفَلوا من الإسكندرية بعد قفول عمرو بن العاص، فوجدوا الناس قد أخذوا منازلهم، فتحاكموا إلى معاوية ابن حُدَيج الذي جعله عمرو على الخِطَط ، فقال لهم : إنى أرى لكم أن تظهروا على هذه القبائل فتتخذوا لكم منازل، فسميت منازلهم الظاهر .

(ومنها) خِطَطُ غَافِق، وهم بنو غافق بن الحارث بن عَكّ بن عُدْثَانَ بن عبد الله بن الأَزْدِ .

(ومنها) خِطَط الصَّدِف (بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين) . وهم بنو مالك ابن سَهْل بن عمرو بن قيس بن حِمْيَر من قبائل اليَمَن ، وقيل بنو مالك بن مُرَتَّع ابن كِنْدة، سمى الصَّدِف لأنه صَدَف بوجهه عن قومه حين أتاهم سَيْلُ العَرِمِ .

(ومنها) خِطَط خَوْلَانَ، وهم بنو خَوْلان بن عمرو بن مالك بن زيد بن عَرِيب .

(ومنها) خِطَطُ الفارسيين، وهم بقايا جند باذانَ، عامل كسرى ملك الفُرْس على اليَمَن .

(ومنها) خِطَط مَذْحِج، وهم بنو مالك بن مُرَّة بن أُدَدَ بن زيد بن كَهْلَان بن عبد الله .

(ومنها) خِطَّة يَحْصُبَ ، وهم بنو يَحْصب بن مالك بن أسلم بن زيد بن غَوْث بن حِمْيَر .

(ومنها) خِطَّة رُعَيْن، وهم بنو رُعَين بن زيد بن سهل بن يَعْفُر بن مُرَّة بن أُدَدَ .

(ومنها) خِطَّة بنى الكُلَاع، وهو الكُلَاعُ بن شَرَحْبِيلَ بن سَعْد بن حِمْيَرَ .

(ومنها) خِطَّة المَعَافِر، وهم بنو المَعافر بن يَعْفُر بن مُرَّة بن أُدَدَ .

(ومنها) خِطَط سَبَإ، وهم بنو مالك بن زيد بن وليعة بن معبد بن سَبَإ .

(ومنها) خِطَّة بنى وائل، وهو وائل بن زيد مناة بن أَفْصى بن إياس بن حَرَام ابن جُذَام بن عَدِىّ .

(ومنها) خِطَّة القَبَض، وهم بنو القَبَض بن مَرْثِد .

(ومنها) خِطَط الحَمْراوات ، وهى ثلاث، سميت بذلك لنزول الروم بها ، وهم حمر الألوان :

الأولى — الحمراء الدُّنْيا، وبها خطة بَلِيٍّ ، وهم بنو بلِيِّ بن عمرو بن الحَاف بن قُضَاعَة إلا من كان منهم فى أهل الراية ؛ وخِطَّة ثراد من الأزد ؛ وخطة فَهْم، وهم بنو فَهْم بن عمرو بن قيس بن عَيْلاَنَ؛ وخطة بنى بحر بن سَوَادة من الأَزْد .

الثانية — الحمراء الوُسْطى، وبها خطة بنى نبه، وهم قوم من الروم حضروا الفتح ؛ وخِطَّة هُذَيل، وهم بنو هذيل بن مُدْرِكَةَ بن إلْيَاس بن مُضَر؛ وخِطَّة بنى سَلاَمَانَ من الأَزْد .

الثالثة — الحمراء القُصْوى، وهى خطة بنى الأزرق من الرُّوم، وحضر الفتح منهم أربعمائة رجل؛ وخِطَّة بنى يَشْكُر بن جَزِيلَةَ من لَخْم، وإليهم ينسب جبل يَشْكُر الذى بُنِى عليه جامع أحمد بن طولون الآتى ذكره مع جوامع الفُسْطَاط إن شاء الله تعالى.

(ومنها) خِطَط حَضْرَمَوتَ، وهم بنو حَضْرَمَوتَ بن عمرو بن قَيْس بن معاوية ابن حِمْيَرَ؛ إلى غير ذلك من الخطط التى دَرَسَتْ قبل الاهتمام بالتأليف فى الخِطَط .

***

واعلم أنه كان فى خلال هذه الخِطَط دُور جماعة كثيرة من الصحابة رضوان الله عليهم ممن حضر الفتح .

(منها) دار عمرو بن العاص، ودار الزُّبَيْر بن العوام، ودار قَيْس بن سَعْد بن عُبَاد الأنصارى، ودار مَسْلَمَةَ بن مُخَلَّد الأنصارى، ودار عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوِىّ، ودار وَهْب بن عُمَير بن وَهْب بن خَلَف الجُمَحِى، ودار نافع بن عبد القيس بن لَقِيط الفِهْرى، ودار سَعْد بن أبى وَقَّاص ، ودار عُقْبَةَ بن عامر الجُهَنِىّ ، ودار القاسم

وعمرو ٱبنَىْ قيس بن عمرو، ودار عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح العامرىّ، ودار مسعود بن الأسود بن عبد شمس بن حَرَام البَلَوىّ، ودار المستَوْرِد بن شداد الفِهْرِىّ، ودار حُيَىّ بن حَرَام اللَّيثىّ، (وفى صحبته خلاف)، ودار الحارث بن مالك اللَّيثى المعروف بابن البَرْصاء، ودار بِشْر بن أَرْطَاة العامرىّ، ودار أبى ثعلبة الخُشَنِى، ودار إياس بن البُكَير الليثىّ، ودار مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلة القُرَشىّ العَدَوِىّ، ودار أبى الدَّرْدَاء الأنصارىّ، ودار يعقوب القِبْطِىّ رسول المُقَوْقِس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم مع مارِيةَ: أمّ ولده إبراهيم وأختها شِيرين، ودار مُهَاجِرٍ مولى أم سَلَمَةَ زوج النبىّ صلّى الله عليه وسلم، ودار عُلْبَةَ بن زيد الأنصارىّ، ودار محمد بن مَسْلَمَةَ الأنصارىّ، ودار أبى الأسود مَسْروح بن سندر الخصىّ[1]، ودار عبد الله بن عُمَر ابن الخَطَّاب، ودار خارجةَ بن حُذَافة بن غانم العَدَوِىّ، ودار عُقْبَةَ بن الحارث، ودار عبد الله بن حُذَافة السهمىّ، ودار مَحْمِية بن جَزْء الزُّبَيدىّ، ودار المُطَّلب بن أبى وَدَاعة السَّهمىّ، ودار هُبَيْب بن مَعْقِل الغِفارِىّ، وبه يعرف وادى هُبَيْب بالقرب من الإسكندرية، ودار عبد الله بن السائب المخزومىّ، ودار جَبْر القِبْطىّ رسول المُقَوْقِس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم، ودار يزيد بن زياد الأسْلمىّ، ودار عبد الله بن ريَّان الأسلمىّ، (وفى صحبته خلاف)، ودار أبى عميرة رشيد بن مالك المُزَنىّ، ودار سِبَاع بن عُرْفُطَةَ الغِفَارِىّ، ودار نضلة بن الحارث الغفارىّ، ودار الحارث بن أسد الخزاعىّ (وفى صحبته خلاف)، ودار عبد الله بن هشام بن زُهَرَة من ولد تَيم بن مُرَّة، ودار خارجة بن حُذَافَة بن غانم العدوىّ[2]، وهو أوّل من ٱبتنى غُرْفة بالفُسْطَاط، فكوتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أمرها فكتب إلى عمرو بن العاص: أن ٱدخُل غرفة خارجة وٱنصب فيها سريرا، وأقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير، فإن ٱطَّلع من كُوَاها فٱهدِمْها. ففعل عمرو فلم

(١) كذا فى المقريزى (ج ٢ ص ١٣٧) وهو مولى زنباع بن روح بن سلامة الجذامى، يكنى أبا الأسود، له صحبة، قدم مصر بعد الفتح بكتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالوصاة فأقطع منية الأصبغ ابن عبد العزيز. وفى الأصل: «مسروح بن سدر الحصنى».

(٢) تقدّم قريبا فهو مكرّر.

يبلغ الكوى فأقرها ، ودار محمد بن حاطب الجُمَحى ، ودار رِفَاعة الدَّوْسِىّ ، ودار فضالة بن عبيد الأنصارىّ ، ودار المطلب بن أبى وَدَاعة السهمىّ[1] . إلى غير ذلك من الدور التى أغفلت ذكرها أصحابُ الخِطَط .

قلت : وكان أمراء مصر القائمون مقام ملوكها الآن ينزلون بالفُسْطَاط ، ولم يكن لهم فى ٱبتداء الأمر مَقَرَّة معيَّنة ، ولا دارٌ للإمارة مخصوصة . فنزل عمرو بن العاص أوَّلُ أمرائها بداره على القرب من الجامع ، ولم يزل كلُّ أمير بعده ينزل بالدار التى يكون بها سكنه إلى آخر الدولة الأُمَوِيَّة ، وكان عبد العزيز بن مَرْوانَ ، وهو أمير مصر فى خلافة أخيه عبد الملك بن مَرْوَانَ قد بنى دارا عظيمة بالفُسْطَاط سنة سبع وستين من الهجرة وسماها دار الذهب ، وجعل لها قُبَّة مُذْهَبة إذا طلعت عليها الشمس لا يستطيع الناظر التأملَ فيها خوفا على بصره ، وكانت تعرف بالمدينة لسَعَتها وعِظَمِها ، وكان عبد العزيز ينزلها ، ثم نزلها بنوه بعده . فلما هرب مَرْوان بن محمد آخرُ خلفاء بنى أُمَيَّةَ إلى مصر ، نزل هذه الدار فلما رهِقَه القوم ، أمر بإحراقها ، فلامه فى ذلك بعض بنى عبد العزيز بن مَرْوَانَ فقال : إن أَبْقَ ، أَبْنِها لَبِنَةً من ذهب ولَبِنَةً من فِضَّة ، وإلا فما تصاب به فى نفسك أعظم ، ولا يتمتع بها عدوّك من بعدك .

فلما غلب بنو العبّاس على بنى أُمَيَّةَ وهرب مَرْوانُ بن محمد آخرُ خلفاء بنى أُمَيَّةَ إلى الديار المصرية ، وتبعه علىّ بن صالح بن علىّ الهاشمىّ إلى أن أدركه بمصر وقتله وٱستقر أميرا على مصر فى خلافة السَّفَّاح أوّلِ خلفاء بنى العباس ، ٱبتنى دارا للإمارة ونزلها ، وصارت منزلةً للأمراء بعده إلى أن وَلِى أحمد بن طولون الديار المصرية فنزل بها فى أوّل أمره ، ثم ٱختطَّ بعد ذلك قَصْره المعروف بالمَيْدَان فيما بين قلعة الجبل الآن والمَشْهد النَّفِيسىّ وما يلى ذلك فى سنة ست وخمسين ومائتين ،

(١) سبق ذكرها فإعادتها سهو .

وكان له عدّة أبواب : بعضها عند المشهد النفيسيّ ، و بعضها عند جامعه الآتى ذكره ، وآختطّ النـاس حوله ، وآقتطع كل أحد قطيعـة آبتنى بها ، فكان يقال : قطيعة هارون بن خُمَارويه ، وقطيعة السُّودَان ، وقطيعة الفَرَّاشـين ، فعرف ذلك المكان بالقطائع ، وتزايدت العمارة حتّى آتّصلت بالفُسْطَاطِ ، وصار الكل بلدا واحدا ، ونزل أحمد بن طولون بقصره المذكور ، وكذلك بَنُوه بعـده ، وأهملت دار الإمارة التى آبتناها علىّ بن صالح بالفُسْطَاط . وآستقرّ الأمر على ذلك بعده أيام آبنه خُمَارَوَيْهِ و ولديه جيش وهارون ؛ و زادت العمارة بالقطائع فى أيامهما ، وكثرت الناس فيها حتّى قتل هارون بن خُمارَوَيْهِ بعـد قتل أبيه وأخيه ، وسار محمد بن سليمان الكاتب بالعساكر من العراق من قِبَلِ المُسْتَكْفِى بالله ، ووصل إلى مصر فى سنة آثنتين وتسعين ومائتين ، وقد ولّى الطُّولُونيَّةُ عليهم رَبيعةَ بن أحمد بن طولون ، فتسلم البلَد منه وخرَّب القطائع وهدَم القصر وقلع أساسه ، وخرب موضعه حتّى لم يبقَ له أثر .

وكان بَدْرٌ الخفيفى غلام أحمـد بن طولون قد بنى دارا عظيمة بالفُسْطَاطِ عند المُصَلَّى القديمة ، وقيل آشـتراها له أحمد بن طُولُونَ ، ثم سخِط عليـه أحمد فنكبه ، وسكنها بعده طاهر بن خُمَارَوَيْهِ ، ثم سكنها بعده الحمامى غلام أحمد بن طولون . فلمـا هدم محمد بن سليمان الكاتبُ قصر بنى طولون بالقطائع ، سكن هـذه الدارَ ، ثم سكنها عيسى النُّوْشَرِىّ أميرُ مصر بعـده ، وآستقرّت منزلةً للأمراء إلى أن وَلِىَ الإخشيدُ مصر فزاد فيها وعَظَّمها ، وعمل لها ميْدَاناً وجعل له بابا من حديد ، وذلك فى سـنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ، ولم تزل منزلةً للأمراء إلى أن غلبت الخلفاءُ الفاطميون الإخشـيديةَ على مصر و بنى القائد جوهرٌ القاهرةَ والقصرَ ، فنقل باب هذه الدار إلى القاهرة ، وصار القصر منزلة لهم على ما سـيأتى ذكره فى الكلام على خطَط القاهرة إن شاء الله تعالى .

وصار الفُسْطَاطُ فى كل وقت تتزايد عمـارته حتّى صار فى غاية العمارة ونهـاية الحسن ؛ به الآدُرُ الأنيقة، والمساجد القائمة، والحمامات الباهية، والقَيَاسِرُ الزاهية، والمستنزهات الرائقة ، ورحل الناس إليه من سائر الأقطار ، وقصدوه من جميع الجهات؛ وغصّ بسُكَّانه، وضاق فَضَاؤه الرحيب عن قُطَّانه . حتّى حكى صاحب "إيقاظ المُتَغَفِّل"[1] عن بعض سُكَّان الفُسْطَاط أنه دخل حَمّاما من بنـاء الرُّوم فى أيام خُمَارَوَيْهِ بن طولون فى سنة سبع عشرة وثلثمائة فلم يجد فيها صانعا يخدُمه ، وكان فيهـا سبعون صانعا قلّ منهم من معـه ثلاثة نَفَرٍ يغسلهم ، وأنه دخل بعدها حمّاما ثم حمّاما فلم يجد من يخدمه إلا فى الحمّام الرابعة، وكان الذى خدمه معه ثان .

وحكى فى موضع آخر عمن يثق به عن أبيه أنه شاهـد من مسجد الوَكْرَة[2] بالفُسْطَاط إلى جامع آبن طولون قصبة سوق متصلة، فعدّ ما بها من مقاعد الحِمِّص المصلوق فكانت ثلثمائة وتسعين مقعدا غير الحوانيت وما بها .

وحكى أيضا عمن أخبره أنه عدّ الأسْطَال النُّحَاس المؤبدة فى البَكَرِ لآستقاء المـاء فى الطاقات المُطِلَّة على النيل، فكانت ستة عشر ألف سطل . قال : وبلغ أجرة مقعد يُكْرَى عند البيمارستان الطولونى بالفُسْطَاط فى كل يوم آثنى عشر درهما .

وذكر آبن حَوْقَلٍ أنه كان بالفُسْطَاط فى زمانه دار تعرف بدار آبن عبد العزيز بالموقف يُصَبّ لمن فيها من السكان فى كل يوم أربعمائة راوية ماء، وفيها خمسة مساجد، وحَمَّامَان وفُرْنان .

قلت : ولم يزل الفُسْطَاط زاهىَ البنيـان، باهى السُّكَّان ، إلى أن كانت دَوْلَةُ الفـاطميين بالديار المصرية ، وعمرت القـاهرة على ما سـيأتى ذكره فتقهقر حالُه وتناقص ، وأخذ النـاس فى الآنتقال عنه إلى القاهرة وما حولها ، فخلا من أكثر

(١) هذا الكتاب لتاج الدين محمد عبد الوهاب المعروف بابن المتوج الزبيرى المتوفى سنة ٧٣٠ ﻫ بين فيه أحوال مصر وخططها إلى سنة ٧٢٥ ﻫ (عن كشف الظنون) .

(٢) الذى فى الخطط للقريزى حين روى هذه الحكاية عن "إيقاظ المتغفل" أيضا : "مسجد عبد الله" فلعله يسمى بذلك أيضا . وفى آبن دقاق (ج ٥ ص ٤٢) : « مسجد الوكرة » .

سُكّانه، وتتابع الخراب فى بنيانه، إلى أن غلب الفرنج على أطراف الديار المصرية فى أيام العاضد، آخر خلفاء الفاطميين، ووزيرهُ يومئذ شاور السعدى، فخاف على الفُسْطَاطِ أن يملكه الفرنج ويتحصنوا به، فأضرم فى مساكنه النار فأحرقها فتزايد الخراب فيه وكثر الخلو .

٥ ولم يزل الأمر على ذلك فى تقهقر أمره إلى أن كانت دولة الظاهر بيبَرْس، أحد ملوك التُّرك بالديار المصرية، فصرف الناسُ همتهم إلى هدم ما خلا من أخطاطه والبناء بنِقْضه بساحل النيل بالفُسْطَاط والقاهرة، وتزايد الهدم فيه وآستمرّ إلى الآن، حتّى لم يبق من عمارته إلا ما بساحل النيل، وما جاوره إلى ما يلى الجامع العتيق وما دانى ذلك، ودثرت أكثر الخِطَط القديمة وعفا رسمها، وآضمحلّ ما بقى منها وتغيرت معالمه .

١٠ (وإذا نظرت إلى خطط الكندى والقضاعى والشريف النَّسّابة، عرفت ما كان الفُسْطَاط عليه من العمارة وما صار إليه الآن) وإنما أجرينا ذكر بعض الخطط المتقدّمة، حفظا لأسمائها وتنبيها على ما كانت عليه . إلا أن فى ساحله المُطِلّ على النيل الآن وما جاور ذلك المبانى الحسنة، والدور العظيمة، والقصور العالية، التى تبهج الناظر، وتسرّ الخاطر .

١٥ وكان أكثر بنيانه بالآجُرّ المحكوك والجبس والجير من أوثق بناء وأمكنه، وآثاره الباقية تشهد له بذلك، وقد صار ما خرب منه ودَثَر كيانا كالجبال العظيمة، وهجر غالبها وترك، وسكن فى بعضها رَعَاعُ الناس ممن لا يعبأ به فى جوانب منها لا تعدّ فى العامر .

ومن كيانه المشهورة التى ذكرها القضاعى : كَوم الجارح، وكوم دينار، وكوم ٢٠ السمكة، وكوم الزينة، وكوم الترمس؛ وزاد صاحب "إيقاظ المتغفل" كوم بنى وائل، وكوم آبن غراب، وكوم الشقاف، وكوم المشانيق .

ويقابل الفُسْطاط من الجهة البحرية جزيرةُ الصِّناعة المعروفة الآن بالرَّوْضَة ،
كانت صناعة العمائر أوّلا بها فنسبت إليها .

قال الكندى : وكان بناؤها فى سنة أربع وخمسين ثم غلب عليها آسم الروضة
لحسنها ونَضَارتها و إطافة المـاء بها ، وما بهـا من البساتين والقُصُور ؛ وهى جزيرة
قديمة كانت موجودة فى زمن الروم . وكان بهـا حصن عليه سـور وأبراج ؛ و بين ٥
الفُسْطَاط و بينها جسر ممتدّ من المراكب على وجه النيل كما فى جسر بغداد على الدجلة
ولم يزل قائما إلى أن قدم المأمون مصر فأحدث عليه جسرا من خشب تمر عليه المـارّة
وترجع ، و بعد خروج المأمون من مصر هبّت ريح عاصفة فى الليل فقطعت الجسر القديم ،
وصدمت بسفنه الجسر المحدَث فذهبا جميعا ، ثم أعيد الجسر المحدَث و بطل القديم .

وقد ذكر القضاعى : أنه كان موجودا إلى زمنه ، وكان فى الدولة الفاطمية ، ١٠
ثم جدّد الحصن المذكور أحمد بن طولون أمير مصر فى خلافة المعتمد فى سنة
ثلاث ومائتين ؛ ثم آستهدم بعد ذلك بتأثير النيل فى أبراجه ومرور الزمان عليه ؛
ثم بنى الصالح نجم الدين أيوب قلعةً مكانه فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وبقيت
حتّى هدمها المعز أيبك التركمانى أوّل ملوك الترك ، وعمر من نقضها مدرسته المُعِزِّية
برحبة الخروب ، وآتخذ الناس مكانها أملاكا ، وهى على ذلك إلى زماننا ، ولم يبق ١٥
بها إلا بعض أبراج آتخذها النـاس أملاكا وعمروا عليها بيوتا . فلما ملك الظاهر
بيبرس ، هَمّ بإعادتها فلم يتفق له ذلك وبقيت على حالها .

قلت : وكانت أُرْفة[1] النيـل التى بين جزيرة الصناعة و بين الفُسْطَاط هى أقوى
الفرقتين والتى بين الجزيرة والجيزة هى الضعيفة ، ثم آنعكس الأمر إلى أن صار ما بين
الجزيرة والفسطاط يجف ولا يعلوه المـاء إلا فى زيادة النيل ، ويبدو بين آخر ٢٠

(١) فى الأصل «أزفة» وهو تصحيف . والأرفة بالراء المهملة : الحد والمسناة ، والمراد بها هنا الفرقة .

الفُسْطاط . وهذه الجزيرة على فُوَّهة خليج القاهرة . [ويوجد فى أوّل الخليج][1] حيث السدّ الذى يفتح عند وفاء النيل مكان كالجزيرة، يعرف بمُنْشَأة المَهْرانى كان كوما يحرق فيه الآجُرّ يعرف بالكوم الأحمر، عدّه القضاعى فى جملة كيان الفُسْطَاط.

قال صاحب "إيقاظ المتغفل" : وأوّل من ٱبتدأ فيــه العمارة بلَبَان المهرانى ٥ فى الدولة الظاهرية بيبرس فنسبت المنشأة إليه .

ويلى الفُسْطَاطَ من غربيّه بركة تعرف ببركة الحَبَش[2] ، وهى أرض مزدرعة . قال القضــاعى : كانت تعرف ببركة المَعَافر وحِمْيَر، وكان فى شرقيّها جنّات تعرف بالحبش فنسبت إليها . وذكر ٱبن يونس فى تاريخه : أن تلك الجنات تعرف بقَتَادَة ابن قيس بن حبشى الصدفى، وهو ممن شهد فتح مصر .

١٠ قلت : وهى الآن موقوفــة على الأشراف من ولد على بن أبى طالب كرم الله وجهه من فاطمة بنت رســول الله صلّى الله عليه وسلم، وقفها عليهم الصالح طلائع ابن رزيك وزير الفائز والعاضد من الخلفاء الفاطميين .

ويليه من قبليّه حيث القرافة المكانُ المعروف بالخنــدق، كان قد ٱحتفره عبد الرحمن بن عُيَيْنَة خندقا فى سنة خمس وستين من الهجرة عنــد مسير مَرْوان بن ١٥ الحكم إلى مصر، فعرف بذلك .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) لما زار ياقوت الحموى مصر فى سنة ٦١٠ هـ رأى بركة الحبش وقال عنها : « إنها ليست بركة بالتعريف المقصود وإنما هى علم لأرض زراعية تروى بماء النيل عند فيضانه السنوى فشبهت بالبركة أثناء غمرها بماء النيل ... وقال : وهى من أجل متنزهات مصر » .

وهذه البركة موقعها اليوم منطقة الأراضى الزراعية التابعة لزمام قرية دير الطين، وجزء عظيم من الأراضى ٢٠ الزراعية التابعة لزمام قرية البساتين . وتحدّ هــذه المنطقة من الغرب بجسر النيل الموصل بين مصر القديمة ودير الطين . ومن الجنوب باقى أراضى ناحية البساتين . ومن الشرق سكن قرية البساتين والجبل الشرقى . ومن الشمال صحراء جبانة مصر وجبل الرصد الذى يعرف اليوم بجبل اصطبل عنتر ثم حدود أراضى ناحية أثر النبى .

*
* *

وأما جوامعه فستة :

الأوّل

الجامع العتيق المعروف بجامع عمرو

وذلك أن عمرا لما بنى داره الصغرى مكان فُسْطَاطِه على ما تقدّم ذكره، ٥
آختط الجامع المذكور فى خطّة أهل الراية المتقدّمة الذكر .

قال القضاعىّ : وكان جنانا فيما ذكر الليث بن سعد . قال : وكان الذى حاز موضعَه قَيْسَبَةَ بن كُلْثومٍ التُّجِيبىّ أحد بنى سُوم، فنزله فى حصار الحصن المعروف بقصر الشَّمَع ، فلما رجع عمرو من الإسكندرية ، سأل قَيْسَبَةَ فيه ليجعله مسجدا فسلمه إليه، وقال : تصدّقتُ به على المسلمين، وآختط له خِطّة مع قومه فى بنى ١٠
سومٍ فى تُجِيب ؛ فبُنِى فى سنة إحدى وعشرين، وكان طوله خمسين ذراعا فى عرض ثلاثين ذراعا ؛ ويقال : إنه وَقَف على قبلته ثمانون رجلا من الصحابة رضوان الله عليهم : منهم الزُّبَيْر بن العَوّام ، والمِقْدادُ بن الأَسْوَد ، وعُبَادَةُ بن الصّامِت، وأبو الدَّرْدَاء، وأبو ذَرٍّ الغِفَارِىّ ، وأبو بَصْرَةَ الغِفَارىّ وغيرهم ؛ ولم يكن له يومئذ محراب مُجَوَّف بل عمد قائمة بصدر الجدار، وكان له بابان يقابلان دار عمرو ١٥
آبن العاص، وبابان فى بَحْرِيّه، وبابان فى غَرْبِيّه، وطوله من قِبْلِيِّه إلى بحريّه مثل طول دار عمرو ، وبينه وبين دار عمرو سبعة أذرع . ولما فرغ من بنائه ، آتخذ عمرو بن العاص له مِنْبَرًا يخطب عليه، فكتب إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزم عليه فى كسره، ويقول : أما يَكْفيك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك ؟ فكسره . ويقال : إنه أعاده إليه بعد وفاة أمير المؤمنين ٢٠
عمر رضى الله عنه .

وقيل إن زكريا بن مرقيا[1] ملك النُّوبة أهدى لعبد الله بن أبى سَرْحٍ العامرىّ فى إمارته على مصر منبرا فجعله فى الجامع ؛ ثم زاد فيه مسلَمة بن مُخَلَّدٍ الأنصارىّ فى سنة ثلاث وخمسين من الهجرة، وهو يومئذ أمير مصر من قِبَل معاويةَ بن أبى سُفْيان زيادةً من بَحْرِيِّه، وزَخْرَفه، وهو أوّل من صلَّى على الموتى داخل الجامع، وتوالت فيه الزيادات والتجديدات إلى زماننا . وأوّل من رتب فيه قراءة المصحف عبدُ العزيز بن مَرْوَانَ فى إمارته فى سنة ست وسبعين، و رفع عبد الله بن عبد المَلك سقفه فى سنة تسع وثمانين بعد أن كان مطأطأ ؛ ثم جعل فيه المحرابَ المجوّفَ قُرَّةُ ٱبن شَرِيك العبسىّ ٱتّباعا لعمر بن عبد العزيز فى محراب مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلم فى المدينة، وأحدث فيه المقصورة تبعا لمعاوية حيث فعل ذلك بالشأم .

وفى سنة ٱثنتين وثلاثين ومائة أمر موسى بن نُصير[2] اللخمىّ وهو أمير مصر بٱتخاذ المنابر فى جميع جوامع قُرى مصر . وأوّل من نصب اللوحَ الأخضر فيه عبدُ الله بن طاهر، وهو أمير مصر فى سنة ٱثنتى عشرة ومائتين؛ ثم ٱحترق الرّواق الذى فيه اللوح الأخضر فى ولاية خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون، فعمره خُمَارَوَيْه فى سنة خمس وسبعين ومائتين . ثم جدّد اللوحَ "الظاهرُ بيبرس" فى سنة ست وستين وستمائة . ثم جدّد اللوحَ الأخضر بُرْهَانُ الدين المَحَلِّى التاجر فى سلطنة "الظاهر برقوق" فى أواخرها .

وقد وصف صاحب " إيقاظ المتغفل" الجامع على ما كان فى زمانه فى حدود ثلاث عشرة وسبعمائة فقال : إن ذَرْعه ثمانية وعشرون ألفا بذراع العمل ، مقدّمه ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة ذراع وخمسون ذراعا ، ومؤخّره ثمانية آلاف ذراع وتسعمائة وخمسون ذراعا ، وصحنه خمسة آلاف ذراع، جانبه الشرقىّ ألفا ذراع وخمسمائة ذراع وخمسون ذراعا، وجانبه الغربىّ كذلك، وأبوابه ثلاثة عشر بابا لكل

(١) فى ٱبن دقاق المخطوط "ٱبن مرقى" .

(٢) كذا فى النجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٣٥) وفى الأصل : « نصر » . وهو خطأ .

باب منها ٱسم يخصه، فى جانبه القبلى باب واحد؛ وبه أربعة وعشرون رواقا، سبعة فى مقدّمه، وسبعة فى مؤخّره، وخمسة فى شرقيّه، وخمسة فى غربيّه ؛ وفيه ثلثمائة عمود وثمانية وستون عمودا، بعضها منفرد وبعضها مضاف مع غيره؛ وبصدره ثلاثة محاريب : المحراب الكبير المجاور لِلمنبَر، والمحراب الأوسط، ومحراب الخمس؛ وفيه خمس صوامع : إحداها فى ركنه القبلىّ مما يلى الغربى، وهى الغرفة؛ والثانية فى ركنه القبلى مما يلى الشرقىّ، وهى المنارة الكبرى، والثالثة فى ركنه البحرىّ مما يلى الشرقى ، وتعرف بالجديدة ؛ والرابعة فيما بين هذه المنارة والمنارة الآتى ذكرها ، وتعرف بالسعيدة؛ والخامسة فى الركن البحرىّ مما يلى الغربى مقابل باب السطح، وتعرف بالمستجدّة .

وهو على هذه الصفة إلى الآن لكنه قد ٱستهدم رواق اللوح الأخضر والرواقات التى داخله ، فأمر السلطان الملكُ الظاهرُ ببنيانها ، فعلقت جُدُرُه على الخشب، فٱخترمته المنية قبل الشروع فى البناء، وأخذ القاضى برهان الدين المَحَلّى تاجر الخاص فى عمارة ذلك، فهدم رواق اللوح الأخضر وما داخله ، وجدّد اللوح الذى كان قد نصبه الظاهر بيبرس، وعمر الرواقات المستهدمة أنفَس عمارة وأحسنها .

قلت : ومما يجب التنبيه عليه أنه قد تقدّم أنه وقف على إقامة محراب هذا الجامع ثمانون رجلا من الصحابة ، وحينئذ فيلحق بمحاريب البصرة والكوفة على الوجه الصائر إليه بعض أصحابنا الشافعية فى أنه لا يجتهد فى التيامن والتياسر فى محاريبهما كما نبه عليه الشيخُ تقىّ الدين السبكى فى شرح منهاج النووىّ فى الفقه، لكن قد ذكر القضاعى فى خِطَطه عن الليث بن سعد وٱبن لَهِيعَة أنهما كانا يتيامنان فى صلاتهما فيه ، وأن محرابه كان مشرقا جدّا، وأن قُرَّة بن شريك حين هدمه وبناه، تيامن به قليلا .

وقـد حكى الشيخ تقيّ الدين السبكى فى شرح المنهـاج أيضا عن بعض علماء الميقات : أنه أخبره أن فيه الآن آنحرافا قليلا . قال : ولعله من تغيير البناء، وقد سألت بعض علماء هذا الشأن من ذلك، فأخبرنى عن الشيخ تقيّ الدين أبى الطاهر رأس علمـاء الميقات فى زمانـا أنه كان يقول : من الدلالة على صحـة عملنا فى آستخراج القبلة موافقته لمحراب الجامع العتيق .

الثـانى
الجـامع الطُّولونى

بناه أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين على الجبل المعروف بجبل يَشْكُر. قال القضاعى : وينسب إلى يَشْكُرَ بن جزيلة من لخم، كان خطّة لهم .

قال آبن عبد الظاهر : وهو جبل مبارك معروف بإجابة الدعاء فيه .

قال : ويقال : إن الله تعالى كلم موسى عليه السلام عليه . ويقال : إن آبن طولون أنفق على هـذا الجامع مائة ألف دينـار وعشرين ألفـا من كَنْزٍ وجده . ويقال : إنه لمـا فرغ من بنائه أمر بتسمع ما يقوله الناس فيه من العيوب، فسمع رجل يقول : محرابه صغير، وآخر يقول : ليس فيـه عمود، وآخر يقول : ليس فيه ميضأة، فقال : أما المحراب، فإنى رأيت النبيّ صلى الله عليه وسلم، وقد خطه لى، فأصبحت فرأيت النَّمْلَ قد أطافت بالمكان الذى خطه لى. وأما العُمُدُ، فإنى بنيتـه من مال حلال، وهو الكنز الذى وجدته فمـا كنت لأشوبه بغيره، والعمد لا تكون إلا من مسجد أو كنيسة فنزهته عن ذلك. وأما الميضأة، فأردت تطهيره من النجاسات، وها أنا أبنيها خلفه، ثم أمر ببنائها على القرب .

ويحكى أنه كان لا يعبث بشيء قط، وأنه أخذ يوما دَرْج ورق أبيض وأخرجه ومده كالحَلَزُون ، ثم آستيقظ لنفسه وظن أنه فُطِنَ له ، فأمر بعمارة المنارة على تلك الهيئة ؛ وعلى نظير العشـارى الذى على رأسها عُمِل العشارى الذى على رأس قبـة

الإمام الشافعى رضى الله عنــه . ولمـا فرغ من بناء الجامع رأى فى منامه كأن نارا نزلت من السماء فأحرقت الجامع دون ما حوله فقصّ[1] رؤياه على عابر فقال له : بُشْرَاكَ قبوله ، فإن الأمم الخالية كانوا إذا قرّبوا قربانا فتُقُبِّلَ، نزلت نار من السماء فأكلته ، كما فى قصــة هَابِيلَ وقَابِيلَ ؛ ورأى مرةً أخرى كأن الحق سبحانه وتعالى تجلّى على ما حول الجامع فَعَبَرَه له عابر بأنه يخرب ما حول الجامع ويبقى هو ، بدليل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَـلِ جَعَـلَهُ دَكًّا ﴾ وكان الأمر كذلك، فهدمت منازل بنى طولون فى نَكْبَتِهم ولم يبق منها إلا الجامع .

الثــالث

جامع راشـــدة

بناه الحـاكم بأمر الله الفاطمىّ جنوبىّ الفُسْطَاط، على القرب من الرصد، وأدخله فى وقفه مع الجامع الأزهر وجامع المَقْس .

قال فى "إيقاظ المتغفل" : ليس هو بجامع راشدة حقيقة، وإنما جامع راشدة كان بالقرب منه، وهو جامع قديم بنته قبيلة يقال لها راشدة عند الفتح الإسلامى، فلما بنى الحاكم هذا سمى بآسمه . قال : وقد أدركت بعضه ومحرابه، وكان فيه شجر كثير من شجر المُقْل .

الرابــع

جامع الرصـــد

بناه الأمير عز الدين أَيْبَك الأفرم أمير جاندار الصالحىّ النجمىّ فى شهور سنة ثلاث وستين وستمائة، عَمَر منظرته المعروفة به هناك، وعَمَر رباطا بجانبــه قرّر فيه عددا تنعقد به الجمعة مقيمين فيه ليلا ونهارا .

(١) كذا فى المقريزى . وفى الأصل : « فعبر » .

الخــامس

جامع الشعيبية بظاهر مصر أيضا

بناه الأمير عز الدين الأفرم المذكور فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وسكنه الشيخ شمس الدين بن اللبان الفقيه الشافعىّ الصوفىّ فعرف به الان .

الســادس

الجـامع الجــديد

بناه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالقرب من مَوْرَدة الحَلْفاء[1] ، وبدأ بعمارته فى التاسع من المحرّم فى ســنة إحدى عشر وسبعمائة ، وآنتهت عمارته فى ثامن صفر سنة آثنتى عشرة وسبعمائة ، وخطب به قاضى القضاة بدرُ الدين بن جماعة الشافعى ، وصلّى فيه الجمعة فى التاسع من الشهر المذكور ، ورتب فيه صوفية يحضُرُونه بعد العصر كما فى الخوانق ، وهو من أحسن الجوامع وأنزهها بقعة خصوصا فى أيام زيادة النيل .

***

وأما مساجد الخُمْس — فكانت على العدد الذى لا يحصى لكثرتها ، وخطط القضاعى شاهدة بذلك .

وقــد رأيت فى بعض التواريخ أن الفَنَاء وقع فى أيام كافور الإخشيدى حتى لم يجدوا من يقبل الزكاة ، فأتوا بهــا إلى كافور فلم يقبلها ، وقال : آبنوا بها المساجد وآتخذوا لها الأوقاف ، فكان ذلك سبب زيادة الكثرة فيها ، ولكنها الآن قد خربت بخراب الفُسْطَاط ودَثَرت ولم يبق إلا آثار القليل منها .

***

وأما المدارس — فكان المتقدّمون يجلسون للعلم بالجامع العتيق ، وأوّل من أحدث المدارس بالفُسْطَاط بنو أيوب ، فعَمَر السلطان صلاح الدين رحمه الله مدرستين .

(١) فى الأصل : «موردة الخلفاء» وهو تحريف .

إحداهما — مدرسة المالكية، المعروفة بالقَمْحية فى المحرم سنة ست وستين وخمسمائة، وسميت بالقمحية لأن معلومها يصرف للمدرسين والطلبة قمحا .

قال العماد الكاتب : وكانت قبل ذلك سوقا يباع فيه الغزل .

والثانية — المدرسة المعروفة بابن زين التجار، وكانت سجنا يُسْجَن فيه فبناها السلطان صلاح الدين مدرسة ووقفها على الشافعية، ووقف عليها الصاغة المجاورة لها ٥
ثم عَمَر الملك المظفر تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بالمكان المعروف بمنازل العز بالقرب من باب القنطرة قبلى الفُسْطَاط مدرسةً ووقف عليها أوقافا من جملتها جزيرة الصِّناعة المعروفة بالرَّوْضَة .

ثم بنى السلطان الملك المعزّ أيبك التُّرُكُمَانى أوّل ملوك الترك مدرسته المعزية برحبة الحُّروب فى شهور سنة أربع وخمسين وستمائة . ١٠

وعَمَر الصاحب شرف الدين بن الفائزى مدرسته الفائزية قبل وزارته فى شهور سنة سبع وثلاثين وستمائة .

وعمر الصاحب بهاء الدين بن حِنَّا المدرسة الصاحبية بزقاق القناديل بعد ذلك .

*
* *

وأما الخوانق والرُّبُطُ — فلم تعهد بالفُسْطَاط، غير أن الصاحب بهاء الدين بن حِنَّا عَمَر رباطا لآثار الشريفة النبوية بظاهر قبلىّ الفسطاط واشترى الآثار الشريفة وهى مِيلٌ من نُحَاس، ومِلْقَطٌ من حديد، وقطعة من العَنَزَة، وقطعة من القَصْعة بجملة مال وأثبتها بالاستفاضة وجعلها بهذا الرباط للزيارة . ١٥

*
* *

وأما البيمارستان — فأوّل من أنشأه بالفُسْطَاط أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومائتين وأنفق عليه ستين ألف دينار . ٢٠

قال القضاعىّ : ولم يكن قبله بيمارستان بمصر، وشرط ألّا يعالج فيه جُنْدِىٌّ ولا مملوك .

القـاعدة الثانيـــة

القـاهرة

(بألف ولام لازمين فى أوّلها وقاف مفتوحة بعدها ألف ثم هاء مكسورة وراء مهملة مفتوحة ثم هاء فى الآخر) و يقال فيها القاهرة المُعِزِّيَّةُ نسبة إلى المُعِزّ الفاطمىّ الذى بنيت له ، وربما قيل المعزية القاهرة ، سميت بذلك تفاؤلا ، وهى المـدينة العظمى التى ليس لها نظير فى الآفاق، ولا يسمع بمثلها فى مصر من الأمصار .

بناها القائد جوهر المعزىّ لمولاه المعزّ لدين الله أبى تميم مَعَـدِّ بن المنصور أبى الطاهر إسمـاعيل بن القائم أبى القـاسم محمد بن المهدىّ بالله أبى محمـد عبيد الله الفاطمىّ فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، عند وصوله إلى الديار المصرية من المغرب، وآستيلائه عليها، وموقعها شمالى الفُسْطاط المتقدّم ذكره على القرب منه .

قال فى " الروض المعطار " : و بينهما ثلاثة أميال . وكأنه يريد ما كان عليـه الحال فى آبتداء عمارة القاهرة وهو ما بين سور الفُسْطَاطِ وسور القاهرة .

أما الآن فقد آنتشرت الأبنية وآتصلت العمارة حتّى كادت المـدينتان تتصلان أو آتصلتا .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الله الظاهر فى خِطَط القاهرة : والذى آستقرّ عليه الحال أن حدّ القاهرة من السبع سقايات إلى مشهد السيدة رُقَيّة عرضا، وكان قبل ذلك من المجنونة .

قال آبن سعيد: وكان مكانها قبل العمارة بستانا لبنى طولون على القرب من منازلهم المعروفة بالقطائع . وكيفما كان، فطولها وعرضها فى معنى طول الفُسْطَاطِ وعرضه أو أكثر عرضا بقليل، وكان آبتداء عمارتها أَنَّ أمر إفرِيقِيَّةَ وغيرها من بلاد المغرب كان قد أفضى إلى المُعِزّ المذكور، وقوىَ طمعه فى مصر بعد موت كافور الإخشيدى

وهى يومئذ والشأم والحجاز بيد أحمد بن على بن الإخشيد أستاذ كافور وهو صبىّ لم يبلغ الحلم، والمتكلم فى المملكة أهل دولته، والحسين بن عبد الله فى الشأم كالنائب أو الشريك له، يدعى له بعده على المنابر.

وكانت مصر قد ضَعُف عسكرها لما دَهَمها من الغلاء والوباء، فجهز المُعزّ قائده جوهرا المتقدّم ذكره، فبرز جوهر إلى مدينة رَقّادة من بلاد إفريقيّةَ فى أكثر من مائة ألف وما يزيد على ألف صندوق من المال، وخرج المُعزّ لتشييعه، فقال للشايخ الذين معه: "والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، وليدخُلَنّها بالأردية من غير حرب، ولينزلن فى خرابات آبن طُولون، ويبنى مدينة تسمّى القاهرة تَقْهَر الدنيا" وكان للعز غلام بِبَرْقة آسمه أفلح، فكتب إليه المُعزّ أن يترجّل لجوهر إذا عَبَر عليه ويقبل يديه، فبذل مائة ألف دينار على أن يُعْفى من ذلك، فأبى المُعزّ إلا ذلك، فترجّل من مكانه وقبّل يديه؛ وسار جوهر حتّى دخل مصر وتسلمها لسبع عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة، ونزل فى مُنَاخه من سفره موضع القاهرة الآن ليلا، وآختط القصر وأخذ فى بنائه وعمارة القاهرة، وآختط الناس حوله.

* * *

فأما القصر — فإنه آختطه فى الليلة التى أناخ فيها قبل أن يُصْبِح، فلما أصبح رأى فيه آزورارات غير معتدلة فلم يعجبه، ثم قال: قد حفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة، فتركه على حاله وتمادى فى بنيانه حتّى أكمله.

ومكانه الآن المدرسة الصالحية بين القصرين إلى رحبة الأَيْدُمُرِىّ طولا؛ ومن السبع خُوخ إلى رحبة باب العيد عَرْضا، والحدّ الجامع لذلك أن تجعل باب المدرسة الصالحية على يسارك وتمضىَ إلى السبع خُوَخ، ثم إلى مشهد الحسين، ثم إلى رحبة الأيدمرى، ثم إلى الركن المخلّق، ثم إلى بين القصرين حتّى تأتى إلى باب المدرسة

الصـالحية من حيث ابتدأتَ ؛ فما كان على يسارك فى جميع دَوْرتك فهو موضع القصـــر .

وكان له تسعة أبواب بعضها أصليٌّ وبعضها مستحدَث :

أحدها — باب الذهب، ويقال إنه كان مكانَ المدرسة الظاهرية الآن .

٥ الثـانى — باب البحر، ويقـال إن مكانه باب قصر بشتاك(١) . قال ٱبن عبد الظاهر وهو من بناء الحاكم .

الثالث — باب الزُّهومة، ومكانه قاعة شيخ الحنابلة بالمدرسة الصالحية، وكانت الصاغة مَطْبخا للقصر، وكانوا يدخلون بالطعام إلى القصر من ذلك الباب فسمى باب الزهومة لذلك، والزُّهومة : الذَّفَر .

١٠ الرابع — باب التربة ؛ ويقـال إن مكانه بين باب الزُّهومة المتقـدّم الذكر ومشهد الحسين .

الخامس — باب الدَّيْلَم، وهو باب مشهد الحسين .

السادس — باب قَصْر الشوك، ومكانه بالموضع المعروف بقصر الشوك على القرب من رحبة الأيدمرىّ .

١٥ السابع — باب العيد، وهو باب البيمارستان العتيق، سمى بذلك لأن الخليفة كان يخرج منه لصلاة العيد، وإليه تنسب رحبة باب العيد .

الثـامن — باب الزُّمُرّد، وهو إلى جانب باب العيد المتقدّم ذكره .

التـاسع — باب الريح، وقد ذكر ٱبن الطُّوَيْر أنه كان فى ركن القصر الذى يقابل سور دار سعيد السعداء التى هى الخانقاه الآن .

٢٠ ثم ٱستجد المأمون بن البطائحى وزير الآمر تحت القوس الذى بين باب الذهب وباب البحر ثلاث مناظر، وسمى إحداها الزاهرة، والثانية الفاخرة، والثالثة الناضرة.

---

(١) كذا فى المقريزى وما سيذكره المؤلف قريبا (ص ٣٤٨) . وذكر المقريزى أنه قبالة المدرسة الكاملية . وموضعه اليوم مدخل حارة بيت القاضى تجاه جامع الملك الكامل بشارع بين القصرين . وفى الأصل : «بشبك» .

وكان "الآمر" يجلس فيها لعرض العساكر فى عيد الغَدير، والوزير واقفٌ فى قوس باب الذهب، وكان مكان السيوفيين الآن سلسلةٌ ممتدّة إلى ما يقابلها تعلق فى كل يوم من وقت الظهر حتّى لا يجوز تحت القصر راكب ؛ ولذلك يعرف هذا المكان بدرب السلسلة .

ومما هو داخل فى حدود القصر "مشهد الحُسَيْن" . ٥

وسبب بنائه أن رأس الإمام الحسين عليه السلام كانت بعَسْقَلان، فخشِيَ الصالح طلائعُ بن رُزِّيك عليها من الفرنج فبنى جامعه خارج باب زُويلةَ، وقصد نقل الرأس إليه فغلبه الفائز على ذلك، وأمر بآبتناء هذا المشهد، ونقل الرأس إليه فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

ومن غريب ما آتفق من بركة هذه[1] الرأس الشريفة ما حكاه القاضى محيي الدين ١٠ آبن عبد الظاهر : أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حين آستولى على هذا القصر بعد موت العاضد، آخر خلفاء الفاطميين بمصر، قبض على خادم من خُدّام القصر وحلق رأسه وشدّ عليها طاسا داخله خنافس فلم يتأثر بها ، فسأله السلطان صلاح الدين عن ذلك وما السر فيه، فأخبر أنه حين أحضرت الرأس الشريفة إلى المشهد حملها على رأسه، فخلّى عنه السلطان وأحسن إليه . ١٥

وكان بجوار القصر قصر صغير يعرف بالقصر النافعى من جهه السبع خُوَخ فيه عجائز الفاطميين .

قلت : ولم يزل هذا القصر منزلة الخلفاء الفاطميين من لدن المُعِزّ أول خلفائهم بمصر وإلى آخر أيام العاضد آخر خلفائهم، وكانت الوزراء ينزلون بدار الوزارة التى آبتناها أمير الجيوش بدر الجمالى داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية بيبرس ٢٠

(١) أنث الرأس مجاراة للغة العامة واللغة العربية تذكيره .

الآن . فلما وَلِىَ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة عن العاضد بعد عمه أســد الدين شيركوه ، نزل بدار الوزارة المذكورة ، وبقى بها حتّى مات العاضد فتحوّل إلى القصر وسكنه ؛ ثم سكنه بعده أخوه العادل أبو بكر. فلما ملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر آنتقل منه إلى قلعة الجبل على ما سيأتى ذكره فى الكلام على القلعة إن شاء الله تعالى . وصارت دار الوزارة المتقدّمة الذكر منزلا للرسل الواردين من الممـالك إلى أن عَمّــر مكانها السلطانُ الملك المظفر بيبرس الجاشــنكير الخانقاه المعروفة به ، وخلا القصر من حينئذ من ساكنيه ، وأهمل أمره نخرب .

قال القــاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : قال لى بوّاب لباب الزُّهومة آسمه مرهف فى ســنة ثلاثين وستمائة : كان لى على هذا الباب المدّة الطويلة ما رأيته دخل فيه حَطَب ولا رمى منه تراب . قال : وهذا أحد أسباب خرابه لوقود أخشابه وتكويم ترابه ؛ ثم أخذ الناس بعد ذلك فى تملكه وآستحكاره ، وعمرت فيه المدارس والأَدُرُ . فبنى السلطان الملك الصالح "نجم الدين أيوب" فيه مدرســته الصالحية ، ثم بنى "الظاهر بيبرس" فيــه مدرسته الظاهرية ، وبنى فيــه بشتاك أحد أمراء الدولة الناصرية محمــد بن قلاوون فيــه قصره المعروف به ، وجعلت دار الضرب فى وسطه ، ولم يبق من آثاره إلا البيمارستان العتيق ، فإنه كان قاعة بناها العزيز بالله آبن المُعِزّ الفاطمى على ما سيأتى ذكره .

وكذلك القبة التى على رأس السالك من هذا البيمارستان إلى رحبة باب العيد ، وبعض جُدُرٍ لا يعتدّ بها قد دخلت فى جملة الأملاك .

*
* *

وأما (أبواب القاهرة وأسوارها) — فإن القائد جوهرا حين آختطها جعل لها أربعة أبواب : بابين متقاربين ، وبابين متباعدين . فالمتقاربان (باب زُوَيلَةَ) نسبة إلى

زُوَيْلَة : قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر من المغرب ، ولذلك يقع فى عبارة الموثّقين وغيرهم بابا زُوَيلة ؛ وأحد هذين البابين القَوْسُ الموجود الآن المجاور للسجد المعروف بسام بن نوح عليه السلام . والثانى كان موضع الحوانيت التى يباع فيها الجبن على يَسْرة القوس المتقدّم ذكره يدخل منـه إلى المحمودية . وكان سبب إبطاله وسدّه أن المُعِزّ الذى بنيت له القـاهرة لمـا دخلها عند وصـوله من المغرب، دخل من القوس الموجود الآن هناك فازدحم الناس فيه وتجنبوا الدخول من الباب الآخر ، وآشتهر بين الناس أن مَنْ دخل منه لم تقض له حاجة ، فرفض وسُدّ ، وجعل زقاق جنوبيّه يتوصل منه إلى المحمودية ، وزقاق شماليّه يتوصل منه إلى الأنماطيين وما يليها .

والبابان المتباعدان هما القوس الذى داخل باب الفتوح خارج حارة بهاء الدين وقوس آخر كان على حياله داخل باب النصر بالقرب من وكالة قيسون الآن ، فهدم ثم آبتنى أمير الجيوش بدر الجمالى المتقدّم ذكره فى سـنة ثمانين وأربعمائة سورا من لَبِنٍ دائرا على القاهرة ، وبعضه باق إلى زماننا بخط سوق الغنم داخل الباب المحروق ؛ ثم آبتنى الأفضـل بن أمـير الجيوش باب زُوَيْلَةَ ، وباب النصر ، وباب الفتوح الموجودين الآن فيما ذكره القاضى محـيى الدين بن عبد الظاهر فى خططه ، إلا أنه ذكر فى مواضع أخر منهـا أن باب زويلة بناه العزيز بالله وأكمله بدر الجمالى ، وهو من أعظم الأبواب وأشمخها ، وليس له باشورة على الأبواب ، وفيه يقول على بن محمد النيلى :

يا صَاحِ لو أبْصَرتَ بَابَ زُوَيْلَةٍ * لعَلِمْتَ قَــدْرَ مَحَــلِّهِ بُنْيـانَا
بابٌ تَأَزَّرَ بالمَجَرّةِ وآرْتَدى الشّـ * ـعرى ولَاثَ برَأسِـهِ كيوَانَا
لو أَنَّ فِرْعَـوْنًا رآه لم يُرِد * صـرحا ولا أَوْصى به هَامَانَا

قال ٱبن عبد الظاهر : (وباب سعادة) ربما ينسب إلى سعادة بن حيان غلام المُعِزّ، وكان قد ورد من عنده فى جيش إلى جوهر وولى الرملة بعد ذلك .

قال : (وباب القنطرة) منسوبٌ إلى القنطرة التى أمامه، وهى من بناء القائد جوهر بناها عند خوفه من القَرَامطة ليجوز عليها إلى المَقْس . والقوس الذى بالشارع الأعظم خارج باب زويلة على رأس المنجبية عند الطيوريين الآن كان بابا بناه الحاكم بأمر الله خارج القاهرة، وكان يعرف بالباب الجديد .

٥

(وباب الخوخة) الذى على القرب من قنطرة الموسكى أظنه من بناء الفاطميين أيضا . ولما ملك السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" الديار المصرية ٱنتدب لعمارة أسوار القاهرة ومصر فى سنة تسع وستين وخمسمائة الطواشىَ بهاء الدين قراقوش الأسدى الرومى على كثرة من أسرى الفرنج عندهم يومئذ[(1)]، فبنى سورا دائرا عليها وعلى قلعة الجبل والفُسْطَاط، ولم يزل البناء به حتّى توفى السلطان صلاح الدين رحمه الله وهو الموجود الآن؛ وجعل فيها عدّة أبواب :

١٠

منها : باب البحر، وباب الشعرية، وباب البرقية، والباب المحروق؛ وٱبتنى برجين عظيمين أحدهما بالمَقْس على القرب من جامع باب البحر، وهو الذى هدمه الصاحب شمس الدين المَقْسىّ وزير الأشرف شعبان بن حسين على رأس السبعين والسبعمائة ، وأدخله فى حقوق الجامع المذكور حين جدّد بناءه ؛ والثانى بباب القنطرة جنوبى الفُسْطَاط .

١٥

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : وقياس هذا السور من أوّله إلى آخره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلثمائة وذراعان بالهاشمىّ؛ من ذلك من باب البحر إلى البرج بالكوم الأحمر؛ يعنى رأس منشأة المهرانى المتقدّم ذكرها فى الكلام

٢٠

(١) لم تذكر هذه الجملة فى خطط المقريزى .

على خطَط الفُسْطَاط عند فُوَّهة خليج القاهرة عشرة آلاف ذراع ؛ ومن الكوم الأحمر المذكور إلى قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع ؛ ومن مسجد سعد الدولة المذكور إلى باب البحر ثمانية آلاف ذراع وثلثمائة وآثنان وتسعون ذراعا ، ودائر القلعة ثلاثة آلاف ذراع ومائة وعشرة أذرع .

وآقتصر السلطان عماد الدين صاحب حماة فى تاريخه على ذَرْع السُّور من غير تفصيل ولم يتعرض للذراعين الزائدين . ٥

قلت : وهذا السور قد دَثَر أكثره ، وتغيرت معالم غالبه ، للصوق عمائر الأملاك به حتَّى إنه لا يتميز فى غالب الأماكن من الأملاك ، وسقط ما بين باب البحر إلى الكوم الأحمر حتَّى لم يبق له أثر على أن ما هو داخل سور القاهرة الأوّل من الأماكن أرضة سبخة وماؤه زُعَاق . ١٠

قال آبن عبد الظاهر : ولذلك عَتَب المُعِزّ عند وصوله إلى الديار المصرية ودخوله القاهرة على جوهر لكونه لم يعمُرْها مكان المَقْس على القرب من باب البحر أو جنوبى الفُسْطَاط على القرب من الرصد لتكون قريبة من النيل ، عَذْبة مياه الآبار .

وآعلم أن خطط القاهرة قد آتسعت وزادت العمارة حولها ، وصار ما هو خارجَ سورها أضعاف ما هو داخله . ثم منها ما هو منسوب إلى دولة الفاطميين ومنها ما هو منسوب إلى من تقدّمهم من الملوك ، إما لدروس آسمه الأوّل وغلبة آسمه الثانى عليه ، وإما لآستحداثه بعد أن لم يكن ؛ ومنها ما هو مجهول لآنقطاع شهرته بطول الأيام ومرور الليالى . وإنما يقع التعرض هنا للأماكن الظاهرة الشُّهْرَة ، الدائرة على الألسنة دون غيرها ؛ وأنا أذكرها على ترتيب الأماكن لا على ترتيب القِدَم والحدوث . ١٥ ٢٠

* * *

أما خططها المشهورة داخل السور :

(فمنها) "حارة بهاء الدين" داخل باب الفتوح ، وتعرف بالطواشى بهاء الدين قراقوش بانى سور القاهرة المتقدّم ذكره ، وكانت فى دولة الفاطميين تعرف ببين الحارتين، ثم آختطها قوم فى الدولة الفاطمية يعرفون بالرّيحانيــة والعزيزية فعرفت بهم . فلما سكنها بهاء الدين قراقوش المذكور، آشتهرت به ونُسِى ما قبل ذلك .

(ومنها) "حارة بَرْجَوَانَ" وتعرف ببرجوان الخادم، كان خادم القُصُور فى أيام العزيز بالله بن المُعِزّ ثانى خلفاء الفاطميين بمصر، ووصّاه على آبنه الحاكم فعظُم شأنه، ثم قتله الحاكم بعد ذلك . ويقال إنه خلف فى تركته ألف سراويل بألف تكة حرير.

وبهذه الحارة كانت دار المظفر آبن أمير الجيوش بدر الجمالى .

(ومنها) "خط الكافورى" كان بستانا لكافور الإخشيدى، وبنيت القاهرة وهو بستان ، وبقى إلى سـنة إحدى وخمسين وستمـائة ، فآختطته طائفة البحرية والعزيزية إصطبلات ،وأزيلت أشجاره وبقيت نسبته إلى كافور على ما كانت عليه .

(ومنها) "خُط الخرنشف"(١) كان ميدانا للخلفاء الفاطميين، وكان لهم سِرْداب تحت الأرض إليه من باب القصر يمرون فيه إلى الميدان المذكور راكبين ، ثم جعل مصرفا للماء لما بنيت المدرسة الصالحية ، ثم بنى به الغُزّ بعـد الستمائة إصطبلات بالخرنشف وسكنوها فسمى بذلك .

(ومنهـا) "درب شمس الدولة" على القرب من باب الزُّهومة ، وكان فى الدولة الفاطمية يعرف بحارة الأمراء ، وبها كانت دار الوزير عباس وزير الظافر ، وبها المدرسة المسرورية بناها مسرور الخـادم ، وكان أحد خُدّام القصر فى الدولة الفاطمية وبقى إلى الدولة الأيوبية، وآختص بالسلطان صلاح الدين وتقدّم عنده،

(١) فى المقريزى "الخرشنف" وفسره بأنه المتجمد من وقود الحمامات بعد إحراقها وهى تسمية عرفية

ثم سكنها شمس الدولة توران شاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف، وعمر بها دربا فعرف به ونسب إليه .

(ومنها) "حارة زُوَيْلة" وتنسب إلى زُوَيلة : قبيلة من البربر الواصلين صحبة القائد جوهر على ما تقدّم ذكره فى الكلام على باب زويلة ، وهى حارة عظيمة متشعبة .

(ومنها) "الجُودَرية" وتعرف بطائفة يقال لهم الجودرِيّة من الدولة الفاطمية نسبة إلى جُودَر خادم عبيد الله المهدى أبى الخلفاء الفاطميين، آختطوها وسكنوها حين بنى جوهر القاهرة ، ثم سكنها اليهود بعد ذلك إلى أن بلغ الحاكم الفاطمىّ أنهم يَهْزءُون بالمسلمين ويقعُون فى حق الإسلام، فسدّ عليهم أبوابهم وأحرقهم ليلا، وسكنوا بعد ذلك حارة زُوَيلة المتقدّمة الذكر .

(ومنها) "الوَزِيرية" وتعرف بالوزير أبى الفرج يعقوب بن كِلّس وزير المعز بالله الفاطمى، وكان يهودىّ الأصل يخدُم فى الدولة الإخشيدية، ثم هرب إلى المُعزّ الفاطمىّ بالمغرب لمال لزمه ، فلقى عسكر المعز مع جوهر فرجع معه ، وعظُمت مكانته عند المُعِزّ حتّى آستوزره، وكانت داره مكان مدرسة الصاحب صفىّ الدين ابن شُكْر ، وزير العادل أبى بكر بن أيوب، المعروفة بالصاحبية بسويقة الصاحب، وكانت قبل ذلك تعرف بدار الديباج .

(ومنها) "المحموديّة" قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : ولعلها منسُوبة إلى الطائفة المعروفة بالمحمودية القادمة فى أيام العزيز بالله الفاطمىّ إلى مصر .

(ومنها) "حارة الروم" داخل بابَىْ زُوَيلة ، آختطها الرُّوم الواصلون صحبةَ جوهر القائد حين بنائه القاهرة فعُرِفت بهم ونسبت إليهم إلى الآن .

(ومنها) "الباطلية" قال آبن عبد الظاهر : تعرف بقوم أتوا المُعِزّ بانى القاهرة وقد قسم العطاء فى الناس فلم يعطهم شيئا، فقالوا : نحن على باطل؟ فسميت الباطلية .

(ومنها) "حارة الدَّيْلم" وتعرف بالديلم الواصلين صحبة أَفْتِكين المعزّى غلام المعز ابن بُوَيه الديلمى، وكان قد تغلب على الشام أيام المُعِزّ الفاطمى وقاتل القائد جوهرا واستنصر بالقرامطة ، وخرج إليهم العزيز بالله فأسره فى الرملة وقَدِم به إلى القاهرة فأجزل له العطاء، وأنزله هو وأصحابه بهذه الخطّة . وبها كانت دار الصالح طلائع ابن رُزِّيك بانى الجامع الصالحى خارج باب زويلة، وكان يسكنها قبل الوزارة؛ وخوختِه بها معروفة إلى الآن بخوخة الصالح .

(ومنها) "حارة كُتَامة" على القرب من الجامع الأزهر بجوار الباطلية، وتعرف بقبيلة كُتَامة من البربر الواصلين صحبة جوهر من الغرب .

(ومنها) "إصطبل الطارمة" بظاهر مشهد الحسين، كان إصطبلا للقصر، وبهذا الخط كانت دار الفِطرة التى يعمل فيها فطرة العيد، بناها المأمون بن البطائحى وزير الآمر، وكانت الفطرة قبل ذلك تعمل بأبواب القصر، وسيأتى الكلام على الفطرة مستوفًى فى الكلام على ترتيب المملكة فى الدولة الفاطمية فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

(ومنها) "حارة الصالحية" قبلىّ مشهد الحسين، كانت طائفة من غلمان الصالح طلائع بن رُزِّيك قد سكنوها فعرفت بهم ونسبت إليهم .

(ومنها) "البَرْقية" قال ابن عبد الظاهر : اختطها قوم من أهل بَرْقة قَدِمُوا صحبة جوهر فعرفت بهم . ورأيت بخطِّ بعض الفضلاء بحاشية خِطَط ابن عبد الظاهر أن الصالح طلائع بن رُزِّيك لما قتل عباسا وزير الظافر وتقلد الوزارة عن الآمر، أقام جماعة من الأمراء يقال لهم البرقية عَوْنا له وأسكنهم هذه الخطّة فنسبت إليهم .

(ومنها) "قَصْر الشوك" على القرب من رَحَبة الأَيْدُمُرِى، قال ابن عبد الظاهر : كان قبل عمارة القاهرة منزلة لبنى عُذْرة تعرف بقصر الشوك .

(ومنها) ["خزانة البُنود"][1] وكانت خزانة السلاح فى الدولة الفاطمية، ثم جعلت سجنا فى الأيام المستنصرية، ثم احتُكِرت بعد ذلك وجعلت آدُرًا .

(١) الزيادة عن المقريزى .

(ومنها) " رَحَبة باب العيد " تنسب إلى باب العيد : أحد أبواب القصر المسمى بباب العيد المقدّم ذكره .

(ومنها) "دَرْب مُلُوخيَّة" ينسب لمُلُوخيَّة صاحب ركّاب الحاكم، وبه مدرسة القاضي الفاضل وزير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وبه كانت دارُه .

(ومنها) "العُطُوف" وأصل آسمها العُطُوفية؛ نسبة إلى عطوف خادم الحاكم . ٥

(ومنها) "الجَوَّانية" قال آبن عبد الظاهر: وهي صفة لمحذوف، وأصلها حارة الرُّوم الجَوّانية، وذلك أن الرُّوم الواصلين صحبة جوهر آختطوا حارة الروم المتقدّمة الذكر وهذه الحارة، وكان الناس يقولون: حارة الروم البَرّانية وحارة الروم الجَوّانية فثقل ذلك عليهم، فأطلقوا على هذه الجَوّانية وقَصَروا آسم حارة الروم على تلك .

قال: والورّاقون إلى هذا الوقت يقولون حارة الروم السفلى، وحارة الروم العُلْيا المعروفة بالجَوّانية ، ثم قال : ويقال إنها منسوبة إلى الأشراف الجَوّانيين الذين منهم الشريف الجوّاني النَّسّابة . ١٠

وأما خططها المشهورة خارج السور :

(فمنها) " الحُسَينيَّة " كانت في الأيام الفاطمية ثمانيَ حارات خارج باب الفتوح أوّلها : الحارة المعروفة بحارة بهاء الدين المتقدّم ذكرها، وهي حارة حامد، والمُنْشأة الكبرى، والحارة الكبيرة، والمُنْشأة الصغيرة، وحارة عَبِيد الشراء، والحارة الوسطى، وسوق الكبير بمصر، والوَزِيرية، وكان يسكنها الطائفة المعروفة بالوزيرية والريحانية من الأرمن والعُجْمان وعَبِيد الشراء . ١٥

قال آبن عبد الظاهر : وكان بها من الأرمن قريب من سبعة آلاف نفس، ثم سكنها جماعة من الأشراف الحُسَينيين قَدِموا في أيام الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب من الحجاز إلى مصر، فنزلوا بهذه الأمكنة وآستوطنوها فسميت بهم [1] ، ثم سكنها الأجناد بعد ذلك وبنَوْا بها الأبنية العظيمة والآدُرَ الضخمة . ٢٠

(١) ذكر المقريزي أنها عرفت بطائفة من عبيد الشراء في أيام الحاكم يقال لهم الحسينية وآعترض على آبن عبد الظاهر في هذه النسبة بقوله : «هذا وهم فإنه تقدّم أن من جملة الطوائف في الأيام الحاكمية الطائفة الحسينية» .

قال ابن عبد الظاهر : هى أعظم حارات الأجناد .

قلت : وذلك بحسب ما كان الحال عليه فى زمانه ، ولكنها قد خربت فى زماننا هذا ، وانتقل الأجناد إلى الأماكن القريبة من القلعة بصليبة الجامع الطولونى ونحوها .

وبنى بهاء الدين قراقوش خانا للسبيل تنزله المارّة وأبناء السبيل فعرف خطه به .

(ومنها) "الخندق" خارج الحسينية بالخندق ؛ كان عنده خندق احتفره العزيز بالله الفاطمى ، وكان المُعِزّ قد أسكن المغاربة هناك فى سنة ثلاث وستين وثلثمائة حين تبسطوا فى القرافة والقاهرة وأخرجوا الناس من منازلهم ، وأمر مناديا ينادى لهم كل ليلة : من بات منهم فى المدينة استحق العقوبة .

(ومنها) "أرض الطَّبَّالة"[1] منسوبة لامرأة مغنية اسمها نَشَب[2] ، وقيل طَرَب ، كانت مغنية للمستنصر الفاطمىّ واسمه مَعَدّ .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : ولما ورد الخبر عليه بأنه خُطِب له ببغداد فى نَوْبة البساسيرى قريب السنة غنته نَشَب هذه :

يا بَنِى العَبَّاسِ صُدّوا * قَدْ وَلِىَ الأمْرَ مَعَدُّ
مُلْكُكُمْ كانَ مُعَارًا * والعَوَارِى تُسْتَرَدُّ

فوهبها هذه الأرض فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة فحُكِرت وبنيت آدُرًا فعرفت بها . قال : وكانت من مُلَح القاهرة وبهجتها ؛ وفيها يقول ابن سعيد المغربى مجانسا بين القُرْط الذى ترعاه الدوابُّ والقُرْط الذى يكون فى الأذن :

(١) أرض الطبالة ، قال المقريزى فى خططه (ج ٢ ص ١٢٥) : «هذه الأرض على جانب الخليج الغربى بجوار المقس (والمقصود هنا خط المقس) قال : وكانت من أحسن منتزهات القاهرة ، وهبها الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معدّ الفاطمى إلى مغنيته المسماة نسب الطبالة فعرفت بها» . وهذه الأرض موقعها اليوم منطقة السكن التى تحد من الشمال والغرب بشارع الظاهر ، ومن الجنوب بشارع الفجالة وسكة الفجالة ، ومن الشرق بشارع الخليج المصرى . ومنذ ٦٠ سنة كان النصف الغربى من هذه المنطقة وما جاورها من الغرب أرضا زراعية تزرع فيها الخضراوات وعلى الأخص صنف الفجل فاشتهرت الأرض باسم غيط الفجالة نسبة للذين يزرعونه ، ولما عمرت تلك الجهة بالمساكن سميت الطريق التى كانت تجاور هذا الغيط من الجهة القبلية باسم شارع الفجالة .

(٢) فى المقريزى (ج ٢ ص ١٢٥) «نسب» بالسين المهملة . وهى امرأة مترجلة كانت تقف تحت قصر المستنصر فى المواسم والأعياد وتسير أيام الموكب وحولها طائفتها وهى تضرب بالطبل .

سقى الله أرضاً كلّما زُرْتُ رَوْضَها، * كَسَاها وحَلَّاها بزينتــه القُرْطُ
تَجَلَّتْ عَرُوساً والمِيَاهُ عُقُــودُها * وفي كُلِّ قُطْــر من جوانبهــا قُرْطُ

(ومنها) "خط باب القنطرة" قال آبن عبدالظاهر : ذكر لى عَلَمَ الدين بن مَمَّاتِى أنه فى كتب الأملاك القديمة يسمّى بالمُرْتاحية .

٥ (ومنها) "المَقْس"(١) قال القضاعى فى "خططه" : كانت ضيعة تعرف بأمّ دُنَيْن، وكان العاشر الذى يأخذ المَكْس يقعد بها لآستخراج المــال، فقيل المكس بالكاف ثم أبدلت الكاف فى الألسنة قافا .

قال آبن عبد الظاهر : ومن النـاس من يقول فيه المَقْسِم لأن قسمة الغنائم فى الفتوح كانت فيــه . قال : ولم أر ذلك مســطورا، وكانت الدكة من نواحيه ١٠ بستانا إذا ركب الخليفة من الخليج يوم الكسر أتى إليــه فى البر الغربى من الخليج فى مركبة و يدخله بمفرده فيسقى منه فرسه، ثم يخرج إلى قصره على ما سيأتى ذكره فى الكلام على ترتيب المملكة فى الدولة الفاطمية . إن شاء الله تعالى .

قال آبن عبــد الظاهر : والدكة الآن آدُرٌ وحارات شهرتهــا تغنى عن وصفها فسبحان من لا يتغير .

١٥ قلت : وقــد خَرِب أكثر تلك الآدُر والحارات حتّى لم يبقَ منها إلا الرسوم، و بعضها باق يسكنه آحاد الناس .

(ومنها) "مَيْدان القمح" كان قديما بستانا سلطانيا يسمّى بالمَقْسِىّ يدخل المــاء إليه من الخليج المعروف بالخليج الذكر الذى بناه كافور الإخشيدى، ثم أمر الظاهر الفاطمىّ بنقــل أنشابه وحفره وجعــله بركة قدّام اللؤلؤة، وأبقى الخليج المذكور

٢٠ (١) كان المقس فى عهــد الدولة الفاطمية مقصورا على قرية المقس التى كانت واقعة فى المنطقة التى يقع فيها اليــوم جامع أولاد عنان لغاية شارع قنطرة الدكة . و يدخل فيها مدخل شارع إبراهيم باشا (شارع نوبار سابقا) والمبانى التى على جانبيه لغاية الدرب الإبراهيمى .

مسلطا على البركة ليستنقع المـاء فيها . فلما ضعف أمر الخلافة الفاطمية، وهُجِرت رُسومها القديمــة فى التفرج فى اللؤلؤة وغيرها، بنت السُّودان المعروفون بالطائفــة الفَرَحية الساكنون بالمَقْس عند ضِيقه عليهم قُبالةَ اللؤلؤة حارة سميت حارة اللُّصوص بسبب تعدّيهم فيها مع غيرهم، ثم تنقلت بها الحال حتّى صار على ما هو عليه الآن .

٥ (ومنها) "بر آبن التبان" غربىّ خليج القاهرة، وينسب إلى آبن التبان رئيس حرّاقة الخلافة الفاطمية، وكان الآمر الفاطمىّ قد أمر بالعمارة قُبالة الخرق غربىّ الخليج، فأوّل من عمر به آبن التَّبَّان المذكور، أنشأ به مسجدا وبستانا ودارا فعرفت الخطّة به إلى الآن .

(ومنها) "خط اللوق" وهو خط قديم متسع ينتهى إلى الميدان المعدّ لركوب السلطان عند وفاء النيل، قد عُمِر بالأبنيــة وسكنه رَعَاع الناس وأوباشُهم والمكان

١٠ المعروف الآن بباب اللُّوقِ جزء منه .

(ومنها) "بِركْة الفِيل" وهى بركة عظيمة متّسِعة جنوبىّ ســور القاهرة عليها الأبنية العظيمة المستديرة بها .

قال آبن عبد الظاهر : وتنسب إلى رجل من أصحاب ابن طولون يعرف بالفيل؛ وما أحسن قولَ آبن سعيد المغربىّ :

١٥ أُنْظُرْ إلى بِرْكَةِ الفِيلِ التى آكْتَنَفَتْ * بهـا المَنَـاظِرُ كالأَهْـدَابِ لِلْبَصَرِ
كأنَّمَـا هِىَ والأَبْصَـارُ تَرْمُقُهَـا * كَوَاكِبٌ قَـــدْ أَدَارُوها عَلَى القَمَرِ

(ومنها) "خط الجامع الطولونى" من الصليبة وما والاها، وقد تقدّم فى الكلام على خِطَط الفُسْطاط أن هــذه الأرض كانت منازل لأحمـدَ بن طولون وعَسْكره، والجبل الذى فى جانبها البحرىّ يعرف بجبـل يَشْكُرَ، وعليــه بناء الجامع الطولونى

٢٠ المذكور، وآستحدث الملكُ الصالح نجم الدين أيوب رحمه الله عليه قصورا جاءت فى نهاية الحسن والإتقان، وهى المعروفة بالكَبْش، ولم يزل يسكنها أكابر الأمراء

إلى أن خرّبها العوامّ فى وقعة الجلبان قبل السبعين والسبعمائة ، وهى على ذلك إلى الآن ، وقد شرع الناس الآن فى آستحكار أماكنها للعمارة فيها فى حدود سنة ثمانمائة .

(ومنها) "خط حارة المَصامِدة" وتنسب لطائفة المَصامِدة من البربر الذين قدموا مع المُعِزّ من المغرب ، وكان المقدّم عليهم عبدَ الله المصمودىّ ، وكان المأمون آبن البطائحىّ وزير الآمر قد قدّمه ونوّه بذكره ، وسلم إليه أبوابه للمبيت عليها ، وأضاف إليه جماعة من أصحابه .

(ومنها) "الهِلَالية" قال آبن عبد الظاهر : أظنها الحارة التى بناها المأمونُ بن البطائحىّ خارج الباب الجديد الذى بناه الحاكم بالشارع على يَسْرة الخارج منه للمَصامدة لما قدّمهم ونوّه بذكرهم ، وحذر أن يبنى بينها وبين بركة الفيل حتّى صارت هذه الحارة مُشْرِفة على شاطىء بركة الفيل إلى بعض أيام الحافظ .

(ومنها) " المُنْتَجِبية " قال آبن عبد الظاهر : بلغنى أنها منسوبة لشخص فى الدولة الفاطمية يعرف بمنتَجِب الدولة .

(ومنها) " اليانِسيَّة " قال آبن عبد الظاهر : أظنها منسوبة ليانس وزير الحافظ ، وكان يلقب بأمير الجيوش سيف الإسلام ، ويعرف بيانس الفاصد لأنه فَصَد حَسَن آبن الحافظ ، وتركه محلول الفِصَادة حتّى مات .

قال : وكان فى الدولة مَن آسمه يانس العزيزى ، واليانِسيَّة : جماعة كانوا فى زمن العزيز بالله ، ومنهم يانس الصقلّى ، ونسبة هذه الحارة محتملة لأن تكون لكل منهم ، وقد ذكر آبن عبد الظاهر عدة حارات كانت للجند خارجَ باب زويلة غير ما لعله ذكره سردا ، منها ما هو مشهور معروف ، وهو حارة حلب ، والحبانية . ومنها ما ليس كذلك وهو الشوبك ، والمأمونية ، والحارة الكبيرة ، والمنصورة الصغيرة ، وحارة أبى بكر .

* * *

وأما جوامعها — فأقدمها "الجامع الأزهر" بناه القائد جوهر بعد دخول مولاه المُعِزّ إلى القاهرة وإقامته بهـا ، وفرغ من بنائه وجُمِّعت فيه الجمعة فى شهر رمضان لسبع خلون من سـنة إحدى وستين وثلثمائة ، ثم جدّد العزيز بن المعزّ فيـه أشياءَ وعَمَر به أماكنَ وهو أوّل جامع عُمِر بالقاهرة .

قال صاحب "نهـاية الأرب" : وجدّده العزيز بن المُعِزّ، ولـما عَمَر الحـاكم جامعه نقل الخُطْبة إليه وبقِىَ الجامع الأزهر شاغرا ، ثم أُعيدَت إليه الخطبة وصلى فيه الجمعة فى ثامن شهر ربيع الآخر سـنة خمس وستين وستمائة فى سلطنة الظاهر بيبرس ، وتزايد أمره حتّى صار أرفع الجوامع بالقاهرة قَدْرا .

قال آبن عبد الظاهر : وسمعتُ جماعة يقولون إن به طلسما لا يسكُنه عُصْفُور.

الجـامع الثـانى
الجـامـع الحاكمى

بنـاه الحاكم الفاطمىّ على القرب من باب الفتوح وباب النصر، وفُرِغ من بنائه فى سـنة ست وتسعين وثلثمائة ، وكان حين بنائه خارج القاهرة إذ كان بناؤه قبل بناء باب الفتوح وباب النصر الموجودين الآن ، وكان هو خارجَ القوسين اللذين هما باب الفتوح وباب النصر الأوّلان .

ثم قال : وفى سيرة العزيز أنه آختط أساسـه فى العاشر من رمضان سنة تسع وسبعين وثلثمائة ، وفى سـيرة الحاكم أنه آبتدأه بعض الوزراء وأتمـه الحاكمُ ؛ وعلى البَدَنة المجاورة لباب الفتوح أنها بنيت فى زمن المستنصر فى أيام أمير الجيوش سـنة ثمانين وأربعمائة ، ثم آستولى عليها مَنْ ملكها والزيادة التى إلى جانبه بناها الظاهر ابن الحاكم ولم يكملها ، ثم ثبت فى الدولة الصالحية نجم الدين أيوب أنها من الجامع

وأن بها محرابا ، فأنتُزِعت ممن هى معه وأضيفت للجامع، وبُنِيَ بهـا ما هو موجود الآن فى الأيام المعزية أيبك التُّرْكُمَانِىّ ولم تسقف .

الجامع الثالث

الجامع الأقمر

بنـاه الآمر الفاطمىّ بوَسَاطة وزيره المأمون بن البطائحى ؛ وكمل بناؤه فى سنة ٥ تسع عشرة وخمسمائة ؛ ويذكر أن آسم الامر والمامون عليه .

قلت : ولم يكن به خُطْبـة إلى أن جدّد الأمير يَلْبغا السالمى، أحد أمراء الظاهر برقوق عمارَتَهُ فى سنة إحدى وثمانمائة ورتَّب فيه خُطْبَة .

الجامع الرابع

الجامع بالمَقْس بباب البحر، وهو المعروف بالجامع الأنور ١٠

بناه الحاكم الفاطمىّ أيضا فى سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة .

الجامع الخامس

الجامع الظافرىّ ، وهو المعروف الآن بجامع الفَكَّاهين (١)

بنـاه الظافر الفاطمىّ داخل بابَىْ زُويلة فى سـنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وكان زَريبــةً للكِبَاش ، وسبب بنائه جامعا أن خادما كان فى مشترف على الزريبة ١٥ فرأى ذَبَّاحًا وقـد أخذ رأسـين من الغنم فذبح أحدهما ورمى سكِّينه وذهب لقضاء حاجة له ، فأتى رأس الغنم الآخر فأخذ السـكين بفمه ورماها فى البالوعـة ، وجاء الذَّبَّاحُ فلم يجـد السكِّين ، فآستصرخ الخادمُ وخلصه منه ، فرفعت القصة إلى أهل القصر فأمروا بعمارته .

(١) فى خطط المقريزى "الفاكهيين". ٢٠

الجـامع السـادس

الجامع الصالحى

بناه الصالح طلائع بن رُزِّيك وزير الفائز والعاضد من الفاطميين خارج باب زُوَيلة، بقصد نقل رأس الحسين عليه السلام من عَسْقلانَ إليه، عند خوف هجوم الفرنج عليها، فلما فرغ منه لم يمكّنه الفائز من ذلك، وآبتنى له المشهد المعروف بمشهد الحُسَيْن بجوار القصر، ونقله إليه فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة؛ وبنى به صِهْريجا وجعل له ساقية تنقل الماء إليه من الخليج أيام النيل على القرب من باب الخرق. ولم يكن به خُطبة، وأول ما أقيمت الجمعة فيه فى الأيام المُعِزِّيَّة أيبك التُّرْكُمَانِىّ فى سنة آثنتين وخمسين وستمائة، وخطب به أصيل الدين أبو بكر الإسعِرْدِىّ؛ ثم كَثُرت عمارة الجوامع بالقاهرة فى الدولة التركية خصوصا فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون وما بعدها، فغمر بها من الجوامع ما لا يكاد يحصى كثرة: كجامع الماردينى، وجامع قُوصون خارج باب زُوَيْلة وغيرهما من الجوامع، وأقيمت الجمعة فى كثير من المدارس والمساجد الصِّغار المتفرّقة فى الأخطاط لكثرة الناس وضيق الجوامع عنهم.

* * *

وأما مدارسها — فكانت فى الدولة الفاطمية وما قبلها قليلةَ الوجود بل تكاد أن تكونَ معدومة، غير أنه كان بجوار القصر دارٌ تعرف "بدار العلم" خلف خان مسرور، كان داعى الشيعة يجلس فيها، ويجتمع إليه من التلامذة مَنْ يتكلم فى العلوم المتعلقة بمذهبهم، وجعل الحاكم لها جزءا من أوقافه التى وقفها على الجامع الأزهر وجامع المَقْس وجامع راشدةَ؛ ثم أبطل الأفضل بن أمير الجيوش هذه الدار لآجتماع الناس فيها والخوض فى المذاهب خوفا من الآجتماع على المذهب النِّزَارِىّ؛ ثم أعادها الآمر بواسطة خُدام القصر بشرط أن يكون مُتَوَلِّيها رجلا دَيِّنا والداعى هو الناظر فيها، ويقام فيها متصدّرون برسم قراءة القرءان.

وقد ذكر المسبحىّ فى تاريخه : أن الوزير أبا الفرج يعقوب بن كِلِّس سأل العزيز بالله فى حمله رزق جماعة من العلماء ، وأطلق لكل منهم كفايته من الرزق ، وبنى لهم دارا بجانب الجامع الأزهر ، فإذا كان يوم الجمعة حَلقوا بالجامع بعد الصلاة وتكلموا فى الفقه ، وأبو يعقوب قاضى الخندق رئيسُ الحَلْقَةِ والملقى عليهم إلى وقت العصر ، وكانوا سبعة وثلاثين نفرا . ٥

ثم جاءت الدولة الأيوبيــة فكانت الفــاتحةَ لباب الخير ، والغارسةَ لشــجرة الفضل ، فآبتنى الملك الكامل محمــد بن العادل أبى بكر (دار الحديث الكاملية) بين القصرين فى سنة آثنتين وعشرين وستمائة ، وقرر بها مذاهب الائمة الأربعة وخطبةً ، وبقى إلى جانبها خراب حتَّى بُنِى آدُرا فى الأيام المُعِزِّيَّة أيبك التُّرْكُمَانِىّ فى سنى خمسين وستمائة ، ووقِفَ على المدرســة المذكورة ، وبنى مَنْ بنى من أكابر دولتهم مدارس لم تبلغ شَأْوَ هذه ، وشتَّان بين الملوك وغيرهم . ١٠

ثم جاءت الدولة التركية فأربت على ذلك وزادت عليه ، فآبتنى الظاهر بيبرس (المدرســة الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرســة الصالحية ، ثم آبتنى المنصــور قلاوون (المدرســة المنصورية) من داخل بيمارســتانه الآتى ذكره وجعــل قبالتها تُرْبةً سنية . ١٥

ثم آبتنى الناصر محمد بن قلاوون (المدرسة الناصرية) بجوار البيمارستان المذكور .

ثم آبتنى الناصر حسن بن الناصر محمــد بن قلاوون (مدرسته العظمى) تحت القلعة ، وهى التى لم يُسْبَق إلى مثلها ، ولا سمع فى مصرٍ من الأمصار بنظيرها ، يقال إن إيوانها يزيد فى القدر على إيوان كسرى بأذرع .

ثم آبتنى آبنُ أخيه الأشرف شــعبان بن حسين (المدرســة الأشرفية) بالصُّوّة تحت القلعة ومات ولم يكملها ، ثم هدمها الناصر فرج بن الظاهر برقوق لتسلطها على ٢٠

القلعة فى سنة أربع عشرة وثمانمائة ، ونقل أحجارها إلى عمارة القاعات التى أنشأها بالحوش بقلعة الجبل ؛ ولم تعهد مدرسة قُصِدت بالهدم قبلها .

ثم آبتنى الظاهر برقوق (مدرسته الظاهرية) بين القصرين بجوار المدرسة الكاملية فجاءت فى نهاية الحسن والعَظَمة ، وجعل فيهـا خطبة ، وقرر فيها صوفية على عادة الخوانق ودروسا للأئمـة ، وتغالى[1] فى ضخامة البناء ؛ ونظم الشعراء فيهـا ، فكان مما أتى به بعضهم من أبيات :

وبَعْضُ خُدَّامِهِ طَوْعًا لِخِدْمَتِهِ * يَدْعُو الصُّخُورَ فَتَأتيهِ عَلَى عَجَلِ

وتواردوا كلهم على هذا المعنى ، فآقترح علىَّ بعضُ الأكابر نظم شىء من هذا المعنى فنظمت أبياتا جاء منها :

وبالخَلِيلِىّ قد رَاجَتْ عِمَارَاتُهَا * فى سُرْعَةٍ بُنِيَتْ مِنْ غَيْرِ مَا مَهَلِ

كَمْ أظهرَتْ عَجَباً أسْوَاطُ حِكْمَتِهِ * وَكَمْ غَدَتْ مَثَلاً تَاهِيكَ مِنْ مَثَلِ

وكم صخورٍ تَخَالُ الجنَّ تَنْقُلُهَا * فإنَّهــا بالوَحَا تَأْتِى وبالْعَجَــلِ

وفى خلال ذلك آبتنى أكابرُ الأمراء وغيرهم من المدارس ما ملأ الأخطاط وشحنها .

⁂

وأما الخوانق والرُّبُطُ — فلم يعهد بالديار المصرية قبل الدولة الأيوبية ، وكان المبتكر لها السلطانَ صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله ، فآبتنى (الخانقاه الصلاحية) المعروفة بسعيد السعداء ، وسعيد السعداء لقب لخادم للستنصر الفاطمىّ آسمــه قنبر كانت الدار له ، ثم صارت آخر الأيام سكن الصالح طلائع بن رُزِّيك ، ولمـا ولى الوَزارة فتح من دار الوزارة إليهـا سِرْدابا تحت الأرض ، وسكنها شاور

(١) فى الأصل : « فتعالى فيها » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

السعدى وزير العاضد ثم ولده الكامل . فلما ملك السلطان صلاح الدين جعلها خانقاه، ووقف عليها قَيْسارِيَّة الشُّرْب داخل القاهرة، و بستان الحَبَّانية بزقاق البركة.

*
* *

وأما مساجد الصلوات الخَمْس — فأكثر من ان تحصى وأعزّ من أن تستقصى، بكل خط منها مسجد أو مساجد لكل منها إمام راتب ومصلُّون .

٥

*
* *

وأما البيمارستان — فقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : بلغنى أن البيمارستان كان أوّلا بالقَشَّاشين ، يعنى المكان المعروف الآن بالخرّاطين على القرب من الجامع الأزهر ، وهناك كانت دارُ الضرب بناها المأمون بن البطائحى وزير الآمر قبالةَ البيمارستان المذكور، وقرر دُورَ الضرب بالإسكندرية وقُوص وصُور وعَسْقلان؛ ثم لما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الديار المصرية وآستولى على القصر، كان فى القصر قاعةٌ بناها العزيز بن المُعِزّ فى سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، فجعلها السلطان صلاح الدين بيمارستانا ، وهو البيمارستان العتيق الذى داخل القصر، وهو باقٍ على هيئته إلى الآن، و يقال إن فيها طلسما لا يدخلها نمل، و إن ذلك هو السبب الموجب لجعلها بيمارستانا .

١٠

١٥

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : ولقد سألت المباشرين بالبيمارستان المذكور عن ذلك فى سنة سبع وخمسين و[ستما]ئة[1] فقالوا صحيح .

ثم آبتنى السلطان الملك "المنصور قلاوون" رحمه الله دارَ سِتّ الملك أخت الحاكم، المعروفة "بالدار القُطْبية" بيمارستانا فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة بمباشرة الأمير علَم الدين

(١) زيادة يقتضيها المقام لأن آبن عبد الظاهر كان موجودا فى هذا الوقت .

٢٠

الشجاعى ، وجعل من داخله المدرسة المنصورية والتربة المتقدّم ذكرهما ، فبقى معالم بعض الدار على ما هو عليه ، وغيّر بعضها . وهو من المعروف العظيم الذى ليس له نظير فى الدنيا . ونظره رتبة سنيةٌ يتولاه الوزراء ومَنْ فى معناهم .

قال فى "مسالك الأبصار": وهو الجليل المقدار، الجليل الآثار، الجميل الإيثار، العظيم بنائه، وكثرة أوقافه، وسعة إنفاقه، وتنوع الأطباء والكحّالين والجرائحية فيه .

*
* *

قلت : ولم تزل القاهرة فى كل وقت تتزايد عمارتُها، وتتجدّد معالمها، خصوصا بعد خراب الفُسْطَاط، وانتقال أهله إليها على ما تقدّم ذكره حتّى صارت على ما هى عليه فى زماننا : من القصور العَلِيَّة، والدور الضخمة، والمنازل الرحيبة، والأسواق الممتدّة، والمناظر النزهة، والجوامع البَهِجَة، والمدارس الرائقة، والخوانق الفاخرة، مما لم يُسْمع بمثله فى قُطْرٍ من الأقطار، ولا عُهِد نظيره فى مصر من الأمصار . وغالب مبانيها بالآجُرّ، وجوامعها ومدارسها وبيوت رؤسائها مبنيةٌ بالحجر المنحوت، مفروشة الأرض بالرخام، مؤزَّرة الحيطان به، وغالب أعاليها من أخشاب النخل والقصب المحكم الصنعة، وكلها أو أكثرها مُبَيَّضَةُ الجُدُر بالكِلْس الناصع البياض، ولأهلها القوّة العظيمة فى تَعْلِيَة بعض المساكن على بعض حتّى إن الدار تكون من طبقتين إلى أربع طبقات بعضها على بعض، فى كل طبقة مساكنُ كاملةٌ بمنافعها ومرافقها، وأسطحة مقطعة بأعلاها بهندسةٍ محكمة، وصناعة عجيبة .

قال فى "مسالك الأبصار": لا يرى مثل صُنَّاع مِصْرَ فى هذا الباب، وبظاهرها البساتين الحِسَانُ، والمناظر النَّزِهَةُ، والآدُرُ المُطِلَّةُ على النيل، والخُلْجَانُ الممتدّة منه ومن مدّه؛ وبها المستنزهات المستطابة، خصوصا زمنَ الربيع لغُدْرانها الممتدّة من مقطعات النيل وما حولها من الزروع المختلفة وأزهارها المؤنسة التى تسرّ الناظر وتبهج الخاطر .

قال ٱبن الأثير فى "عجائب المخلوقات" : وأجمع المسافرون برّا و بحرا أنه لم يكن أحسن منها مَنْظَرًا، ولا أكثر ناسا، و إليها يُجلَب ما فى سائر أقاليم الأرض من كل شيء غريب وزِىٍّ عجيب ؛ وملكها مَلِكٌ عظيم ، كثير الجيوش ، حسن الزِّىّ لا يماثله فى زِيِّه ملك من ملوك الأرض ؛ وأهلها فى رَفَاهِيَة عَيْش وطيب مأكل ومشرَب ؛ ونساؤه فى غاية الجمال والظَّرْف .

قال فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى غير واحد ممن رأى المُدُنَ الكِبَارَ أنه لم ير مدينة ٱجتمع فيها من الخَلْق ما ٱجتمع فى القاهرة .

قال : وسألت الصدر مَجْدَ الدين إسماعيلَ عن بَغْدَادَ وتُوريزَ هل يجمعان خلقا مثل مصر ؟ فقال : فى مصر خلق قدر مَنْ فى جميع البلاد .

قال فى "التعريف" : (والقاهرة اليوم أُمّ الممالك ، وحاضرة البلاد، وهى فى وقتنا دارُ الخلافة ، وكرسىّ الملك، ومَنْبَع الحكماء، ومَحَطُّ الرحال ، و يتبعها كل شرق وغرب خلا الهند فإنه نائى المكان، بعيد المدى، يقع لنا من أخباره ما نُنْكِره، ونسمع من حديثه مالا نألفه .

قال : وكان يخلق لنا أن نجعل كل النُّطُق بالقاهرة دائرة، وإنما نفردها بما ٱشتملت عليه حدود الديار المصرية ، ثم ندير بأُمّ كل مملكة نِطَاقها ، ثم إليها مرجع الكل و إلى بحرها مصب تلك الخُلُج) .

قال فى "مسالك الأبصار" : إلا أن أرضها سَبِخة، ولذلك يَعْجَلُ الفساد إلى مبانيها .

وذكر القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر نحو ذلك وأن المُعِزّ لام القائدَ جوهرا على بنائها فى هذا الموضع، وتَرْكِ جانب النيل عند المَقْس أو جنوبىّ الفُسْطاط حيث الرصد الآن .

القـاعدة الثالثـــــة

القلعـــة

(بفتح القاف) ويعبر عنها بقلعة الجبل، وهى مَقَرَّةُ السلطان الآن ودار مملكته.

بناها الطواشى بهاء الدين قراقوش المتقـدّم ذكره للملك النـاصر صلاح الدين
٥ يوسف بن أيوب رحمه الله، وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المُقَطَّم والفُسْطَاط، وما يليه من القرافة المتصلة بعمارة القاهرة والقرافة[1] ، وطولها وعرضها على ما تقدّم فى الفُسْطَاط أيضـا ، وهى على نَشَز مرتفع من تقاطيع الجبـل المقطم ، ترتفـع فى موضع وتنخفض فى آخر.

وكان موضعها قبل أن تبنى، مساجدَ من بناء الفاطميين : منها مسجد ردينى
١٠ الذى هو بين آدُر الحريم السلطانية .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : قال لى والدى رحمه الله : عرض علىّ الملك الكامل إمامته ، فآمتنعت لكونه بين آدُرِ الحريم . ولم يسكنها السلطان صلاح الدين رحمـــه الله، ويقال : إن آبنه الملك العزيز سكنها مدّة فى حياة أبيه، ثم آنتقل منها إلى دار الوزارة .

١٥ قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : قال لى والدى رحمه الله : كنا نطْلُع إليها قبل أن تُسْكَن فى ليالى الجُمَع نبيت متفرّجين كما نبيت فى جواسق الجبل والقرافة.

وأوّل من سكنها الملك الكامل محمـــد بن العادل أبى بكر بن أيوب آنتقل إليها من قصر الفاطميين سنة أربع وستمائة، وآستقرّت بعده سكنا للسلاطين إلى الآن.

ومن غريب ما يحكى أن السلطان صلاحَ الدين رحمه الله طلع إليها ومعه أخوهُ
٢٠ العادل أبو بكر، فقال السلطان لأخيه العادل : هذه القلعة بُنِيت لأولادك ، فثقُل ذلك على العـادل وعرف السلطان صـلاح الدين ذلك منه؛ فقال : لم تفهم عنى

(١) لعله زائد أو سهو .

إنما أردت أنى أنا نَجيب فلا يكون لى أولاد نُجَباء ، وأنت غير نجيب فتكون أولادُك نجباءَ فسُرِّى عنه ، وكان الأمر كما قال السلطان صلاح الدين ، وبقيت خالية حتّى ملك العادل مصر والشام ، فآستناب ولَدَه الملك الكامل محمدا فى الديار المصرية فسكنها .

وذكر فى "مسالك الأبصار" أن أوّل مَنْ سكنها العادل أبو بكر ، ولما سكنها الكامل المذكور ، آحتفل بأمرها وآهتمّ بعمارتها وعَمَر بها أبراجا ، منها البرج الأحمر وغيره . ٥

وفى أواخر سنة آثنتين وثمانين وستمائة عَمَر بها السلطان الملك المنصور قلاوون بُرْجًا عظيما على جانب باب السر الكبير ، وبنى عليه مشترفاتٍ حسنة البنيان ، بهجة الرخام ، رائقة الزَّخْرفة . وسكنها فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

ثم عَمَر بها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثلاثة أماكن ، كملت بها معانيها ، وآستحق بها القلعة على بانيها : ١٠

أحدها — القصر الأبلق الذى يجلس به السلطان فى عامة أيامه ، ويدخل عليه فيه أمراؤه وخواصُّه ، وقد آستجدّ به السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" رحمه الله فى جانبه مقعدا بإزاءِ الإسطبلات السلطانية جاء فى نهاية من الحسن والبهجة . ١٥

والثانى — الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان فى أيام المواكب للخدمة العامة وإقامة العدل فى الرعية .

والثالث — جامع الخُطْبة الذى يصلى فيه السلطان الجمعة ، وستأتى صفة هذه الأماكن كلها .

وهذه القلعة ذاتُ سور وأبراج ، فسيحة الأفنية ، كثيرة العمائر ، ولها ثلاثة أبواب يدخل منها إليها : ٢٠

أحدها — من جهة القرافة والجبل المُقَطَّم ، وهو أقل أبوابها سالكا وأعزُّها آســتطراقا .

والثانى — باب السر . ويختص الدخول والخروج منه بأكابر الأمراء وخواصّ الدولة : كالوزير وكاتب السر ونحوهما ، يتوصل إليه من الصوة ، وهى بقية النَّشَز الذى بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة ، بتعريج يمشى فيه مع جانب جدارها البحرى حتّى ينتهى إليه بحيث يكون مدخله منه مقابل الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان أيام المواكب ، وهذا الباب لا يزال مُغْلَقًا حتّى ينتهىَ إليه من يستحق الدخول أو الخروج منه فيفتح له ثم يغلق .

والثالث — وهو بابها الأعظم الذى يدخل منـه باقى الأمراء وسائرُ النـاس ، يتوصل إليه من أعلى الصوّة المتقدّم ذكرها ، يرقى إليه فى درج متناسبة حتّى يكون مدخله فى أوّل الجانب الشرقىّ من القلعة ، ويتوصل منه إلى ساحة مستطيلة ينتهى منها إلى دِرْكَاه جليلة يجلس بهـا الأمراء حتّى يؤذَن لهم بالدخول ، وفى قبلىّ هـذه الدركاه (دار النيـابة) وهى التى يجلس بهـا النائب الكافل للحكم إذا كان ثَمّ نائب ، و(قاعة الصاحب) وهى التى يجلس بهـا الوزير وكُتَّاب الدولة ، و(ديوان الإنشـاء) وهو الذى يجلس فيه كاتب السر وكُتَّاب ديوانه ، وكذلك (ديوان الجيش) وسـائر الدواوين السلطانية .

وبصدر هذه الدِّرْكَاه باب يقال له "باب القُلَّة" يدخل منه إلى دهاليز فسيحة ، على يَسْرَةِ الداخل منها بابٌ يتوصل منه إلى جامع الخطبة المتقدّم ذكره ، وهو من أعظم الجوامع ، وأحسنها وأبهجها نظرا ، وأكثرها زَخْرَفة ، متسع الأرجاء ، مرتفع البناء ، مفروش الأرض بالرخام الفائق ، مُبَطَّنُ السُّقُوف بالذهب ، فى وسطه قبة يليها مقصورة يصلِّى فيها السلطان الجمعـة ، مستورة هى والرواقات المشتملة عليهـا

بشبابيك من حديد محكمة الصنعة ، يَحُفُّ بصحنه رواقات من جميع جهاته ، ويتوصل من ظاهر هذا الجامع إلى باب الستارة، ودور الحريم السلطانية .

وبصدر الدهاليز المتقدّمة الذكر مَصْطَبَةٌ يجلس عليها مقدّم المماليك ، وعندها مَدْخل باب السر المتقدّم ذكره ، وفى مجنبة ذلك مَمَرٌّ يدخل منه إلى ساحة يواجه الداخل إليها باب الإيوان الكبير المتقدّم ذكره ، وهو إيوان عظيم عديم النظير ، ٥ مرتفع الأبنية ، واسع الأفنية ، عظيم العُمُد ، عليه شَبَابيكُ من حديد عظيمةُ الشأن محكمةُ الصنعة ، وبصدره سرير الملك ، وهو مِنْـبَرٌ من رُخَامٍ مرتفعٌ ، يجلس عليه السلطان فى أيام المواكب العِظام لقدوم رسل الملوك ونحو ذلك .

ويُتَيَامن عن هـذا الإيوان إلى ساحة لطيفـة بها باب القصر الأبلق المتقدّم ذكره ، وبنواحيها مصاطبُ يجلس عليها خواصّ الأمراء قبل دخولهم إلى الخدمة ، ١٠ ويُدْخَل من باب القصر إلى دهاليز عظيمة الشأن ، نبيهة القدر ، يتوصّل منها إلى القصر المذكور ، وهو قصر عظيم البناء ، شاهق فى الهواء ، به إيوانان فى جهتى الشّمال والجنوب ، أعظمهما الشّمالىّ ، يُطَلُّ منهما على الإصطبلات السلطانية ، ويمتدّ النظر منهما إلى سوق الخيل والقاهرة والفُسْطَاط وحواضرها ، إلى مجرى النيل ، وما يلى ذلك من بلاد الجيزة والجبـل وما والى ذلك ؛ وبصدره مِنْبر من رخام كالذى ١٥ فى الإيوان الكبير يجلس عليه السلطان أحيانا فى وقت الخدمة على ما يأتى ذكره .

والإيوان الثانى وهو القبلىّ خاص بخروج السطان وخواصّه منه ، من باب السر إلى الإيوان الكبيـر خارج القصر للجلوس فيه أيام المواكب العـامّة ، ويدخل من القصر المتقدّم ذكره إلى ثلاثة قصور جَوّانية : واحد منها مسامت لأرض القصر الكبير ، وآثنان مرفوعان ، يُصْعَد إليهما بدَرَجٍ ؛ فى جميعها شبابيكُ من حديد تشرف ٢٠ على ما يُشرِف عليه القصر ، ويدخل من القصور الجَوّانية إلى دور الحريم وأبواب

الستور السلطانية؛ وهذه القصور جميعها ظاهرها بالحجر الأسود والأصفر، وداخلها مؤزّر بالرخام والفَصّ المُذْهَب المشجّر بالصَّدَف وأنواع الملونات، والسقوفُ المبطّنة بالذهب واللّازوَرْد تُخرق لضوء في جُدْرانها بطاقاتٍ من الزجاج القُبْرسيّ[1] الملون كقِطَع الجوهر المؤلفة في العقود، وجميع أرضها مفروشة بالرخام المنقول من أقطار ٥ الأرض مما لا يوجد مثله .

قال في "مسالك الأبصار": فأما الآدُرُ السلطانية فعلى ماصح عندى خبره أنها ذوات بساتين وأشجار ومُنَاخات للحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور الدَّواجن .

وخارج هــذه القصور طِبَاق واسـعة للماليك السلطانية ، ودُورٌ عظامٌ لخواصّ الأمراء من مقــدّمى الألوف ، ومَنْ عَظُمَ قدره من أمراء الطَّبْلَخَانَاه والعشرات ، ١٠ ومن خرج عن حكم الخاصكية إلى حكم البرانيين .

وبها بيوت ومساكنُ لكثير من النـاس، وسوق للمآكل ؛ ويباع بها النَّفِيس من السلاح والقماش مع الدَّلالين يطوفون به .

وبهذه القلعـة مع آرتفاع أرضها وكونها مبنية على جبل بئرُ ماء مَعِين منقوبة في الحجر ، احتفرها بهاء الدين قراقوش المتقـدّم ذكره حين بناء القلعـة، وهى من ١٥ أعجب الآبار، بأسفلها سَوَاقٍ تدور فيها الأبقار، وتنقل المـاء في وسطها، وبوسطها سواق تدور فيها الأبقار أيضا وتنقل المـاء إلى أعلاها؛ ولها طريق إلى المـاء ينزل البقر فيه إلى معينها في مجاز، وجميع ذلك نَحْتٌ في الحجر ليس فيه بناء .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : وسمعت من يحكى من المشايخ أنهـا لمـا نقرت، جاء ماؤها عَـذْبا فأراد قراقوش أو نوّابُه الزيادة في مائها فوسـع نقرا ٢٠ في الجبل، فخرجت منه عين مالحة غيرت عذوبتها . ويقال : إن أرضها تسامتُ أرض

(١) في المقريزى هكذا : «وقد مؤهت باللازورد والنور يخرق فى جدرانها الخ» .

بركة الفيل ؛ وهــذه البئر ينتفع بها أهل القلعة فيما عدا الشرب من سائر أنواع الآستعمالات . أما شُرْبهم فمن المــاء العذب المنقول إليها من النيل بالرَّوايا على ظهور الجمــال والبغال مع ما ينساق إلى قصور الســلطان ودور أكابر الأمراء المجـاورين للسلطان من ماء النيل فى المجارى، بالسواقى النَّقَّالات والدواليب التى تديرها الأبقار وتنقل المــاء من مقرّ إلى آخر حتّى ينتهى إلى القلعة، ويدخل إلى القصور والآدُر ٥ فى آرتفاع نحو خمسمائة ذراع .

وقد آستجدّ السلطان الملك الظـاهر برقوق بهــذه القلعة صِهْرِيجا عظيما يُمْلأ فى كل سنة زَمَنَ النيل من المــاء المنقول إلى القلعة من السواقى النَّقَّالات ، ورتب عليه سبيلا بالدُّرْكَاه التى بها دار النيابة يسقى فيه المــاء وحصل به للناس رفق عظيم .

١٠ وتحت مشترف هذه القلعة ممــا يلى القصور السلطانية مَيْدَانٌ عظيم يحول بين الإصطبلات السلطانية وسوق الخيل، ممرّج بالنجيل الأخضر، فسيح المدى، يسافر النظر فى أرجائه، به أنواع من الوحوش المستحسنة المَنْظَر، وتُربَط به الخوَاصّ من الخيول السلطانية للتفسح ؛ وفيه يصلى السلطان العيدين على ما سيأتى ذكره ؛ وفيه تعرض الخيول السلطانية فى أوقات الإطلاقات ووصول التقادم والمشترى، وربما ١٥ أطعم فيه الجوارح السلطانية؛ وإذا أراد السلطان النزول إليه خرج من باب إيوان القصر وركب من درج تليه إلى إصطبل الخيول الخاص، ثم نزل إليه راكبا وخواصّ الأمراء فى خدمته مشاةً ، ثم يعود إلى القصر كذلك .

قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر فى "خططه" : وكان هــذا المَيْدَان وما حوله يعرف قديما بالميدان ، وبه قصر أحمــد بن طولون وداره التى يسكنها ، ٢٠ والأماكن المعروفة بالقطائع حوله على ما تقدّم ذكره فى خطط الفُسْطَاطِ ، ولم يزل كذلك حتّى بنى الملك الكامل بن العادل بن أيوب هــذا المَيْدَان تحت القلعة حين

سكنها ، وأجرى السواقى النّقالات من النيل إليه ، وعَمَر إلى جانبه ثلاثَ بِرَك تملأ لسقيه ؛ ثم تعطل فى أيامه مدّةً ، ثم آهتم به الملك العادل ولده ، ثم آهتم به الصالح نجم الدين أيوب آهتماما عظيما ، وجدّد له ساقية أخرى ، وغرس فى جوانبه أشجارا فصار فى نهاية الحسن . فلما تُوُفِّىَ الصالح تلاشى حاله إلى أن هُدِم فى سنة خمسين ٥ وستمائة ، أو سنة إحدى وخمسين فى الأيام المُعِزِّيَّة أيبك التركمانى ، وهُدمت السواقى والقناطر وعَفَت آثارها ، وبقى كذلك حتّى عَمَره السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله ، فأحسن عمارته ورَصَّفه أبدع ترصيف ، وهو على ذلك إلى الآن .

أما المَيْدَانَ السلطانىّ الذى بخُطِّ اللوق ، وهو الذى يركب إليه السلطان عند ١٠ وفاء النيل للَعِب الكُرَةِ ، فبناه الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وجعل به المناظر الحسنة ونصب الطّوارق على بابه كما تُنْصب على باب القلاع وغيرها ، ولم تزل الطوارق منصوبة عليه إلى ما بعد السبعمائة ؛ وسيأتى الكلام على كيفية الركوب إليه فى المواكب فى الكلام على ترتيب المملكة فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

والقلعة التى بالرَّوْضَةِ تقدم الكلام عليها [فى الكلام] على خِطَط الفُسْطاط .

١٥ * * *

ومما يتصل بهذه القواعد الثلاث ويلتحق بها "القرافة" التى هى مَدْفَن أمواتها ، وهى تربة عظيمة ممتدّة فى سفح المُقَطَّم ، موقعها بين المقطم والفُسْطَاطِ وبعض القاهرة ، تمتدّ من قلعة الجبل المتقدّم ذكرها آخذةً فى جهة الجَنُوب إلى بركة الحبش وما حولها . وكان سبب جعلها مَقْبُرَة ما رواه آبن عبد الحَكَم عن الليث بن سعد : ٢٠ أن المقوقس سأل عمرو بن العاص أن يبيعه سفحَ المقطم بسبعين ألفَ دينار ، فتعجب عمرو من ذلك ، وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك ،

فكتب إليـه عمر : أنْ سَلْهُ لِمَ أعطاك به ما أعطاك وهى لا تُزْرع ولا يُسْتنبط بها ماء ولا ينتفع بهـا ؛ فسأله ، فقال : إنا لنجد صِـفَتها فى الكتب أن فيها غراس الجنة ، فكتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنـه فى ذلك ، فكتب إليه عمر : "إنّى لا أَرى غَرْس الجنة إلا للؤمنين فأقبُرْ بها مَنْ مات قِبلَك من المسلمين ولا تَبِعْها بشىء" فقال المقوقس لعمر : ما على ذا عاهدتنا ، فقطع لهم قِطْعـة تُدفَن فيها النصارى ، وهى التى على القرب من بركة الحبش ؛ وكان أوّلُ من قُبِر بسـفح المقطم من المسلمين رجلا من المَعَافِر ٱسمه عامر ، فقيل عَمَرت .

ويروى أن عيسى عليـه السلام مرّ على سـفح المقطم فى سـياحة ومعه أمّه ، فقال : "يا أمّاه ! هذه مَقْبُرة أمّة محمد صلى الله عليه وسلم" . وفيها ضرائح الأنبياء عليهم السلام كإخوة يوسف وغيرهم . وبها قبر آسيَة ٱمرأة فرعون ، ومشاهدُ جماعة من أهل البيت والصحابة والتابعين والعلماء والزُّهّاد والأولياء .

وقد بنى الناس بها الأبنية الرائقة ، والمناظر البَهِجَة ، والقصورَ البديعة ، يَسْرَحُ الناظر فى أرجائها ، ويبتهج الخاطر برؤيتها ؛ وبها الجوامع والمساجد والزوايا والرُّبُط والخوانق ، وهى فى الحقيقة مدينة عظيمة إلا أنها قليلة الساكن .

الفصل الثانى

من المقالة الثانيـــة

فى ذكر كُوَرِ الديار المصرية ؛ وهى على ضربين

الضرب الأوّل

فى ذكر كُوَرِهَا القـــديمة

وقد جعلها القُضَاعىّ فى "خططه" ثلاثة أحياز ، وتشتمل على خمس وخمسين كورة ، إلا أنه ذكرها سَرْدا غير مبيّنـة ولا مُرَتّبة ، وقد أوردتُها هنا مبيّنة مرتبة ،

ونبهتُ على ما هو مستمرّ منهـا على حكمـه ، وما تغيّر حكمـه بإضافته إلى غيره من الأعمال المستمرّة مع بقاء أسمائه، وما درس آسمه ونُسِى، أو تغير ولم تعلم له حقيقة.

الحَـيِّز الأوّل

أعلى الأرض، وهو الصـعيد

والمراد ماهو من كُوَرِهَا جنوبىّ الفُسْطَاط إلى نهايته فى الجنوب، وسمى صعيدا لأن أرضه كُلَّما وبلَتْ فى الجنوب، أخذت فى الصُّعود والآرتفاع .

وقد ذكر القُضَاعِىُّ فيه عشرين كورة :

الأولى — (كُورَةُ الفيوم) وهى كُورة باقية مستمرّة الحكم إلى الآن، وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

الثانيـة — (كُورَةُ مَنْف) ومَنْفُ هى مدينة مصر القـديمة المتقدّمة الذكر، التى بناها مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام. وقد تقدّم أنها على آثنَىْ عشر مِيلًا من الفُسْطَاط فى جَنُوبِيِّه على القرب من البلدة المعروفة الآن بالبَدْرَشِين .

الثـالثة — (كُورة وَسِيَم) ووَسِيمُ بفتح الواو وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وميم فى الآخر . بلدة من عمـل الجيزة معروفة؛ والثـابت فى الدواوين أَوْسِيمُ بزيادة ألف فى أوّلهـا وسكون الواو .

الرابعة — (كُورَةُ الشرقية) وكأن المراد بها عمل إطفيح الآن إذ هو شرقىّ النيل وليس بالوجه القبلىّ عمل مستقلّ شرقىّ النيل سواه .

الخامسة — (كُورَةُ دَلَاص وبُوصِير) أما دَلَاصُ فبدال مهملة مفتوحة ولام ألف ثم صاد مهملة؛ قال فى "الروض المعطار" : كانت مدينة عظيمة بها عجائب الأبنية وبها كان مجتمع سَحَرة مصر . وأما بوصير فالمراد هنـا بُوصِير قُورِيدُس التى

قتل بها مَرْوَانُ الحمَار، آخر خلفاء بنى أُمَيَّةَ، ودَلَاص وبُوصِير هـذه كلاهما الآن من عمل البهنسى، وسيأتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

قال فى "الروض المعطار" : قال الجاحظ : بها ولد عيسى بن مريم عليه السلام . وذكر أن نخلة مريم كانت قائمة بها إلى زمانه .

قلت : والمعروف أن مولد عيسى عليه السلام كان بالقُدْس من أرض الشام على ما سيأتى ذكره فى الكلام على الإيمان فى أواخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

السادسة — (كُورَةُ أَهْنَاس) وأَهْنَاس بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح النون وألف وسين مهملة فى الآخر، وتعرف بأَهْناس المدينة، كانت مدينة فى القديم، وهى الآن من جملة عمل البَهْنَسى الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

السابعة — (كُورَةُ القَيْس) والقَيْس بفتح القاف وسكون الياء المثناة تحتُ وسين مهملة فى الآخر، كانت مدينةً فى القديم، وهى الآن قرية معدودة من عمل البَهْنَسى أيضا .

الثامنة — (كُورَةُ البَهْنَسى) وهى ذات عمل مستقر، وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

التاسعة — (كُورَةُ طَحَا وجِيْر[1] شَنُودَةَ) . أما طحا فبفتح الطاء والحاء المهملتين وألف فى الآخر، كانت فى القديم مدينةً ذات عمل، ولذلك تعرف بطَحَا المدينة، وهى الآن من عمل الأُشْمُونَيْنِ الآتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة؛ وإليها ينسب أبو جعفر الطَّحَاوىّ إمام الحنفية ومحدّثهم .

وأما جِير[1] شَنُودة ، فمن الأسماء التى دَرَست ولم تعلم حقيقتها .

العاشرة — (كُورَةُ بُوَيْطَ) قال ابن خَلِّكَانَ : بُوَيْط بضم الباء الموحدة وفتح الواو وسكون الياء المثناة تحت وطاء مهملة فى الآخر . وقال فى " تقويم البلدان[2] "

(١) كذا فى ياقوت . وفى الأصل : « حير » بالحاء المهملة .

(٢) نص ياقوت على الضبطين وقال : أكثر ما يقال بغير همز .

بهمزة مفتوحة فى أوّله وباء ساكنة ، وهو آسم واقـع على بلدتين بالديار المصرية : إحداهما بعمل البهنسى فى لِحْف الجبل على طريق المارّة، وإليها ينسب أبو يعقوب البُوَيْطى : أحد رواة الجديد عن الإمام الشافعىّ رضى الله عنه . والثانية من عمل سُيُوط وتعرف ببُوَيْط البتينة، وإليها ينسب شرق بويط والظاهر أنها المرادة هنا .

٥ الحاديةَ عشرةَ — (كُورَةُ الأشْمُونَيْنِ وأَنْصِنَا وشُطْب) . أما مدينة الأشْمُونَيْنِ، فذات عمل مستقرّ، وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة فيما بعـد إن شاء الله تعالى .

وأما (أَنْصِنَا) فقال فى "تقويم البُـلْدان" : هى بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الصاد المهملة وفتح النون وألف فى الآخر، وهى مدينة قديمة خرابٌ فى البر

١٠ الشرقى من النيل قُبَالة الأشْمُونَيْنِ .

وقد ذكر آبن هشام فى السيرة : أن مارِيَةَ القِبْطية التى أهداها المُقَوْقِسُ النبىّ صلّى الله عليه وسلم من كُورَتِها من قرية يقال لها حَفْن، وأنصنا الآن من جملة عمل الأشْمُونِين .

وأما (شُطْبٌ) فبضم الشين المعجمة وسكون الطـاء المهملة وباء موحدة

١٥ فى الآخر، وهى مدينة قديمة بنيت فى زمن شدّاد بن عديم أحد ملوك مصر بعـد الطوفان قد خربت وعُمِر عليها قرية صغيرة سميت باسمها ، وهى الآن من جملة عمل سُيُوط الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

الثانيةَ عشرةَ — (كُورَةُ سُيُوط) وهى مستقرّ الحكم وسيأتى ذكرها فى الأعمال المستقرّة .

٢٠ الرابعةَ عشرةَ — (كُورَةُ قَهْقُوهَ) وهى من الأسمـاء التى درست ونُسِيت ، ولم أعلم بالصعيد بلدة تسمى الآن بهذا الآسم .

الخامسةَ عشرةَ — (كورة إخميم والدَّيْر وأبْشَاية) . أما كورة إخميم ، فمن الكور المستمرّة الحكم ، وسيأتى الكلام عليها فى الكُوَر المستقرّة .

وأما (الدير) فيجوز أن يكون المراد به الدَّيْر والبَلَّاص[1] ، وهى بلدة فى شرقىّ النيل شمالىّ قِنَا ، هى الآن من عمل قُوص الآتية الذكر .

وأما (أبْشاية) فمن الأسماء التى جهلت .

السادسةَ عشرةَ — (كورة هُوْ ودَنْدَرَة وقِنَا) . أما هُوْ ، فبضم الهاء وسكون الواو ، وهى مدينة صغيرة على ساحل البر الغربىّ الجنوبىّ من النيل ، ويضاف إليها فى الدواوين الكوم الأحمر ، فيقال هُوْ والكومُ الأحمر .

وأما (دَنْدَرَة) فبفتح الدال المهملة وسكون النون وفتح الدال الثانية والراء المهملة وهاء فى الآخر ، وهى مدينة قديمة خرابٌ على الساحل الغربىّ الجنوبى من النيل فى شرقىّ هُوْ ، وبها كانت البِرْباة[2] العظيمة المتقدّم ذكرها فى عجائب الديار المصرية .

وأما (قِنَا) فبكسر القاف وفتح النون وألف فى الآخر ، وهى مدينة شرقىّ النيل ، وبها ضريح السيد الجليل عبد الرحيم القِنَائى ، المعروف بالبَرَكَة وإجابة الدعاء عنده . وهذه البلاد الثلاث الآن من جملة عمل قوص الآتى ذكره فى الكلام على الأعمال المستقرّة .

السابعةَ عشرةَ — (كُورَة قِفْط والأُقْصُر) . أما قفط ، فبكسر القاف وسكون الفاء وطاء مهملة فى الآخر ، كانت مدينة قديمة بالبر الشرقى من النيل جنوبىّ قِنَا المتقدّمة الذكر ، بناها قِفْطُ[3] بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام

---

(١) هذا لا يتفق مع الحقيقة . والصواب أن الدير وأبشاية المذكورتين مع إخميم هنا هما بلدتان من كورة إخميم ، الأولى منهما وهى الدير لازالت تعرف باسم نجع الدير تحت سفح الجبل الغربى تجاه مدينة سوهاج . وبها الدير الأبيض وهو دير الأنبا بشاى بأراضى ناحية أولاد عزاز بمركز سوهاج . وأما أبشاية فهى البلدة التى تعرف اليوم باسم المنشاة بمركز جرجا بمديرية جرجا . ولا علاقة لهاتين البلدتين بالدير والبلاص اللتين بمركز قنا .

(٢) لا تزال قائمة إلى اليوم .

(٣) فى ياقوت : قفط بن مصر ... ثم قال : وأصله فى كلامهم قفطيم ومصريم ، ولكن الذى فى المقريزى نحو ما فى الأصل .

أحد ملوك مصر بعـد الطوفان، فخربت و بقيت آثارها وعمرت على القرب منهـا مدينة صغيرة سميت بآسمها .

وأما (الأُقْصُر) فبضم الهمـزة وسكون القاف وضم الصاد المهملة وراء مهملة فى الآخر، وتسمَّى الأُقْصُرَيْنِ أيضا على التثنية ، وهى مدينة خراب بالبر الشرقى من النيل ، قد عُمِر على القـرب منها قرية سميت بآسمها ، وبها ضريح السـيد الجليل أبو الحَجّاج الأُقْصُرِىّ ،وكانت بها بِرْباة عظيمة فخربت (١) . وآعلم أن بين قِفط والأُقْصُر مدينة قوص ، وقد ذكر القضاعىّ كورتها فى جملة الكُوَر، فكيف يستقيم أن تذكر قِفْطُ والأُقْصُر كورة واحدة ! .

الثامنةَ عشرةَ ــ (كورة قُوص) وهى مستمرّة الحكم ، وسـيأتى الكلام عليها فى جملة الأعمال المستقرّة إن شاء الله تعالى .

التاسعةَ عشرةَ ــ (كورة أَسْنَا وأَرْمَنْتَ) (٢) . أما أَسْـنَا ، فبفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح النون وألف فى الآخر، وهى مدينة حسنة بالبر الغربىّ من النِّيل ، ويقال : إنه لم يسلم من تخريب بُخْتَ نَصَّر (٣) من مدن الديار المصرية سواها ، وذلك أن أهلها هربوا منه الى الجبل بالقرب منها فتبعهم وقتلهم هناك وترك البلد على حالها .

وأما (أَرْمَنْتُ) فبفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الميم وسكون النون وتاء مثناة فوقُ فى الآخر، وهى مدينـة صغيرة بالبرّ الغربىّ الشّمالىّ من النيل بينها وبين أَسْنَا مرحلة ، وكلاهما الآن من عمل قُوص ، وقد جرى على الألسـنة الجمع بينهما فى اللفظ فيقال : أَسْـنَا وأَرْمَنْت ، وكأن ذلك لكثرة آجتماعهما فى إقطاع واحد .

العشرون ــ (كورة أُسْوان) . وسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة مع الأعمال القُوصية إن شاء الله تعالى .

(١) لا تزال بقاياها قائمة الى اليوم . (٢) ضبطه ياقوت بكسر الهمزة .
(٣) المعروف أن بخت نصر لم يدخل مصر .

الحَيِّز الثـانى

أســفل الأرض

وقد ذكر القضاعىّ : أنها ثلاث وثلاثون كورة فى أربع نواحٍ .

النـاحية الأولى

كُوَر الحَوْف الشرقىّ ، وبها ثمانُ كُوَر

الأولى — (كورة عَيْنِ شَمْس) وعين شمس مدينة قديمة خرابٌ على القرب من المَطَرِيَّةِ من ضواحى القاهرة الآتى ذكرها فى الأعمال المستقرّة .

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر : رأيت على حاشية بعض كتب التواريخ أن مَلِكَها كان عظيمَ الشأن ، وعاش إلى زمن يوسف عليه السلام وتزوّج ٱبنته .

الثانية — (كورة أَتْريب) وأتريب مدينة خرابٌ على القرب من بِنْها العَسَل من أعمال الشرقية الآتى ذكرها فى الأعمال المستقرّة ، بناها أتريب بن قبطيم بن مصر ٱبن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام .

الثـالثة — (كورة نَتَا[1] وتُمَىّ) أما نَتَـا ، فلا يعرف بالحوف الآن بلدة ٱسمها نَتَا ، وإنمـا نَتَا بعمل الغربية ، وسيأتى ذكرها مع بُوصير هنالك .

وأمّا (تُمَىّ) فبضم التاء المثناة فوقُ وفتح الميم وياء مثناة تحتُ فى آخرها ؛ وهى مدينة خرابٌ بعمل المُرْتَاحِيَّةِ ، بهـا آثارٌ عِظامٌ ، رأيت فيها أبوابا من حجر صوّان قطعة واحدة ، ٱرتفاعها نحو عشرة أذرع قائمة على قاعدة من صوّان أيضا .

الرابعة — (كُورَةُ بَسْطَة) وبَسْطَةُ بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملتين وهاء فى الآخر ؛ وهى مدينـة خرابٌ تعرف الآن بتَلّ بَسْطَة من عمل الشرقية .

(١) فى الأصل : «بنا» .

الخامسة — (كورة طَرَابِيَة) وهى من الأسماء التى دَرَست ولم تعرف .

السادسة — (كورة قُرْبَيْط[1]) وهى من المجهول أيضا .

السابعة — (كورة صَان و إبْلِيل[2]) وهى من المجهول .

الثـامنة — (كورة الفَرَمَا والعَرِيش) . أمّا الفَرَما، فقال فى "تقويم البُلْدان":
هى بفاء وراء مهمـلة وميم مفتوحات ثم ألف ، وهى بلدة خرابٌ على شاطئ بحـر الروم، على بُعْدِ يومٍ من قَطْيَةَ . قال ٱبن حَوْقَل : وبها قَبْرُ جالينوس الحكيم .

وأما (العَرِيشُ) فبفتح العين المهملة وكسر الراء المهمـلة وسكون اليـاء المثناة تحتُ وشـين معجمة فى الآخر، قال فى "الروض المعطار" : كانت مدينـة ذات جامعين مفترقى البناء، وثمـار وفواكه .

قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى الآن مَنْزِلة على شَطِّ بحر الرُّوم، وبهـا آثار قديمة من الرُّخام وغيره .

قال فى "الروض المعطار" : وكان بينها و بين قُبْرُس[3] طريق مسلوكة فى البر .

النـاحية الثـانية

بطن الريف

وأصـل الرِّيف فى لغـة العرب موضع الزَّرْع والشجر ، إلا أنه غلب بالديار المصرية على أسفل الأرض منها؛ وفيها سَبْعُ كُوَر :

الأولى — (كُورَةُ بَنَا وبُوصِيرَ) . أمّا بَنَا، فبفتح الباء الموحدة والنون وألف فى الآخر . وبُوصِـيرُ تقدّم ضـبطها فى الكلام على بوصـير المعروفة بمصر يوسف بالجيزيّة عند ذكر قواعد مصر القديمة، وبنا و بُوصِيرُ هذه كلاهما من عمل الغربية الآتى ذكره فى الأعمال المستقرّة .

(١) هـذه الكورة تعرف اليوم باسم « هربيط » إحدى قرى مركز كفر صقر بمديرية الشرقية . وفى الأصل : « قربيط » بالقاف . (٢) صان هـذه لا تزال موجودة باسم « صان الحجر » إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرقية . وأما إبليل فقد خربت وكانت بالقرب منها .

(٣) فى الأصل : « قدس » وهو خطأ .

الثانية — (كُورَة سَمَنُّودُ) وسمنود بفتح السين المهملة والميم وضم النون المشدّدة والواو ودال مهملة فى الآخر، وهى مدينة صغيرة من الأعمال الغربية، كان لها عمل مستقرّ فى أوّل الأمر ثم أضيفت إلى عمل الغربية .

الثالثة — (كُورَة نَوَسَا) ونوسا بفتح النون والواو والسين المهملة فى الآخر[1]، وهى الآن قرية من قُرى المُرْتاحية .

الرابعة — (كورة الأُوسِيَّة) وهى من الأسماء التى دَرَست وجُهلت .

الخامسة — (كورة البُجُوم) بالباء الموحدة والجيم، وهى من الأسماء المندرسة أيضا، ولا يُعرف مكان بالديار المصرية آسمه البُجُوم إلا أرض بأسفل عمل البحيرة على القرب من الإسكندرية، صارت مستنقعا للمياه المنصرفة عن البحيرة .

السادسة — (كُورَةُ دَقَهْلَةَ) ودَقَهْلَةُ بفتح الدال المهملة والقاف وسكون الهاء وفتح اللام وهاء فى الآخر، وهى مدينة قديمة بالجزيرة بين فِرْقَةِ النيل المارّة إلى دمياط والفرقة التى تصب ببحيرة تِنِّيس، وإليها ينسب عمل الدقهلية،وهى الآن قرية من عمل أُشموم الآتى ذكرها فى الأعمال المستقرة، وإن كان العمل فى الأصل منسوبا إليها .

السابعة — (كورة تِنِّيسَ ودِمْيَاطَ) . أمّا تنيس، فقال فى اللُّبَاب : هى بكسر المثناة فوقُ والنون المشدّدة وسكون الياء المثناة تحتُ وسين مهملة فى الآخر،والجارى على الألسنة فتح التاء ؛ كانت مدينة عظيمة فطمى عليها المـاء قبل الفتح الإسلامى بمـائة سنة، فأغرق ما حولها وصارت بُحَيْرَةً ، وسيأتى الكلام عليها فى الكلام على بُحَيرتها، وهى الآن قرية صغيرة بوسط البُحَيرة والمـاء محيط بها .

قال فى "الروض المعطار" : وكانت تُرْبتها من أطيب التُّرَب ، وبهـا تُحاك الثيابُ النفيسة التى ليس لها نظير فى الدنيا ، وقد قيل : إن الجنتين اللتين أخبر الله

[1] لعله وألف فى الآخر كما هو ظاهر .

تعالى عنهما فى سورة الكهف بقوله : ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ ﴾ الآية، كانتا بِتِنِّيس .

وأمّا دِمْياطُ، فسيأتى ذكرها فى الكلام على الأعمال المستقرّة إن شاء الله تعالى .

النـــاحية الثالثـــــة

الجزيرة بين فَرْقَى النيل الشرقية والغربية، وفيها خمس كور :

الأُولى — (كُورَةُ دَمْسِيس[1] ومَنُوفَ) . أمّا دَمْسِيسُ ، فبفتح الدال المهملة وسكون الميم وكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحتُ وسين مهملة فى الآخر، وهى الآن بلدة من عمل الغربية .

وأمّا مَنُوف[2] فمن الأسماء التى نُسِيت وجهلت .

الثانية — (كورةُ طُوَّة مَنُوفَ) وهى من الأسماء التى جهلت ولا يعلم بالديار المصرية الآن بلدة آسمها طُوَّة غير بلدين بالوجه القبلىّ إحداهما بالأُشْمُونِينِ ، والثانية بالبهنساوية .

الثالثة — (كورة سَخَا وتَيْدَةَ والفَرَّاجُونِ) . أما سَخَا ، فبفتح السين المهملة والخاء المعجمة وألف فى آخرها، وهى بلدة حسنة كانت ذات عمل ، ثم آستقرّت من عمل الغربية الآن .

وأما تَيْدَةُ، فبفتح التاء المثناة فوقُ وسكون الياء المثناة تحتُ وفتح الدال المهملة وهاء فى آخرها، وهى الآن قرية من قرى الغربية .

وأما الفَرَّاجُونُ ، فبالألف واللام فى أوّلها، ثم فاء مفتوحة وراء مهملة مشدّدة بعدها ألف وجيم مضمومة وواو ساكنة ونون فى الآخر، وهى بلدة مضافة إلى تَيْدَةَ، فيقال : تَيْدَةُ والفَرَّاجُون .

(١) دمسيس زالت ، ومحلها يعرف اليوم باسم كفر شبرا اليمن من توابع شبرا اليمن بمركز زفتى بمديرية الغربية . (٢) منوف هى التى تعرف اليوم باسم محلة منوف إحدى قرى مركز طنطا مديرية الغربية .

الرابعــة — (كورة تَقِيزَة(١) وديصا) وهما من الأسماء التى نُسِيت وجهلت .

الخامسة — (كُورة البَشَرُود) وهى من الأسماء التى جهلت .

النــاحية الرابعــــة

الحَوْف الغربىّ، وفيها إحدى عشرة كورة :

الأُولى — (كورة صَا) وصَا بصاد مهملة مفتوحة وألف فى الآخر،وهى مدينة خرابٌ شرقىّ الفرقة الغربية من النيل،بناها صا بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام آبن نوح عليه السلام، أحد ملوك مصر بعد الطوفان، وبها الآن آثار عظيمة، وقد عمرت بالقرب منها قرية سميت بآسمها، وكأن عملها كان من البرّ الغربىّ .

الثانيــة — (كُورَة شَبَاس) وشَبَاسُ بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة وألف ثم سين مهملة آسم لثلاث بلاد من عمل الغربية الآن؛ وهى شَبَاسُ المِلْح، وشَبَاس أنبارة، وشَبَاسُ سنقر، وتعرف بشَبَاس الشهداء، وكأن المراد الثالثة فإنها أعظمها.

الثالثة — (كُورةُ البَذَقُون) وهى من الأسماء التى درست وجهلت .

الرابعة — (كورة الخَيْس والشَرَاك) . أما الخيس فلا تعرف بالبحيرة الآن بلدة تسمَّى الخيس ، وإنمـا الخَيْسُ بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء وسين مهملة فى الآخر، بلدة من عمل الشرقية .

وأما الشِّرَاكُ،فبكسر الشين المعجمة المشدّدة وفتح الراء المهملة وألف ثم كاف، وهى بلدة من عمل البحيرة .

الخامسة — (كورة خِرْبِتَا) بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة وفتح التاء المثناة فوق، وهى قرية معروفة من عمل البحيرة، ومنها سار من سار من المصريين لقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه .

(١) كذا فى معجم البلدان لياقوت . وفى الأصل : «بقيرة» وهو تحريف .

السادسة — (كورة قَرْطَسَا ومَصِيل) . أما قَرْطَسَا فبفتح القاف وسكون الراء المهملة وفتح الطاء والسين المهملتين وألف فى الآخر، وهى قرية من عمل البحيرة الآن .

وأما مَصِيل، فمن الأسماء التى جهلت .

السابعة — (كورة المليدس) وهى من الأسماء التى جهلت .

٥ الثامنــة — (كورة إجنا[1] ورَشِيدَ والبُحَيْرَة) . أما إجنا، فمن الأسماء التى جهلت ولا يعرف بالبحيرة بلد ٱسمها إجنا، و إنما أخنويه من عمل الغربية، والعامّة تقول إخنا .

وأما رَشِيدُ، بفتح الراء المهملة وكسر الشين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ودال مهملة فى الآخر، فبَلْدة عند مَصَبّ الفرقة الغربية التى يقع الاعتناء بحفظها .

وفى ذلك نظر لاعتباره الغربيةَ ورشيد من سواحل البحيرة، و بينهما بُعْدٌ يبعد

١٠ معه أن يجتمعا فى كورة واحدة .

وأما البُحَيْرَةُ، فالظاهر أنه يريد بحيرة بُوقِير المتقدّم ذكرها فى الكلام على القواعد القديمة، ويأتى بقية الكلام عليها فى الأعمال المستقرّة إن شاء الله تعالى .

العاشرة[2] — (كورة مَرْيُوطُ) . ومريوط بفتح الميم وسكون الراء المهملة وضم الياء المثناة تحت وسكون الواو وطاء مهملة فى الآخر، وهى ناحية غربىّ الإسكندرية

١٥ داخلة الآن فى عملها، بها الأشجار والبساتين، وفواكهها تحمل للإسكندرية .

الحادية عشرة — (كورة لُوبِيَةَ ومَرَاقِيَةَ) . أما لُوبِيَةُ، فبلام وواو وباء موحدة ثم ياء مثناة تحت وهاء فى الآخر . قال فى "الروض المعطار" : وهى كورة

(١) قال ياقوت فى كلامه على «إخنا» : « ووجدته فى غير نسخة من كتاب فتوح مصر بالجيم، وأحفيت فى السؤال عنه بمصر فلم أجد من يعرفه إلا بالخاء، وقال القضاعى وهو يعدّد كور الحوف الغربى : ٢٠ وكورة إخنا ورشيد والبحيرة وجميع ذلك قرب الإسكندرية» وفى الأصل : «إخنا» وقد أوردناها بالجيم فى الأول لإثبات الروايتين والسياق يقتضيها .

(٢) سقطت التاسعة من قلم الناسخ وهى "كورة البَشْنون" وقد ذكرها ٱبن دقاق فى كتاب "الانتصار" .

من كُوَر مصر الغربية، متصلة بالإسكندرية. قال: وقد قيل إن الإسْكَنْدَرَ كان منها.

وأما مَرَاقِيَةُ، فبميم وراء مهملة وألف وقاف وياء مثناة تحت وهاء فى الآخر.

وقد ذكر القضاعى فى تحديد الديار المصرية ما يقتضى أنهما بجوار بَرْقَةَ، فقال: إن الذى يقع عليه آسم مصر من العريش إلى لُوبِيَةَ ومَرَاقِيَةَ، ثم قال: وفى آخر أرض مراقية تلقى أرض أنطابُلُس، وهى بَرْقَة: والظاهر أن لوبية غربىَّ مريوط، ومراقية غربى لوبية، وهى آخر أرض الديار المصرية من جهة الغرب.

الحَيِّزُ الثالث

كُوَر القِبْلة، وفيها خمس كور:

الأولى — (كورة الطُّور وفاران). أما الطُّور فضبطه معروف. قال فى المشترك: والطور فى اللغة العبرانية آسم لكل جَبَل، ثم صار عَلَماً لجبال بعينها، منها: جبل طُورِزَيْتَا بلفظ الزيت، وهو آسم لجبل برأس عين من بلاد الجزيرة، وجبل بالقُدْسِ، وجبل مُطِلّ على طَبَرِيَّةَ، وطُور هرون بالقُدْس، وطُور سينا، وهو المراد هنا، وهو جبل داخلٌ فى بحر القُلْزُم على رأسه دَيْرٌ عظيم، وفى واديه بساتينُ وأشجار، وهو على مَرْحلة من فُرْضَةِ الطور المتقدّمة الذكر فى تحديد بحر القُلْزُم، وكأنها سميت بآسمه لقربها منه. قال آبن الأنبارىّ فى "كتابه الزاهر": وسمى الطُّور بطُور بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وأما فارانُ، فبفاء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة بعدها ألف ثانية ثم نون، قال فى "الروض المعطار": وهى مدينة صغيرة من بر الحجاز على جون على البحر. قال: ولجبال فاران ذكر فى التوراة.

الثانية — (كورة رَايَةَ والقُلْزُم). أما راية فمن الأسماء التى جهلت، وقد ذكرها آبن سعيد مقرونة بالقلزم فقال: ورايَةُ والقُلْزُم من كور مصر.

وأما القُلْزُم ، فقال فى المشترك : هو بضم القاف وسكون اللام وضم الزاى المعجمة ثم ميم فى الآخر، وهى مدينــة قديمة على ساحل بحر القُلْزُم و إليهـا ينسب البحر المذكور .

قال فى "القانون" : وطولهـا ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها ٥ ثمانٍ وعشرون درجة وعشرون دقيقة، وعلى القرب منها غَرِق فِرْعَوْنُ .

الثـالثة — (كورة أَيْلَةَ وحَيِّزِها ، ومَـدْيَنَ وحَيِّزِها ، والعَوْنِيد وحَيِّزها ، والحَوْرَاءِ وحَيِّزِها) .

أما أَيْلَةُ، فقال فى "تقويم البلدان": هى بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وهاء فى الآخر،قال : وهى كانت مدينة صغيرة خرابا على ساحل بحرالقُلْزُم.

١٠ قال فى "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وأربعون دقيقة .

قال فى "تقويم البُلْدان":وبها زرع يسير، وهى مدينة اليهود الذين جعل منهم القِرَدَةَ والخنازير ، وعليها طريق حُجّاج مصر . قال : وهى فى زماننا برج وبه وَالٍ من مصر وليس بها مزدرع، وكان بها قلعة فى البحر فبطلت ونُقِل الوالى إلى البرج .

وأما مَدْيَنُ،فضبطها معروف،وهى فى الأصل آسم لقبيلة شُعَيْب عليه السلام ١٥ وكانوا مقيمين بهـا فسميت البلد بهم، وهى مدينــة خَرابٌ على بحر القُلْزُم محاذيةٌ لتَبُوكَ من بلاد الشأم على نحـو ست مراحل منهـا، وعدّها فى "الروض المعطار" من بلاد الشأم ، وبها البئر التى آستق منها موسى عليـه السلام لبنات شُعَيْب وسقى غنمهنّ .

قال آبن سعيد : وسعة البحر عندها نحو مجرى .

٢٠ وأما العَوْنِيد، فبعين مهملة وواو و ياء مثناة تحت ونون ودال.قال فى "الروض المعطار" : وهى مدينة قريبــة من نصف الطريق بين جُدَّةَ والقُلْزُم . قال : وعلى

القرب منها مرسى صـنا ، يخدر المـاء بها عن أثر قدم من أوسط الأقدام بينـة الكعب والأخمص والأصابع لم يعفها الزمان، ولا تمحى بمرور المـاء عليها .

وأما الحَوْرَاءُ ، فبحاء مهملة مفتوحة بعـدها واو ساكنة وراء مهملة مفتوحة ثم ألف فى الآخر . قال فى "الروض المعطـار" : وهى مدينـة على ساحل وادى القُرى بها مسجد جامع ، وبها ثمـانية آبار عَذْبَة، وبها ثمـار ونخل وأهلها عرب من جُهَينَة و بَلِيّ . ٥

قلت : والمعروف فى زماننا أن الحَوْرَاءَ منزلة بطريق حُجّاج مصر ، ولعلها على القرب منها .

الرابعة ــ كورة بَدَا يعقوب وشُعَيْب، ولم أعلم حقيقة مكانهما .

قلت : ذكر القضاعىّ أَيْلَةَ ومَدْيَنَ وما والاهما ممـا على ساحل بحر القُلْزُم من بر الحجـاز فى أعمـال مصر جريا على ما قدّمه من إدخال ذلك فى تحديد الديار المصرية، على أنه قد أهمل من جملة الديار المصرية حَيِّزَيْنِ آخرين . ١٠

الحَـــيِّز الأوّل

بلاد ألواح

إذ هى داخلة فى حدود الديار المصرية على ما حدّده هو وغيره . ١٥

قال فى "اللُّبَاب" : وهى بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الواو وفى آخره حاء مهملة، وقال فى "المشترك" : واح بغير ألف ولام ويجمع على واحات، وهى ناحية غربىّ بلاد الصعيد منقطعة عنه خلف الجبل الغربىّ من جبلى مصر المتقدّم ذكرهما .

قال فى "مسالك الأبصار" : وهى بين مصر والإسكندرية والصعيد والنُّوبة والحبشة . قال فى "تقويم البُلْدان" : والبَرَارى محيطة بهـا من جميع جهاتها، وهى بينها كالجزيرة، بين رمال ومَفاوزَ . ٢٠

قال البكرى: وهو إقليم مستقلٌ غير مفتقر إلى سواه. قال فى "الروض المعطار": وهى آخر بلاد الإسلام، وبينها وبين بلاد النُّوبة ستُّ مراحل . قال : وفى هذه الأرض شَبِّية وزاجِيَّة وعيون حامضة الطعوم، ولكل نوع منها منفعة وخاصة، وبها العيون الجـارية، والبساتين، والثمـار، والتمر الكثير؛ وبهـا مدن كثيرة مسوَّرة ٥ وغير مسوّرة .

قال فى " المشـترك " : وهى ثلاث كور : واح الأولى ، وواح الوسـطى، وواح القُصْوى .

قلت : والأولى منها — مقابل الأعمـال البهنساوية ، وهى أعمرها وأكثرها ثمرة، ومنها يجلب التمر والزبيب الكثير، وتعرف بواح البهنسى وبالواح الخاصّ .

١٠ والثانية — مقابل شمالىّ الأعمال الأَسْيوطية، وتعرف بالواح الداخلة، وهى تلو ألواح الأولى فى العمارة؛ بهـا مُدُن مشهورة، منهـا السلمون والهنداو والقَلَمُون والقصير وغيرها .

والثالثة — مقابل جنوبىّ ألْوَاحِ الثانية، وتعرف بألْوَاحِ الخارجة؛ وبين ريف الصعيد وبين جميعها عرض جبل مصر الغربى، ومسيرته ثلاث مراحل فما دونها ١٥ بحسب ٱختلاف الأماكن والطرق .

قال فى " التعريف " : وهى جارية فى إقطاع أمراء مصر، وهم يولُّون عليها من قِبَلِهم . قال : ومَغَلُّها كأنه مصالحة لعدم التمكن من ٱستغلاله أُسْوَةَ بقية ديار مصر، لوقوعه منقطعا فى البلاد النائية والقِفَار النازحة .

قال فى "مسالك الأبصار" : ولا تعدّ فى الولايات ولا الأعمـال ، ولا يحكم ٢٠ عليها من قِبَل السلطان .

الحَـــيِّز الثـانى

بَرْقَـــةُ

بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وهاء فى الآخر . قال فى "تقويم البُلْدان" : وهى من الإقليم الثالث . قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها آثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعَرضها آثنتان وثلاثون درجة . وهى أرض مُتَّسِعَةُ الأرجاء ، مديدة القضاء ، وهى من أزكى الأراضى دوابَّ ، وأمراها مرعًى .

٥

قال فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى بعض مَنْ رآها أنها شبيهة بأطراف الشأم وجبال نابُلُس فى مَنَابت أشجارها وكيفية أرضها وما هى عليه، وأنها لو عمرت بالسكان وتأهلت بالزُّرّاع ، كانت إقليما كبيرا يقارب نصف الشأم، قال : وبها الماشية والسائمة الكثيرة : من الإبل والغنم والخيل، وخيلُها من أقوى الخيل وأصلَبها حوافر، وصُوَرُها بين العِـرَابِ والبراذين ، وقد جمعت بين حسن العِرَابِ وكمال تخاطيطها ، وصلابة البراذين وثباتها على الوُعُور ، وهى إلى محاسن العِرَابِ أقرب ، ولكنها لا تبلغ شَأْوَ خيل البحريْنِ والحجـاز، وفحولها أنجبُ من إناثها . قال : وكذلك بهـا المدن المبنية، والقصور العلية، والآثار الدالة على ما كانت عليه من الجلالة .

١٠

١٥

قال آبن سعيد : وهى سلطنة طويلة ، وإن لم يكن لها آستقلال لآستيلاء العرب عليها، وهى إلى إفْرِيقِيَّةَ أقرب منها إلى مصر . قال : وكان سريرها فى القديم بمدينة (طَبَرْقَةَ) . وذكر صاحب "الروض المعطار": أن قاعدتها كانت مدينة (أنطابُلُس)، وقد تقدّم من كلام القضاعى فى تحديد الديار المصرية فى آخر الحدّ الشمالى ما يوافقه .

قال فى "مسالك الأبصار" : ومن مدنها طُلْمَيْثَا . قلت : والتحقيق أن بَرْقَةَ قسمان : قسم محسوب من الديار المصرية، وهو ما دون العَقَبة الكبرى إلى الشرق،

٢٠

وقسم محسوب من إفْرِيقِيَّةَ، وهو مافوق العقبة المذكورة إلى الغَرْب، وهذه المُدُن
الثلاث ممـا يلى جهة المغرب، والقسمان كلاهما اليوم بيد العرب أصحاب المـاشية.
قال فى "مسالك الأبصار": وربما زرع بعضهم فى بعض أرضها فأنجب، ولكنهم
أهل بادية لا عناية لهم بعمارة ولا زرع . قال : وأمرها إلى صاحب مصر يُقْطِعها
٥ بالمناشير تارة لبعض الأمراء وتارة للعرب يأخذون عدادها، وكأنه يريد القسم الذى
هو من مصر . .

الضـــرب الثـانى

من كور الديار المصرية نواحيها وأعمالها المستقرّة ، ولها وجهان :

الوجـــه الأوّل

١٠ القبـــلىّ

وهو المعبر عنه بالصعيد، وقد تقـدّم بيانه فى الكلام على الكُوَر القديمة، وبه
تسعة أعمـال :

العمل الأوّل — الجيزِيَّة . وهو أقربها إلى الفُسْطَاط والقاهرة، ومقرّ ولايته
مدينة الجِيزَة (بكسر الجيم وإسكان الياء المثناة تحت وفتح الزاى المعجمة وبعـدها
١٥ هاء) وموقعها فى الإقليم موقع الفُسْطَاط، وطولها وعرضهما واحد؛ وإليها ينسب
الربيع الجِيزِىّ راوى الأمّ عن الشافعىّ رضى الله عنه .

قال فى "الروض المعطار": ويقال إن بهـا قبر كَعْب الأَحْبَار، وهى مدينة
لطيفة على ضَفَّة النيل الغربية مقابل جزيرة المِقْياس المتقدّمة الذكر والنيل بينهما،
وبعض هذا العمل يأخذ فى جهة الشَّمال إلى الوجه البحرىّ الآتى ذكره .

٢٠ قال فى "الروض المعطار": والجِيزَةُ اختطها عمرو بن العاص رضى الله عنه .

العمل الثانى — الإطفيحيّة . وهو شرقىّ النيل فى جنوب الفُسْطَاط ، مُصاقِبٌ بركة الحبش وبساتين الوزير. ومقرّ ولايته مدينة "إطْفيح" (بكسر الهمزة وإسكان الطاء المهملة وبالفاء والياء والحاء المهملة) وربما قلبت الطاء تاءً مثناةً فوقُ، وهى مدينة لطيفة فى البر الشرقىّ، وموقعها فى الإقليم الثالث، ولم يتحرر لى طولها وعَرْضها، وعملها ما بين المقطم والنيل آخذا عنها جنوبا وشمالا، وليس لعملها كبير ذكر .

العمل الثالث — البَهْنَسَاوِيّة . وهو مما يلى عمل الجيزَة من الجهة الجنوبية، ومقرّ ولايته مدينة البَهْنسى . قال فى "المشترك" : (بفتح الباء وسكون الهاء وفتح النون وسين مهملة مفتوحة وألف مقصورة) وهى مدينة لطيفة قديمة بالصعيد الأدنى بالبر الغربىّ من النيل تحت الجبل بطوق المزدَرَع مركبة على ضَفّة بحر الفيوم . وموقها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : طولها إحدى وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها ثمان وعشرون درجة .

العمل الرابع — الفَيُّومِيّة . وهو مُصَاقِبٌ لعمل البَهْنسى من غربيه، وبينهما منقَطَع رمل. وهو من أعظم الأعمال وأحسنها عمارة، كثيرُ البساتين، غزيرُ الفواكه، دارُ الأرزاق . يقال إنه كان مصصل[(1)] مياه الديار المصرية فاستخرجه يوسف عليه السلام وجعله ثلثمائة وستين قرية لتَمِيرَ كلُّ قرية منها بلدَ مصرَ يوما من أيام السنة .

قلت : وأما الآن فقد نقصت عدّة قراه بسبب ما عراها من ركوب ماء البركة التى هى مبصّل[(1)] مياهه، المتقدّم ذكرها فى جملة بحيرات الديار المصرية وركوب مائها على أكثر القرى المجاورة لها، ولولا ما هو شامل له من بركة الصدّيق عليه السلام،

(1) كذا فى الأصل بدون نقط ولعله مصحف عن ممصل أى مكان المصل والرشح . وفى خطط المقريزى : وقد كان مغيض ماء النيل . وفى تقويم البلدان : كان فى وهدة وقد سيق إليه نهر من رشح باء النيل . وفى المسعودى : وكان مصفاة .

لكانت قد غَطَّتْ جميع بلاده . إذ المياه تنصبُّ إليها شتاءً وصيفا على ممرّ الدهور وتعاقب الأيام ، وليس لها مَصْرِف تتصرف منه ضرورةَ إحاطة الجبال بها من الجهات التي هي بصَدَدِ أن تُصْرف منها ، ولقد اجتهد بعض حُكّام الزمان على أن يتحيل في عمل مَصْرِف يُقْطَع في الجبل لتتصرف منه مياهها فلم يجد إلى ذلك سبيلا .
٥ ولو كان ذلك في حَيِّز الإمكان، لفعله يوسف عليه السلام .

قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات": ويقال إنه على جميع الفَيُّوم سورٌ دائر، ومقرّ ولايته (مدينة الفَيُّوم) وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال في "القانون" : وطولُها أربع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعَرْضها ثمان وعشرون درجة وعشرون دقيقة .

١٠ وقال في "تقويم البُلْدان": القياس أن طولها ثلاث وخمسون درجة ،وعرضها تسعٌ وعشرون درجة ، وهي مدينة حسنة على ضَفَّة البحر المَنْهى حسنة الأبنية ، زاهية المعالم . وبها الجوامع والرُّبُط والمدارس ، وهي راكبة على الخليج المنهى من جانبيه ، وهو مخترق وسطها . قال في "العزيزى" : وبين الفَيُّومِ والفُسْطَاطِ ثمانية وأربعون مِيلًا .

١٥ العمل الخامس — عمل الأُشْمُونِينِ والطحاوية . وهو مصاقب لعمل البهنسى من جنوبيه، وهو عمل واسع كثير الزرع، واسع الفضاء، متقارب القُرى . ومقرّ الولاية به (مدينة الأُشْمُونِينِ) بضم الألف وسكون الشين المعجمة وضم الميم وسكون الواو وفي الآخر نون . وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على ما ذكره في "تقويم البُلْدان" والإقليم الثاني على ما يقتضيه كلام المقرّ الشهابيّ بن فضل الله
٢٠ في "مسالك الأبصار" حيث جعل آخر الإقليم الثاني دَهْروط من البهنساوية .

قال فى "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها ست وعشرون درجة؛ وهى مدينة لطيفة بالبر الغربىّ من النيل ، كانت فى الأصل مدينة قديمة بناها أُشْمون بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، ثم خربت ودَثَرت، وبنيت هذه المدينة على القرب منها . وكان هذا العملُ فيما تقدّم عملين : أحدهما عمل الأُشْمُونَيْنِ هذا، والثانى عمل طَحَا المدينة (بفتح الطاء والحاء المهملتين وألف فى الآخر) وقد تقدّم ذكرها فى الأعمال القديمة، ثم أضيفا وجعلا عملًا واحدا .

العمل السادس — المَنْفَلُوطِيَّة . وهو مُصَاقِبٌ لعمل الأُشْمُونَيْنِ من جنوبيه، وهو من أخصّ خاصّ السلطان الجارى فى ديوان وزارته، ومنه يحمل أكثر الغلال إلى الأهراء السلطانية بالفُسْطَاطِ . ومقرّ ولايته (مدينة مَنْفَلُوطَ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : (بفتح الميم وسكون النون وفتح الفاء وضم اللام ثم واو وطاء مهملة فى الآخر) . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة فيما ذكره فى "تقويم البُلْدان" ومن أواخر الإقليم الثانى على ما يقتضيه كلام "مسالك الأبصار" .

قال فى "كتاب الأطوال" : وطولها ٱثنتان وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وعشرون درجة وأربعون دقيقة ؛ وهى مدينة لطيفة بالبرّ الغربىّ من النيل بالقُرب من شَطِّه .

العمل السابع — الأَسْيوطِيَّة . وهو مصاقب لعمل مَنْفَلُوطَ من جَنُوبيّه، وهو عمل جليل، ومقرّ الولاية به (مدينة أُسْيُوطَ)[1] بضم الألف وسكون السين وضم المثناة تحت وفى آخرها طاء مهملة . هكذا ضبطه السمعانى فى "كتاب الأنساب" :

---

(١) ضبطها فى القاموس كذلك وضبطها ياقوت بالفتح .

وذكرها فى "الروض المعطار" فى حرف الهمـزة، ووقعت فى شـعر ابن الساعاتى بغير ألف فى قوله :

لِلّهِ يَـوْمٌ فى سُـيُوطَ ولَيْـلَةٌ * عُمْـرُ الزَّمَان بِمِثْلِهَـا لا يَغْلَطُ
بِتْنَا بهـا ، والبَـدْرُ فى غُلَوَائه * وله بِجُنْحِ الليـل فَـرْعٌ أَشْمَطُ
والطَّيْرُ تَقْرأ ، والغَدِيرُ صَحِيفَةٌ، * والرِّيحُ تَكْتُبُ، والغَمَام يُنَقِّطُ

و إثبات الألف فيها هو الجارى على ألسنة العامّة بالديار المصرية ، والثـابت فى الدواوين حذفها . وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال": وطولها إحدى وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وعشر دقائق . وهى مدينة حسنة فى البر الغربى من النيل على مرحلة من مَنْفَلُوطَ، وبها مساجدُ ومدارسُ وأسواقٌ وقيا يسرُ وحَمّامات .

العمل الثـامن — (الإخْمِيمِيَّة) . وهو مُصَاقِبٌ لعمل أُسْيُوطَ من جنوبيّه ، وهو عمل ليس بالكبير، وبلاده أكثرها بالبر الغربى عن النيل ، وحاضرته (مدينة إخْمِيمَ) . قال فى "تقويم البُلْدان" : (بكسر الألف وسكون الخاء المعجمة والمثناة تحت بين الميمين ، والأولى منهما مكسورة) وموقعها فى أواخر الإقليم الثـانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : وطولها إحدى وخمسـون درجة وثلاثون دقيقـة ، وعرضها ست وعشرون درجة . وهى مدينـة لطيفة بالبر الشرقى عن النيـل على مَرحلتين من أُسْيُوطَ ، وبها كانت البرابى العظامُ المتقدّمة الذكر، ويقال إن ذَا النُّونِ المصرىَّ العابد الزاهد منها، وولايتها مضافة إلى قُوصَ .

العمل التاسع — القُوصِيَّة . وهو مُصَاقِبٌ لعمل أُسْيُوطَ من جَنُوبه ، وهو عمل متسع القضاء بعيدُ ما بين القرى ، ينتهى آخره إلى أُسْوَان ، آخر الديار المصرية

فى البر الشرقىّ والغربىّ ، وهى بلاد التمر ، ومنها يجلب إلى سائر البلاد المصرية ، ومقرّ ولايته (مدينة قُوص) . قال فى "المشترك" : (بضم القاف وسكون الواو ، وفى الآخر صاد مهملة) وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال ابن سعيد: طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها ست وعشرون درجة، وهى مدينة جليلة فى البر الشرقىّ عن النيل، ذاتُ ديار فائقة، ورباع أنيقة، ومدارسَ ورُبُطٍ وحَمّامات ، يسكنها العلماء والتُّجّار وذوو الأموال، وبها البساتين والحدائقُ المستحسَنَة إلا أنها شديدة الحرّ، كثيرة العقارب، حتّى إنه يُقيَّض لها مَنْ يدور فى الليل فى شوارعها بالمَسَارج لقتلها، ويقاربها فى الكثرة أيضا سَامٌّ أَبْرَص .

قال المقر الشهابىّ بن فضل الله فى "مسالك الأبصار" : أخبرنى عز الدين حسن بن أبى المجد الصَّفَدِىّ أنه عدّ فى يوم صائف على حائط الجامع بها سبعين سَامَّ أَبْرَص على صفٍّ واحد . ومما يدخل فى عملها مما له ولاية مستقلة مدينة أَسْوَان . قال السمعانى : (بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الواو وبعدها ألف ونون) وخالف ابن خَلِّكَان فى "تاريخه" فضبطه بضم الهمزة ، وغَلَّطَ السمعانىَّ فى فتحها . وهى مدينة فى أوائل الحدّ الجنوبىّ من الديار المصرية ؛ وموقعها فى الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة .

قال فى "الأطوال" : طولها اثنتان وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة .

قال فى "القانون" : طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . وهى فى البر الشرقىّ من النيل، ذاتُ نخيل وحدائقَ، وهى من قُوصَ على نحو خمس مراحل .

قال فى "التعريف" : وواليها وإن كان من قِبَل السلطان فإنه نائب لوالى قُوص .

قلت : أما الآن، فقد صار لها وَالٍ مستقلٌّ بنفسه لا حكم لوالى قُوص عليه، وسيأتى الكلام عليها فى مراكز البريد، و يأتى الكلام على ولايتها فى جملة الولايات بالديار المصرية إن شاء الله تعالى .

الوجـــــه الثـانى

البحـــرىّ

وهو كل ما سَفَل عن القاهرة إلى البحر الرومى حيث مَصَبُّ النيل . وإنما سمى بَحْرِيًّا لأن منتهاه البحرُ الرومىّ، ولا يلزم من ذلك تسـمية الجانب الشرقى من الديار المصرية بَحْرِيًّا لأن نهايته إلى بحر القُلْزُم، لأن ٱنتهاءه إليـه ليس حقيقيا لأنقطاع بحر القُلْزُم عن بلاد الديار المصرية بالجبال والبرارى المُقْفِرَة ، بخلاف بحر الروم فإنه متصل بالبلاد مجاور لها فناسب النسبة إليه .

قلت : وقد وقع للقرّ الشهابى بن فضل الله فى "التعريف" فى بلاده وأعماله من الوَهْم ما لا يليق بمصرىّ على ما سيأتى بيانه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وهذا الوجه هو أرْطَبُ الوجهين وأقلُّهما حرا، وأكثرهما فاكهة وأحسنهما مُدُنًا.

ويشتمل على ثلاث شُعَب تحوى سبعة أعمال :

الشـــعبة الأُولى

شرقىّ الفرقة الشرقيـــة من النيــــل

وفيها أربعة أعمـال :

العمل الأوّل — الضـواحى : جمع ضاحية ، وهى فى أصـل اللغة البـارزة للشمس، وكأنها سميت بذلك لبروز قُرَاهَا للشمس، بخلاف المدينة لغَلَبة الكِنّ بها؛ وهو ما يجاور القاهرة من جهـة الشِّمال مرن القرى، وولايتها مضافة إلى ولاية القاهرة وداخلة فى حكمها، وليست منفردة بمقرّ ولاية غيرها .

العمل الثانى — القَلْيوبِيَّة . وهو مُصَاقِبٌ للضواحى من شماليها مما يلى جهة النيل ، وهو عمل جليل ، حسن القُرى ، كثير البساتين ، غزير الفواكه . ومقرّ الولاية به (مدينة قَلْيُوب)— بفتح القاف وإسكان اللام وضم المثناة تحت وسكون الواو وباء موحدة فى آخرها — وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة ، ولم يتحرّر لى طُولها وعَرْضها ، غير أنها من القاهرة فى جهة الشَّمال على نحو فرسخ ونصف من القاهرة . ٥

قلت : ومن بلادها بَلْدتنا (قَلْقَشَنْدَةُ) وهى بلدة حسنة المَنْظَر ، غزيرة الفواكه ، وإليها ينسب الليثُ بنُ سعد الإمام الكبير ، وقد ذكر آبن يونس فى "تاريخه" : أنه وُلِد بها . قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس، وليس لما يقولونه ثَبَات عندنا . ١٠

قال آبن خِلِّكَان : (بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنه) وهكذا هى مكتوبة فى دواوين الديار المصرية ، وأبدل ياقوتٌ فى "مُعْجَم البُلْدان" اللامَ راءً، وهو الجارى على ألسنة العامّة ، وعليه جرى القُضَاعى فيما رأيته مكتوبا فى "خِطَطه": قال آبن خِلِّكَانَ : وهى على ثلاثة فراسخ من القاهرة [وهى بلدة حسنة المَنْظَر ، ١٥ كثيرة البساتين ، غزيرة الفواكه وإليها ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير . قال آبن يونس فى "تاريخه" : ولد بها ، ثم قال : وأهل بيته يذكرون أن أصله من فارس وليس لما يقولونه ثبات عندنا . وذكر[1]] .

وقال القضاعى فى "خططه" فى الكلام على دار الليث بالفُسْطاط : وكان له دار بقَرْقَشَنْدَة بالرِّيف ، بناها فهدمها آبن رفاعة أميرُ مصر عنادا له ، وكان آبنُ عمه، ٢٠

---

(١) ما بين المربعين تقدم بلفظه فى هذه الصفحة فهو مكرر .

فبناها الليثُ ثانيا فهدمها ، فلما كانت الثالثة ، أتاه آتٍ فى منامه فقال له ياليثُ : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ فأصبح وقد أُفْلِجَ ابنُ رِفَاعة فأوصى إليه ومات بعد ثلاث . وبقى اللَّيْثُ حتَّى توفى فى منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ، وصلَّى عليه موسى بن عيسى الهاشمىّ أمير مُصر للرشيد .

وترجم له ابن خلكان بالأصبهانىّ ، ثم قال فى آخر ترجمته : ويقال إنه من قَلْقَشَنْدَةَ .

قلت : وما قاله ابن يونس أثبت ، ويجب الرجوع إليه لأمرين : أحدهما أنه مصرىّ وأهل البلد أخبر بحال أهل بلدهم من غيرهم . الثانى أنه قريب من زمن الليث فهو به أدرى ، إذ يجوز أن يكون أصله من أصبهان ، ثم نزل آباؤه قَلْقَشَنْدَةَ المذكورة وولد بها وسكنها ، فنسب إليها كما وقع فى كثير من النِّسَب ؛ وإعادة داره بها بعد هدمها ثلاث مرات على ما تقدّم ذكره فى كلام القضاعىّ دليل اعتنائه بشأنها وميله إليها ، وحينئذ فلا منافاة بين النسبتين .

وذكر فى " الروض المعطار " أنه كان له ضَيْعة على القرب من رشيد من بلاد الديار المصرية ، يدخل عليه منها فى كل سنة خمسون ألف دينار لم تجب عليه فيها زكاة .

العمل الثالث — الشرقية . وهو مصاقب للضواحى من شَمَاليها مما يلى جهة المُقَطَّم ، والقليوبية من جهة الشمال أيضا ، وهو من أعظم الأعمال وأوسعها . إلا أن البساتين فيه قليلة بل تكاد أن تكون معدومة ، لاتصاله بالسِّباخ وبَدَاوة غالب أهله ، وآخر العمران فيها من جهة الشَّمال الصَّالِحِيَّة ، وما وراء ذلك منقَطَع رمال على ما تقدّم ذكره فى المنقطع عنها من جهة الشرق ؛ ومَقَرُّ ولايته مدينة بِلْبَيْسَ . قال فى " تقويم البُلْدان " : (1) (بكسر الباء الموحّدة وسكون اللام وفتح الباء الموحّدة

(1) قال فى القاموس : "بلبيس كغرنيق وقد يفتح أوّله بلد بمصر" وضبطه ياقوت بكسر الباءين وسكون اللام .

وسكون المثناة تحت ثم سين مهملة) . كذا ذكره ، والجارى على الألسنة ضم الباء فى أوّلها ، وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .

قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن يكون طولهـا أربعا وخمسين درجة وثلاثين دقيقة ، وعَرْضها ثلاثين درجةً وعشر دقائق . وهى مدينة متوسطة بهـا المساجد والمدارس والأسواق ، وهى مَحَطُّ رحال الدرب الشامى . وفى الركن الشمالى الجنوبىّ من هـذا العمل (بِنْهـا) . قال النووىّ فى شرح مسـلم : بكسر البـاء والمعروف فتحها ، وهى البلدة التى أهدى المُقَوْقِسُ إلى النبى صـلّى الله عليه وسـلم من عَسَلِهَا ؛ وفى آخره من جهـة الشرق (قَطْيَا) بفتح القاف وسكون الطـاء المهمـلة وفتح اليـاء المثناة تحت وألف فى الآخر . كذا وقـع فى "التعـريف" و "مسالك الأبصار" . وفى "تقويم البُلْدان" : إبدال الألف فى آخره بهاء ، وهى قرية بالرمل المعروف بالجِفَار على طريق الشأم على القُرب من ساحل البحر الرومىّ .

قال فى "التعـريف" : وقد جعلت لأخذ المُوجَبـات ، وحفظ الطُّرُقات ، وأمرها مهمّ ، ومنها يطالع بكل صادر ووارد .

العمل الرابع — (الدَّقَهْلِيَّةُ والمُرْتاحية) . وهو مُصَاقِبٌ لعمل الشرقية من جهة الشِّمال ، وأواخره تنتهى إلى السِّـباخ وإلى بحيرة تِنِّيس المتصـلة بالطينة من طريق الشأم ؛ ومقرّ الولاية به (مدينة أُشْمُومَ) بضم الهمزة وإسكان الشين المعجمة وبعـدها ميم ثم واو وميم ثانيـة ، كما ضبطه فى "تقويم البُـلْدان" ونقله عن خط ياقوت فى "المشـترك" والذى فى "اللُّبَـابِ" إبدال الميم فى آخرها بنون ، وعزاه فى "تقويم البلدان" للعامّة .

قال فى "تقويم البُلْدان" : والقياس أن طولها أربع وخمسون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وأربع وخمسون دقيقة . وهى مدينة صغيرة على ضَفَّةِ الفرقة

التى تذهب إلى بُحَيرة تِنّيس من فرقة النيل الشرقية من الجهة[1]؛ وبآخر هـذا العمل (مدينة دِمياط) بكسر الدال المهملة وسكون الميم وياء مثناة من تحت وألف وطاء، قال فى "الأطوال" : طولهـا ثلاث وخمسون درجة وخمسون دقيقـة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة .

٥ وقال ٱبن سعيد : طولها أربع وخمسون درجة، وعَرْضها إحدى وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . وهى واقعة فى الإقليم الثالث ؛ وهى مدينـة حَسَنة عند مَصبّ الفرقة الشرقية من النيل فى بحر الروم ، ذات أسواق وحَمّامات ، وكان عليها أسوار من عمارة المتوكل : أحد خلفاء بنى العبّـاس ، فلما تسلطت عليها الفرنج وملكتها مرّة بعد مرّة ، خَرَّبت المسلمون أسوارَها فى سنة ثمان وأربعين وستمائة خوفا من

١٠ ٱستيلائهم عليها، وهى على ذلك إلى الآن، ولها ولاية خاصّة بها .

الشُّـــعبة الثـانيـــة

غربىّ فرقة النيل الغربية؛ وفيها عملان :

العمل الأوّل — عمل البُحَيرة . وهو مما يلى عمل الجيزة المقدّم ذكره من الجهة البحرية ، وهو عمل واسع ، كثير القرى، فسيح الأَرَضِين . ومقرّ ولايته (مدينـة

١٥ دَمَنْهُور) — بفتح الدال المهمـلة والميم وسكون النون وضم الهـاء وسكون الواو وفى آخرها راء مهملة — وتعرف بدَمَنْهُور الوَحْش . وهى مدينـة متوسطة ذات مساجدَ ومدارسَ وأسواق وحمـامات . وموقعها فى الإقليم الثالث؛ ولم يتحرّر لى طُولهـا وعَرضها، غير أنها على نحو مرحلة من الإسكندرية بين الشرق والجنوب فليعتبر طولها وعرضها منها بالتقريب .

٢٠ قلت : ويدخل فى هذا العمل حَوْف رمسيس والكُفُور الشاسعة .

(١) لعله من الجهة الشرقية .

العمل الثانى — عمل المزاحمتين . وهو ما جاور خليج الإسْكَنْدَرِيَّة من جهة الشمال إلى البحر الرومىّ، وبعضه بالبر الشرقىّ من النيل ، وحاضرته (مدينة فُوَّة) . قال فى " تقويم البُلْدان " : بضم الفاء وتشديد الواو ؛ وهى مدينة متوسطة بالبر الشرقىّ من فرقة النيل الغربية يقابلها جزيرة لها تعرف بجزيرة الذهب ذاتُ بساتين وأشجار ومَنْظَرٍ رائق ؛ وليس بها ولاية . وإنما يكون بها شَادٌّ للخاص ، يتحدّث فى كثير من أمور الولاية، وهى فى الحقيقة كإخميم مع قُوص .

ويلى هذين العملين غربا بشَمال (مدينةُ الإسْكَندَرِيَّة) — بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الكاف وسكون النون وفتح الدال وكسر الراء المهملتين وتشديد الياء المثناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر — وموقعها فى الإقليم الثالث .

قال فى كتاب " الأطوال " : طولها إحدى وخمسون درجة وأربع وخمسون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة وثمانٌ وخمسون دقيقة ، وقد تقدّم القول على أصل عِمارتها فى الكلام على قواعد الديار المصرية قبل الإسلام .

وهى الآن بالنسبة إلى ماتشهد به التواريخ من بنائها القديم جزءٌ من كلٍّ، وهى مع ذلك مدينة رائقة المَنْظَرِ، حسنة الترصيف، مبنية بالحجر والكلْس، مُبَيَّضَةُ البيوت ظاهرا وباطنا كأنها حَمَامةٌ بيضاء ، ذات شوارع مُشْرعة ، كلُّ خط قائم بذاته كأنها رُقْعة الشِّطْرَنْج ، يستديربها سُورانِ منيعان ، يدور عليهما من خارجهما خَنْدَقٌ فى جوانب البلد المتصلة بالبر، ويتصل البحر بظاهرها من الجانب الغربىّ مما يلى الشَّمَال إلى المشرق حيث دارُ النيابة ؛ وبهما أبراج حصينة عليها الستائر المسترة والمجانيق المنصوبة .

قال ابن الأثير فى " عجائب المخلوقات ": ويقال إن مَنَارها كان فى وسط البلد وإن المدينة كانت سبع مَحَجّات ، وإنما أكلها البحرُ، ولم يبق إلا مَحَجّة واحدة ،

وهى المدينة الباقية الآن وصار مكانُ المنار منها على مسيرة ميل . قال : ويقال إن مساجدها أُحصيتْ فى وقت من الأوقات فكانت عشرين ألف مسجد ؛ وبها الجوامع والمساجد، والمدارس، والخَوانق، والرُّبُط، والزوايا، والحَمّامات، والدِّيار الجليلة، والأسواق الممتدّة . وفيها يُنْسَج القماش الفائق الذى ليس له نظير فى الدنيا، وإليها تهوِى ركائب التجار فى البر والبحر، وتَمِير من قُمَاشِهَا جميع أقطار الأرض، وهى فُرْضَــةُ بلاد المغرب، والأَنْدَلُس، وجزائر الفــرنج، وبلاد الروم، والشأم . وشُرْب أهلها من ماء النيل، من صهاريج تملأ من الخليج الواصل إلى داخل دُورها، وآستعمال المــاء لعامّة الأمر من آبارها ، وبجَنَبات تلك الآبار والصهاريج بالُوعاتٌ تصرف منها مياه الأمطار ونحوها؛ وبها البساتين الأنيقــة ، والمستنْزَهات الفائقة ، ولهم بهــا القصور والجَواسِق الدقيقة البناء ، المحكمة الجُــدُر والأبواب ؛ وبهــا من الفواكه والثمــار ما يفوق فواكه غيرها من الديار المصرية حُسنا مع رِخَص الثمن؛ وليس بها مزارعُ ولا لها عملٌ واسع، وإن كان متحصِّلها يعدل أعمالا : من واصل البحر وغيره ؛ وهى أجلُّ ثغــور الديار المصرية ، لا يزال أهلها على يقظة من أمور البحر والاحتراز من العدو الطارق؛ وبها عسكر مستخدم لحفظها .

قال فى " مسالك الأبصار " : وليس بالديار المصرية مدينة حاكمها موسوم بنيابة السلطنة سواها .

قلت : وهذا فيما تقــدّم حين كانت النيابة بها صغيرة فى معنى ولاية . أما من حين طرقها العدوّ المخذول من الفــرنج فى سنة سبع وســتين وسبعمائة وآجتاحَ أهلها وقتل وسبي ، فإنها آســتقرت من حينئذ نيابةً كبرى تضاهى نيابة طرابُلُس وحَمَاة وما فى معناهما ، وهى على ذلك إلى الآن؛ وسيأتى الكلام على نيابتها فى الكلام على ترتيب المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

———

الشُّـعْبة الثـالثـة

ما بين فِرْقتى النيل الشرقية والغربية، وهو جزيرتان :

الجزيرة الأولى — جانبها الشرقى يمتدّ فى طول فرقة النيل الشرقية إلى مصبه فى البحر المِلْح حيث دِمْياط بالقرب منها ، وجانبها الغربى يمتدّ فى طول فرقة النيل الغربية إلى مُجاه أبى نُشَّابة من عمـل الجيزة فينشأ بحُر أبيار المتقدّمُ ذكره، ويمتدّ فى طولهـا إلى قرية الفَرسْتَق خارجَ الجزيرة من الغرب فيتصلُ بفرقة النيـل التى تفرّع منها على ما تقدّم، ويمتدّ فى طولها إلى مصبه فى البحر الملح حيث رشيد .

وتشتمل هذه الجزيرة على عملين :

العمل الأوّل — المُنُوفية . وأوّله من الجنوب من القرية المعروفة بشَطَّنَوْف على أوّل الفرقة الغربيـة من النيل ؛ ومقرّ ولايتـه (مدينة مُنُوف)[1] — بضم الميم والنون وسكون الواو وفاء فى الاخر — وهى مدينة إسلامية بنيت بدلا من مدينة قديمـة كانت هناك قـد خربت الآن وبقيت آثارها كيانا ؛ وولايتهـا من أنفس الولايات، وقد أضيف إليها عمل أبيار، وهو جزيرة بنى نصر الآتى ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعـالى ، وهى مدينـة حسنة ذات أسـواق ومساجد، ومسجد جليل للخطبة، وحَمّام، وخانات .

قلت : وربما غلط فيها بعض الناس فظن أنها مَنْف المتقدّمة الذكر فى الكلام على قواعد مصر القديمـة، وبينهما بُعْـد كثير، إذ مَنُف المتقدّمـة الذكر جنوبى الفُسْطَاطِ على آثنى عشر ميلا منه كما تقدّم ذكره ، وهذه شَمَالِىّ الفُسْطَاطِ والقاهرة فى أسفل الأرض .

---

(١) ضبطها ياقوت والقاموس بالفتح وتبعناهما فى كثير من المواضع .

العمل الثـانى — الغَرْبِيّة. وهو مُصَاقِبٌ للنوفية من جهة الشمال، ويمتدّ إلى البحر المِلْح بين مصبّى النيل إلا ما هو من عمل المزاحمتين على فرقة النيل الغربية من الشرق وهو عمل جليل القـدر، عظيم الخَطَر؛ به البلاد الحسنة، والقرى الزاهية، والبساتين المتراكبة وغير ذلك؛ وفى آخره مما يلى بحر الروم موقع ثَغْر البَرَلُّس .

٥ ويندرج فيه ثلاث أعمال أخر كانت قديمة، وهى القُوَيْسِنِيَّة، والسَّمَنُّودية، والدِّنجاوية، ومقرّ ولايته (مدينة المحَـلَّة) . قال فى "المشترك" : — بفتح الميم والحاء المهملة وتشديد اللام ثم هاء فى الآخر — وتعرف بالمَحَلَّة الكُبْرى، وقد غلب عليها آسم المحلة حتّى صار لا يفهم عند الإطلاق إلا هى .

قلت : ووقع فى "التعريف" : التعبير عنها بمَحَـلَّة المرحوم وهو وَهَمٌ، وإنمـا ١٠ هى قرية من قراها .

قال فى "المشترك" : ويقال لها محلة الدَّقَلا (بفتح الدّال المهملة والقاف) وهى مدينة عظيمة الشأن، جليلة المقدار، رائقة المَنْظَر، حسنة البناء، كثيرة المساكن، ذات جوامع، ومدارس، وأسواق، وحَمَّامات؛ وهى تعادل قُوص من الوجه القبلىّ فى جلالة قدرها، ورياسـة أهلها، ويفرق بينهما بما يفرق به بيـن الوجه القبلى ١٥ والوجه البحرى من الرطوبة واليبوسة .

الجزيرة الثانية — ما بين بحر أَبْيَار المتقدّم ذكره وبين الفرقة الغربية من النيل، وتعرف بجزيرة بنى نَصْر؛ وهى عمل واحد، وحاضرته (مدينة أَبْيَار) — بفتح الهمزة كما قاله فى "الروض المعطار" وإسكان الباء الموحدة وفتح المثنـاة تحت وبعدها ألف ثم راء مهملة — وهى مدينـة لطيفة حسنة المَنْظَر يُعمل فيها القُماش الفائق ٢٠ من المحررات وغيرها؛ وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة؛ ولم يتحرّر لى طولها ولا عرضها، وهى مضافة إلى ولاية مُنُوف، وليس بها الآن ولاية مستقلة .

الفصـــل الثالث

فيمن ملك الديار المصرية، جاهليةً وإســلاما

قال السلطان عمـاد الدين صاحب حماة فى "تاريخه" : وكانت أهـل مصر أهلَ مُلْك عظيم فى الدهور الخاليـة والأزمان السالفة، ما بين قبطى وبونانى وعمليق؛ وأكثرهم القِبْط . قال : وأكثر من تملك مصر الغُرَباء . ٥

وهم على ثلاثة مراتب :

المرتبـــة الأُولى

من ملكها قبل الطُّوفان، وقلَّ من تعرّض له من المؤرّخين

قد تقدّم فى الكلام على آبتداء عمارة مصر أن أوّل من عَمَرها قبل الطوفان نقراووس بن مصريم بن براجيل بن رزائيل بن غرباب بن آدم عليه السلام، ومعنى ١٠ نقراووس بالسريانية مَلِكُ قومه، وهو الذى عَمَر مدينة أمسوس أوّل قواعد مصر المتقدّم ذكرها؛ ثم ملكها بعده آبنه نقراووس الثانى مائة وسبع سنين؛ ثم ملكها بعده أخوه مصرام بن نقراووس الأوّل؛ ثم ملكها بعــده عنقام الكاهن ولم تطل مدّة ملكه؛ ويقال إن إدريس عليه السلام رُفِـع فى زمانه؛ ثم ملكها بعده آبنه غرناق؛ ثم ملك بعده رجل من بنى نقراووس آسمه لوجيم؛ ثم ملك بعده رجل آسمه ١٥ خصليم، وهو أوّل من عمل المِقْياس للنيـل على ما تقدّم ذكره؛ ثم ملك بعده آبنه هرصال، ومعناه بالسريانية خادم الزُّهَرَةِ، وهى مدينة شرق النيل، وعمل سَرَبًا تحت النيل إليها، وهو أوّل من عمل ذلك وأقام فى الملك مائة وأربعا وثلاثين سنة، ويقال إن نوحا عليه السلام ولد فى زمانه؛ ثم ملك بعده آبنه بُدْرسَان؛ ثم ملك بعده أخوه شمرود، وكان طوله فيما يقـال عشرين ذراعا؛ ثم ملك بعــده فرسيدون بن ٢٠ بُدْرسان المتقدّم ذكره مائة وستين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه شرناق مائة وثلاث سنين

ثم ملك بعده ٱبنه سهلوق مائة وتسع سنين؛ ثم ملك بعده ٱبنه سُوريدين، وهو الذى
بنى الأهرام العظام بمصر على ماتقدّم ذكره فى الكلام على عجائب مصر وخواصّها؛
ثم ملك بعــده ٱبنه هرجيب نَيِّفًا وسبعين ســنة ، وهو الذى بنى الهرم الأوّل من
أهرام دهشور؛ ثم ملك بعده ٱبنه مناوش ثلاثا وسبعين سنة؛ ثم ملك بعده ٱبنه
٥ أقروس أربعا وستين ســنة؛ وفى أيامه حصل القحط العظيم، وسلطت الوحوش
والتماسيح على الناس ، وأعْقَمَتِ الأرحام حتّى يقــال إن الملك تزوّج ثلثمائة ٱمرأة
يبغى الولد فلم يُولد له ، وذلك مقدّمة الطوفان؛ ثم ملك بعده رجل من أهل بيت
الملك ٱسمه أرمالينوس؛ ثم ملك بعــده ٱبن عمه فرعان ، وهو أوّل من لقب بلقب
الفراعنة، وكان قد كتب إلى ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام، وفى زمنه
١٠ كان الطوفان وهلك فيمن هلك .

المرتبــة الثـانيــة

من ملكها بعد الطوفان إلى حين الفتح الإسلامىّ

وللمؤرّخين فى ذلك خُلْف كثير، وقد جمعت بين كلام التواريخ التى وقفتُ
عليها فى ذلك، وهم على طبقات :

١٥ الطبقــة الأولى

ملوكها من القبـط

قد تقدّم فى الكلام على ٱبتداء عمارتها أن أوّل من عمرها بعد الطوفان بيصر بن
حام بن نوح عليه السلام، وكان بيصر قد كَبِر سنه وضعُف، فأقام يسيرا ثم مات ،
فدفن فى موضع دير أبى هرميس غربىّ الأهرام. قال القضاعىّ: ويقال إنها أوّل
٢٠ مقْبُرة دفن فيهــا بأرض مصر؛ وملك بعــده ٱبنه مصر فعمر وطالت مدّة ملكه ،

وعَمَرت البلاد فى أيامه وكَثُر خيرها، ثم مات؛ وملك بعده آبنه (قِبْطِيم)، وإليه يُنْسب القِبْطُ، ويقال إنه أدرك بَلْبَلَةَ الألسُن التى كانت بعد نوح عليه السلام، وهى ريح خرجت عليهم ففرّقت بينهم وصار كل منهم يتكلم بلغة غير لغة الآخر، وخرج منها باللغة القِبْطِيَّة؛ ثم ملك بعده آبنه (قِفْط)، وهو الذى بنى مدينة قِفْط بالصعيد الأعلى وسماها بآسمه، وآثارها باقية إلى الآن؛ ثم ملك بعده أخوه (أُشْمُن)، وهو الذى بنى مدينة الأُشْمُونَيْن المتقدّم ذكرها بالوجه القبلىّ، وطالت مدّته حتّى نُقِل أنه بقى ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين؛ ثم ملك بعده أخوه (أَتْرِيبُ)، وهو الذى بنى مدينة أَتْرِيبَ المتقدّمة الذكر بالوجه البحرىّ من الديار المصرية؛ ثمّ ملك بعده أخوه (صا)، وهو الذى بنى مدينة صَا المتقدّم ذكرها بالوجه البحرىّ أيضا؛ ثم ملك بعده (قفطريم) بن قِفْط، ويقال: إنه الذى وضع أساس الأهرام الدهشورية غير الهرم الأوّل الذى بناه هرجيب المتقدّم ذكره قبل الطُّوفان، وهو الذى بنى مدينة دَنْدَرى بالصعيد الأعلى، وآثارها باقية إلى الآن؛ ثم ملك بعده آبنه (بودشير)، وهو الذى أصلح جَنَبتى النيل بهندسته؛ ثم ملك بعده آبنه (عديم) ثم ملك بعده آبنه (شدات)، وهو الذى تمم الأهرام الدهشورية التى وضع أساسها قفطريم المتقدّم ذكره. ويقال: إن مدينة شُطْب التى بالقرب من مدينة أُسْيُوطَ بنيت فى أيامه، وآثارها باقية إلى الآن، وهو أوّل من ولع بالصيد وآتخذ الجوارح والكلاب السَّلُوقية، وعمل البيطرة من ملوك مصر، ومات عن أربعمائة وأربعين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه (منقاوش)، ويقال: إنه أوّل من عُمِل له الحَمَّام بمصر؛ ثم ملك بعده آبنه (مناوش) وطالت مدّته فى الملك حتّى بقى فيما يقال ثمانمائة سنة، وقيل ثمانمائة وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده (منقاوش) بن أُشْمن نيفا وأربعين سنة، وقيل ستين سنة، وهو أوّل من عمل له المَيْدَانُ بمصر، وأوّل من بنى البيمارستان لعلاج المرضى، وفى أيامه بنيت، مدينة سنتريه

بالْوَاحاتِ؛ ثم ملك بعده آبنه (مرقوره) نيّفا وثلاثين سنة، وفى كتب القِبْط أنه أوّل من ذلل السباع وركبها؛ ثم ملك بعده (بلاطس) خمسا وعشرين سنة؛ ثم ملكت بعده بنت من بنات أَتْرِيبَ خمسا وثلاثين سنة، وهى أوّل من ملك مصر من النساء؛ ثم ملك بعدها أخوها (قليمون) تسعين سنة، وفى أيامه بنيت مدينةُ دِمْيَاطَ على آسم غلام له كانت أمه ساحرة له، وفى أيامه بنيت أيضا مدينة تِنِّيسَ؛ ثم ملك بعده آبنه (فرسون) مائتين وستين سنة؛ ثم ملك بعده ثلاثة ملوك أو أربعةٌ لم يعين آسمهم؛ ثم ملك بعدهم (مرقونس) الكاهن ثلاثا وسبعين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه (ايساد) خمسا وسبعين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه (صا) وأكثر القبط تزعم أنه أخوه، نيفا وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه (تدراس)، وهو الذى حفر خليج سخا المتقدّم ذكره فى خُلْجَانِ مصر القديمة؛ ثم ملك بعده آبنه (ماليق)، ويقال: إنه خالف دينَ آبائه فى عبادة الأصنام، ودان بدين التوحيد. ولما أحس بالموت، صنعَ له ناوُوسا وكنز معه كنوزا عظيمة، وكتب عليها أنه لا يستخرجها إلا أمة النبيّ الذى يبعث فى آخر الزمان؛ ثم ملك بعده آبنه (حريا)، وفى بعض التواريخ حرايا خمسا وسبعين سنة؛ ثم ملك بعده آبنه (كلكن)، وفى بعض التواريخ كلكى نحوا من مائة سنة، وهو أوّل من أظهر عِلْم الكيمياء بمصر، وكان قبل ذلك مكتوما، وفى زمنه كان النُّمْرُوذُ بأرض بابل من العراق؛ ثم ملك بعده أخوه (ماليا)؛ ثم ملك بعده (حربيا) بن ماليق؛ ثم ملك بعده (طوطيس) بن ماليا، وفى بعض التواريخ طوليس سبعين سنة، وفى بعض التواريخ أنه ملك بعد أبيه ماليا؛ والقبط تزعم أن الفراعنة سبعة هو أوّلهم، وهو الذى أهدى هَاجَرَ لإبراهيم عليه السلام؛ ثم ملكت بعده أخته (حوريا)، وهى التى بنى لها جيرون المؤتفكىّ صاحبُ الشام مدينة الإِسْكَنْدرِيَّةِ حين خطبها على أحد الأقوال فى عمارتها ليجعلها مهرا لها، ثم آحتالت عليه فسمّته هو وجميع عسكره

فى خلع فماتوا؛ ثم ملكت بعدها بنت عمها (زلفى) ويقال دلفه بنت مأموم؛ثم ملك بعدها (أيمين) الأتريبى، وهو آخر ملوك القِبْط من هذه الطبقة . والذى ذكره القضاعىّ وغيره أنه ملكها بعد وفاة بيصر ابنُه مصر، ثم قِفْط بن مصر، ثم أخوه أشْمن، ثم أخوه أَتْرِيبُ، ثم أخوه صا، ثم ابنه تدراس، ثم ابنه ماليق، ثم ابنه حريا، ثم ابنه كلكن، ثم أخوه ماليا، ثم حربيا، ثم طوطيس بن ماليا، ثم ابنته حوريا، وهى أوّل من ملكها من النساء، ثم ابنة عمها زلفى، ومنها انتزعتها العمالقة الآتى ذكرهم .

الطبقة الثانية

ملوكها من العماليق ملوك الشام

أوّل من ملكها منهم (الوليد) بن دومع العِمْليق، وقال السهيلىّ: الوليدبن عمرو ابن أراشة . اقتلعها من أيمين : آخرِ ملوك القبْط المتقدّم ذكره، وهو الفرعون الثانى عند القِبْط ، وقيل هو أوّل من سمى بفرعون ، وقام فى الملك مائة وعشرين سنة؛ ثم ملك بعده ابنه (الرَّيان) مائة وعشرين سنة ،والقِبْطُ تسميه نهراوس،وهوالفرعون الثالث عند القِبْط، ونزل مدينة عَيْنِ شَمْسٍ، وكانت الملوك قبله تنزل مدينة مَنْف، وفى أيامه وصل يوسف عليه السلام إلى مصر، وكان من أمره ما قصه الله تعالى فى كتابه . ويقال : إنه آمن بيوسف عليه السلام؛ ثم ملك بعده ابنه (دارم) ويقال دريوس، وهو الفرعون الرابع عند القِبْط، وفى أيامه توفِّىَ يوسفُ عليه السلام، وفى أيامه ظهر بمصر معْدِن فضة على ثلاثة أيام فى النيل؛ ثم ملك بعده ابنه (معدان) ويقال معاديوس،وهو الفرعون الخامس عند القِبْط، إحدى وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده ابنه (أقسامس) وهو الفرعون السادس عند القِبْط، وبعضهم يزعم أن منارة الإسْكَنْدَرِيّة بنيت فى زمنه ، وأهل الأثر يسمونه كاسم، وربما قالوا كامس،

ثم ملك بعده ٱبنه (لاطس) ؛ ثم ملك بعده رجل ٱسمه (ظلما) كان من عُمَّاله فخرج عليه فقتله وملك مكانه، وهو الفرعون السابع عند القِبْط، وهو فرعون موسى .

قال المسعودىّ : وهو الوليد بن مصعب الموجود فى كتب الأثر، والوليد بن مصعب هو فرعون موسى، وهو الوليد بن مصعب بن عمرو بن معاوية بن أراشة، ٥ يجتمع مع الوليد بن دومع فى أراشة، وهو آخر مَنْ ملك مصر من العمالقة، وبعضهم يقول ظلما بن قومس من ولد أُشمون أحد ملوك القِبْط المتقدّم ذكرهم ؛ وعلى هذا فيكون فرعون موسى من القِبْط ، وهو أحد الأقوال فيه، وهو الذى يعوّل عليه القِبْط، ويوردونه فى كتبهم، وآخَرُون يجعلونه من لَخْم من الشأم، والظاهر الأوّل، وهو أوّل من عَرَّف العرفاء على الناس، وفى زمنه حفر خليج سَرْدوس المتقدّم ذكره ١٠ فى خُلْجان النيل، ويقال : إنه عاش دهرا طويلا لم يمرض ولم يشكُ وجعا إلى أن أهلكه الله تعالى بالغرق[1] .

الطبقـــة الثـالثـــة

ملوكها من القِبْـــط بعـــد العمالقة

أوّل من ملكها منهم بعد فرعون (دَلُوكة) وطالت مدّتها فى الملك حتّى عرفت ١٥ بالعَجُوز، وإليها ينسب حائط العجوز المبنىّ بالطوب اللَّبِن المستدير على بلاد مصر فى لِحْف الجبلين : الشرقىّ والغربىّ ؛ وأثره باق بالوجه القبلىّ إلى الآن، ويقال إنها التى بنت البرابِىَ بمصر، ثم ملك بعدها رجل من أبناء أكابر القِبْط ٱسمه (دركون) بن بطلوس، ويقال دركوس بن ملوطس ؛ ثم ملك بعده رجل ٱسمه (تودس) ثم ملك بعده ٱبنه (لقاش) نحوا من خمسين سنة ؛ ثم ملك بعده (مرينا) بن لقاش نحوا من عشرين ٢٠ سنة ؛ ثم ملك بعده ٱبنه (بلطوس) ويقال بلوطس بن ميا كيل أربعين سنة ؛ ثم ملك

(١) تنبيه : وقع ٱختلاف فيما بأيدينا من الكتب فى أسماء الملوك وترتيبهم فى هذا والذى بعده فعوّلنا على الأصل .

بعده (مالوس) ويقال فالوس بن توطيس عشر سنين ؛ ثم ملك بعده ميا كيل .
قال المسعودىّ : وهو فرعون الأعرج الذى غزا بنى إسرائيل وخرّب بيت المقدس ؛
ثم ملك بعده (نوله) وهو الذى غزا رُحُبْعُم بن سليمان عليه السلام بالشام ، وقيل إن
الذى غزا رحبعم كان آسمه شيشاق . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة :
وهو الأصح . قال : ثم لم يشتهر بعد شيشاق المذكور غير فرعون الأعرج ، وهو ٥
الذى غزاه بُخْتنصَّر وصلبه ، والذى ذكره المسعودىّ أنه ملك بعد ميا كيل المتقدّم
ذكره (مرنيوس) ؛ ثم ملك بعده آبنه (بغاش) ثمانين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه
(قومس) عشرين سنة ؛ ثم ملك بعده آبنه كاييل .

قال المسعودىّ : وهو الذى غزاه بختنصر وصلبه وخرب مصر ، وبقيت مصر
أربعين سنة خرابا . ١٠

الطبقة الرابعة

ملوكها من الفُرْس

أوّل من ملكها فى جملة مملكة الفرس (بهراسف) بواسطة أن بُخْتَنَصَّر كان
نائبا له ومن حين آستولى عليها بُخْتَنَصَّر ، توالت عليها الولاة من جهته ، وهو ببابل
سبعا وخمسين سنة وشهرا كما ذكر صاحب حماة إلى أن مات ، فولى بعده آبنه ١٥
(أولات) سنةً واحدةً ؛ ثم أوليها بعده أخوه (بلطشاش) بن بُخْتَنَصَّر ، ثم آستقرّت
مصر والشام بأيدى نوّاب الفُرْس عن ملوكهم .

فلما مات بهراسف ، ملك بعده (كيبستاسف) ؛ ثم ملك بعده آبنه (أَرْدَشِير)
بَهْمَن بن آسفيديار بن كيبستاسف ، وآنبسطت يده حتّى ملك الأقاليم السبعة ؛
ثم ملك بعده آبنه (دارا) ، وفى زمنه ملك الإسْكَنْدَرُ بن فيلبس على اليونان فقصده ، ٢٠

فلمـا قرب منه قتله جماعة من قومه، ولحقوا بالإسْكَنْدَرِ، وهو آخر مَنْ ملك مصر من الفُرْسِ، ولم أقف على تفصيل نوّاب الفُرْسِ بمصر إلا أنه كان منهم (كسرجوس) الفـارسىّ، وهو الذى بنى قصر الشّمع بالفُسْـطَاطِ على ماتقـدّم ذكره ، وبعـده (طحارست) الطويل، وفى أيامه كان بقراط الحكيم .

الطبقة الخـامسة

ملوكها من اليونانـ

أوّل من ملكها منهم (الإسْكَنْدَرُ بن فيلبس) حين غلب دارا مَلِكَ الفُرْسِ على مُلْكه وٱستولى على ما كان بيده، وكان مقرّ ملكه مَقْدُونِيَةَ من بلاد الروم القديمة، وٱنحـاز له ملك العراق ، والشـام ، ومصر، وبلاد العرب . فلمـا مات تفرّقت ممـالكه بين الملوك ، فَمَلَكَ مصرَ ونواحىَ الغـرب البَطَالِسَةُ من ملوك اليونان، كان كلٌّ منهم يلقب بَطْلَيْمُوسُ .

فأوّل من ملكها منهم (بَطْلَيْمُوسُ المنطيق) عشرين سنة، ويقال : إنه أوّل من لعب بالُبزاة وضَرَّاها؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ مُحِبُّ أخيه) أربعين سنة، وقيل ثمانا وثلاثين سنة، وهو الذى نقل التَّوْرَاةَ من العبْرَانيَّة إلى اليونانية ؛ وفى أيامه ظهرت عبادة التمـاثيل والأصنام ؛ ثم ملك بعـده (بَطْلَيْمُوسُ الصَّائغُ) خمسا، وقيـل ستا وعشرين سنة؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ مُحِبُّ أبيه) سبع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ صاحب علم الفلك) أربعا وعشرين سنة،وهو الذى ألَّف كتاب المجسطى ؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ مُحِبُّ أمه) سبعا وعشرين سنة؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ الصائغ الثانى) ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ المُخْلِصُ) ست عشرة سنة، وقيل سبع عشرة؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيْمُوسُ الإسْكَنْدَرانِى) تسع سنين ، وقيل ٱثنتى عشرة سـنة ؛

ثم ملك بعده (بَطْلَيمُوس اسكندروس) ثلاث سنين ؛ ثم ملك بعده (بطْلَيمُوسُ مُحِبُّ أخيه) الثانى ثمان سنين ؛ ثم ملك بعده (بَطْلَيمُوسُ دوتيسوس)؛ثم ملكت بعده ابنته (قلوبطرا) آثنتين وعشرين سنة ، و بزوالها آنقرض ملك اليونان عن مصر وزال .

الطبقة السادســة

ملوكها من الــروم

أوّل من ملكها منهم (أغشطش) . يقال بشينين معجمتين ومهملتين ، ولَقَبُهُ قَيْصَرُ ، وهو أوّل من تلقب به ، ثم صار عَلَما على ملوك الروم .

قصد قلوبطرا المتقدم ذكرها ، فلما أَحَسَّتْ بقربه منهـا ، عمدت إلى مجلسها فجعلت فيه الرياحين والمشموم ، وأعملت الفكر فى تحصيل حية إذا نهشت الإنسان مات لحينه ولم يتغير حاله ، فقربت يدها منها حتّى ألقت سمها فى يدها ، وآنسابت الحية فى الرياحين ، وجاء أغشطش فوضـع يده فى الرياحين فنهشته الحيــة ، فبقى يوما ومات بعــد أن ملك الروم ثلاثا وأربعين ســنة . وفى أيامه ولد المسيح عليه السلام ؛ ثم ملك بعده الرومَ ومصر (طيبار يوس) ويقال طبريوس ، ويقال طبريس آثنتين وعشرين ســنة . قال المسعودى : وفى زمنــه رفع المسيح عليه الســلام . قال : ولـــا مات أغشطش ، آختلف الروم وتحزبوا وتنازعوا فى الملك مائتين وثمــانيا وتسعين ســنة ، لا نظام لهم ، ولا ملك يجمعهم ؛ ثم ملكهم (عانيوس) . قال صاحب حمــاة : وكان رفع المسيح فى زمنه ، وهو مخالِفٌ لـــا تقدّم من كلام المسعودى ؛ ثم ملك بعده (قلديوس) أربع عشرة سنة ؛ثم ملك بعده (نازون) ثلاث عشرة سنة ، وهو الذى قتل بطرس و بولص الحواريّين برومية وصلبهما ؛ ثم ملك

(١) فى المسعودى «فلوريوس» . و بالجملة فبين ما بأيدينـا من الكتب آختلاف فى هــذه الأسماء فعوّلنا على المخطوط والله أعلم .

بعده (ساسانوس) عشر سنين؛ ثم ملك بعده (طيطوس) سبع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (دومطيتوش) ويقال اديطانش خمس عشرة ســنة، وكان على عبادة الأصنام فتتبع اليهود والنصارى وقتلهم؛ ثم ملك بعده (ادريانوس) ستا وثلاثين سنة فأصابته علة الجـذام فسار إلى مصر يطلبُ طِبًّا لذلك فلم يظفر به ومات بِعلَّتِهِ؛ ثم ملك بعـده (ايطيثيوس) ويقال ابطاوليس ثلاثا وعشرين ســنة، وهو الذى بنى بيت المَقْدِس بعد تخريبه الثانيةَ وسماه إيليا، ومعناه بيت الرب، وهو أوّل من سماه بذلك؛ ثم ملك بعده (مرقوس) ويقال قومودوس سبع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (قومودوس) ثلاث عشرة سنة، وكان دين النصارى قد ظهر فى أيامه؛ وفى زمنه كان جالينوس الحكيم؛ ثم ملك بعده (قوطنجوس) ستة أشهر؛ ثم ملك بعده (سيوارس) ثمانى عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (ايطيثيوس الثانى) أربع سنين؛ ثم ملك بعده (اسكندروس) ثلاث عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (بكسمينوس) ثلاث سنين؛ ثم ملك بعده (خورديانوس) ست سنين؛ ثم ملك بعده (دقيانوس) وقيل دقيوس سنة واحدة، فقتل النصارى وأعاد عبادة الأصنام، ومنه هرب الفِتْيَةُ أصحابُ الكَهْف، وكان من أمرهم ما قص الله تعالى فى كتابه العزيز؛ ثم ملك بعده (غاليوس) ثلاث سنين؛ ثم ملك بعده (علينوس) و(ولديانوس) آشتركا فى الملك، وقيل إن ولديانوس آنفرد بالملك بعد ذلك؛ وأقام فيه خمس عشرة سنة؛ ثم ملك بعده (قلوديوس) سنة واحدة؛ ثم ملك بعده (اردياس) ويقال اردليانوس ست سنين؛ ثم ملك بعده (فروقوس) سبع سنين؛ ثم ملك بعده (ياروس) وشركته سنتين؛ ثم ملك بعده (دقلطيانوس) إحدى وعشرين سنة، وهو آخر عَبَدَة الأصنام من ملوك الروم، وبمهلكه تؤرخ النصارى إلى اليوم، وعصى عليــه أهل مصر، فسار إليهم من رومية، وقتل منهــم خلقا عظيما، وهم الذين يعبر عنهم النصارى الآن بالشهداء .

ثم ملك بعده قسطنطين المظفر إحدى وثلاثين سنة فسار من رُومِيَةَ إلى قُسْطَنْطِينِيَّةَ وبنى سورها وآستقرّت دار ملكهم، وأظهر دين النصرانية وحمل الناس عليه؛ ثم ملك بعده آبنُه قُسْطَنْطِينُ فشيَّد دينَ النصرانية وبنى الكنائس الكثيرة؛ ثم ملك بعده إليانوس، ويقال إليانس سنة واحدة، وهو آبن أخى قُسْطَنْطِينَ المتقدّم ذكره، فرفض دين النصرانية ورجع إلى عبادة الأصنام، وبموته خرج المُلْك عن بنى قُسْطَنْطِينَ؛ ثم ملك بعده بِطْرِيق من بَطَارقة الروم آسمه يوثيانوس، ويقال سيوتيانوس سنة واحدة فأعاد دين النصرانية، ومنع عبادة الأصنام؛ ثم ملك بعده قالنطيانوس أربع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده خرطيانوس ثلاث سنين؛ ثم ملك بعده باردوسيوس الكبير تسعا وأربعين سنة؛ ثم ملك بعده ادقاديوس بقُسْطَنْطِينِيَّةَ وشريكه أويوريوس برُومِيَةَ ثلاث عشرة سنة؛ ثم ملك بعدهما مرقيانوس سبع سنين، وهو الذى بنى دير مارون بحِمْصَ؛ ثم ملك بعده واليطيس سنة واحدة؛ ثم ملك بعده لاون الكبير سبع عشرة سنة؛ ثم ملك بعده زيتون ثمان عشرة سنة؛ ثم ملك بعده اسطيسوس سبعا وعشرين سنة، وهو الذى عَمَر أسوار مدينة حَمَاة؛ ثم ملك بعده بوسيطيتنوس تسع سنين؛ ثم ملك بعده بوسيطيتنوس الثانى ثمانيا وثلاثين سنة؛ ثم ملك بعده طبريوس ثلاث سنين؛ ثم ملك بعده طبريوس الثانى أربع سنين؛ ثم ملك بعده ماريقوس ثمان سنين؛ ثم ملك بعده ماريقوس الثانى، ويقال مرقوس آثنتى عشرة سنة؛ ثم ملك بعده قوقاس ثمان سنين؛ ثم ملك بعده هرقل وآسمه بالرومية أوقليس، وهو الذى كتب إليه النبىّ صلّى الله عليه وسلم، يدعوه إلى الإسلام، وكانت الهجرة النبوية فى السنة الثانية عشرة من ملكه.

قال المسعودىّ: وفى تواريخ أصحاب السير أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم، هاجر وملك الروم قيصر بن قوق[1]؛ (ثم ملك الرومَ بعده) قيصر بن قيصر،

(١) وإليه تنسب الدنانير القوقية (قاموس مادة ق و ق).

وذلك فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وهو الذى حارب به أمراء الإســلام بالشام وٱقتلعوا الشام منه .

والذى ذكره فى "التعريف" فى مكاتبة الأذفونش صاحب طُلَيْطِلَةَ من ملوك الفرنج بالأَنْدَلُس أن هِرَقْل الذى هاجر النبىُّ صلّى الله عليه وسلم فى زمنه وكتب إليه لم يكن الملِكَ نفسَه ، وإنمـا كان متسلم الشام لقيصر ، وقَيْصَرُ بالقُسْطَنْطِينِيَّة لم يَرِمْ ، وأن النبىَّ صلّى الله عليه وسلم إنمـا كتب لهِرَقْل لأنه كان مجاورا لجزيرة العرب من الشام ، وعظيمُ بُصْرى كان عاملا له ، ويظهر أن قَيْصَرَ الأخيرَ الذى ذكره هو الذى كان المُقَوْقِسُ عاملا له على مصر . ويقال : إن المُقَوْقِسَ تَقَبَّلَ مصر من هِرَقْل بتسعة عشر ألف ألف دينار .

وٱعلم أنه كان الحال يقتضى أن نذكر نوّاب من تقدّم من ملوك الروم واليونان والفُرْس على مصر ، ولكن أصحاب التواريخ لم تعتَنِ بأمر ذلك ، فتعذر العـلم به . وإذا ذكر الأصل ، ٱستُغْنِى به عن الفرع .

وذكر القضاعى : أنه بعد عمارة مصر من خراب بُخْتَنَصَّر ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك التى وسط الأرض فقاتلت الرومُ أهـلَ مصر ثلاث سـنين إلى أن صالحوهم على شىء فى كل عام ، على أن يكونوا فى ذمتهم ويمنعوهم من ملوك فارس ، ثم ظهرت فارس على الروم وغلبوهم على الشام وألَحُّوا على مصر بالقتال ، ثم ٱسـتقرّ الحـال على خراج مصر أن يكون بين فارس والروم فى كل عام ، وأقاموا على ذلك تسع سنين ، ثم غلبت الرومُ فارسَ وأخرجوهم من الشام وصار ما صولحت عليه أهل مصر كله خالصا للروم ، وجاء الإسلام والأمر على ذلك .

المرتبـــة الثـــالثـــة

من وليها فى الإسلام : من بداية الأمر إلى زماننا ، وهم على ضربين :

الضـــرب الأوّل

فيمن وليها نيابةً ، وهو الصدر الأوّل ، وهم على ثلاث طبقات :

الطبقـــة الأُولى

عُمَّال الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم

قد تقدّم أنها لم تزل بيد الروم والمُقَوْقِس عامل عليها إلى خلافة عمر رضى الله عنه ، ولم تزل كذلك إلى أن فتحها عمرو بنُ العاص والزُّبَيرَ بنُ العوّام[1] فى سنة عشرين من الهجرة ، وقيل سـنة تسع عشرة فى خلافة عمـر بن الخطاب رضى الله عنـه ؛ ووليها (عمرو بن العاص) من قِبَل عمر ، وهو أوّل من وَلِيَها فى الإسلام ، وبقى عليها إلى سـنة خمس وعشرين ؛ وبنى الجامعَ العتيقَ بالفُسْطَاطِ ؛ ثم وليها عن عثمان بنِ عفان رضى الله عنه (أبو يحيى العامرىّ) فمكث فيها إحدى عشرةَ سنة ، وتوفى سنة ست وثلاثين ؛ ثم وليها عن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهـه (قَيْسُ بن سـعد) الخزرجىّ فى أوّل سنة سبع وثلاثين ؛ ثم وليها عنه (مالك بن الحارث النخعىّ) المعروف بالأشتر فى وسط سنة سبع وثلاثين ، وكتب له عنه عهدا يأتى ذكره فى الكلام على العهود إن شاء الله تعالى ، فسُمّ ومات قبل دخوله إلى مصر ؛ ثم وليها عنه (محمد بن أبى بكر الصدّيق) رضى الله عنه فى آخر سـنة سبع وثلاثين فمكث دون السنة ؛ ثم وليها عن معاويةَ بن أبى سُفْيَانَ رضى الله عنه (عمرُو بن العاص ثانيا) سنة ثمان وثلاثين خمس سنين ، وتوفى بها سنة ثلاث وأربعين ؛ ثم وليها عنه (عقبةُ بن عامر الجُهَنىّ) فى سنة أربع وأربعين فمكث فيها ثلاث سنين وكَسْرًا ؛ ثم وليها عنه (مَسْلَمَةُ بن مُخَلَّدٍ الخزرجىّ) سنة سبع وأربعين فمكث فيها خمسَ عشرةَ سنة .

(١) كذا فى فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٤ و ٨) وتاريخ أبى الفداء وكان على رأس جيش مقداره اثنا عشر ألفا ، وهو أوّل من ارتقى سور المدينة وتبعه الناس . وفى الأصل : «عبد الله بن الزبير» وهو أيضا ممن شهدوا فتح مصر .

الطبقـــة الثانيـــة

عُمّـال خلفـاء بنى أُمَيَّـــة بالشـام

لمـا أفضت الخلافة بعد معاوية إلى آبنه يَزِيدَ، وليها عنه (سعيد بن يزيد بن علقمة الأزدىّ) فى ســنة آثنتين وستين، فمكث فيهـا سنتين وكسرًا؛ ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفِهْرىّ) فى سنة أربع وستين، وأقرّه على الولاية بعد يزيد آبنُهُ معاويةُ ثم مَرْوَانُ بنُ الحَكَم، فمكث فيها آثنتين وعشرين سنة؛ ثم وليها عن عبد الملك بن مروان (عبدَ الله بن عبد الملك بن مروان) فى أوّل سنة ست وثمانين، فمكث فيها خمس ســنين؛ ثم وليها عنه (قُرَّةُ بن شرِيك) فى سنة تسعين، وأقره عليها الوليدُ بن عبد المَلِكِ بعده، فمكث فيها سبع سنين؛ ثم وليها عن سليمان بن عبد الملك (عبدُ الملك ابنُ رِفاعة) فى ســنة سبع وتسعين، فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا؛ ثم وليها عن عمــر بن عبد العــزيز (أيوبُ بن شُرَحْبِيلَ الأَصْبَحِىّ) آخرَ ســنة تسع وتســعين، فمكث فيها سنتين وســتة أشهر؛ ثم كانت خلافة يَزِيدَ بن عبــد المَلِكِ؛ فوليها عنه ([بِشْر بن](1) صفوان الكلبىّ) ســنة إحدى ومائة، فمكث فيها سنتين وستة أشهر أيضا؛ ثم وليها عن هشـام بن عبد الملك (محمد بن عبد الملك) أخو هشام فى سنة خمس ومائة، فمكث فيهـا أشهرا؛ ثم وليها عنــه (عبد الله بن يوسف الثقفىّ) فى ذى الحجة ســنة خمس ومائة، فمكث فيها أربع سنين وستة أشهر؛ ثم وليها عنه (عبد الملك [بن رفاعة ثانيا](2)) فى سنة تسع ومائة وعزل فيها؛ ثم وليها عنه (الوليد) أخو عبد الملك [بن رفاعة](2) فى سنة تسع المذكورة، فمكث فيها عشر سنين وكسرا، وتُوفِّى سنة تسع عشرة ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد الرحمن الفهْرىّ) ثانيا فى آخر سنة تسع عشرة ومائة، فأقام بها ســبعة أشهر، ثم وليها عنه (حنظلة) بن صفوان

(١) الزيادة عن تاريخ مصر لابن عبد الحكم وتاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٤٤ طبع دار الكتب المصرية) وخطط المقريزى .

(٢) الزيادة عن تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٢٦٤) وخطط المقريزى .

ثانيا[(١)] فى سنة عشرين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين وكسرا وعزل؛ ثم وليها عن مَرْوَانَ بن محمد الجعدىّ؛ فوليها عنه ([حسان بن] عتابة التُّجيبى[(٢)]) سنة سبع وعشرين ومائة، فمكث فيها خمس سنين أو دونها؛ ثم وليها عنه (حفص بن الوليد) سنة ثمان وعشرين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين وستة أشهر؛ ثم وليها عنه (الفزارىّ) سنة إحدى وثلاثين ومائة، فمكث فيها سنة واحدة؛ ثم وليها عنه (عبد الملك بن مَرْوَانَ) ٥ مولى لَخْمٍ سنة إحدى وثلاثين ومائة، وهو آخر مَنْ وليها عن بنى أمية .

الطبقة الثالثة

عُمَّال خلفاء بنى العَبَّاس بالعراق

أوّل من وليها فى الدولة العباسية عن أبى العَبَّاس السفَّاح: أوّلِ خلفائهم، (صالحُ ابنُ علىّ) بن عبد الله بن عباس سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فمكث فيها أشهرا قلائل؛ ١٠ ثم وليها عنه (عبد الملك) مولى بنى أسد آخِرَ سنة ثلاث وثلاثين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين؛ ثم وليها عنه (صالح بن علىّ) ثانيا فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة. ثم وليها عن أبى جعفر المنصور (عبدُ الملك) سنة تسع وثلاثين ومائة، فمكث فيها ثلاث سنين؛ ثم وليها عنه (النَّقيب التميمىّ) سنة إحدى وأربعين ومائة، فمكث فيها سنتين؛ ثم وليها عنه (حُمَيد الطائىّ) سنة ثلاث وأربعين ومائة، فمكث فيها سنة ١٥ واحدة؛ ثم وليها عنه (يزيد المهلَّبىّ) سنة أربع وأربعين ومائة، فمكث فيها تسعَ سنين؛ ثم وليها عنه (عبدُ الله بن عبد الرحمن بن معاوية) سنة آثنتين وخمسين ومائة، فمكث فيها سنتين وستة أشهر؛ ثم وليها عنه (محمد بن عبد الرحمن بن معاوية) سنة أربع وخمسين ومائة، فمكث فيها سنة واحدة؛ ثم وليها عنه (موسى بن على اللخمىّ) فى سنة خمس وخمسين ومائة، فمكث فيها سنتين وستة أشهر. ٢٠

(١) لم يذكر أن حنظلة كان أميرا على مصر فيما سبق، ولكن فى المقريزى أن بشر بن صفوان آستخلف أخاه حنظلة على مصر حينما ولاه يزيد على إفريقية فى سنة آثنتين ومائة فتكون ولايته هذه المرة ثانية .

(٢) الزيادة عن تاريخ مصر وولاتها للكندي والنجوم الزاهرة (ج ١ ص ٣٠٠) وخطط المقريزى .

ثم وليها عن المهدى (عيسى الجُمَحِى)(١) سنة إحدى وستين ومائة ، فمكث فيها سنة واحدة؛ ثم وليها عنه (واضح)(٢) مولى المنصور فى سنة آثنتين وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (زيد بنُ منصور) الحميرى فى وسط سنة آثنتين وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (يحيى أبو صالح) فى ذى الحجة من السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (سالم بن سوادة التميمى) سنة أربع وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (إبراهيم العباسى) فى سنة خمس وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (مُعين الدين ختهم) فى سنة ست وستين ومائة .

ثم وليها عن الهادى (أسامةُ بن عمرو العامرى) فى سنة ثمان وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (الفضل بن صالح العباسى) فى سنة تسع وستين ومائة؛ ثم وليها عنه (على بن سليمان العباسى) آخرَ السنة المذكورة .

ثم وليها عن الرشيد (موسى العباسى) فى سنة آثنتين وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (محمد بن زهير) الأزدى سنة ثلاث وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه داودُ بن يزيد المهلبى سنة أربع وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (موسى بن عيسى العباسى) سنة خمس وسبعين ومائة ومات بها؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن المسيب الضبى) فى أوّل سنة سبع وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (هَرْثَمة بن أعين) سنة ثمان وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد المَلك العباسى) فى سلخ ذى الحجة من السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهدى العباسى) فى سنة تسع وسبعين ومائة؛ ثم وليها عنه (موسى بن عيسى) التَّنُوخىّ فى آخر سنة ثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (عبيد الله بن المهدى) ثانيا سنة إحدى وثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (إسماعيل بن صالح) فى آخر السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (إسماعيل(٣) بن عيسى آبن موسى)(٤) سنة آثنتين وثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (الليثُ البيوَرْدِىُّ) فى آخر السنة

(١) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٧) وخطط المقريزى . وفى الأصل : «اللخمى» . (٢) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٤٠) وخطط المقريزى . وفى الأصل : «أصبح» . (٣) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ١٠٩) وخطط المقريزى . وفى الأصل : «سمية»

(٤) كذا فى تاريخ الطبرى وتاريخ ابن الأثير والنجوم الزاهرة . وفى الأصل : «إسماعيل»

المذكورة؛ ثم وليها عنه (أحمد بن إسماعيل) فى آخر سنة تسع وثمانين ومائة؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن محمد العباسىّ) المعروف بآبن زَيْنَبَ فى سنة تسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (مالك بن دَلْهَم الكلبىّ) سنة آثنتين وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه أو عن الأمين (الحسينُ بنُ الجحاج) سنة ثلاث وتسعين ومائة .

ثم وليها عن الأمين (حاتم بن هَرْثمة بن أَعْيَن) سنة خمس وتسعين ومائة ؛ ثم وليها عنه (عباد أبو نصر) مولى كِنْدةَ سنة ست وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه أو عن المأمون (المطَّلِبُ بنُ عبد الله الخزاعى) سنة ثمانَ وتسعين ومائة .

ثم وليها عن المأمون (العباسُ بنُ موسى) سنة ثمان وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (المطلب بن عبد الله) ثانيا فى سنة تسع وتسعين ومائة؛ ثم وليها عنه (السرىّ بن الحَكَم) فى سنة مائتين؛ ثم وليها عنه (سليمان بن غالب) فى سنة إحدى ومائتين؛ ثم وليها عنه (أبو نصر محمد بن السرىّ) فى سنة خمس ومائتين؛ ثم وليها عنه (عبيد الله) فى سنة ست ومائتين؛ ثم وليها عنه (عبد الله بن طاهر) مولى خُزَاعة فى سنة عشر ومائتين؛ وهو أوّل من جَلَب البِطِّيخ الخُراسانىَّ المعروفَ بالعَبْدَلىِّ من خُرَاسان إلى مصر فنُسِب إليه ؛ ثم وليها عنه (عيسى الجَلُّودىّ) فى سنة ثلاثَ عشرةَ ومائتين؛ ثم وليها عنه (عمرو بن الوليد التميمىّ) فى سنة أربعَ عشرةَ ومائتين؛ ثم وليها عنه (عيسى الجَلُّودىُّ) ثانيا فى آخر السنة المذكورة ؛ ثم وليها عنه (عَبْدَوَيْه بن جَبَلَةَ) فى سنة خمسَ عشرةَ ومائتين ؛ ثم وليها عنه (عيسى بن منصور) مولى بنى نصر فى سنة ستَّ عشرةَ ومائتين .

وفى هذه السنة دخل المأمون مصرَ وفتح الهَرَم .

ثم وليها عن المعتصم بالله (١) المسعودىّ فى أوّل سنة تسعَ عشرةَ ومائتين ؛ ثم وليها عنه (المظَفَّر بن كيدر) فى وسط السنة المذكورة أشهرا قلائل؛ ثم وليها عنه

(١) بياض فى الأصل ، والذى فى المسعودى أن خلافة المعتصم كانت فى سنة تسع عشرة ومائتين ، وفى المقريزى أنه ولى على مصر فى هذا التاريخ (كيدر) ومات كيدر فى ربيع الآخر من السنة المذكورة ، فولى آبنه (المظفر) باستخلاف أبيه .

(موسى بن أبى العباس[(١)]) فى آخر السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه(مالك[(٢)] بن كيدر) فى سنة أربع وعشرين ومائتين؛ ثم وليها عنه (علىّ بن يحيى) فىسنة ست وعشرين ومائتين.

ثم وليها عن الواثق بالله(عيسى بن منصور الجَلُّودى[(٣)]) ثانيا فى سنة تسع وعشرين ومائتين؛ ثم وليها عن المتوكل[(٤)] (علىّ بن يحيى) ثانيا فى سنة أربع وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (إسحاق الخَتَلِىّ[(٥)]) فى سنة خمس وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (خُزَاعة) فى سنة ست وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (عَنبسة[(٦)] الضَّبىّ) فى سنة ثمان وثلاثين ومائتين؛ ثم وليها عنه (يزيد بن عبد الله) فى سنة آثنتين وأربعين ومائتين. وأقرّه عليها بعده المنتصر بالله، ثم المستعين بالله.

ثم وليها عن المستعين بالله (مُزَاحِم بن خاقان) فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين؛ ثم وليها عنه (أحمد بن مُزَاحِم) فى سنة أربع وخمسين ومائتين وأقرّه عليها المهتدِى بالله.

الضـــرب الثـانى

من وليها مُلْكا، وهم على أربع طبقات :

الطبقـــة الأولى

من وليها عن بنى العَبَّاس قَبْل دولة الفاطميين

وأوّلهم: (أحمدُ بن طولون) وليها عن المعتمد فى سنة ست وستين ومائتين، وعَمَر بها جامعَه المتقدّم ذكرُه فى خِطَط الفُسْطاط؛ وفى أيامه عَظُمت نيابةُ مصرَ وشَمَخَتْ إلى المُلْك؛ وهو أوّل من جَلَب المماليك الترك إلى الديار المصرية وآستخدمهم فى عسكرها.

---

(١) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٣١) وخطط المقريزى. وفى الأصل : «أبو العباس الحنق». (٢) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٣٩) وخطط المقريزى. وفى الأصل : «مبارك». (٣) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٧٨) وخطط المقريزى. وفى الأصل : «ثالث مرّة». (٤) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٧٨) وخطط المقريزى. وفى الأصل : «عنه» ومقتضاه أن المذكور ولى عن الواثق فى هذا التاريخ مع أن خلافة الواثق كانت سنة سبع وعشرين ومائتين ووفاته كانت فى سنة آثنتين وثلاثين ومائتين. (٥) كذا فى النجوم الزاهرة (ج٢ ص٢٨٣)، وذكر أن أصله من قرية ختلان : بلدة عند سمرقند. وفى الأصل : «الجبلىّ» وهو تصحيف. (٦) كذا فى تاريخ مصر وولاتها للكندى والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٩٣). وفى الأصل : «عقبة» وهو تحريف.

وأقرّه المعتضد بالله بعد المعتمد، وبقى بها حتّى مات ، فوليها عن المعتضد (خُمَارَوَيْه بن أحمد بن طولون) فى أوّل سنة آثنتين[1] وثمانين ومائتين ، وقتله جُنْدُه فى السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (جَيْش بن خُمارويه) فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقتله جنده فى السنة المذكورة؛ ثم وليها عنه (هارون بن خمارويه) فى آخر سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقتل فى سنة آثنتين وتسعين .

ثم وليها عن المكتفى بالله (شَيْبانُ بن أحمد بن طولون) فى سنة آثنتين وتسعين ومائتين فبقى آثنىْ عشر يوما وعُزِل؛ ثم وليها عنه (محمد بن سليمان الواثق) فى آخر سنة آثنتين وتسعين ومائتين، ثم وليها عنه أو عن المقتدر بالله (عيسى النُّوشَرِىّ) فى سنة خمس[2] وتسعين ومائتين .

ثم وليها عن المقتدر بالله (أبو منصور تِكِين) فى سنة سبع وتسعين ومائتين وعُزِل؛ ثم وليها عنه (أبو الحسن) فى سنة ثلاث وثلثمائة وعزل ؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تكين) ثانيا سنة سبع وثلثمائة وعزل ؛ ثم وليها عنه (هلالٌ) سنة تسع وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أحمدُ بن كَيْغَلَغ) فى سنة إحدى عشرة وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (أبو منصور تِكين) ثالث مرة فى السنة المذكورة .

ثم وليها عن القاهر بالله (محمدُ بنُ طُغْج) فى سنة إحدى وعشرين وثلثمائة . ثم وليها عنه (أحمد بن كَيْغَلَغ) ثانيا فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة . وأقره عليها المكتفِى ثم المستكفى بالله بعده .

ثم وليها عن المُطِيع لله (أبو القاسم الإخشيد) فى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة؛ ثم وليها عنه (على بن الإخشيد) سنة تسع[3] وثلاثين وثلثمائة ؛ ثم وليها عنه (كافور

(١) فى تاريخ مصر وولاتها للكندى وتاريخ ابن الأثير (ج ٧ ص ٢٨٧ طبع أوروبا) والنجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٤٩) وخطط المقريزى : أن ولاية خمارويه على مصر كانت فى ذى القعدة سنة سبعين ومائتين الى سنة آثنتين وثمانين ومائتين . فكانت مدة ملكه على مصر والشام آثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما . (٢) كانت ولاية عيسى النوشرى على مصر فى سنة اثنتين وتسعين ومائتين وبقى الى سنة سبع وتسعين ومائتين كما ورد فى المصادر المذكورة . (٣) كانت ولاية على بن الإخشيد على مصر فى سنة تسع وأربعين وثلثمائة كما ورد فى المصادر المذكورة .

الإخشيدى) الخادم فى سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وكان يحب العلماءَ والفقهاء، ويكرمهم، ويتعاهدهم بالنَّفَقات، ويكثر الصدَقات حتّى آستغنى الناس فى أيامه؛ ولم يَجِد أربابُ الأموال من يقبل منهم الزكاةَ فرفعوا أمر ذلك إليه فأمرهم أن يبْنُوا بها المساجدَ ويتخذوا لها الأوقافَ ففعلوا؛ ثم وليها عنه (أحمدُ بن على الإخشيد) فى سنة ٥ سبع وخمسين وثلثمائة، وهو آخر من وليها من العُمَّال عن خلفاء بنى العباس بالعراق.

الطبقـــة الثـانيـــة

من وليها من الخلفاء الفاطميين المعروفين بالعُبَيديِّين

أوّل من وليها منهم (المُعِزُّ لدين الله أبو تميم مَعَدُّ بن تميم بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدىّ) وإليه ينسبون، جهز إليها قائده جَوْهَرا ، من بلاد المغرب إلى ١٠ الديار المصرية ففتحها فى شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة على ما تقدّم فى الكلام على قواعد الديار المصرية وآنقطعت الخُطبة العباسية منها؛ ورحل المعزُّ من المغرب إلى مصر فوصل إليها ودخل قصرَه بالقـاهرة فى سابع رمضان سنة آثنتين وستين وثلثمائة وصارت مصر والمغـرب مملكةً واحدة، وبلاد المغرب نيـابة من مصر. وتُوفِّى ثالثَ ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة .

١٥ ثم ولى بعده آبنُه (العزيزُ بالله أبو المنصور) يوم وفاة أبيه، وإليه ينسب الجامع العزيزىّ بمدينـة بِلْبِيس، وتُوفِّى بالحَمَّـام فى بِلْبِيس ثامنَ رمضان المعظَّم قدرُه سنة ست وثمانين وثلثمائة .

ثم ولى بعده آبنه (الحاكمُ بأمر الله أبو على المنصور) ليـلةَ وفاة أبيه ، وبنى الجامع الحاكمىّ فى سـنة تسع وثمانين وثلثمائة ، وهو يومئذ خارجَ سورِ القاهرة، ٢٠ وفارق مصر وخرج إلى الجبـل المقطم فوُجدتْ ثيابُه مُزَرَّرةَ الأطواق وفيهـا آثار السكاكين ولا جُثّة فيها ،وذلك فى سلخ شوّال سنة إحدى عشرة وأربعمائة ولم يُتَبَكَّ

فى قتله . والدُّرْزِيَّة من المبتدعة يعتقدون أنه حىٌّ وأنه سيرجع ويعود على ما سيأتى فى الكلام على أيمانهم وتحليفهم إن شاء الله تعالى .

ثم ولى بعده ابنـه (الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علىّ) وبقى حتّى توفى فى شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة .

ثم ولى بعده ابنه (المستنصر بالله أبو تميم معَدٌّ) بعد وفاة أبيه . وفى أيامه جُدِّد سُور القاهرة الكبير فى سنة ثمانين وأربعمائة . وتوفى فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة . وفى أيامه كان الغلاء الذى لم يعهد مثله، مكث سبع سنين حتّى خَرِبتْ مصرُ، ولم يبق بها إلا صُبَابة من الناس على ما تقدّم فى سياقة الكلام على زيادة النيل .

ثم ولى بعده ابنـه (المستعلى بالله) أبو القاسم أحمـدُ يوم وفاة أبيـه . وتوفِّى لسبعَ عشرةَ ليلةً خلت من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

ثم ولى بعده (الآمر بأحكام الله أبو علىّ المنصور) فى يوم وفاة المستعلى، وقتل بجزيرة مصر فى الثالث من ذى القَعدة سنةَ خمس وعشرين وخمسمائة .

ثم ولى بعـده ابنُ عمـه (الحافظُ لدين الله أبو الميمونِ عبدُ الحميـد بنُ الآمر أبى القاسم محمدٍ) يوم وفاة الآمر . وتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة .

ثم ولى بعده (الظافر بأمر الله إسماعيل) رابعَ جمادى الآخرة سنةَ أربعين وخمسمائة .

ثم ولى بعده ابنه (الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى) صبيحةَ وفاة أبيه . وتوفى فى سابع عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

ثم ولى بعده (ابنـه العاضدُ لدين الله أبو محمد عبدُ الله بن يوسف) يوم وفاة الفائز . وتوفِّىَ يومَ عاشوراء سـنة أربع وستين وخمسمائة بعد أن قطع السلطانُ صلاح الدين خُطْبته بالديار المصرية وخطب للخلفـاء العبَّاسيين ببغداد قبل موته، وهو آخر من ولى منهم .

الطبقـــة الثـالثـــة

ملوك بنى أيوبَ

وهم وإن كانوا يدينون بطاعة خلفاء بنى العبّاس فهم ملوكٌ مستقلّون، وفى دولتهم زاد آرتفاع قدرِ مصرَ ومُلْكِها .

٥ أوّل من ملك مصر منهم الملك الناصرُ (صلاحُ الدين يوسفُ بنُ أيوبَ) كان الملك العادلُ نورُ الدين محمودُ بن زنكى صاحبُ الشام رحمه الله قد جهّزه صحبــةَ عمه : أسدِ الدين شيركوه إلى الديار المصرية حين آستغاث به أهلُ مصر فى زمن العاضد الفاطمىّ المتقدّم ذكره لغلبة الفرنج عليهم ثلاثَ مَرّات آنتهى الحالُ فى آخرها إلى أنّ السلطان صلاح الدين وثب على شاور وزير العاضد المذكور فقتله وتقلد عمّــه

١٠ أسدُ الدين شيركوه الوزارة مكانَهُ عن العاضد، وكُتبَ له بذلك عهدٌ من إنشاء القاضى الفاضل ، فأقام فيهــا مدّة قريبــة ومات ، ففوّض العاضد الوزارة مكانَهُ للسلطان صلاح الدين، وكتب له عهدٌ من إنشاء القاضى الفاضل أيضا، وبقى فى الوزارة حتّى ضَعُف العاضد وطال ضعفُه فقطع السلطان صلاح الدين الخطبةَ للعاضد، وخطب للخليفة العباسىّ ببغداد بأمر الملك العادل صاحب الشام . ثم مات العاضد عن قريب

١٥ فآستقلّ السلطان صــلاح الدين بالسلطنة بمصر وقَوِى جاشُــه ، وثبتت فى الدولة قدمه . وتوفى بدِمَشْقَ فى ســنة تسع وثمــانين وخمسمائة ؛ وكانت مدّة ملكه بالديار المصرية أربعا وعشرين سنة وملكه الشام تسعَ عشرةَ سنة ؛ ثم ملك بعده مصر آبنُه (الملكُ العزيز) وملك معها دمشقَ وسلّمها إلى عمه العادل أبى بكر فى ســنة آثنتين وتسعين وخمسمائة ، وتفرّقت بقية الممــالك الشامية بيد بنى عمه من بنى أيوب .

٢٠ ملكَ مصرَ والشامَ جميعا فى ربيع الأوّل ســنة ست وتسعين وخمسمائة ؛ وتوفى بدمشق سنة خمس عشرة وستمائة .

ثم ملك بعده آبنُــه (الملكُ الكامل) عقيبَ وفاة أبيه المذكور ، وهو أوّل من سكن قَلْعةَ الجبل بعــد قصر الفاطميين بالقاهرة على ما تقدّم ذكره فى الكلام على القلعة ، وآستمرّ فى ذلك عشرين سنة ، وفتح حَرّان وديارَ بكرٍ ، وكان الفرنج قد آستعادوا بعض ما فتحه السلطان صــلاحُ الدين من ساحل الشام ، وكتب الهُدْنَة بينه وبين الفرنج فى سنة ست وعشرين وستمائة على أن يكون بأيدى الفرنج القلاعُ والنواحى التى ملكوها بعد فتح السلطان صلاح الدين ، وهى جبلة ، وبيروت ، وصيدا ، وقلعة الشقيف ، وقلعة تِبنين ، وقلعة هونين ، وإسكندرونة ، وقلعة صَفَد ، وقلعة الطور واللجون ، وقلعة كُوْكب ، ومجدل يافا[1] ، ولُدّ ، والرملة ، وعسقلان ، وبيت جِبْريل ، والقُدْس وأعمــال ذلك ومضافاته . وبنى مدرسته الكاملية بين القصرين المعروفة بدار الحديث ، وتوفى بدمشق سنة خمس وثلاثين وستمائة .

ثم ملك بعده آبنــه (الملك العادل أبو بكر) وقبض عليه فى العشر الأوسط من ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم ملك بعده أخوه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل فى أوائل سنة ثمــان وثلاثين وستمائة .

ثم ملك بعده آبنُه الملكُ المعظم (تُوران شاه) وهو الذى كسر الفرنج على المنصورة فى المحرّم سنة ثمان وأربعين وستمائة ، وقتل فى الثامن والعشرين من المحرّم المذكور .

ثم ملكت بعده أمّ خليل (شجرةُ الدُّرّ) فى صفر سنة ثمــان وأربعين وستمائة ، فأقامت ثمانية أشهر ، ولم يملك مصر فى الإسلام آمرأةٌ غيرها .

ثم ملك بعدها الملكُ الأشرف (موسى بن الناصر يوسف بن المسعود بن الكامل آبن العادل أبى بكر بن أيوب) فى شــوّال سنة ثمــان وأربعين وستمائة وخلع نفسه وهو آخر الملوك الأيوبية بالديار المصرية .

(١) سيذكر فى الجزء الرابع هكذا : «مجداليا با» .

الطبقـــة الرابعـــة

ملوك التُّرْك خَلَّد الله تعالى دولتهم

أوّل من ملكها منهم (الملكُ المُعِزُّ أيبك التركمانى) بعد خلع الأشرف موسى، آخر ملوك الأيوبية فى شوّال سنة ثمان وأربعين وستمائة؛ وجُمِع له بين مصر والشام، وآستمرّ الجمع بينهما إلى الآن ، وبنى المدرســة المُعِزِّية برحبة الخرّوب بالفُسْطاط، وتزوّج بأمّ خليل المقدّم ذكرها، وقتل بحمّام القلعة فى سنة أربع وخمسين وستمائة .

ثم ملك بعده آبنُه (الملك المنصور علىّ) عقيبَ وفاة والده المذكور. وقُتِلتْ أمّ خليل المذكورة،ورميت من سُور القلعة ، وقُبِض على المظفَّر(١) سنة سبع وخمسين وستمائة .

ثم ملك بعــده الملك (المظفر قُطُزْ) وكَانَ المصَافُّ بينه و بين التتــار على عيْن جالوتَ بعد أن آستوْلَوْا على جميع الشــام فى رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وكسرهم أشدّ كسرة وآستقلع الشام منهم ، وبقى حتّى قتل فى مُنصرَفه بطريق الشام وهو عائد منه بالقرب من قصير الصالحية على أثر ذلك فى السنة المذكورة .

ثم ملك بعــده الملك (الظاهر بيبرس) البُنْدقدارىّ فى ذى القعدة سنة ثمــان وخمسين وستمائة ، وأخذ فى جهاد الفرنج وآســتعادة ما آرتجعوه من فتوح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وغير ذلك ففتح البِيرةَ فى سنة تسع وخمسين وستمائة والكَرَك فى سنة إحدى وستين ، وحِمْص فى آخر سنة آثنتين وستين وستمائة ،وقَيْسارِيّةَ وأُرْسُوفَ فى ســنة ثلاث وستين ، وصَفَد فى سنة أربع وستين، ويافا والشَّقِيف، وأنْطاكِيَةَ فى سنة ست وستين ، وحِصْن الأكراد وعكّا وصافيتا فى سنة تسع وستين ، وكَسَر التّتارَ على البِيرة بعد أن عدّى الفُرات خوضا بعساكره فى سنة إحدى وسبعين ، وفتح قلاعا من بلاد سيس فى سنة ثلاث وسبعين ، ودخل بلاد الروم ، وجلس على

(١) لعل مراده الأشرف مظفر الدين موسى بن الناصر شريك المعز فى السلطنة . وآنظر المقام فى خطط المقريزى (ج ٢ ص ٢٣٧) .

كرسى بنى سَلْجُوق بقَيْسارِيّة الروم، ورجع الى دمشق فى آخر سنة خمس وسبعين، وتُوفِّى بدمشق فى المحرّم سنة ست وسبعين وستمائة، وبنى مدرسته الظاهرية بين القَصْرين.

وملك بعده ابنُه (الملك السعيد بَرَكَةُ) فى صفر سنة ست وسبعين وستمائة، وخُلِع وسُيِّر إلى الكرك. ٥

وملك بعده أخوه (الملك العادل سَلَامِشُ) فى ربيع الأوّل سنة ثمان وسبعين وستمائة، وبقى أربعة أشهر ثم خلع.

وملك بعده (الملك المنصور قلاوون الصالحى) الشهير بالألفى فى رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة، وسمى الألفى لأن آقْسُنْقر الكاملى كان قد اشتراه بألف دينار، وفتح حصن المَرْقَب بالشأم فى تاسع عشر ربيع الأوّل سنة أربع وثمانين وستمائة، وفتح ١٠ طَرَابُلُس فى ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانين وستمائة، وهو الذى بنى البيمارستان المنصورىّ والمدرسةَ المنصوريةَ والقبةَ اللتين داخل البيمارستان بين القَصْرين. وتُوفِّى بظاهر القاهرة المحروسة، وهو قاصد الغزو فى ذى القَعدة سنة تسع وثمانين وستمائة وُدفن بتربته بالقبة المنصورية داخل البيمارستان المتقدّم ذكره.

وملك بعده ابنُه (الملك الأشرفُ خليلٌ) صبيحةَ وفاة أبيه وأخذ فى الغزو ففتح عَكَّا ١٥ وصُور، وصَيْدا، وبَيْروت، وعَثْليث، والساحل جميعه، واقتلعه من الفرنج فى رجب سنة تسعين وستمائة. وقتل فى مُتَصَيَّده بالبحيرة فى العشر الأوسط من المحرّم سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وهو الذى عَمَر المدرسة الأشرفية بالقرب من المشهد النفيسى.

ثم ملك بعده (الملك المعظم بيدرا) وخلع من يومه.

وملك بعده (الملك الناصر محمدُ بن قلاوون) فى صفر سنة ثلاث وتسعين ٢٠ وستمائة، وهى سلطنته الأولى. وخُلع بعد ذلك وبعث به إلى الكرك فحُبِس بها.

وملك بعده (الملك العادل كَتْبُغَا) عقب خلعه، ووقع فى أيامه غلاء شديد وفناء عظيم، ثم خلع فى صفر سنة ست وتسعين وستمائة، وتولّى بعد ذلك نيابة صَرْخَد ثم حَمَـاة، وبقى حتّى توفى بعد ذلك، وهو الذى آبتـدأ عمارة المدرسـة المعروفة بالناصرية بين القصرين وأكمل بناءها الناصرُ محمد بن قلاوون فنسبت إليه .

٥ وملك بعـده (الملك المنصور حسام الدين لاچين) فى الخامس والعشرين من صـفر المذكور[1]، فجدّد الجـامع الطُّولونى وعمل الروك[2] الحُسَامى فى رجب الفـرد سنة سبع وتسعين وستمائة، وقتل فى الحادى عشر من شوّال[3] من السـنة المذكورة، وبقى الأمر شُورى مدّة يسيرة، ثم حضر الملك النـاصر محمد بن قلاوون من الكرك وأعيد إلى السلطنة فى حادى عشر شوّال من السنة المذكورة .

١٠ وملك بعده (الملك المظفر بيبَرْس الجاشنكير) فى الثالث والعشرين من شوّال المذكور وخلع فى التاسع والعشرين من شهر رمضان سـنة تسع وسبعمائة، وهو الذى عمر الخانقاه الرُّكْنِيَّة بيبرس داخل باب النصر مكان دار الوزارة بالدولة الفاطمية، وجدّد الجامع الحاكمى .

وملك بعده (الملك الناصر محمدُ بن قلاوون) فى مستهل شوّال من السنة المذكورة، ١٥ وهى سلطنته الثالثة . وفيها طالت مدّته وقوى ملكه، وعمل الروك[2] الناصرى فى سنة ست عشرة وسـبعمائة، وبنى مدرسته النـاصرية بين القصرين، وبقى حتّى توفى فى العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، ودفن بتربة والده .

ثم ملك بعده آبنه الملك المنصورُ أبو بكر عقب وفاة والده، وخلع تاسع عشر صفر سنة آثنتين وأربعين وسبعمائة .

---

٢٠ (١) أى سـنة ست وتسعين وستمائة . (٢) الروك : مسح الأرض الزراعية وهو المعبر عنه الآن بفك الزمام . (راجع المقريزى ج ١ ص ٨٧) .

(٣) فى المقريزى "من ربيع الآخر سنة ثمـان وتسعين وستمائة" وأن تولية ابن قلاوون المرة الثانية فى السادس من جمادى الأولى من السـنة المذكورة و بقى الى الثالث والعشرين من ذى الحجة سـنة ثمان وسبعمائة ثم ولى المظفر فى التاريخ المذكور . و بملاحظة ذلك يستقيم الكلام و يعلم ما فى الأصل .

ثم ملك بعده أخوه (الملكُ الأشرفُ بجك) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع أخيه المنصور المذكر، وخلع فى التاسع والعشرين من شهر رجب من السنة المذكورة .

ثم ملك بعد أخوه (الملكُ الناصرُ أحمدُ) بن الناصر محمد بن قلاوون بعد أن أُحْضِر من الكرك ، وآستمرّ فى السلطنة حتّى خلع نفسَه فى أوائل المحرّم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالحُ إسماعيلُ) بن الناصر محمد بن قلاوون فى العشرين من المحرّم المذكور، وبقى حتّى توفى فى رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة .

وملك بعده[1] أخوه (الملكُ المُظَفَّرُ حاجّى) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع أخيه الكامل شعبان ، وبقى حتّى خلع فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وقتل من يومه .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حَسَنُ) بن الناصر محمد بن قلاوون فى رابع عشر شهر رمضان المذكور ، وخلع فى التاسع والعشرين من جمادى الآخر سنة آثنتين وخمسين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الصالحُ صالحُ) بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْع أخيه الناصر حسن، وبقى حتّى خلع فى ثانى شوّال سنة خمس وخمسين وسبعمائة .

ثم ملك بعده أخوه (الملك الناصر حسن) المتقدّم ذكره مرة ثانية يوم خلع أخيه الصالح صالح، وبقى حتّى خلع وقُتِل فى عاشر جمادى الأولى سنة آثنتين وستين وسبعمائة؛ وبنى مدرستَه المعظمةَ تحت القلعة التى ليس لها نظير فى الدنيا، وفى أيامه ضربت الفلوس الجُدُد على ما سيأتى ذكره، وهو آخر من ملك من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون لصُلْبه .

(١) سقط من قلم الناسخ الكامل شعبان فإنه تولى بعد أخيه الصالح إسماعيل ومكث سنة واحدة وثمانية وخمسين يوما ثم خلع كما تشير إليه بقية العبارة .

وملك بعده آبن أخيه (الملكُ المنصورُ محمـدُ) بن المظفر حاجّى بن الناصر محمد ابن قلاوون يوم خَلْعِ عمه الناصر حسن ، وبقى حتّى خلع فى خامس عشر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة .

وملك بعده آبن عمه (الملك الأشرف شعبان) بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون يوم خَلْعِ المنصور المتقدّم ذكره وهو طفل ، وبقى حتّى كمل سلطانه وبنى مدرسـته بأعلى الصوّة تحت القلعة ولم يتمها ، وحج فخرج عليه مماليكه فى عَقَبة أَيْـلَةَ ففرّ منهم وعاد إلى القاهرة فقُبِض عليه وقتل فى ثالث ذى القعدة الحرام سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، وفى أيامه فتحت مدينة سِيس وآقتُلعت من الأرمن على ما سيأتى ذكره فى الكلام على أعمال حَلَب .

وملك بعده آبنه (الملك المنصور علىٌّ) يوم خلع أبيـه وهو طفل ، فبقى حتّى توفى فى الثالث والعشرين من صفر سنة ثلاث وثمـانين وسبعمائة .

وملك بعده أخوه (الملك الصالح حاجّى) بن شعبان بن حسين يوم وفاة أخيه ، وبقى حتّى خُلِـعَ فى العشر الأوسط من رمضان سنة أربع وثمـانين وسبعمائة .

وملك بعده (الملك الظاهر برقوق) فعظُم أمره ، وآرتفع صِيتُه ، وشاع ذكره فى الممالك وهابَتْه الملوك وهادَتْه ، وساس المُلْكَ أحسن سياسة ، وبقى حتّى خلع وبُعِثَ به إلى السجن بالكرك فى شهر رجب أو جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وملك بعده (الملك المنصور حاجّى) بن شعبان ، وهو الملقب أوّلا بالصالح حاجّى وهى سـلطنته الثانية ، وبقى حتّى عاد الملك الظاهر برقوق المتقدّم ذكره فى سـنة [آثنتين] (١) وتسعين وسبعمائة ، فزاد فى التيه وضخامة الملك ، وبلغ شأْوًا لم يبلغه غيره من غالب متقدّمى الملوك ، وبقى حتّى توفى فى منتصف شوّال المبارك سنة إحدى وثمانمائة .

(١) الزيادة عن المقريزى .

وملك بعده آبنه (الناصر فرج) وسِنُّهُ إحدى عشرة سنة بعَهْد من أبيـه، وقام بتدبير أمره أمراءُ دولته، فبقى حتَّى تغير عليه بعضُ مماليكه و بعضُ أمرائه، وحضر المماليك بالقلعة، فنزل منها مختفيا على حين غفلة فى السادس والعشرين من ربيع الأوّل سنة ثمان وثمانمائة، ولم يعلم لآبتداء أمره أين توجه .

٥ ثم ملك بعده أخوه (الملك المنصور عبد العزيز) فى التاريخ المذكور .

ثم ظهر أن السلطان الملك الناصر فرجا كان مختفيا فى بعض أماكن القاهرة، فركب فى ليلة السادس من شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة، ومعه جماعة من الأمراء ومماليكه، وخرج الأمراء للقيام بنُصْرة أخيه عبد العزيز فطلع عليهم السلطان فرجٌ ومَنْ معه، فوَلَّوْا هاربين، وطلع السلطان الملك الناصر القلعةَ فى صبيحة النهار

١٠ المذكور وآستقرّ على عادته، وبقى فى السلطنة حتَّى توجه إلى الشأم لقتال الأمير شيخ والأمير نوروز نائبى دِمَشْق وحَلَبَ، ومعه الإمام (المستعينُ بالله أبو الفضل العباسُ) بنُ المتوكل محمد خليفة العصر، ودخل دِمَشْقَ وحُصِرَ بقلعتها حتَّى قبض عليه فى ثانى عشر ربيع الأوّل سنة خمس عشرة وثمانمائة، وآستبدّ الإمام المستعينُ بالله بالأمر من غير سلطان، ورجع إليه ما كان يتعاطاه السلطان من العَلاَمة على المكاتبـات والتقاليد

١٥ والتواقيع والمناشير وغيرها، وأفرد آسمه فى السكة على الدنانير والدراهم، وأفرد بالدعاء فى الخطبة على المنـابر، ثم عاد إلى الديار المصرية فى أوائل ربيع الآخر من السـنة المذكورة، وسكن الآدُرَ السلطانية بالقلعة، وقام بتدبير دولته الأميرُ شـيخ المقدّم ذكره وسكن الإصطبلات السلطانية بالقلعة وفوّض إليه الإمام المستعين بالله ما وراء سرير الخلافة، وكتب له تفـويض بذلك فى قِطْع كبير، عرضُـه ذراع ونصف

٢٠ بزيادة نصف ذراع عمـا يُكْتب به للسلاطين . إلا أنه لم يصرح له فيـه بسلطنة ولا إمارة، بل كتب له بدل الأميرى الآمرى بإسقاط الياء على ما سـيأتى ذكره فى الكلام على عهود الملوك إن شاء الله تعالى .

الفصــل الرابــع

من البـاب الثالث من المقالة الثانية

فى ذكـر ترتيب أحوال الديار المصرية، وفيه ثلاثة أطراف

الطـــرف الأوّل

فى ذكر معاملاتها، وفيه ثلاثة أركان

الركن الأوّل

الأثمـان ، وهى على ثلاثة أنواع

النـــوع الأوّل

الدنانير المسكوكة ممـا يضرب بالديار المصرية ، أو يأتى إليها من المسكوك فى غيرها من الممـالك، وهى ضربان

الضـــرب الأوّل

ما يتعامل به وزنا كالذهب المصرىّ وما فى معناه

والعبرة فى وزنها بالمثاقيل، وضابطها أن كلَّ سبعة مثاقيلَ زنتُها عشرة دراهم من الدراهم الآتى ذكرها، والمثقال معتبر بأربعة وعشرين قيراطا، وقدّر بثنْتين وسبعين حبةَ شعير من الشعير الوسَط بآتفاق العلماء، خلافا لابن حزم فإنه قدّره بأربع وثمانين حبةً، على أن المثقال لم يتغير وزنه فى جاهلية ولا إسلام .

قلت : وقد كان الأمير صلاح الدين بن عرام فى الدولة الأشرفية شـعبان بن حسين بعد السبعين والسبعمائة ضرب بالإسْكَنْدَرِيَّةِ، وهو نائب السلطنة بها يومئذ، دنانيرَ زِنَةُ كل دينار منها مثقالٌ، على أحد الوجهين منه "محمد رسول الله" وعلى الوجه الآخر "ضرب بالإسْكَنْدَرِيَّةِ فى الدولة الأشرفية شعبان بن حسين عز نَصْرُه"، ثم أمسك

عن ذلك فلم تكثر هذه الدنانير ولم تشتهر، ثم ضرب الأمير يلبغا السالمى أستادار العالية في الدولة الناصرية فرج بن برقوق دنانيرَ زنة كل واحد منها مثقال، في وسط سكته دائرةَ فيها مكتوب "فرج" وربما كان منها ما زنته مثقال ونصف أو مثقالان، وربما كان نصف مثقال أو ربع مثقال . إلا أن الغالب فيها نقص أوزانها ، وكأنهم جعلوا نقصها في نظير كُلفة ضَرْبها . ٥

الضرب الثانى
ما يتعامل به مُعَادَّة

وهى دنانير يؤتى بها من البلاد الإفرنجة والروم، معلومةُ الأوزان، كلُّ دينار منها معتبر بتسعةَ عشرَ قيراطا ونصف قيراط من المصرى، واعتباره بِصنَج الفضة المصرية كل دينار زنة درهم وحبتى خَرُّوبٍ يَرْجَحُ قليلا، وهذه الدنانير مُشَخَّصة على ١٠ أحد وجهيها صورةُ الملك الذى تُضْرَب فى زمنه ، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس و بوليس الحوارِيَّين اللذين بعث بهما المسيح عليه السلام إلى رُومِيَةَ ، و يعبر عنها بالإفْرَنْتِيَّة جمع إفْرَنْتِيٍّ ، وأصله إفرنسى بسين مهملة بدل التاء المثناة فوق نسبة إلى إفرنسة : مدينة من مُدُنهم ، وربما قيل فيها إفرنجة، وإليها تنسب طائفة الفِرَنْج، وهى مقرّة الفرنسيس مَلِكهم، ويعبر عنه[1] أيضا بالدوكات. وهذا الاسم فى الحقيقة ١٥ لا يطلق عليه إلا إذا كان ضرب البُنْدُقِيَّة من الفرنجة ، وذلك أن الملك اسمه عندهم دوك، وكأن الألفَ والتاء فى الآخر قائمان مقام ياء النسب .

قلت : ثم ضرب الناصر فرج بن بَرْقوق دنانيرَ على زنة الدنانير الإفرنتية المتقدّمة الذكر، فى أحد الوجهين "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وفى الآخر اسم السلطان، وفى وسطه سَفَط مستطيل بين خطين، وعرفت بالناصرية وكثر وُجْدانُها، ٢٠

---

(١) أى عن الدينار من تلك الدنانير .

وصار بهـا أكثر المعاملات . إلا أنهم يَنْقُصونها فى الأثمـان عن الدنانير الإفرنتية عشرةَ دراهم .

ثم ضَرَب على نظيرها "الإمام المستعينُ بالله أبو الفضل العباس[(1)]" حين آستبدّ بالأمر بعد الناصر فرج، ولم يتغير فيها غير السّكةِ، بآعتبار آنتقالها من آسم السلطان إلى آسم أمير المؤمنين .

ثم صَرْفُ الذهب بالدينار المِصْرية لا يثبت على حالة بل يعلو تارة ويَهْبِط أخرى بحسب ما تقتضيه الحـال، وغالب ما كان عليه صرف الدينار المصرىّ فيما أدركناه فى التسـعين والسبعمائة وما حولهـا عشرون درهما ، والإفرنتىّ سـبعةَ عشَر درهما وما قارب ذلك . أما الآن فقد زاد وخرج عن الحدّ خصوصا فى سنة ثلاث عشرة وثمـانمائة ، وإن كان فى الدولة الظاهرية بيبرس قد بلغ المصرىُّ ثمـانية وعشرين درهما ونصفا فيما رأيته فى بعض التواريخ .

أما الدينار الجَيْشىّ ، فمسمًّى لا حقيقة ، وإنمـا يستعمله أهل ديوان الجَيْش فى عبرة الإقطاعات بأن يجعلوا لكل إقطاع عبرةَ دنانير معينة من قليل أو كثير، وربما أخليت بعض الإقطاعات من العِبْرة . على أنه لا طائل تحتها ولا فائدة فى تعيينها، فربمـا كان متحَصِّـل مائة دينار فى إقطاع أكثرَ من متحصِّل مائتى دينار فأكثر فى إقطاع آخر . على أن صاحب "قوانين الدواوين" قـد ذكر الدينار الجيشى فى إقطاعات على طبقات مختلفة فى عبرة الإقطاعات ، فالأجناد من التُّرك والأكراد والتركمان دينارهم دينارٌ كامل، والكنانية والعَسَاقلة ومن يجرى مجراهمْ دينارُهم نصف دينار ، والعُرْبان فى الغالب دينارهم ثُمُنُ دينار، وفى عُرْف الناس ثلاثة عشر درهما وثلث، وكأنه على ما كان عليه الحال من قيمة الذهب عند ترتيب الجيش فى الزمن

(1) كذا فى المقريزى (ج ٢ ص ٢٤٢) والنجوم الزاهرة فى حوادث سـنة ٨١٤ هـ وحيـاة الحيوان أيضا . وفى مروج الذهب : «أبو العباس» كما سبق للؤلف فى الخلفاء العباسيين .

القديم، فإن صرف الذهب فى الزمن الأوّل كان قريبا من هذا المعنى، ولذلك جعلت الدية عند مَنْ قدّرها بالنَّقْد من الفقهاء ألفَ دينار واثنى عشر ألف درهم، فيكون عن كل دينار اثنا عشر درهما، وهو صرفه يومئذ .

النـــوع الثـانى

الدراهـــم النُّقْـــرة ٥

وأصل موضوعها أن يكونَ ثُلُثاها من فضة وثلثها من نحاس، وتُطْبع بدور الضرب بالسِّكة السلطانية على نحو ماتقدّم فى الدنانير، ويكون منها دراهمُ صحاحٌ وقُراضات مكسرة على ماسيأتى ذكره فى الكلام على دار الضرب فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

والعبرة فى وزنها بالدرهم؛ وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطا؛ وقُدّر بستّ عشرةَ حبةً من حب الخرّوب، فتكون كل خَرُّوبتَيْن ثُمُنَ درهم، وهى أربع حبات من حب البُرّ المعتدل؛ والدرهم من الدينار نصفه وخمسه، وإن شئت قلت سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم . ١٠

أما الدراهم السَّوْداء، فأسماءٌ على غير مسمَّيات كالدنانير الجَيْشية، وكل درهم منها معتبر فى العرف بثلث درهم نُقْرة، وبالإسكندرية دراهم سوداء يأتى الكلام عليها فى معاملة الإسْكَنْدَرِيَّة إن شاء الله تعالى . ١٥

النـــوع الثـالث

الفُلُوس، وهى صنفان : مطبوع بالسكة، وغير مطبوع

فأما المطبوع فكان فى الزمن الأوّل إلى أواخر الدولة الناصرية حسن بن محمد ابن قلاوون فلوس لِطَاف، يعتبر كل ثمانية وأربعين فَلْساً منها بدرهم من النُّقْرة على اختلاف السكة فيها، ثم أُحْدِث فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة فى سلطنة حسن أيضا ٢٠

فلوس شهرت بالجُدُد جمع جَديد، زِنَةُ كل فَلْسٍ منها مثقالٌ، وكل فلس منهاَ قيراطٌ من الدرهم، مطبوعةٌ بالسكة السلطانية على ما سيأتى ذكره فى الكلام على دار الضرب إن شاء الله تعالى، فجاءت فى نهاية الحُسْن، وبطل ما عداه من الفُلُوس، وهى أكثر ما يتَعامل به أهلُ زماننا . إلا أنها فسد قانونها فى تنقيصها فى الوزن عن
٥ المثقال حتّى صار فيها ما هو دون الدرهم، وصار تكوينها غير مستدير، وكانت توزن بالقَبّان كلُّ مائة وثمانية عشر رطلا بالمصرىّ بمبلغ خَمْسِمائة درهم، ثم أَخَذَت فى التناقص لصغر الفلوس ونقص أوزانها حتّى صار كل مائة وأحد عشر رطلا بمبلغ خمسمائة .

قلت : ثم آستقرّ الحال فيها [على ذلك](١) على أنه لوجعل كل أوقية فما دونها
١٠ بدرهم، لكان حسنا بآعتبار غلو النُّحاس وقلة الواصل منه إلى الديار المصرية، وحَمْل التجار الفلوسَ المضروبةَ من الديار المصرية إلى الحجاز واليمن وغيرهما من الأقاليم متجرا، ويوشك إن دام هذا أن تَنْفَد الفلوسُ من الديار المصرية، ولا يوجد ما يتعامل به الناس .

وأما غير المطبوعة فنُحَاسٌ مكسر من الأحمر والأصفر، ويعبر عنها بالعتق، وكانت
١٥ فى الزمن الأوّل كل زِنة رطل منها بالمصرىّ بدرهمين من النُّقْرة، فلما عُمِلت الفلوس الجُدُد المتقدّمة الذكر، آستقرّ كل رِطل منها بدرهم ونصف، وهى على ذلك إلى الآن .

قلت : ثم نَفِدت هذه الفلوس من الديار المصرية لغلوّ النحاس، وصار مهما وجد من النحاس المكسور خلط بالفلوس الجُدُد وراج معها على مثل وزنها .

---

٢٠ (١) زيادة يقتضيها السياق .

الركن الثانى

فى المُثْمَنات، وهى على ثلاثة أنواع

النوع الأوّل

الموزونات

ورطلها الذى يعتبر بوزنه فى حاضرتها من القاهرة والفُسْطاط وما قاربهما الرطلُ المصرىّ، وهو مائة وأربعة وأربعون درهما، وأُوقيته آثنا عشر درهما، وعنه يتفرّع القِنْطَارُ المصرىّ، وهو مائة رطل؛ وتعتبر أوزان الطيب بها بالمنّ ، وهو مائتان وستون درهما، وأواقيّه ست وعشرون أوقيَّة، فتكون أوقيته عشرةَ دراهم ٥

النوع الثانى

المَكِيلات من الحبوب ونحوها ١٠

واعلم أن بمصر أقداحا مختلفةَ المقادير أيضا كالأرطال بحسبه (١)، ولكل ناحية منها قَدَحٌ مخصوص بحسب إرْدَبِّها، والمستعمل منها بالحاضرة القَدَحُ المصرىُّ، وهو قَدَحٌ صغير تقديره بالوزن من الحَبِّ المعتدل مائتان وآثنان وثلاثون درهما، وقدّره الشيخ تقىّ الدين بن رزين فى الكلام على صاع الفِطْرَةِ بآثنين وثلاثين ألفَ حبة وسبعمائة وآثنتين وستين حبة، وكل ستةَ عشرَ قدحا تسمَّى وَيْبة، وكل ستة وتسعين قدحا تسمَّى إردبًّا؛ وبنواحيها بالوجهين القبلىّ والبحرىّ أرادبُّ متفاوتة يبلغ مقدار الإردبّ فى بعضها إحدى عشرةَ ويبة بالمصرىّ فأكثر. ١٥

(١) لعله بحسب إردبها . أوهى زائدة من قلم الناسخ .

النـــوع الثـالث

المَقيسات، وهى الأراضى والأقمشة

فأما الأراضى فصنفان :

الصـــنف الأوّل

أرض الزراعـــة

وقد آصطلح أهلُها على قياسها بقَصَــبة تعرف بالحاكمية، كأنها حُرِّرت فى زمن الحاكم بأمر الله الفاطمىّ فنسبتْ إليه ، وطولهـا ستة أذرع بالهـاشمىّ كما ذكره أبو القاسم الزجاجىّ فى "شرح مقدّمة أدب الكاتب" وخمسة أذرع بالنجارى كما ذكره آبن مَمَّـاتى فى "قوانين الدواوين" وثمـانية أذرع بذراع اليد كما ذكره غيرهمـا .
وذراع اليد ست قَبَضات بقبضة إنسان معتدل ، كلُّ قبضة أربعة أصابع بالخنصر والبنْصر والوُسطى والسَّـبَّابة ، كل إصبع ست شعيرات معترضات ظهرًا لبطن على ما تقدّم فى الكلام على الأميال . وقد تقدّر القصبة بباعين من رجل معتدل؛ وربما وقع القياس فى بعض بلاد الوجه البحرىّ منها بقصــبة تعرف بالسَّنْدَفَاوية أطول من الحاكمية بقليل ، نسـبة إلى بلد تسمّى سَنْدَفَا بالقرب من مدينة المَحَلة ، ثم كل أربعمائة قصبة فى التكسير يعبر عنها بفَدَّان ، وهو أربعة وعشرون قيراطا ، كل قيراط ستَّ عشرةَ قصبة فى التكسير .

الصـــنف الثـانى

أرض البُنْيان من الدُّور وغيرها

وقد آصطلحوا على قياسها بذراع يعرف بذراع العمل طوله ثلاثةُ أشبار بشبر رجل معتدل ، ولعله الذراع الذى كان يقاس به أرض السَّواد بالعراق ، فقد ذكر الزجاجىّ

أنه ذراع وثلث بذراع اليد ، وكان ٱبتداء وضع الذراع لقياس الأرَضين أن زياد ٱبن أبيه حين ولّاه معاويةُ العراقَ وأراد قياس السَّواد، جمع ثلاثة رجال : رَجُلا من طوال القوم ورجلا من قصارهم ورجلا متوسطا بين ذلك ؛ وأخذ طُول ذراع كل منهم ، بجمع ذلك وأخذ ثلثه ، بجعله ذراعا لقياس الأرضين ، وهو المعروف بالذراع الزِّيَادىّ لوقوع تقديره بأمر زِيَاد ، ولم يزل ذلك حتّى صارت الخلافة لبنى العباس فٱتخذوا ذراعا مخالفا لذلك كأنه أطول منه ، فسمِّى بالهاشمى لوقوعه فى خلافة بنى العباس ، ضرورة كونهم من بنى هاشم .

وأما الأقمشة — فإنها تقاس بالقاهرة بذراع طوله ذراع بذراع اليد وأربع أصابع مطبوقة ، و يزيد عليه ذراع القماش بالانْسْطَاطِ بعضَ الشىء ، وربما زاد فى بعض نواحى الديار المصرية أيضا نحو ذلك . ولغير القماش من الأصناف أيضا كالحصر وغيرها ذراع يخصه .

الركن الثالث

فى الأسعار

وقد ذكر المَقَرُّ الشهابى بن فضل الله فى " مسالك الأبصار " جملة من الأسعار فى زمانه فقال : وأوسط أسعارها فى غالب الأوقات أن يكون الإردبُّ القمح بخمسة عشر درهما ، والشعير بعشرة[1] ، وبقية الحبوب على هذا الأنموذج ؛ والأرز يبلغ فوق ذلك ؛ واللحم أقل سعره الرِّطْلُ بنصف درهم ، وفى الغالب أكثر من ذلك ؛ والدَّجَاج يختلف سعره بحسب حاله ، بجيِّده الطائر منه بدرهمين إلى ثلاثة ، والدُّونُ منه بدرهم واحد ؛ والسُّكَّر الرطل بدرهم ونصف ، وربما زاد ، والمكَرَّر منه بدرهمين ونصف .

---

(١) فى الأصل : « بسعره » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

قلت : وهذه الأسعار التى ذكرها قد أدركنا غالبها و بقيت إلى ما بعد الثمانين والسبعمائة فغلت الأسعار وتزايدت فى كل صنف من ذلك وغيره ، وصار المثل إلى ثلاثة أمثاله وأربعة أمثاله ، فلا حول ولا قوّة إلا بالله ذى المنن الجسيمة القادر على إعادة ذلك على ما كان عليه أو دونه ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ .

٥

الطـــرف الثـانى

في ذكر جسورها الحابسة لمياه النيل على أرض بلادها إلى حين ٱستحقاق الزِّراعة ؛ وأصناف أرضها ؛ وما يختص بكل صنف من أرضها من الأسماء الدائرة بين كُتَّابها ؛ ومزارعها ؛ وبيان أصناف مزدرعاتها وأحوال زَرعها

فأما جسورها فعلى صنفيـــن :

١٠

الصِّنف الأوّل

الجســور السـلطانية

وهى الجسور العامّة الجامعة للبلاد الكثيرة التى تُعْمَر فى كل سـنة من الديوان السلطانى بالوجهين : القبلىّ والبحرىّ ، ولها جراريف ومحاريثُ وأبقار مرتَّبة على غالب البُلْدان بكل عمل من أعمالها . وقد جرت العادة أن يجهَّز لكل عمل فى كل

١٥

سـنة أمير بسبب عمـارة جسوره ، و يعبر عنه بكاشف الجسور بالعمل الفلانى ، ويعرف بذلك فى تعريف مكاتبته عن الأبواب الشريفة ، وربمـا أضيف كَشْفُ جسور عَمَلٍ من الأعمال إلى مُتَوَلِّى حربه ، ويقال فى تعريفه : وَالِى فلانة وكاشف الجسور بها ، إذا كانت المكاتبة بسبب شىء يتعلق بالجسور ؛ ولهذه الجسور كاتبٌ منفرد بها مقرّر فى ديوانه ما على كل بلد من الجراريف والأبقار ، وتكتب التذاكير

السلطانية لكاشف كل عمل فى الورق الشامى المربَّع، ويشملها العلامة الشريفة السلطانية بالاسم الشريف، وللجسور خَوَلَةٌ ومهندسون لكل عمل يقومون فى خدمة الكاشف فى عمارة الجسور إلى أن تنتهىَ عمارتُها .

الصنف الثانى

الجسور البلدية

٥

وهى الخاصة ببلد دون بلد، ويتولَّى عمارتها المُقْطَعون بالبلاد : من الأمراء والأجناد وغيرهم ، من أموال البلاد الجارية فى إقطاعهم ؛ ولها ضرائب مقررة فى كل سنة .

قال ابن مَمَّاتِى فى "قوانين الدواوين" : والفرق بين السلطانية والبلدية أن السلطانية جارية مجرى سُور المدينة الذى يجب على السلطان الاهتمامُ بعمارته والنظرُ فى مصلحته وكفايةُ العامة أمر الفكرة فيه، والبلدية جارية مجرى الآدُرِ والمَسَاكن التى داخلَ السور، كلٌّ صاحب دار منها ينظر فى مصلحتها ويلتزم تدبير أمره فيها . قال : وقد جرتْ عادة الديوان أن المُقْطَع المنفصل إذا أنفق شيئا من إقطاعه فى إقامة جسر لعمارة السنة التى انتقل الخير عنه لها ، استعيد له نظير مُنْفَقه من المُقْطَع الثانى ؛ وكذلك كل ما أنفقه من مال سنته فى عمارة سنة غيره كان له استعادة نظيره .

١٠

١٥

قلت : وقد أهمل الاهتمام بأمر الجسور فى زماننا، وتُرِك عمارة أكثر الجسور البلدية، واقتصر فى عمارة الجسور السلطانية على الشىء اليسير الذى لا يحصل به كبير نفع، ولولا ما من الله تعالى به على العباد من كثير الزيادة فى النيل من حيث إنه صار يجاوز تسعة عشر ذراعا فما فوقها إلى ما جاوز العشرين ، لفات رى أكثر

٢٠

البلاد وتعطلت زراعتهـا ﴿ فَضْلًا مِنَ اللهِ ونِعْمَةً ﴾ و إلا فقد كان النيل فى الغالب يقف على سـبع عشرة ذراعا فما حولها، بل قد تقدّم من كلام المسعودى أنه إذا جاء النيل ثمانى عشرة ذراعا، آستبحر من أراضيها الثلثُ .

* * *

٥ وأما أنواع أرضها — وما يختص بكل نوع من الأسمـاء ، فإنها تختلف بآختـلاف الزراعة وعدمها ، و بسبب ذلك تتفاوت الرَّغْبة فيهـا وتختلف قيمتها بآختلاف قيمة ما يُزْرَع فيها ، وقد عدّ منها آبن مَمَّـاتِى ثلاثة عشر نوعا :

النوع الأوّل — الباق، قال آبن مَمَّـاتِى : وهو أثر القُرْط والقَطَانِى والمقاثئ. قال : وهو خير الأرضين وأغلاها قيمة وأوفاها سعرا وقطيعة، لأنها تصلح لزراعة

١٠ القمح والكَتَّانِ .

قلت : والمعروف فى زماننا أن الباق أثر القُرْط والفُول خاصـة . أما المقاثئ فإن أثرها يسمّى البَرْش ، وسيأتى ذكره فيا بعد .

النوع الثـانى — رىّ الشَّراقى، قال آبن مَمَّـاتِى : وهو يتبع الباقَ فى الجَوْدَةِ، ويُلْحَقُ به فى القطيعة، لأن الأرض قد ظَمِئت فى السنة المـاضية وآشتدّت حاجتها

١٥ إلى المـاء . فلمـا رَوِيت حصل لها من الرىّ بمقـدار ما حصل لهـا من الظمإ ، وكانت أيضا مستريحة فزرعها يُنْجِبُ .

النوع الثالث — البرو بية، وأهل زماننا يقولون البرايب، قال آبن مَمَّـاتِى : وهو أثر القمح والشعير، قال : وهو دون الباق لأن الأرض تضعُف بزراعة هذين الصِّنْفيـن . فمتى زرع أحدهمـا على الآخر لم تنجب كنجابة الباقِ وسـعرُها دون

٢٠ سـعره ، ويجب أن تزرع قُرْطـا وقَطَانِىَ ومقاثئَ لتسـتريح الأرض وتصـير باقا فى السنة الآتية .

النوع الرابع — البُقْماهة، بضم الباء الموحدة وسكون القاف — وهو أثر الكَتّان. قال ٱبن مماتى : ومتى زُرِع فيه القمح لم يُنْجِبْ، وجاء رقيق الحب أسود اللون .

النوع الخامس — الشتونية، وأهل زماننا يقولون الشتانى، وهو أثرما رَوِى وبار فى السنة المـاضية؛ قال ٱبن ممـاتى : وقطيعته دون قطيعة الشراقىّ .

النوع السادس — شوشمس السلايح[(١)]؛ قال ٱبن ممـاتى : وهو عبارة عما رَوِىَ وبار فحُرِث وعُطِّل، وهو يجرى مجرى الباق ورىّ الشراقى، ويجئ ناجب الزرع . ٥

النوع السابع — البرش النقاء[(٢)]؛ قال : وهو عبارة عن كل أرض خلَتْ من أثر ما زرع فيها للسنة المـاضية، لاشاغل لها عن قبول ما تُودعه[(٣)] من أصناف المزروعات[(٤)] .

النوع الثـامن — الوُسَّخ المزروع ؛ قال : وهو عبارة عن كل أرض لم يستحكم وسخها، ولم يَقْدِرِ المزارعون على ٱستكمال إزالته منها فحرثوها و زرعوها وطلع زرعها مختلطا بوَسَخها . ١٠

النوع التاسع — الوُسَّخ الغالب، وهو عبارة عن كل أرض حصل فيها من النبات الذى شَغَلها عن قبول الزراعة ما غلب المزارعين عليها ، ومنعهم بكثرته عن الزراعة فيها، وهى تباع مراعِىَ للبهائم .

النوع العاشر — الحرس، وهو عبارة عن فساد الأرض بما ٱستحكم فيها من موانع قبول الزرع، وهو أشدّ من الوسخ الغالب فى التنقية والإصلاح، وهى مرعى الدوابّ. ١٥

النوع الحادى عشر — الشراقى ، وهو عبارة عمـا لم يصل إليه المـاء لقُصُور النيل وعلوّ الأرض، أو سدّ طريق المـاء عنه .

---

(١) كذا فى قوانين الدواوين (ص ٣٣ من النسخة الفتوغرافية المحفوظـة بدار الكتب المصرية برقم ٦٣٠١ أدب) وفى الأصـل : « شـق شمس » . (٢) فى قوانين الدواوين المطبوع (ص ٣٨) هما نوعان مختلفان فذكر «البرش» وقال : «هو حرث الأرض على ما تقدّم حرثها بعد ما كان فيها زراعة أيضا ، و يعبر به عن أثر المقات ، و بالجملـة فإنه عبارة عن الأرض المحروثة وهو من أجودها للزراعة» ثم ذكر «النقا» وعرفه بما نقله عنه القلقشندى هنا . (٣) كذا فى قوانين الدواوين . وفى الأصل : «نوعه» . (٤) كذا فى قوانين الدواوين . وفى الأصل : «المزدرعات» . ٢٠

النوع الثـانى عشر — المستبْحِر، وهو عبـارة عن أرض واطئـة إذا حصل المـاء فيها لا يجد مصرفا له عنها فيمضى زمن المزارعة قبـل زواله بالنُّضُوب . قال ٱبن مَمَّـاتِى : وربما ٱنتفع به من ٱزدرع الأرض بالآستقاء منه بالسواقى لمـا زرعه فى العُلُوّ .

٥ النوع الثـالث عشر — السباخ ، وهو أرض غلب عليها المِلْح فَمَلَحَت حتّى لم يُنْتَفع بها فى زراعة الحبوب، وهى أرْدى الأرضِين . قال ٱبن ممـاتى : وربمـا زرع فيها لم يستحكم منها الهِلْيَوْنُ والباذِنْجَانُ، وربما قطع منها ما يسبخ به الكَتَّانُ ، ويزرع فيها القصب الفارسىُّ فَيَنْجُبُ .

الطـــرف الثـالث

١٠ فى وجوه أموالها الدِّيوانية، وهى على ضربين : شرعىّ وغير شرعىّ

الضرب الأوّل الشرعىّ

وهو على سبعة أنواع

النــــوع الأوّل

المـال الخَرَاجىُّ، وهو ما يؤخذ عن أجرة الأرضين؛ وله حالان

١٥ الحال الأوّل — ما كان عليه الأمر فى الزمن المتقدّم ، وقد أورد ٱبن مَمَّـاتى فى "قوانين الدواوين" ما يقتضى أنه كان على كلّ صِنْفٍ من أصناف المزروعات[1] قطيعة مقررة فى الديوان السلطانىّ لا يختلف أمرها، فذكر أن قطيعة القمح كانت إلى آخر سنة سبع وستين وخمسمائة عن كل فَدَّانٍ ثلاثةُ أرادبَّ، ثم إنه تقرر عند المساحة فى سـنة ٱثنتين وسبعين وخمسمائة إردبان ونصف إردب . ثم قال : ومن

٢٠ (١) كذا فى قوانين الدواوين . وفى الأصل : « المزدرعات » .

ذلك ما يباع بعين ، ومنه يُزْرَع مُشاطرَة . قال : وقطيعة الشّعير كذلك ؛ وقطيعة الفُول عن كل فدّان من ثلاثة أرادبّ إلى أردبين ونصف ؛ وقطيعة الجُلْبَان والحِمّص والعَدَس عن كل فدّان إردبان ونصف ؛ وقطيعة الكَتّان تختلف بآختلاف البلاد . ثم قال : وهى على آخر ما تقرّر فى الديوان عن كل فدّان ثلاثةُ دنانير إلى ما دونها ؛ وقطيعة القُرْط بالديوان عن كل فدّان دينار واحد، وفيما بين الناس مختلف ؛ وقطيعة الثُّوم والبَصَل عن كل فدّان ديناران ؛ وقطيعة التُّرْمُس عن كل فدّان دينار واحد وربع ؛ وقطيعة الكَمُّون والكراويا والسِّلْجَم الصيفى عن كل فدّان دينارٌ واحد . قال : وكان قبل ذلك دينارين ؛ وقطيعة البِطّيخ الأخضر والأصفر واللُّوبِيَاء عن كل فدّان ثلاثة دنانير؛ وقطيعة السِّمْسِم عن كل فدّان دينار واحد؛ وقطيعة القُطْن كذلك؛ وقطيعة قَصَب السُّكّر عن كل فدّان إن كان رأسا خمسةُ دنانير، وإن كان خِلْفَةً ديناران وخمسة قراريط؛ وقطيعة القُلْقَاس عن كل فدّان ثلاثة دنانير؛ وقطيعة النِّيلة عن كل فدّان ثلاثة دنانير؛ وقطيعة الفُجْل عن كل فدّان دينار واحد؛ وقطيعة اللِّفْت كذلك ؛ وقطيعة الخَسّ عن كل فدّان ديناران ؛ وقطيعة الكُرُنْب كذلك . قال : والقطيعة المستقرّة عن خراج الشَّجَر والكَرْم تختلف بآختلاف سنينه . ثم قال : وهو يدرك فى السنة الرابعة و يترتب على كل فدّان ثلاثة دنانير؛ وقطيعة القَصَب الفارسىّ عن كل فدّان ثلاثة دنانير .

الحال الثانى — ما الأمر عليه فى زماننا، والحال فيه مختلف بآختلاف البلاد .

فالوجه القبلىّ الذى هو الصعيد أكثر خراجه غلالٌ من قمح وشعير وحِمّص وفول وعَدَس وبسلة وجُلْبَان، ويعبَّر فى عُرْف الدواوين عما عدا القمح والشعير والحِمّص بالحبوب، ثم الغالب أن يؤخذ عن خراج كل فدّان من الأصناف المذكورة ما بين إردبين إلى ثلاثة بكيل تلك الناحية، وربما زاد أو نقص عن ذلك، وفى الغالب

يؤخذ مع كل إردب درهم أو درهمان أو ثلاثة، ونحو ذلك بحسب قطائع البلاد وضرائبها فى الزيادة والنقص فى الأرادب والدراهم؛ وربمـا كان الخَرَاج فى بعض هذه البلاد دراهم؛ وما بار من أرض كل بلد يباع ما نبت فيه من المرعى مناجزة، وربما أخذ فيه العِدَادُ [1] على حسب عرف البلاد .

والوجه البحرى غالب خراج بلاده دراهمُ، وليس فيه ما خراج بلاده غلةٌ إلا القليل على العكس من الوجه القبلىّ .

ثم الذى كان عليه الحال إلى نحو التسعين والسبعمائة فى غالب البلاد أن يؤجر أثر الباقِ كلُّ فدّان بأربعين درهما فما حولهـا ، والبَرَايب كلُّ فدان بثلاثين درهما فمـا حولهـا ، ثم غلا السعرُ بعـد ذلك حتّى جاوز الباقُ المـائةَ والبرايبُ الثمانين ، وبلغ البَرْشُ نحو المـائتين ، وذلك عند غلوّ الغلال وآرتفاع سعرها .

قلت : ثم تزايد الحال فى ذلك بعـد الثمانمائة إلى ما بعد العشر والثمانمائة حتّى صار يؤخَذُ فى البـاق عن كل فدّان نحو الأربعمائة درهم ، وربمـا زادت الأرض الطيبة حتّى بلغت ستمائة درهم، وفى البرايب ونحوه دون ذلك بالنسبة [2]؛ ثم إنه إذا كان المقرّر فى خراج بلد من بلاد الديار المصرية غلالا وأعوز صنفٌ من الأصنـاف أن يؤخذ البدل عنها من صنف آخر من الغَلَّة .

وقد ذكر فى "قوانين الدواوين" أن قاعدة البدل أن يؤخذ عن القمح بدل كل إردب، من الشعير إردبان، ومن الفول إردب واحد ونصف، ومن الحِمَّص إردب، ومن الجُلُبَّان إردبٌّ ونصف، والشعير يؤخذ عن كل إردب منه نصف إردب من

(١) مراده بالعداد المواشى الراعية : من الإبل والبقر والغنم .

(٢) فى التركيب ركاكة والمعنى مفهوم .

القمح أوثلثا إردب من الفول أونصف إردب من الحِمَّص أوثلثا إردب من الجُلْبَان؛ وفى الفول يؤخذ عن كل إردب منه ثلث إردب من القمح أو [إردب و][1] نصف إردب من الشعير أو ثلى[2] إردب من الحِمَّص أو إردب من الجُلْبَان؛ وفى الحِمَّص يؤخذ عن كل إردب منه إردب من القمح أو إردبان من الشعير أو إردب ونصف من الفول أو إردب ونصف من الجلبان؛ وفى الجُلْبَان يؤخذ عن كل إردب منه ثلثى[2] إردب من القمح أو إردب ونصف من الشعير أو إردب من الفول أو ثلثى[3] إردب من الحِمَّص . ثم قال : والسِّمْسِمُ والسَّلْجَمُ والكَتَّانُ ما رأيت لها بدلا ، والاحتياط فى جميع ذلك الرجوع إلى سعره الحاضر، فإنه أسلم طريقةً وأحسن عاقبةً .

واعلم أن بلاد الديار المصرية بالوجهين : القبلى والبحرى بجملتها جارية فى الدواوين السلطانيـة و إقطاعات الأمراء وغيرهم من سائر الجنـد إلا النزرَ اليسيرَ مما يجرى فى وقف مَنْ سلف من ملوك الديار المصرية ونحوهم على الجوامع والمدارس والخوانق ونحوها مما لا يُعتدّ به لقلته .

والجارى فى الدواوين على ضربين :

الضـــرب الأوّل

ما هو داخل فى الدواوين السلطانية ، وهو الآن على أربعة أصناف :

الصـــــنف الأوّل

ما هو جار فى ديوان الوزارة ، وأعظمُه خَطَرا وأرفعُه قدرا جهتان :

إحداهما — عمل الجيزية المتقدِّم ذكره فى أعمال الديار المصرية ، ولها مباشرون بمفردها من ديوان الوزارة ما بين ناظر ومُسْتَوْفٍ وشهود وصَيْرَفِىّ وغيرهم ، وغالبُ

(١) الزيادة عن قوانين الدواوين .
(٢) كذا فى قوانين الدواوين . وفى الأصل : «ثلث» .

خراجه مبلغ دراهم تحمل إلى بيت المـال فتثبت فيه وتصرف منه فى جملة مصارف بيت المـال، وربما حمل من بعضها الغَلَّة اليسيرة من القمح وغيره للأهراء[1] السلطانية بالفُسْطَاط، ومن أرضها تفرد الإطلاقات؛ ويبذر فيهـا البرسيم لربيع الخيول بالإصطبلات السلطانية والأمراء والممـاليك السلطانية .

٥ الثانية — عمل مَنْفَلُوط، وله مباشرون كما تقدّم فى الجيزيّة بل هى أرفع قدرا وأكثر متحصّلا، وغالب خراجه غلال : من قمح وفُول وشـعير، وغلالها تحمل إلى الأهراء السلطانيـة بالفُسْطاط، ويصرف منهـا فى جمـلة مصارف الأهراء على الطواحين السلطانية والمُنَاخات وغير ذلك، وربمـا حمل منها المبلغ اليسير إلى بيت المـال فيثبت فيـه ويصرف منه على ما تقدّم فى الأعمال الجيزية، وما عدا هاتين

١٠ الجهتين من البلاد الجارية فى ديوان الوزارة مفرّقة فى الأعمـال بالوجهين : القبلى والبحرى، وهى فى الوجه القبـلى أكثر، ولكنها قـد تناقصت فى هذا الزمن حتّى لم يَبْقَ فيها إلا بعضُ بلاد بالوجه القبلى .

الصـنف الثـانى

ما هو جار فى ديوان الخـاص

١٥ وهو الديوان الذى أحدثه السلطان "الملك الناصر محمد بن قلاوون" حين أبطل الوزارة على ما سـيأتى ذكره؛ وأعظم بلاده وأرفعها قدرا مدينة الإسْكَنْدَرِيَّة فإنها فى الغالب مضافة إليـه؛ وبها مباشرون من ناظر ومستوف وشادّين وغيرهم . وربما أُخّرت عنه فى جهات أخرى جارية فيه، ويليها تَرُوجَةُ وفُوّة ونَسْتَرُوه، ومالُ جميعها يحمل إلى خزانة الخاص الآتى ذكرها تحت نظر ناظر الخاصّ الآتى ذكره .

٢٠ (١) الأهراء : جمع «هرى» بضم الهاء وكسر الراء وتشـديد الياء، وهى بيت كبير تجمع فيه الغلال التى للسلطان، قال الأزهرى : لا أدرى أعربى هو أم دخيل .

الصنف الثالث

ما هو جار فى الديوان المُفْرَد

وهو ديوان أحدثه " الظاهر برقوق " فى سلطنته ، وأفرد له بلادا، وأقام له مباشرين وجعل الحديث فيه لأستاذ داره الكبير، ورتّب عليه نفقة مماليكه من جامكيات وعليق وكُسْوَة وغير ذلك . ٥

قلت : وليس هو المخترعَ لهذا الآسم بل رأيت فى ولايات الدولة الفاطمية بالديار المصرية ما يدل على أنه كان للخليفة ديوان يسمى : الديوان المفرد .

الصنف الرابع

ما هو جار فى ديوان الأملاك

١٠ وهو ديوان أحدثه " الظاهر برقوق " المتقدّم ذكره، وأفرد له بلادا سماها أملاكا، وأقام لها أستاذ دار ومباشرين بمفردها ، وهذا الديوان خاص بالسلطان ليس عليه مرتب نفقة ولا كُلْفة .

الضرب الثانى

ما هو جار فى الإقطاعات

١٥ وهو جُلّ البلاد بالوجهين القبلىّ والبحرىّ ؛ والبلاد النفيسة الكثيرة المُتَحَصَّل فى الغالب تقطع للأمراء على قدر درجاتهم، فمنهم من يجتمع له نحو العشر بلاد إلى البلد الواحدة ؛ وما دون ذلك من البُلْدان يقطعُ للماليك السلطانية ، يشترك الاثنان فما فوقهما فى البلدة الواحدة فى الغالب، وربما آنفرد الواحد منهم بالبلد الواحد.

وما دون ذلك يكون لأجناد الحَلْقة تجتمع الجماعة منهم فى البلد الواحد بحسب مقــداره وحال مُقْطَعِيـه، وفى معنى أجناد الحَلْقـة المُقْطَعون من العُرْبان بالبحيرة والشرقية من أرباب الأدراك وملتزمى خيل البريد وغيرهم .

ثم آعلم أن لبلاد الديار المصرية حالين :

٥ الحال الأوّل ـ أن تجْز إجارةُ طين البلد بقدر معين لا يزيد ولا ينقص، وطلبُ الخراج على حكمها .

الحال الثـانى ـ أن تكون البلاد ممـا جرت العادة بمساحة أرضها لسَعَة طينها وآختلاف الرىّ فيه بالكثرة والقِلة فى السنين ؛ وقد جرت العادة فى ذلك أنّ كاتب خراج الناحيــة يطلب خَوّلة القانون بذلك البـلد وتوريخ الأحواض على المزارعين ١٠ بفدن مقدّرة، وتُكتَب بها أوراق تسمّى أوراق المسجل، وتحمل نسختها الى ديوان صاحب الإقطاع فتخلدفيه؛ فإذا طلع الزرع خرج من باب صاحب الإقطاع مباشرون، فيمسحون أرض تلك البـلد فى كل قَبَالة بأسماء المزارعين، ويكتب أصــل ذلك فى أوراق تســمّى الفُنْداق(١)، ثم تجمع القبائل(٢) بأوراق تسمّى تأريخ(٣) القبائل، ثم تجمع أسماء المزارعين بأوراق تسمّى تأريخ(٣) الأسماء، ويقابل بين ما آشتملت عليــه أوراق ١٥ المسجل وما آشتملت عليــه مساحته، وفى الغالب يزيد عن أوراق المسجل، ويُجمَع ذلك وتنظم به أوراق تســمّى المكلّفة، ويكتب عليها الشهود وحاكم العمــل، وتحمل لديوان المُقْطَع نسخا .

---

(١) الفنداق، هو الذى تكتب فيــه المساحات حال قياسها . (٢) القبائل : جمع قبالة بفتح القاف، وهى الأرض التى يقبلها أصحابها، أى يضمنونها بمبلغ من المـال يؤدّونه عنها فى كل سنة .

٢٠ (٣) التأريخ، هو الأوراق التى يبسطها مباشر المساحة بما فى السجلات و يختمها بما آنتهت إليه المساحة كما فى نهاية الأرب للنويرى (ج ٨ ص ٢٥٠ طبع دار الكتب المصرية) وفى الأصل : « تاريخ» وهو تحريف .

النـــوع الثـانى
ما يَتَحَصَّل ممـا يُستخرَج من المعادن

وقد تقـدّم فى الكلام على خواصّ الديار المصرية أن الموجود الآن بها ثلاثة معادن :

الأوّل — "معدن الزُّمُرُّد" على القرب من مدينة قُوص ، ولم يزل مستمرّ الآستخراج إلى أواخر الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون"، ثم أُهمِلَ لقلّة ما يَتَحَصَّل منه مع كثرة الكُلَف وبقى مهملا إلى الآن . وقد ذكر فى "مسالك الأبصار" : أنه كان له مباشرون وأَمَناءُ من جهة السلطان يتولَّوْن آستخراجه وتحصيله ، ولهم جوامك على ذلك . ومهما تحصل منه حُمِل إلى الخزائن السلطانية فيباع ما يباع ، ويبقّى ما يصلح للخزائن الملوكية .

الثانى — "معدن الشَّبِّ" (بالباء الموحدة فى آخره) . قال فى "قوانين الدواوين" : ويُحتاج إليه فى أشـياء كثيرة ، أهمُّها صَبْغ الأحمر ، وللرُّوم فيه من الرغبة بمقـدار ما يجدون من الفائدة ، وهو عندهم مما لا بُدَّ منه ولا مندوحة عنه ؛ ومعادنه بأماكنَ من بلاد الصعيد والواحات على ما تقدّم فى الكلام على خواصِّ الديار المِصْرية .

قال : وعادة الديوان أن يُنْفِقَ فى تحصيل كل قِنْطَارٍ منه باللَّيْثى ثلاثين درهما ، وربما كان دون ذلك . وتَهْبِط به العرب [من معدنه][1] إلى ساحل قُوص ، وساحل إخميم ، وساحل أَسْيوط ، وإلى البَهْنَسى إن كان الإتيان به من الواحات ، ثم يحمل من هذه السواحل إلى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، ولا يعتدّ للباشرين فيه إلا بما يصح فيها عند الآعتبار . قال آبن مماتى : وأكثر ما يباع منه فى المَتْجَر بالإسكندرية خمسة آلاف قِنْطَارٍ بالجَرَوى ، وبيع منه فى بعض السنين ثلاثةَ عشرَ ألف قنطار . وسعره من

(١) الزيادة عن قوانين الدواوين .

خمسة دنانير إلى خمسة دنانير وربع وسدس كلُّ قنطار . قال : أما القاهرة، فأكثر ما يباع فيها منه فى كل سنة ثمانون قنطارا كل قنطار بسبعة دنانير ونصف ؛ ثم قال : وليس لأحد أن يبيعه ، ولا يشتريه سوى الديوان السلطانى ، ومتى وجد مع أحد شىء من صنفه آستهلك . قلت : وقد تغير غالب حكم ذلك .

الثالث — "معدن النَّطْرُون" وقد تقدّم فى الكلام على خواص الديار المصرية أن النَّطْرون يوجد فى معدنين : أحدهما بعمل البحيرة مقابلَ بلدة تسمّى الطرّانة على مسيرة يوم منها، وتقدّم فى كلام صاحب "التعريف" أنه لا يعلم فى الدنيا بقعة صغيرة يستغلُّ منها أكثر ممّا يستغلُّ منها، فإنها نحو مائة فدّان تُغِل نحو مائة ألف دينار فى كل سنة . والمعدن الثانى بالفاقوسية على القرب من الخطارة ، ويعرف بالخطارى، وهو غير لاحق فى الجَوْدة بالأوّل .

قال فى "نهاية الأرب" : وأوّل من آحتجر النَّطْرون أحمدُ بن محمد بن مُدَبِّر نائب مصر قبل أحمد بن طولون، وكان قبل ذلك مباحا . قال فى "قوانين الدواوين" : وهو فى طور محدود لا يتصرف فيه غير المستخدمين من جهة الديوان، والنفقة على كل قنطار منه درهمان، وثمن كل قنطار منه بمصر والإسكندرية لضيق الحاجة إليه سبعون درهما . قال : والعادة المستقرّة أنه متى أُنْفق من الديوان فى العربان عن أجرة حمولة عشرة آلاف قِنْطار، ألزموا بحمل خمسة عشر ألف قنطار، حسابا عن كل قنطارٍ قنطار ونصفٌ؛ ثم قال : وأكثره مصروف فى نفقة الغُزاة .

قلت : أما فى زماننا فقد تضاعفت قيمة النَّطْرون وغلا سعره لآحتجار السلطان له، وأفرط حتّى خرج عن الحدّ، حتّى إنه ربما بلغ القِنْطار منه مبلغَ ثلثمائة درهم أو نحوها . وقد كان على النَّطرون مرتَّبُون من كُتَّاب دَست وكُتَّاب دَرْج وأطباءَ وكحالين وغيرهم وجماعةٌ من أرباب الصدقات يستأدون ذلك، وينفقون على حمولته

إلى ساحل النيل بالبلدة المعروفة بالطّرّانة المتقدّمة الذكر ، ويبيعونه على مَنْ يرغب فيه ليتوجه به فى المراكب إلى الوجه القبلىّ ، ولم يكن لأحد أن يبيع شيئا بالوجه البحرىّ جملةً ، ثم بطل ذلك فى أواخر الدولة الظاهرية برقوق ، وصار النطرون بجملته خالصا للسلطان جاريا فى الديوان المفرد تحت نظر أستاذ دار ، يحمل إلى الإسكندرية والقاهرة فيُخْزَن فى شُون ثم يباع منها ، وعليه مباشرون يحضُرون ٥
الواصل والمبيع ، ويعملون الحسابات بذلك ، وتَميَّز بذلك متحصِّله للغاية القصوى .

النــــوع الثـالث

الزكـاة

قد تقرّر فى كتب الفقه أن مَنْ وجبت عليه زكاة كان مخيرا بين أن يدفعها إلى الإمام أو نائبه ، وبين أن يفرّقها بنفسه . والذى عليه العمل فى زماننا بالديار ١٠
المصرية أن أرباب الزكوات المؤدّين لها يفرّقونها بأنفسهم ، ولم يبق بها ما يُؤخَذ على صورة الزكاة إلا شيئين :

أحدهما — ما يؤخذ من التجار وغيرهم على ما يدخلون به إلى البلد من ذهب أو فضة ، فإنهم يأخذون على كل مائتى درهم خمسةَ دراهم ، ثم إذا ٱشترى بها شيئا وخرج به وعاد بنظير المبلغ الأوّل لا يؤخذ منه شىء عليه حتّى يجاوز سنة . إلا أنهم ١٥
ٱنتقصوا سنة ذلك فجعلوها عشرة أشهر ، وخَصُّوه بما إذا لم يزد فى المدّة المذكورة على أربع مرار . فإن زاد عليها ٱستأنفوا له المدّة ، ثم إنه إذا كان بالبلد مَتْجَر لأحد من تجار الكارم من بَهَار ونحوه وحال عليه الحول بالبلد ، أخذوا عليه الزكاة أيضا .
ومجرى ذلك جميعه مجرى سائر متحصِّل الإسكندرية فى المباشرة وغيرها .

الثـانى — ما يؤخذ من العِدَاد من مواشى أهل بَرْقةَ من الغنم والإبل عنـد وصـولهم إلى عمـل البحيرة بسبب المرعى ، وفى الغـالب يُقْطَع لبعض الأمراء ، ويخرج قُصّادُهم لأخذه .

النـــوع الرابـــع
الجَـــوَالِى

وهى ما يؤخذ من أهل الذِّمّة عن الجزية المقرَّرة على رقابهم فى كل سنة، وهى على قسمين : ما فى حاضرة الديار المصرية من الفُسْطَاطِ والقاهرة، وما هو خارج عن ذلك . فأما ما بحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة بها ناظرا يولَّى من جهة السـلطان بتوقيع شريف ، ويتبعه مباشرون من شادّ وعامل وشُهُود ، وتحت يده حاشِرٌ لليهود وحاشر للنصارى يعرف أربابَ الأسماء الواردةِ فى الديوان ومن ينضم إليهم ممن يبلغ فى كل عام من الصِّبيان، ويعبَّر عنهم بالنَّشْو، ومن يَقْدَم إلى الحاضرة من البـلاد الخارجة عنها ، ويعـبَّر عنهم بالطارئ، ومن يهتدى أو يموت ممن ٱسمه وارد الديوان . ويُمْلِي على كُتَّاب الديوان ما يتجدّد من ذلك .

قال فى "قوانين الدواوين" : إن الجزية كانت فى زمانه على ثلاث طبقات : عُلْيَا، وهى أربعة دنانير وسدسٌ عن كل رأس فى كل سنة، ووُسْطى وهى ديناران وقيراطان، وسُـفْلى وهى دينار واحد وثلث وربع دينار وحبتان من دينـار، وإنه أضيف إلى جزية كل شخص درهمان وربع عن رسم الشادّ والمباشرين . ثم قال: وقد كانت العادة جارية بٱستخراجها فى أوّل المحرّم من كل سنة،ثم صارت تُسْتخرَج فى أيام من ذى الحجة . قلت : أما الآن ، فقـد نقصت حتّى صار أعلاها خمسـةً وعشرين درهمـا ، وأدناها عشرة دراهم ، ولكنها صارت تُستأدى معجَّلة فى شهر رمضان، ثم ما يَتحصَّل منها يحمل منـه قدر معين فى كل سـنة لبيت المـال، وباقى ذلك عليه مرتبون من القُضاة وأهل العلم والديانة يوزَّع عليهم على قدر المتحصِّل .

وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية من سائر بُلْدانها فإن جزية أهل الذمة فى كل بلد تكون لمُقْطَع تلك البلد من أمير أو غيره تجرى مجرى مال ذلك الإقطاع ، وإن كانت تلك البلد جارية فى بعض الدواوين السلطانية ، كان ما يَتحصَّل من الجزية من أهل الذمة بها جاريا فى ذلك الديوان .

النوع الخامس

ما يؤخذ من تُجَّار الكفَّار الواصلين فى البحر إلى الديار المصرية

وآعلم أن المقرّر فى الشرع أخذ العشر من بضائعهم التى يَقْدَمون بها من دار الحرب إلى بلاد الإسلام إذا شُرِط ذلك عليهم . والمُفْتى به فى مذهب الشافعىّ رضى الله عنه أن للإمام أن يزيد فى المأخوذ عن العشر وأن ينقُص عنه إلى نصف العشر للحاجة إلى الآزدياد من جلب البضاعة إلى بلاد المسلمين ، وأن يرفع ذلك عنهم رأسا إذا رأى فيه المصلحةَ . وكيفما كان الأخذ فلا يزيد فيه على مَرَّة من كل قادم بالتجارة فى كل سنة ، حتّى لو رجع إلى بلاد الكفر ثم عاد بالتجارة فى سنته لا يؤخذ منه شىء إلا أن يقع التراضى على ذلك ؛ ثم الذى ترد إليه تُجَّار الكفار من بلاد الديار المصرية ثَغْرُ الإسكندرية ، وثغر دِمْيَاطَ المحروستين ، تأتى إليهما مراكب الفرنج والرُّوم بالبضائع فتبيع فيهما أو تمتار منهما ماتحتاج إليه من البضائع ، وقد تقرّر الحال على أن يُؤخَذ منهم الخمس وهو ضِعْف العُشْر عن كل ما يصل لهم فى كل مرة ، وربما زاد ما يُؤْخَذ منهم على الخمس أيضا .

قال آبن مماتى فى "قوانين الدواوين" : وربما بلغ قيمة ما يُستخرَج عما قيمته مائة دينار ما يناهز خمسة وثلاثين دينارا ، وربما آنحط عن العشرين دينارا . قال : ويطلق على كليهما خُمْس ، قال : ومن الروم مَنْ يُستأدى منه العشر ، إلا أنه لما

كان الخمس أكثر، كانت النسبة إليه أشهر . ولذلك ضرائب مستقرّة فى الدواوين وأوضاع معروفة .

النـــوع السـادس
المواريث الحشرية

٥ وهى مال من يموت وليس له وارث خاص: بقرابة أو نكاح أو وَلَاء، أو الباقى بعـد الفرض من مال مَنْ يموتُ وله وارثٌ ذو فرض لا يستغرق جميع المـال ولا عاصِبَ له .

وهذه الجهة أيضا على قسمين : مافى حاضرة الديار المصرية ، وماهو خارج عنها .

فأمّا ما بحاضرة الديار المصرية ، فإن لهذه الجهة ناظرا يولّى من قِبَـل السلطان

١٠ بتوقيع شريف ومعه مباشرون من شادّ وكاتب ومُشَارِف وشُهُود، وهى مضافة إلى ما تحت نظر الوزارة من سائر المباشرات، ومُتَحَصَّلُها يحمل إلى بيت المـال، وربما كان عليها مرتَّبون من أرباب جوامك وغيرهم . وقـد جرت عادة هذا الديوان أنّ كاتبه فى كل يوم يكتب تعريفا بمَنْ يموت بمصر والقاهرة من حَشْرِىّ أو أهـلى وتفصيـلِه من رجال ونساء وصـغار ويهود ونصارى، وتكتب منـه نسخ لديوان

١٥ الوزارة ، ولنظر الدواوين ومستوفِى الدولة ، ويُسَدّ من وقت العصر . فمن أطـلق بعد العصر، أضيف إلى النهار القابل .

وأما ما هو خارج عن حاضرة الديار المصرية ، فلها مباشرون يُحصِّلونها ويحملون ما يتحصَّل منها إلى الديوان السلطانىّ .

النـــوع السابـــع

ما يتحصّل من باب الضرب بالقـاهـرة

والذى يضرب فيها ثلاثة أصناف :

الصـــنف الأوّل

الذهب ٥

وأصله مما يُجْلَب إلى الديار المصرية من التِّبْر من بلاد التَّكْرُور وغيرها مع ما يجتمع إليه من الذهب . قال فى "قوانين الدواوين": وطريق العمل فيها أن يُسْبَك ما يجتمع من أصناف الذهب المختلفة حتّى يصـير ماء واحدا ، ثم يقلب قُضْبانا و يقطع من أطرافها قطع بمباشرة النـائب فى الحكم ، و يحرّر بالوزن و يسـبك سبيكة واحدة ، ثم يؤخذ من بعضها أر بعة مثاقيل و يضاف إليها من الذهب الخائف المسبوك بدار ١٠ الضرب أر بعة مثاقيل ، و يعمل كل منها أربع ورقات وتجمع الثمان ورقات فى قدح فخار بعد تحرير وزنها . و يوقد عليها فى الأتُّون ليلة ، ثم تخرج الورقات وتمسح و يُعبَّر الفرع على الأصـل ، فإن تساوى الوزن وأجازه النائب فى الحكم ، ضُرِب دنانير . وإن نقص أعيد الى أن يتساوى و يصح التعليق فيضرب حينئذ دنانير .[1]

قال ابن الطُّوَيْر فى الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية بالديار المصرية فى سياقه ١٥ الكلام على وظيفة قضاء القضاة : وسبب خلوص الذهب بالديار المصرية ما حُكى أن أحمد بن طولون صاحب مصر كان له إلمـام بمدينة عين شمس الخراب على القرب من المَطَرِيَّة من ضواحى القاهرة ، حيث ينبُت البَلَسانُ ، وأن يد فرسه ساخت بها يوما فى أرض صَلْدة ، فأمر بحفر ذلك المكان فوجد فيه خمسةَ نَواوِيسَ فكشفها فوجد فى الأوسط منها ميتا مُصَبَّرًا فى عسل ، وعلى صدره لوحٌ لطيف من ذهب فيه ٢٠ كتابة لا تعرف ، والنواويس الأربعة مملوءة بسـبائك الذهب ، فنقل ذلك الذهب

(١) كذا فى قوانين الدواوين . وفى الأصل : «القدح» وهو تحريف .

ولم يجد من يقرأ ما فى اللوح ، فدُلَّ على راهب شيخ بدير العَرَبة بالصعيد له معرفة بخط الأوّلين ، فأمر بإحضاره فأُخْبِرَ بضعفه عن الحركة ، فوجّه باللوح إليـه ، فلما وقف عليه قال : إن هذا يقول : أنا أكبر الملوك ، وذَهَبِى أخلصُ الذهب . فلمـا بلغ ذلك أحمد بن طولون ، قال : قبح الله من يكون هـذا الكافر أكبرَ منه أو ذهبه أخلَصَ من ذهبه ، فشدّد فى العيار فى دُور الضرب ، وكان يحضُر ما يعلّق من الذهب ويختم بنفســه فبقى الأمر على ما قرّره فى ذلك من التشديد فى العيار .

وكانت دار الضرب فى الدولة الفاطمية لا يتولاها إلا قاضى القضاة تعظيما لشأنها ، وتُكتَب فى عهده فى جملة ما يضاف إلى وظيفة القضاء ، ويقيم لمبـاشرة ذلك مَنْ يختاره من نوّاب الحُكْم ، وبقى الأمر على ذلك زمنا بعــد الدولة الفاطمية أيضا . أما فى زماننا ، فنظرها موكول لناظر الخاصّ الذى ٱستحدثه "الملك الناصر محمد بن قلاوون" عند تعطيله الوزارة على ما سيأتى ذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

والسِّكّة السلطانية بالديار المصرية فيما هو مشاهد من الدنانير أن يكتب على أحد الوجهين : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أرْسَلَهُ بالهُدى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ[1]) وعلى الوجه الآخر ٱسم السـلطان الذى ضرب فى زمنه وتاريخ سنة ضربه .

الصـــنف الثـانى

الفضّـة النُّقـرة

وقد ذكر ٱبن مَمَّـاتِى فى "قوانين الدواوين" فى عيارها أنه يؤخذ ثلثمائة درهم فضة فتضاف إلى سبعمائة درهم من النحاس الأحمر ، ويسبك ذلك حتّى يصـير ماء واحدا فيقلب قُضْبانا ويقطع من أطرافها خمسة عشر درهما ، ثم تسبك ، فإن خلص

(١) ليست هذه العبارة نظم آية كما قد يتوهم .

منها أربعة دراهم فضة ونصف حسابا عن كل عشرة دراهم ثلاثة دراهم، وإلا أعيدت إلى أن تصح . وكأن هذا ما كان الأمر عليه فى زمانه؛ والذى ذكره المقرّ الشهابىّ ابن فضل الله فى "مسالك الأبصار" : أن عيارها الثلثان من فضّة والثلث من نُحاس، وهذا هو الذى عليه قاعدة العيار الصحيح كما كان فى أيام الظاهر بيبرس وما والاها، وربما زاد عيار النحاس فى زماننا على الثلث شيئا يسيرا بحيث يظهره النَّقْد، ولكنه يروج فى جملة الفضة، وربما حصل التوقف فيه إذا كان بمفرده .

قلت : أما بعد الثمانمائة فقد قلَّتِ الفضة، وبطل ضربُ الدراهم بالديار المصرية إلا فى القليل النادر لاستهلاكها فى السروج والآنية ونحوها ، وانقطاع واصلها إلى الديار المصرية من بلاد الفرنج وغيرها . ومن ثَمّ عزّ وجود الدراهم فى المعاملة بل لم تكد توجد . ثم حدث بالشأم ضربُ دراهم رديئة فيها الثلث فما دونه فضة والباقى نحاس أحمر، وطريقة ضربها أن تقطع القضبان قطعا صغارا كما تقدّم فى الدنانير، ثم تُرْصَع إلا أن الدنانير لا تكون إلا صحاحا مستديرة، والفضة ربما كان فيها القراضات الصغار المتفاوتة المقادير فيما دون الدرهم إلى ربع درهم وما حوله ؛ وصورةُ السكة على الفضة كما فى الذهب من غير فرق .

الصنف الثالث

الفلوس المتخذة من النحاس الأحمر

وقد تقدّم أنه كان فى الزمن الأوّل فلوس صغار كل ثمانية وأربعين فَلْسًا منها معتبرة بدرهم من النُّقْرة إلى سنة تسع وخمسين وسبعمائة فى سلطنة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الثانية، فأُحْدثت فلوسٌ عُبِّر عنها بالجُدُد زِنَةُ كل فَلْسٍ منها مثقال، وهو قيراط من أربعة وعشرين قيراطا من الدرهم، ثم تناقص بمقدارها حتّى كادت

تفسد وهى على ذلك. وطريق عملها: أن يُسبكَ النّحاسُ الأحمر حتّى يصير كالمـاء، ثم يخرج فيضرب قضبانا، ثم يُقَطَّع قطعا صغارا، ثم تُرْصَع وتسك بالسكة السلطانية وسكتها أن يكتب على أحد الوجهين آسم السلطان ولقبه ونسبه، وعلى الآخر آسم بلد ضربه وتاريخ السنة التى ضرب فيها .

الضـــرب الثـــانى

من الأموال الديوانية بالديار المصرية غير الشرعى، وهو المكوس، وهى على نوعين

النـــوع الأوّل

ما يختص بالديوان السلطانى وهو صنفان

الصـــنف الأوّل

ما يؤخذ على الواصل المجلوب، وأكثره مُتَحَصَّلا جهتان

الجهـــة الأولى

ما يؤخذ على واصل التجار الكارمية من البضائع فى بحر القُلْزُم من جهة الحجاز واليَمَن وما والاهما، وذلك بأربعة سواحل بالبحر المذكور

الساحل الأوّل — "عَيْذَابُ" وقد كان أكثرَ السواحل واصلا لرغبة رؤساء المراكب فى التعدية من جُدَّةَ إليـه، وإن كانت باحتُه متسعةً لغزارة المـاء وأَمْنِ الْتِحَاقِ بالشعب الذى ينبت فى قعر هذا البحر، ومن هذا الساحل يتوصل إلى قُوصَ بالبضائع ومن قُوصَ إلى فُنْدُقِ الكارم بالفُسْطَاط فى بحر النيل .

الساحل الثانى — "القُصَيْر" وهو فى جهة الشمال عن عَيْذابَ ، وكان يصل إليه بعضُ المراكب لقربه من قُوص وبُعْدِ عيْذابَ منها ، وتُحمل البضائع منه إلى قُوصَ ، ثم من قُوصَ إلى فُنْدقِ الكارم بالفُسْطَاط على ما تقدّم ، وإن لم يبلغ فى كثرة الواصل حدّ عَيْذابَ .

الساحل الثالث — "الطُّور" وهو ساحل فى جانب الرأس الداخل فى بحر القُلْزُم بين عَقَبة أَيْلَة وبين بر الديار المصرية ؛ وقد كان هذا الساحل كثير الواصل فى الزمن ٥ المتقدّم ؛ لرغبة بعض رؤساء المراكب فى السير إليه ، لقرب المراكب فيه من برّ الحجاز حتّى لا يغيب البر عن المسافر فيه وكثرة المراسى فى بره ، متى تغير البحر على صاحب المركب وجد مَرْساة يدخل إليها ، ثم تُرِك قَصْدُ هذا الساحل والسفرُ منه بعد انقراض بنى بدير العباسية التجار ، ورغب المسافرون عن السفر فيه لما فيه من الشعب الذى يُخْشى على المراكب بسببه ، ولذلك لا يُسافَر فيه إلا نهارا ، وبقى على ١٠ ذلك إلى حدود سنة ثمانين وسبعمائة ، فعمّر فيه الأمير صلاح الدين[1] بن عرّام رحمه الله ، وهو يومئذ حاجب الحُجّاب بالديار المصرية مَرْكبا وسفَّرها ، ثم أتبعها بمركب آخر فجسر الناس على السفر فيه وعَمَروا المراكب فيه ، ووصلت إليه مراكبُ اليَمَن بالبضائع ، ورُفِضت عَيْذابُ والقُصَيْرُ ، وحصل بواسطة ذلك حمل الغلال إلى الحجاز ، وغَزُرت فوائد التجار فى حمل الحنطة إليه . ١٥

الساحل الرابع — "السُّوَيْس" على القرب من مدينة القُلْزُم الخراب بساحل الديار المصرية . وهو أقرب السواحل إلى القاهرة والفُسْطَاطِ إلا أن الدخول إليه نادر ، والعمدة على ساحل الطُّور كما تقدّم .

(١) هو الأمير صلاح الدين خليل بن عرام ، كان واسع الاطلاع فى التاريخ والأدب ، وله مصنفات مفيدة وتاريخ كبير ومعرفة تامة بالأمور السياسية . تولى نيابة الاسكندرية غير مرة وتنقل ٢٠ فى عدّة وظائف . قتل وهو مسمر بسوق الخيل بالرميلة بالقاهرة سنة ٧٨٢ هـ ورثاه الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار بقوله :

أيا ابن عرّام قد سمرت مشتهرا * وصار ذلك مكتوبا ومحسوبا
ما زلت تجهد فى التاريخ تكتبه * حتّى رأيناك فى التاريخ مكتوبا

(راجع النجوم الزاهرة فى حوادث سنة ٧٨٢ هـ) ٢٥

قلت : وهذه السواحل على حدّ واحد فى أخذ المرتّب السلطانىّ ، وقد ذكر فى " قوانين الدواوين " : أن واصل عَيْذابَ كان آستقر فيه الزكاة . أما الذى عليه الحال فى زماننا، فإنه يؤخذ من بضائع التجار العُشْر مع لواحِقَ أخرى تكاد أن تكون نحو المرتب السلطانىّ أيضا .

٥ وآعلم أنه قد تَصِلُ البضائع للتجار المسلمين إلى ساحل الإسكندرية ودمياط المتقدّم ذكرهما، فيؤخذ منها المرتّب السلطانى على ما توجبه الضرائب .

الجهـــة الثـانيـــة

ما يؤخذ على واصل التجار بقَطْيا فى طريق الشأم إلى الديار المصرية

وعليها يردُ سائرُ التجار الواصلين فى البر من الشأم والعراق وما والاهما، وهى ١٠ أكثر الجهات متحصِّلا وأشدّها على التجار تضييقا وعنـدهم ضرائب مقررة لكل نوع يؤخذ عن نظيرها .

الصـــنف الثـانى

ما يؤخذ بحاضرة الديار المصرية : بالفُسْطَاط والقاهرة

وهو جهات كثيرة ، يقال إنها تبلغ آثنتين وسبعين جهة ، منها ما يكثُر متحصِّله ١٥ ومنها ما يقلُّ، ثم بعضها بحسب ما يتحصَّل من قليل وكثير، وبعضها له ضَمَانٌ(١) بمقدار معين لكل جهة، يطلب بذلك المقدار إن زادت الجهة فله وإن نقصت فعليه .

قلت : وقـد عمت البلوى بهذه المُكُوس، وخرجت فى التزيُّد عن الحدّ، ودخلت الشبهة فى أموال الكثير من الناس بسببها . وقد كان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمـه الله فى سلطنته قد رفع هـذه المكوسَ ومحـا آثارها ،

٢٠ (١) لعله ضامن .

وعوّضه الله عنها بما حازه من الغنائم وفتحه من البلاد والأقاليم، وربما وقع الإلهام من الله تعالى لبعض ملوك المملكة برفع المظلمة الحاصلة منها . ومن أعظم ذلك خَطَرا وأرفعه أجْرًا ما فعله السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" بن الملك الناصر محمد بن قلاوون تغمده الله تعالى برحمته من بُطْلان مكوس المَلَاهى والقراريط على الأملاك المبيعة . ٥

النـــوع الثـانى

ما لا آختصاص له بالديوان السلطانىّ

وهى المُكُوس المتفرقة ببلاد الديار المصرية فتكون تابعة للإقطاع إن كانت تلك البلد جارية فى ديوان من الدواوين السلطانية فمتحصِّلها لذلك الديوان، أو جارية فى إقطاع بعض الأمراء ونحوهم فمتحصِّلها لصاحب الإقطاع، ويعبَّر ١٠ عنها فى الدواوين بالهلالى كما يعبَّر عما يؤخذ من أجرة الأرضين بالخراجىّ .

المقصـد الثـالث(١)

فى ترتيب المملكة، ولها ثلاث حالات :

الحالة الأولى — ما كانت عليه فى زمن عُمَّال الخلفاء من حين الفتح إلى آخر الدولة الإخشيدية؛ ولم يتحرر لى ترتيبها، والظاهر أنه لم يزل توابها وأمراؤها ١٥ حينئذ على هيئة العرب إلى أن وليها أحمد بن طولون وبَنُوه وأحدثوا فيها ترتيب الملك . على أنه كان أكثر عسكره من السودان، حتّى يقال إنه كان فى عسكره آثنا عشر ألف أسود، وتبعتهم الدولة الإخشيدية على ذلك إلى آخر دولتهم .

---

(١) لم يسبق له التعبير بالمقصد الأول والثانى ولم يجمل كعادته فلعل هذا من بعض النساخ . وقد وقع فى هذا الجزء شيء من هذا القبيل فاقتضى التنبيه . ٢٠

الحالة الثـانية — من أحوال الديار المصرية ما كانت عليـه فى زمن الخلفاء الفاطميين ؛ وينحصر المقصود من ترتيب مملكتهم فى سبع[1] جمل .

الجمــلة الأولى

فى الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العِظَام

وهى على أصناف متعدّدة :

منها "التاج" . وكان يُنْعَت عندهم بالتاج الشريف، ويعرف بشدّة الوَقَار. وهو تاج يركب به الخليفة فى المواكب العِظَام ، وفيـه جوهرة عظيمة تُعْرف باليتيمة زنتها سبعة دراهم ولا يقوّم عليها لنَفَاستها؛ وحولها جواهر أخرى دونها؛ يلبس الخليفة هذا التاج فى المواكب العظام مكان العمامة .

ومنها "قضيب الملك" . وهو عُود طول شـبر ونصف ، ملَبّس بالذهب المرصّع بالدرّ والجوهر، يكون بيد الخليفة فى المواكب العظام .

ومنها "السيف الخاص" . الذى يحمـل مع الخليفـة فى المواكب . يقال إنه كان من صاعقة وقعت وحصل الظَّفَر بها فعمل منها هذا السيف ، وحليته من ذهب مرصعة بالجواهر، وهو فى خريطـة مرقومة بالذهب لا يظهر إلا رأسه ، وله أمير من أعظم الأمراء يحمله عند ركوب الخليفة فى الموكب .

ومنها "الدواة" . وهى دواة متخذة من الذهب وحليتها مصنوعة من المَرْجَان على صلابته ومناعته، تلف فى منديل شرب[2] أبيض [مذهب][3]، ويحملها شخص من الأستاذين فى الموكب أمام الخليفة تكون بينه و بين السرج ، ثم جعل حَمْلُها لعَدْل من العدول المعتبرين .

(١) فى الأصل : « ثلاث » وقد أثبت سبع جمل . (٢) الشرب : نوع مخصوص من الحرير كان يستعمل فى ذلك الزمن . (٣) الزيادة عن المقريزى (ج ١ ص ٤٤٩) والنجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٨٧) .

ومنها "الرمح" . وهو رمح لطيف فى غلاف منظوم باللؤلؤ ؛ وله سِنَان مختصر بحلية الذهب؛ وله شخص مختص بحمله .

ومنها "الدَّرَقَة" . وهى دَرَقَةٌ كبيرة بكوابج[1] من ذهب ؛ يقولون إنهـا دَرَقَةُ حمزة عم النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، وعليها غِشَاء من حرير؛ ويحملها فى الموكب أمير من أكابر الأمراء، له عندهم جلالة .

ومنها "الحافر" . وهى قطعة ياقوت أحمر فى شكل الهِلَال ، زنتها أحد عشر مثقالا ، ليس لها نظير فى الدنيا ، تخاط خياطة حسنة على خرقة من حرير، وبدائرها قضب زمرد ذُبابىّ[2] عظيم الشأن، تجعل فى وجه فرس الخليفة عند ركوبه فى المواكب .

ومنها "المِظَلَّة" التى تحمل على رأس الخليفة عند ركوبه، وهى قُبَّةٌ على هيئة خيمة على رأس عمود كالمِظَـلَّة التى يركب بها السلطان الان ، وكانت اثنى عشر شوزكا عرض سُفْل كل شوزك شبر، وطوله ثلاثة أذرع وثلث، وآخره من أعلاه دقيق للغاية بحيث يجتمع الاثنا عشر شوزكا فى رأس عمود بدائرة ، وعمودُها قنطارية من الزّانِ ملَبَّسة بأنابيب الذهب ، وفى آخر أنبوبة تلى رأس العمود فلكة[3] بارزة مقدار عرض إبهام تشدّ آخر الشوازك فى حَلْقَةٍ من ذهب ، وتنزل فى رأس الرمح . ولها عندهم مكانة جليلة لعلوّها رأس الخليفة، وحاملها من أكبر الأمراء .

قال ابن الطوير : وكان من شرطها عنـدهم أن تكون على لون الثيـاب التى يلبسها الخليفة فى ذلك الموكب، لا تخالف ذلك .

ومنها "الأعلام" . وأعلاها اللواءان المعروفان بلواءي الحمـد، وهما رمحان طويلان ملَبَّسان بأنابيبَ من ذهب إلى حدّ أسنّتهما ، وبأعلاهما رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب ، ملفوفتان على الرمحـين غير منشورتين ، يُخْرَجان لخروج المِظَلة إلى أميرين معدّين لحملها ، ودونهما رمحان برءوسهما أَهِلَّةٌ من ذهب صامت،

(١) فى النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٨٠) والمقريزى : « بكوانح » .

(٢) سمى بالذبابىّ لقرب لونه من لون الذباب الكبير المائل الى الخضرة .

(٣) كذا فى النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٨٤) . وفى الأصل : « ملكة » وهو تحريف .

فى كل واحد منهما سبع من ديباج أحمر وأصفر، وفى فمه طارة مستديرة يدخل فيها الريح فيفتحان فيظهر شكلهما ، يحملهما فارسان من صبيان الخاصّ ، وو راءهما رايات لِطَاف ملوّنة من الحرير المرقوم ومكتوب عليها : ﴿نَصْرٌ مِنَ اللهِ وفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ طولُ كلِّ راية منها ذراعان فى عرض ذراع ونصف ، فى كل واحدة ثلاث طرازات على رماح من القَنَا ، عدّتها أبدا إحدى وعشرون راية، يحملها أحد وعشرون فارسا من صبيان الخليفة، وحاملها أبدا راكب بغلة .

٥

ومنها "المِذَبَّتَانِ" وهما مِذَبَّتَانِ عظيمتان كالنخلتين ملويتان محمولتان عند رأس فرس الخليفة فى الركوب .

ومنها "السلاح" الذى يحمله الركابية حول الخليفة . وهو صَمَاصِمُ مصقولة ، ودبابيس مُلَبَّسة بالكَيْمُخْتِ[1] الأحمر والأسود ، ورءوسها مـدوّرة ، ولُتُوتُ[2] حديد كذلك ورءوسها [مستطيلة وآلات يقال لها المستوفيات[3]] وهى عمـد حديد طول ذراعين، مربعات الأشكال بمقابض مدوّرة بعدّة معلومة من كل صنف؛ وستّمائة حربة بأسنة مصقولة، تحتها جُلَبُ[4] الفضة؛ وثلثمائة دَرَقَة بكوابج فضة؛ يحمل ذلك فى الموكب ثلثمائة عبد أسود كل عبد حربتان ودَرَقَةٌ واحدة؛ وستون رمحا طول كل واحد منها سبع أذرع، برأسها طلعة وعقبها من حديد، يحملها قوم يقال لهم "السريرية" يفتلونها بأيديهم اليمنى فَتْلاً متدارك الدوران؛ ومائة درقة لطيفة؛ ومائة سيف بيد مائة رجل، كل رجل دَرَقَةٌ وسيف يسيرون رَجَّالة فى الموكب؛ وعشرة سيوف فى خرائط ديباج أحمر وأصفر بشراريب يقال لها سيوف الدم، تكون فى أعقاب الموكب برسم ضرب الأعناق إذا أراد الخليفة قتلَ أحد . وذلك كله خارج عما يخرج من خزانة التجمل برسم الوزير وأكابر الأمراء وأرباب الرتب وأزِمّـة العساكر لتجملهم فى الموكب، وهى نحو أربعمائة راية مرقومة الأطراف، وبأعلاها رمامين الفضة المذهبة، وعدة

١٠

١٥

٢٠

(١) الكيمخت : ضرب من الجلود المدبوغة . (٢) لتوت : كلمة فارسية معربة ، جمع لت ، واللت : القدوم والفأس العظيمة . (٣) الزيادة عن النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٧٩) .

(٤) الجلب ، جمع جلبة ، وهي القطعة من الفضة وغيرها تضم نصاب الحربة بسنانها .

من العَمّارِيّات(١) ، وهى شبه الكنجاوات ملبسة بالحرير الأحمر والأصفر والقرمزى وغير ذلك ، وعليها كوابج(٢) الفضة المذهبة ، لكل أمير من أصحاب القضب منها عَمّارِيّة ، ويختص لواءان على رمحين منقوشين بالذهب غير منشورين يكونان أمامه فى الموكب إلى غير ذلك من الالات التى يطول ذكرها ، ويعسر آستيعابها .

ومنها "النَّقّارات" . وكانت على عشرين بغلا ، على كل بغل ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات ، تسير فى الموكب آثنتين آثنتين ولها حِسٌّ حسن .

ومنها "الخيام والفساطيط" وكان من أعظم خيمهم خَيْمَةٌ تعرف بالقاتول ، طول عمودها سبعون ذراعا ، بأعلاه سفرة فضة تسع راوية ماء ، وسعتها مايزيد على فدانين فى التدوير ، وسميت بالقاتول لأن فَرّاشًا سقط من أعلاها فمات .

قلت : ولعمرى إن هذه لأثرة عظيمة تدل على عظيم مملكة وقوة قدرة ، وأنّى يتأتى مثل هذه الخيمة لملك من الملوك وإن جلّ قدره وعظم شأنه .

الجملة الثانية

فى حواصل الخليفة ، وهى على خمسة أنواع

النوع الأوّل

الخزائن ، وهى ثمان خزائن :

الأولى — "خِزَانة الكتب" . وكانت من أجل الخزائن وأعظمها شأنا عندهم ، وكان فيها من المصاحف الشريفة المكتوبة بالخطوط المنسوبة الفائقة عدّةٌ كثيرة ، ومن الكتب النفيسة ما يزيد على مائة ألف مجلد ، مشتملة على أنواع العلوم مما يُدْهِشُ الناظر ويحيره ، وربما آجتمع من المصَنَّف الواحد فيها عشرُ نسخ

(١) العمار يات ، جمع عمارية ، وهى الهودج يجلس فيه .

(٢) فى النجوم الزاهرة (ج ٤ ص ٨٠) والمقريزى « كوامخ » .

فما دونها[1]، وكان فيها من الدُّرُوج المكتتبة بالخطوط المنسوبة كخط آبن مقلة وآبن البوّاب، ومن جرى مجراهما[2] .

الثانية — "خِزَانة الكُسْوة" وهى فى الحقيقة خزانتان . إحداهما — الخزانة الظاهرة، وهى المعبر عنها فى زماننا بالخزانة الكبرى على ما كانت عليه أوّلا، والمعبر عنها بخزانة الخاصّ على ما آستقرّ عليه الحال آخرا ، وكان فيها من الحواصل من الديباج الملوّن على آختلاف ضروبها، والشرب الخاص الدَّبِيقىّ[3] والسِّقلاطون[4]، وغير ذلك من أنواع القماش الفاخرة ما يدل على عِظَم المملكة، وإليها يحمل ما يُعْمَل بدار الطِّراز بتِنِّيس ودِمْيَاط والإسْكَنْدَرِيّة من مستعملات الخاص، وفيها يفصَّل ما يؤمر به من لباس الخليفة ، وما يحتاج إليه من الخِلَع والتشاريف وغير ذلك .

الثانية — معدّة للباس الخليفة خاصة ، وهى المعبر عنها فى زماننا بالطشت خاناه ، وإليها ينقل القماش المفصَّل بالخزانة الأولى من قماش الخليفة وغيره .

الثالثة — "خزانة الشراب" . وهى المعبَّر عنها فى زماننا بالشراب خاناه، وكان فيها من أنواع الأشربة والمَعَاجين النفيســة والمربيَّات الفاخرة وأصـناف الأدوية والعِطْريَّات الفائقة التى لا توجد إلا فيها؛ وفيها من الآلات النفيسة والآنية الصِّينىّ من الزبادى والصُّحُون والبَرَانِىّ والأزيار ما لا يقدر عليه غير الملوك .

الرابعة — "خزانة الطُّعْم" . وهى المعبَّر عنها فى زماننا بالحوائج خاناه، وكانت تحتوى على عدّة أصناف من جميع أصناف القَلَوِيَّات من الفستق وغيره والسُّكَّر والقَنْد[5] والأعسال على أصنافها والزيت والشَّمَع وغير ذلك، ومنها يخرج راتب المطابخ خاصًّا

(١) لعل الأنسب فما فوقها . (٢) لعل تمامه [ما يدل على عظم المملكة] كما سيأتى فى نظيره .

(٣) الدبيق : نوع من الأقمشة الحريرية المزركشة التى كانت تصنع فى دبيق ، وهى بلدة بمصر قديمة زالت ، وكانت واقعة على بحيرة المنزلة بالقرب من تنّيس ، وموضعها اليوم تل دبيق فى الشمال الشرقى لقرية صان الحجر وعلى بعد ٥٥٠٠ متر منها بمركز فاقوس . (٤) السقلاطون : نوع من الملابس الحريرية الفاخرة الملوّنة بالألوان القرمزية وغيرها . وهو آسم بلد بالروم تصنع فيه تلك الملابس وتنسب اليه . وكانت تصنع أيضا ببغداد وتبريز (راجع قاموس دوزى والقاموس الانجليزى الفارسى ومعجم البلدان لياقوت فى كلامه على تبريز) . (٥) القند : عسل قصب السكر إذا جمد معرّب كند وهو قصب السكر ومنه الكردىّ قند .

وعاماًّ، وينفق لأرباب الخدم وأصحاب التوقيعات فى كل شهر، ولا يحتاج إلى غيرها إلا فى اللحم والخضر.

الخامسة — "خِزَانة السُّروج". وهى المعبَّر عنها فى زماننا بالرِّكاب خاناه، وكانت قاعة كبيرة بالقصر، بها السروج واللُّجُم من الذهب والفضَّة، وسائر آلات الخيل مما يختص بالخليفة؛ ثم منها ما هو قريب من الخاص، ومنها ما هو وسط برسم مَنْ هو من أرباب الرُّتَب العالية، ومنها ما هو دُونٌ برسم من هو برسم العوارى أيام المواكب لأرباب الخدم.

السادسة — "خزانة الفَرْش". وهى المعبَّر عنها فى زماننا بالفرّاش خاناه؛ وكان موضعها بالقصر بالقرب من دار الملك؛ وكان الخليفة يحضُر إليها من غير جلوس ويطوف فيها، ويسأل عن أحوالها، ويأمر بإدامة عمل الاحتياجات وحملها إليها.

السابعة — "خزانة السلاح". وهى المعبَّر عنها فى زماننا بالسلاح خاناه؛ فيها من أنواع السلاح المختلفة ما لا نظير له: من الزَّرديَّات المُغَشَّاة بالديباج المحكمة الصَّنْعة المحلَّاة بالفضة، والجواشن[(1)] المُذْهبة، والخُوَذ المحلَّاة بالذهب والفضة، والسيوف العربيات والقلجوريَّة، والرِّماح القنا والقنطاريات المدهونة والمذهبة، والأَسِنَّة العظيمة والقِسِيّ المخبورة المنسوبة إلى أفاضل الصُّنَّاع، وقسىّ الرجل والركاب، وقِسِىّ اللولب التى تبلغ زِنَةُ نصله خمسة أرطال بالمصرى، والنَّبْل الذى يرمى به عن القسىّ العربية فى المجارى المصنوعة لذلك.

قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر: كان يصرف فيها فى كل سنة سبعون ألف دينار إلى ثمانين ألف دينار.

(1) الجواشن: جمع جوشن، وهو مثل الزرد يلبس على الظهر، والفرق بينه وبين الزرد أن الزرد يكون من حلقة واحدة فقط، والجوشن يكون حلقة حلقة يتداخل فيها صفائح رقيقة من التنك.

الثامنة ـ "خزانة التجمّل" . وهى خزانة فيها أنواع من السلاح يُخْرَج منها للوزير والأمراء فى المواكب الألويةُ والقُضُب الفضـة والعَمَاريّات وغيرها . قال ابن الطوير : هى من حقوق خزائن السلاح .

وأما "خزائن المـال" فكان فيها من الأموال والجواهر النفيسة ، والذخائر العظيمة ، والأقمشة الفاخرة ما لا تحصره الأقلام .

وناهيك أن المستنصر لما وقع الغلاء العظيم بمصر ، أخرج من خزانته فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة ذخائرَ تَسَعُها للإعانة على قيام أمر المملكة والجند ، فكان مما أخرجه ثمـانون ألف قطعة بِلَّوْرٍ كبار ، وسبعون ألف قطعة من الدّيباج ، وعشرون ألف سيف مُحَـلًّى . ولمـا استولى السلطان صـلاح الدين يوسف بن أيوبَ على القصر بعـد وفاة العاضد ، آخر خلفائهم ، وجد فيـه من الأعلاق الثمينة والتُّحف ما يخرج عن حدّ الإحصاء ، من جملته الحافر الياقوت المقـدّم ذكره . ويقال إنه وجد فيـه قضيب زُمُرُّدٍ يزيد على قامة الرجل على ما تقـدّم ذكره فى الكلام على الأحجار الملوكية فى أثناء المقالة الأولى ، ووجد فيه أيضا الهَرَم العَنْـبَرَ الذى عمله الأمين زِنَتُه ألف رطل بالمصرىّ .

النـــوع الثـانى

حواصل المواشى المعبر عنها عند كُتَّاب زماننا بالكُرَاع ؛ وهى حاصلان :

الأوّل ـ "الإصطبلات" . وهى حواصل الخيول والبِغَال وما فى معناها ، قال ابن الطوير : وكان لهم إصطبلان . قال : وكان للخليفة[1] برسم الخـاصّ فى كل إصطبل ما يقُرب من الألف رأس ، النصف من ذلك برسم الخاصّ ، والنصف برسم العوارى فى المواكب لأرباب الرُّتَب والمستخدمين ، وكانـ لكل ثلاثة أرؤُس منها سائس

(١) عبارة المقريزى (ج ١ ص ٤٤٤) نقلا عن ابن الطوير : «وكان لهم إصطبلان : أحدهما يعرف بالطارقة ، يقابل قصر الشوك ، والآخر بحارة زويلة يعرف بالجميزة ، وكان للخليفة الحاضر ما يقرب الخ وهى أوضح .

واحد، لكل واحد منها شدّاد برسم تسييرها ، وبكل من الإصطبلين رائض كأمير آخور . ومن غريب ما يحكى أن أحدا من خلفاء الفاطميين لم يركب حِصَاناً أدهمَ قَطُّ ، ولا يَرَوْنَ إضافته إلى دوابّهم بالإصطبلات .

الثانى — "المُنَاخات" . وهى حواصل الجمال ، وكان لهم من الجمال الكثيرة بالمُنَاخات وعُدَدها الفائقة ما يقصر عنه الحدّ . ٥

النوع الثالث

حواصل الغلال وشُوَنُ الأَتْبان

أما الغلال — فكانت لهم الأهراءُ فى عدّة أماكنَ : بالقاهرة ، و بالفُسْطَاط ، والمَقْسِم ؛ ومنها تصرف الإطلاقات لأرباب الرواتب والخدم والصدقات وأرباب الجوامع والمساجد والجرايات والطواحين السلطانية ، وجرايات رجال الأسطول ١٠ وغير ذلك ، وربما طال زمن الغلال فيها حتّى تقطع بالمساحى .

وأما شون الأتبان — فكان بطريق الفُسْطَاط شونتان عظيمتان مملوءتان بالتبن معبأتان تعبئة المراكب كالجبلين الشاهقين ، وينفق منها للإصطبلات والمواشى الديوانية وعوامل بساتين الملك ، وكانت ضريبة كل شليف عندهم ثلثمائة وستين رطلا .

النوع الرابع ١٥

حواصل البضاعة

قال ابن الطوير : وكان فيها ما لا يحصره إلا القلم من الأخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشيمة ، وآلات الأساطيل من القِنَّب والكَتَّان ، والمنجنيقات والصُّنَّاع الكثيرة من الفرنج وغيرهم من أهل كل صنعة ، وكانت الصناعة أوّلا بالجزيرة المعروفة الآن بالرَّوْضَة ، ولذلك كانت تعرف بينهم بجزيرة الصِّناعة قاله القضاعىّ . ٢٠

النـــوع الخـامس

ما فى معنى الحواصل، لوقوع الصرف والتفرقة منه،
وهو الطواحين، والمَطْبَخ، ودار الفِطْرة[(1)]

فأما الطواحين — فإنها كانت معلقة ، مداراتها أسفلُ وطواحينها فوقُ
٥ كما فى السواقى حتّى لا يقارب الدقيقَ زِبْلُ الدوابّ الدائرة لاختصاصه بالخليفة .

وأما المَطْبَخ — فقد تقدّم فى الكلام على خطط القاهرة، وكان يدخل بالطعام منه إلى القصر من باب الزُّهومة مكانَ قاعة الحنابلة من المدرسة الصالحية الآن على ما تقدّم فى خِطَط القاهرة. قال ابن الطوير: ولم يكن لهم أسمطة عامّة فى سوى العيدين وشهر رمضان.

الجمـلة الثـالثـة

١٠ فى ذكر جيوش الدولة الفاطمية، وبيان مراتب أرباب السيوف
وهم على ثلاثة أصناف :

الصنف الأوّل الأُمراء

وهم على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة الأمراء المطوّقين . وهم الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب
١٥ فى أعناقهم، وكأنهم بمثابة الأمراء مقدّمى الأُلُوف فى زماننا .

المرتبة الثـانية — مرتبة أرباب القُضُب، وهـم الذين يركبون فى المواكب بالقُضُب الفِضّة التى يخرجها لهـم الخليفة من خِزانة التجمّل تكون بأيديهـم، وهم بمثابة الطبلخاناه فى زماننا .

المرتبة الثالثة — أدوان الأمراء ممن لم يؤهّل لحمل القُضُب . وهم بمثابة أمراء
٢٠ العشرات والخمسات فى زماننا .

(1) أغفل المؤلف الكلام على دار الفطرة . وكانت خارج القصر قبالة الديلم ومشهد الحسين ، بناها العزيز بالله وقررفيها ما يعمل مما يحمل من الفطرة (وهى الجوز واللوز والبندق والفستق والزبيب) الى الناس فى عيد شوّال . وكان مصروفها فى كل سنة عشرة آلاف دينار. ومحلها اليوم الدور الواقعة فى أوّل شارع فريد على يمين الداخل فيه من جهة الميدان القبلى لجامع سيدنا الحسين تجاه بوابة شارع الباب الأخضر (راجع الكلام
٢٥ عليها فى خطط المقريزى ج ١ ص ٤٢٥ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٢ طبع دار الكتب المصرية) .

الصـــنف الثـانى

خواص الخليفة ، وهم على ثلاثة أنواع :

النــوع الأوّل

الأســتاذون

وهم المعروفون الآن بالخدّام وبالطواشيّة ، وكان لهم فى دولتهم المكانة الجليلة ، ومنهم كان أرباب الوظائف الخاصة بالخليفة ؛ وأجلهم المُحَنَّكُونَ ، وهم الذين يُدوِّرون عمائمهم على أحناكهم كما تفعل العرب والمغاربة الآن ، وهم أقربهم إليه وأخصهم به ، وكانت عدّتهم تزيد على ألف . قال آبن الطوير : وكان من طريقتهم أنه متى ترشّح أستاذ منهم للحنك وحنك[1] ، حَمَلَ إليه كل أستاذ من المحنّكين بَدْلَةً كاملة من ثيابه وسيفا وفرسا فيصبح لاحقا بهم ، وفى يده مثل ما فى أيديهم .

النــوع الثـانى

صِبْيان الخـاص

وهم جماعة من أخصاء الخليفة نحو خمسمائة نفر منهم أمراء وغيرهم ، ومقامهم مقام المعروفين بالخاصكية فى زماننا .

النــوع الثـالث

صِبْيان الحُجَـر

وهم جماعة من الشَّبَاب يناهزون خمسة آلاف نفر مقيمون فى حُجَر منفردة لكل حُجْرة منها آسم يخصها ، يضاهون مماليك الطباق السلطانية الآن المعبر عنهم بالكتّانية إلا أن عدّتهم كاملة وعللهم مزاحة ، ومتى طُلِبوا لِمُهِمٍّ لم يجدوا عائقا ، وللصّبيان منهم حجرة منفردة يتسلمها بعض الأستاذين ، وكانت حُجْرتهم بمعزل عن القصر داخل باب النصر مكان الخانقاه الركنية بيبرس الآن .

(١) لعله : للتحنك وتحنك ، لأن الموجود فى اللغة : تحنك الرجل اذا أدار العمامة من تحت حنكه .

الصـــــنف الثـالث

طوائف الأجناد

وكانوا عدّة كثيرة، تنسب كلُّ طائفة منهم إلى مَنْ بقى من بقايا خليفة من الخلفاء الماضين منهم، كالحافظية والآمرية من بقايا الحافظ والآمر، أو إلى مَنْ بقى من بقايا وزير من الوزراء الماضين كالجُيُوشية والأفضلية من بقايا أمير الجيوش بدر الجمالى وولده الأفضل، أو إلى مَنْ هى منتسبةٌ إليه فى الوقت الحاضر كالوزيرية أو غير ذلك من القبائل والأجناس كالأتراك والأكراد والغز والدَّيْلم والمَصَامدة ، أو من المستصنعين كالروم والفرنج والصَّقالبة، أو من السُّودان من عبيد الشراء، أو العُتَقَاء وغيرهم من الطوائف، ولكل طائفة منهم قُوّاد ومقدّمون يحكمون عليهم .

الجمـــلة الرابعـــة

فى ذكر أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية، وهم على قسمين :

القســـم الأوّل

ما بحضرة الخليفة، وهم أربعة أصناف

الصـــــنف الأوّل

أرباب الوظائف من أرباب السيوف، وهم نوعان :

النـــــوع الأوّل

وظائف عامّة الجند، وهى تسع وظائف :

الوظيفة الأولى — "الوزارة" وهى أرفع وظائفهم وأعلاها رتبةً . وٱعلم أن الوزارة فى الدولة الفاطمية كانت تارة تكون فى أرباب السُّيوف ، وتارة فى أرباب الأقلام، وفى كلا الجانبين تارة تعلو فتكون وزارةَ تَفْوِيض تضاهى السلطنة الآن

أو قريبا منها ، ويعبر عنها حينئذ بالوزارة ؛ وتارة تنحطّ فتكون دون ذلك، ويعبر عنها حينئذ بالوَساطة .

قال فى "نهاية الأرب" : وأوّل مَنْ خُوطِب منهم بالوزارة يعقوبُ بن كِلّس وزير العزيز، وأوّل وزارتهم من عظماء أرباب السيوف بدر الجمالىّ وزير المستنصر، وآخرهم صلاح الدين يوسف بن أيوب، ومنها آستقل بالسلطنة على ما تقدّم . ٥

الوظيفة الثانية — وظيفة "صاحب الباب" وهى ثانى رتبة الوزارة . قال آبن الطوير : وكان يقال لها الوزارة الصغرى، وصاحبها فى المعنى يقرب من النائب الكافل فى زماننا، وهو الذى ينظر فى المظالم إذا لم يكن وزيرٌ صاحبُ سيف، فإن كان ثَمّ وزيرٌ صاحب سيف، كان هو الذى يجلس للظالم بنفسه، وصاحبُ الباب من جملة مَنْ يقف فى خِدْمته . ١٠

الوظيفة الثالثة — "الاسفهلارية" . قال آبن الطوير : وصاحبها زِمَام كلّ زِمَام، وإليه أمر الأجناد والتحدّث فيهم، وفى خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحُجّاب على آختلاف طبقاتهم .

الوظيفة الرابعة — "حمل المِظَلّة" فى المواسم العِظام : كركوب رأس العام ونحوه . وهى من الوظائف العِظام، وصاحبها يسمّى حاملَ المظلة، وهو أمير جليل، وله عندهم التقدّم والرفعة، لحمل ما يعلو رأس الخليفة . ١٥

الوظيفة الخامسة — "حمل سيف الخليفة" فى المواكب التى تحمل فيها المظلة، ويعبر عن صاحبها بحامل السيف .

الوظيفة السادسة — "حمل رُمْح الخليفة" فى المواكب التى تحمل فيها المظلة . وهو رمح صغير يحمل مع الخليفة فى المواكب، وصاحبها يعبر عنه بحامل الرمح . ٢٠

الوظيفة السابعة — "حمل السِّلاح" حول الخليفة فى المواكب . وأصحاب هذه الوظيفة يعبر عنهم لزيهم بالركابية وبِصبْيان الركاب الخاص أيضا،وهم الذين يعــبر عنهم فى زماننا بالسِّــلاح دارية والطَّبَرْدارية ، وكانت عدّتهم تزيد على ألفىْ رجل ، ولهم آثنـا عَشَر مقدَّما ، وهم أصحاب ركاب الخليفة ، ولهم نُقَبَـاءُ موكَّلون بمعرفتهم ، والأ كابر من هؤلاء الرّكابيّة تندب فى الأشغال السلطانية ، وإذا دخلوا عملا كان لهم فيه الصِّيتُ المرتفع .

الوظيفة الثامنة — "وِلَاية القاهرة" . وكان لصاحبها عندهم الرتبة الجليلة والحُرْمة الوافرة، وله مكان فى الموكب يسير فيه .

الوظيفة التاسعة — "ولاية مصر" . وهى دون ولاية القـاهرة فى الرتبــة كما هى الآن، إلا أن مصر كانت إذ ذاك عامرةً آهـلةً، فكان مقدارها أرفع ممـا هى عليه فى زماننا .

النـــوع الثـانى

وظائف خواصّ الخليفة من الأستاذين، وهى عدّة وظائف، وهى على ضربين :

الضـــرب الأوّل

ما يختص بالأستاذين المحنَّكين، وهى تسع وظائف:

الأولى — "شـدّ التاج" . وموضوعها أن صاحبَها يتولَّى شدّ تاج الخليفة الذى يلْبَسه فى المواكب العظيمة بمثابة اللَّفّاف فى زماننا ، وله مِيزَةٌ على غيره بلمسه التاجَ الذى يعلو رأس الخليفة، وكان لشدّه عندهم ترتيب خاص لا يعرفه كل أحد، يأتى به فى هيئة مستطيلة ، ويكون شدّه بمنديل من لون لِبس الخليفة، ويعبَّر عن هذه الشدّة بشدّة الوَقَار كما تقدّم .

الثانية — وظيفة "صاحب المجلس" . وهو الذى يتولّى أمر المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوسَ العامَّ فى المواكب، ويخرج إلى الوزير والأمراء بعد جلوس الخليفة على سرير الملك يُعْلمهم بذلك، وينعت (بأمين الملك)، وهو بمثابة أمير خازندار فى زماننا .

الثالثة — وظيفة "صاحب الرسالة" . وهو الذى يخرج برسالة الخليفة إلى الوزير وغيره . ٥

الرابعة — وظيفة "زِمَام القُصُور" . وهو بمثابة زِمَام الدُّور فى زماننا .

الخامسة — وظيفة "صاحب بيت المال" . وهو بمثابة الخازندار فى زماننا .

السادسة — وظيفة "صاحب الدفتر" المعروف بدفتر المجلس . وهو المتحدّث على الدواوين الجامعة لأمور الخلافة . ١٠

السابعة — وظيفة "حامل الدواة" . وهى دواة الخليفة المتقدّم ذكرها، وصاحب هذه الوظيفة يحمل الدواة المذكورة قدّامه على السَّرْج ويسيربها فى المواكب .

الثامنة — وظيفة "زمّ الأقارب" . وصاحبها يحكم على طائفة الأشراف الذين هم أقارب الخليفة وكلمته نافذة فيهم .

التاسعة — "زمّ الرجال" . وهو الذى يتولى أمر طعام الخليفة كأستادار الصحبة . ١٥

الضرب الثانى

ما يكون من غير المحنَّكين، ومن مشهوره وظيفتان :

الأولى — "نِقَابة الطالبيِّين" . وهى بمثابة نِقَابة الأشراف الآن، ولا يكون إلا من شيوخ هذه الطائفة وأَجَلِّهم قَدْرًا ؛ وله النظر فى أمورهم ، ويمنع من يدخل

فيهم من الأدعياء؛ و إذا آرتاب بأحد أخذه بإثبات نَسَبه . وعليه أن يعود مَرْضاهم ، ويمشىَ فى جنائزهم ، ويسعى فى حوائجهم ، و يأخذ على يد المتعدّى منهم ، و يمنعه من الأعتداء ، ولا يَقْطَع أمرا من الأمور المتعلقة بهم إلا بموافقة مشايخهم ونحو ذلك .

الوظيفة الثانيــة — "زم الرجال" . وصاحبها يتحدّث على طوائف الرجال والأجناد كزمّ صِبْيان الحُجَر ، وزمّ الطائفة الآمرية والطائفة الحافظية ، وزمّ السودان وغير ذلك ؛ وهو بمثابة مقدّم المماليك فى زماننا .

الصـــنف الثـانى

من أرباب الوظائف بحضرة الخليفة أربابُ الأقلام ، وهم على ثلاثة أنواع :

النـــوع الأوّل

أرباب الوظائف الدينية ، والمشهور منهم ستة :

الأوّل — "قاضى القُضَاة" . وهو عندهم من أجلّ أرباب الوظائف وأعلاهم شأنا وأرفعهم قدرا . قال آبن الطوير : ولايتقدّم عليه أحد أو يحتمى عليه ، وله النظر فى الأحكام الشرعية ودُور الضَّرْب وضبط عيارها ، وربما جُمِعَ قضاءُ الديار المصرية وأجنادُ الشأم وبلاد المغرب لقاض واحد وكتب له به عهدٌ واحد كما سيأتى فى الكلام على الولايات إن شاء الله تعالى .

ثم إن كان الوزير صاحب سيف ، كان تقليدُه من قِبَلِهِ نيابة عنه ، وإن لم يكن ، كان تقليده من الخليفة .

و يقدّم له من إصطبلات الخليفة بغلةٌ شهباء يركبها دائما ، وهو مختص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة ، ويخرج له من خِزَانة السروج مركب ثقيل وسرج برادفتين من الفضة ، وفى المواسم الأطواقُ ، وتُخلَع عليه الخلع المُذْهَبَةُ ؛ وكان من

مصطلحهم أنه لا يعدّل شاهدا إلا بأمر الخليفة ، ولا يحضُر إملاكا ولا جنازةً إلا بإذن، و إذا كان ثَمّ وزيرٌ لايخاطب بقاضى القضاة لأن ذلك من نعوت الوزير، ويجلس يوم الاثنين والخميس بالقصر أوّل النهار للسلام على الخليفة ، و يوم السبت والثلاثاء يجلس بزيادة الجامع العتيق بمصر، وله طَرْحة ومسند للجلوس وكُرسىّ توضع عليه دواتُه . وإذا جلس بالمجلس، جلس الشهود حواليْه يَمْنَةً ويَسْرَةً على مراتبهم فى تقدّم تعديلهم . قال ابن الطوير : حتَّى يجلس الشابُّ المتقدّمُ التعديلِ أعلى من الشيخ المتأخرِ التعديلِ، و بين يديه أربعة موقعون: اثنان مقابل اثنين، وببابه خمسة حُجَّاب : اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم . ولا يقوم لأحد وهو فى مجلس الحكم البتةَ .

الثانى — "داعى الدُّعاة" . وكان عندهم يلى قاضىَ القضاة فى الرتبة ويتزيَّا بزيه فى اللباس وغيره . وموضوعه عندهم أنه يقرأ عليه مذاهب أهل البيت بدار تعرف بدار العلم، و يأخذ العهد على من ينتقل إلى مذهبهم .

الثالث — "المحتسب" . وكان عندهم من وجوه العُدُول وأعيانهم، وكان من شأنه أنه إذا خلع عليه قرئ سجلُّه بمصر والقاهرة على المنبر؛ ويده مُطْلَقَةٌ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على قاعدة الحِسْبة؛ ولا يُحَال بينه و بين مصلحة أرادها؛ ويتقدّم إلى الوُلاة بالشدّ منه، ويقيم النوّاب عنه بالقاهرة ومصر وجميع الأعمال كنوّاب الحكم؛ ويجلس بجامعى القاهرة ومصر يوما بيوم ، وباقى أمره على ما الحال عليه الآن .

قلت : ورأيت فى بعض سجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحب الشُّرْطة بهما أحيانا .

الرابع — "وكالة بيت المال" . وكانت هذه الوكالة لا تُسنَد إلا لذوى الهيبة من شيوخ العدول ، ويفوّض إليه عن الخليفة بيعُ ما يرى بيعه من كل

صنف يملك ويجوز التصرف فيه شرعا، وعتقُ المماليك، وتزويجُ الإماء، وتضمين ما يقتضى الضمان، وآبتياعُ ما يرى آبتياعه، وإنشاء ما يرى إنشاءه من البناء والمراكب وغير ذلك مما يحتاج إليه فى التصرف عن الخليفة .

الخامس — "النائب" . والمراد نائب صاحب الباب المتقدّم ذكره المعبَّر عنه فى زماننا بالمهمندار . قال آبن الطوير : ويعبَّر عن هذه النيابة بالنيابة الشريفة . ٥ قال وهى رتبة جليلة، يتولاها أعيان العدول وأرباب الأقلام؛ وصاحبها ينوب عن صاحب الباب فى تَلَقِّى الرُّسُل الواردين على الخليفة على مسافة وقفة نُوّاب الباب فى خدمته، ويُنْزِل كُلًّا منهم فى المكان اللائق به، ويرتِّب لهم ما يحتاجون إليه، ولا يمكِّن أحدا من الآجتماع بهم، ويتولَّى آفتقادهم، ويُذَكِّر صاحب الباب بهم، ويسعَى فى نَجَاز أمرهم ، وهو الذى يسلِّم بهم على الخليفة أو الوزير ويتقدّمهم ١٠ ويستأذن عليهم ، ويدخل الرسول وصاحبُ الباب قابضٌ على يده اليمنَى ، والنائبُ قابض على يده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ، ويجتهد فى آنفصالهم على أحسن الوجوه ، وإذا غاب أقام عنه نائبا إلى أن يعود . ومن شريطته أنه لا يتناول من أحد من الرسل تقدمةً ولا طُرْفة إلا بإذن .

١٥ قال آبن الطوير: وهو المسمَّى الان بالمهمندار، وسيأتى فى الكلام على ترتيب المملكة المستقرّ أن المِهْمِنْدَارَ الآن من أصحاب السيوف ، وكأنَّ ذلك لموافقة الدولة فى اللسان والهيئة .

السادس — "القُرّاء" . وكان لهم قرّاء يقرءون بحضرة الخليفة فى مجالسه وركوبه فى المواكب وغير ذلك، وكان يقال لهم "قرّاء الحضرة" يزيدون فى العدّة على عشرة ٢٠ نَفَر، وكانوا يأتون فى قراءتهم فى المجالس ومواكب الركوب بآيات مناسبة للحال بأدنى ملابسة، قد أَلِفُوا ذلك وصار سهلَ الآستحضار عليهم، وكان ذلك يقع منهم موقعَ

الأستحسان عند الخليفة والحاضرين، حتّى إنه يحكى أن بعض الخلفاء غَضِب على أمير فأمر بآعتقاله ؛ فقرأ قارئ الحضرة : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ فاستحسن ذلك وأطلقه إلا أنهم كانوا ربما آتوا بآيات إذا رُوعِىَ قصدُهم فيها ، أخرجت القرءان عن معناه : كما يحكى أنه لما آستوزر المستنصرُ بدر الجمالىّ قرأ قارئهم : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ ولما آستوزر الحافظ رضوان قرأ قارئهم : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ إلى غير ذلك من الوقائع .

النــوع الثـانى

من أرباب الأقلام أصحاب الوظائف الديوانية ، وهى على أربعة[1] أضرب :

الضـــرب الأوّل

الوزارة إذا كان الوزير صاحبَ قلم

آعلم أن أكثر وزرائهم فى ابتداء دولتهم إلى أثناء خلافة المستنصر كانوا من أرباب الأقلام : تارةً وزارة تامة وتارة وَسَاطة ، وهى رتبة دون الوِزَارة ؛ وممن اشتهر من وزرائهم أربابِ الأقلام فيما ذكره آبن الطوير : يعقوبُ بن كِلّس وزير العزيز، والحسنُ بن عبد الله اليازُورىّ وزير المستنصر، وأبو سعيد التُّسترىّ ، والجَرْجَرائىّ[2] ، وآبن أبى كدينة ، وأبو الطاهر أحمد بن بابْشاذ صاحب المقدّمة فى النحو، ووزير الوزراء علىّ بن فلاح ، والمَغْرِبىّ وزير المستنصر، وهو آخر من وُزِّرَ لهم من أصحاب الأقلام ، وعليه قدّم أمير الجيوش بدرٌ الجمالىّ فوُزِّرَ للمستنصر على ما تقدّم ذكره ؛ وربما تخلل تلك المدّة الأولى فى الوَسَاطة أربابُ السيوف ، كبَرْجَوان الخادم، وقائد القوّاد الحسين بن جوهر، وثِقَةُ ثقات السيف والقلم علىّ

(١) فى الأصل : « ثلاثة » وقد أثبتنا المعدود . (٢) كذا فى كتاب الإشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفى المصرى ومعجم البلدان لياقوت . نسبة الى جرجرايا : بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقى . وفى الأصل : « الجرجانى » وهو تحريف .

ابن صالح كلهم فى أيام الحاكم . وربما وَلِىَ الوساطةَ بعضُ النصارى ، كعيسى بن نسطورس فى أيام العزيز، ومنصور بن عَبْدُون الملقب بالكافى، وزرعة بن نسطورس الملقب بالشافى كلاهما فى أيام الحاكم . وربما كان الأمر شُورى فى أهل المروادنى (١)؛ وكان من زِىّ وزرائهم أصحابِ الأقلام أنهم يَلْبَسون المناديل الطبقيات بالأحناك تحت حلوقهم كالعُدُول ، وينفردون بُلْبس الدراريع مشقوقةً من النحر إلى أسفل الصدر بأزرار وعُرًى ؛ وهذه علامة الوزارة؛ ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك ، ومنهم من تكون أزراره من لؤلؤ ؛ وعادته أن تحمل له الدواة المحلاة بالذهب من خزانة الخليفة ويقف بين يديه الحُجّاب ، وأمره نافذ فى أرباب السيوف من الأجناد، وفى أرباب الأقلام .

الضـــرب الثـــانى

ديوان الإنشاء، وكان يتعلق به عندهم ثلاث وظائف :

الأولى — "صَحَابة ديوان الإنشاء والمكاتَبَات" وكان لا يتولّاه إلا أجل كتّاب البلاغة ، ويخاطب بالأجلّ ؛ وكان يقال له عندهم كاتب الدَّسْت الشريف ، وإليه تسلَّم المكاتبات الواردة مختومةً فيَعْرِضها على الخليفة من يده، وهو الذى يأمر بتنزيلها والإجابة عنها؛ ويستشيره الخليفة فى أكثر أموره؛ ولا يُحْجب عنه متى قصد المثولَ بين يديه ، وربما بات عنده الليالىَ ، ولا سبيل إلى أن يدخل إلى ديوانه ولا يجتمع بكُتَّابه أحدٌ إلا خوّاصّ الخليفة . وله حاجب من أمراء الشُّيوخ ، وله مرتبة عظيمة للجلوس عليها بالمَخَادّ والمسند، ودواته من أخصّ الدُّوِىّ وأحسنها إلا أنه ليس لها كرسىّ توضع عليه كدواة قاضى القُضاة، ويحملها له أستاذ من الأستاذين المختصين بالخليفة إذا أتى إلى حضرته .

(١) كذا فى الأصل مضببا عليه إشارة التوقف ولعله المروءات .

الثانية — "التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم" وهى رُتْبة جليلة تلى رتبةَ صاحب ديوان الإنشاء والمكاتَبات ، يكون صاحبها جليسا للخليفة فى أكثر أيام الأسبوع فى خلوته ، يذاكره ما يحتاج إليه من كتاب الله تعالى أو أخبار الأنبياء والخلفاء الماضين ، ويقرأ عليه مُلَحَ السِّيَر ، ويكرر عليه ذكر مكارم الأخلاق ، ويقوّى يده فى تجويد الخط وغير ذلك . وصحبتَه للجلوس دواة مُحَلَّاة ، فإذا فرغ من المجالسة أُلقِىَ فى الدواة كاغَدَة فيها عشرة دنانير ، وقِرْطاسٌ فيه ثلاثة مثاقيل ندّ مثلَّث خاصّ ليتبخر به عند دخوله على الخليفة ثانى دَفْعة . وإذا جلس الوزير صاحب السيف للظالم ، كان إلى جانبه يوقِّع بما يأمر به فى المظالم . وله موضعٌ من حقوق ديوان المكاتَبات لا يدخل إليه أحد إلا بإذن ، وفرّاش لتقديم القصص ، ويرفع إليه هناك قصص المظالم فيوقِّع عليها بما يقتضيه الحال كما يفعل كاتب السر الآن .

الثالثة — "التوقيع بالقلم الجليل" وكان يسمّى عندهم الخدمةَ الصغيرة لجلالتها ، ولصاحبها الطُّرّاحة والمسند فى مجلسه بغير حاجب . وموضوعها الكتابة بتنفيذ ما يوقِّع به صاحب القلم الدقيق ، وبسطه . وصاحب القلم الدقيق فى المعنى ككاتب السر أو كاتب الدَّسْت فى زماننا ، وصاحب القلم الجليل ككاتب الدَّرْج . فإذا رفعت قِصَص المظالم ، حملت إلى صاحب القلم الدقيق فيوقِّع عليها بما يقتضيه الحال بأمر الخليفة أو أمر الوزير أو من نفسه ، ثم تحمل إلى الموقِّع بالقلم الجليل لبسط ما أشار إليه صاحب القلم الدقيق ، ثم تحمل فى خريطة إلى الخليفة فيوقِّع عليها ، ثم تُخْرَج فى خريطتها إلى الحاجب فيقف على باب القصر ، ويسلِّم كلَّ توقيع لصاحبه . أمّا توقيع الخليفة بيده على القِصَص ، فإنه إن كان ثَمّ وزيرٌ صاحبُ سيف وَقَّع الخليفة على القصة بخطه : "وزيرنا السيد الأجل (ونعته بالمعروف به) أمتعنا الله تعالى ببقائه يتقدّم بكذا وكذا إن شاء الله تعالى" ويحمل إلى الوزير فإن كان يحسن الكتابة ،

كتب تحت خط الخليفة : "أمتثل امر مولانا أمـير المؤمنين صلوات الله عليه" وإن كان لا يحسن الكتابة، كتب أمتثل فقط؛ وإن لم يكن وزيرٌ صاحبُ سيف : فإن أراد الخليفة نجاز الأمر لوقته، وقَّع فى الجانب الأيمن من القصة "يوقَّع بذلك" فتخرج إلى صاحب ديوان المجلس فيوقِّع عليها بالقلم الجليل ويخلى موضع العلامة، ثم تعاد إلى الخليفة فيكتب فى موضع العلامة (يُعْتَمد) وتُثبت فى الدواوين بعد ذلك. وإن كان يوقع فى مساحة أو تسويغ أو تحبيس، كتب لرافعها بذلك "وقد أمضينا ذلك" وإن أراد علم حقيقة القصة، وقَّع على جانب القصـة "ليخرج الحـال فى ذلك" وتحمل إلى الكاتب فيكتب الحـال وتعاد إلى الخليفة فيفعل فيها ما أراد من توقيع ومنع، والله أعلم .

الضـــرب الثـالث

ديوان الجيش والرواتب، وهو على ثلاثة أقسام :

الأوّل — "ديوان الجيش". ولا يكون صاحبه إلا مُسْلِما، وله الرتبة الجليلة والمكانة الرفيعة؛ وبين يديه حاجبٌ، وإليه عرض الأجناد وخيولهم، وذِكر حِلَاهم وشِيَات خيولهم . وكان من شرط هذا الديوان عندهم ألا يثبت لأحد من الأجناد إلا الفرس الجيد من ذكور الخيل وإناثها دون البغال والبراذين، وليس له تغيير أحد من الأجناد ولا شىء من إقطاعهم إلا بمرسوم . وبين يدى صاحب هذا الديوان نُقَباء الأمراء ، يُعَرِّفونه أحـوال الأجناد من الحياة والموت والغَيْبة والحضور وغير ذلك، على ما الحال عليه الآن . وكان قد فسح للأجناد فى المقايضة بالإقطاعات لما لهم فى ذلك من المصالح كما هو اليوم، بتوقيعات من صاحب ديوان المجلس من غير علامة؛ ولم يكن لأمير من أمرائهم بلد كاملة، وإن علا قدرُه إلا فى النادر . ومن هذا الديوان كان يعمل أوراق أرباب الجرايات، وله خازنان برسم رفع الشواهد .

الثانى — "ديوان الرواتب" . وكان يشتمل على آسم كل مرتزق فى الدولة وجار وجراية؛ وفيه كاتب أصـيل بطرّاحة ونحو عشرة مُعينين، والتعريفات واردة عليه من كل عمـلٍ بآستمرار مَنْ هو مستمرّ ومباشرة مَن آستجدّ وموت مَنْ مات، وفيه عدّة عروض يأتى ذكرها فى الكلام على إجراء الأرزاق والعطاء .

الثالث — "ديوان الإقطاع" . وكان مختصا عندهم بما هو مُقْطَع للأجناد، ٥ وليس للباشرين فيه تنزيل حلْية جُنْدِىّ ولا شِية دابته، وكان يقال لإقطاعات العُرْبان فى أطراف البلاد وغيرها الآعتداد، وهى دون عبرة الأجناد .

الضـــرب الرابـــع

نظـــر الدواويـــن

١٠ وصاحب هـذه الوظيفة هو رأس الكل، وله الولاية والعزل، وإليه عرض الأرزاق فى أوقات معروفة على الخليفة والوزير، وله الجلوس بالمرتبة والمسند؛ وبين يديه حاجب من أمراء الدولة ؛ وتُخْرج له الدواة من خزانة الخليفة بغـير كرسىّ ، وإليه طلب الأموال وآستخراجُها والمحاسبةُ عليها، ولا يعترض فيما يقصده من أحد من الدولة . قال آبن الطوير : ولم يُرَ فى هذه الوظيفة نصرانىّ إلا الأخرم .

١٥ الثـانية[(١)] — "ديوان التحقيق" . وموضوعه المقابلة على الدواوين ، وكان لا يتولاه إلا كاتب خبير، وله الخِلَعُ ومَرْتبة يجلس عليها وحاجب بين يديه ، ويُفْتقر إليه فى كثير من الأوقات، ويُلْحَق برأس الدواوين المتقدّم ذكره .

الثالثة — "ديوان المَجْلِس" . قال آبن الطوير: وهو أصل الدواوين قديما، وفيه معالم الدولة بأجمعها، وفيه عِدّة كُتّاب، وعنده مُعين أو معينان، وصاحب هذا الديوان

٢٠ (١) لم يتقدم له تقسيم ولم يذكر أولى لتكون هـذه ثانيتها والذى يفهم من المقام أنها وظائف وأن وظيفة نظر الدواوين أولى ونظر ديوان التحقيق ثانية وهكذا تأمل .

هو المتحدّث فى الإقطاعات، ويُخْلَع عليـه وينشأ له سجـلٌّ بذلك لاحق بديوان النظر، وله دواة تُخْرَج له من خزانة الخليفة وحاجب يقف بين يديه، وكان يتولاه عنـدهم أحد كُتَّاب الدولة ممن يكون مترشحـا لأن يكون رأس الدواوين، ويسمى آستيمارُه دفتر المجلس، وهو متضمن للعطاء والظاهر من الرسوم التى تقرّر فى غُرّة السنة والضحايا، وما ينفق فى دار الفِطرة فى عيد الفطْر، وفى فتح الخليج والأسمطة المستعملة فى رمضان وغيره، وسائر المآكل والمشارب والتشريفات، وما يطلَق من الأهراء من الغَلّات، وما لأولاد الخليفة وأقاربه وأرباب الرواتب على آختلاف الطبقات من المُرتَّب، وما يَرِد من الملوك من الهدايا والتحف، وما يُبْعَث به إليهم من الملاطفات، ومقاديرِ صِلات الرسل الواردين بالمكاتبات، وما يخرج من الأكفان لمن يموت من الحريم؛ وضـبط ما يُنْفَق فى الدولة من المهمّات لِيُعْلَم ما بين السنة والأخرى من التفاوت وغير ذلك من الأمور المهمة . وهـذا الديوان فى زماننا قد تفرّق إلى عدّة دواوين كالوزارة ونظر الخاص والجيش وغيرها .

الرابعـــة — "ديوان خزائن الكُسْوة" . وكان لها عنـدهم رتبة عظيمة فى المباشرات . وقد تقدّم ذكر حواصلها فى جملة الخزائن فيما سبق .

الخامسة — "الطِّراز" . وكان يتولاه الأعيان من المستخدمين، من أرباب الأقلام، وله آختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين، ومُقَامه بِدِمْيَاطَ وتِنِّيسَ وغيرهما من مواضع الآستعمالات، ومن عنده تحمل المستعملات إلى خزانة الكسوة المقدّمة الذكر .

السادسة — "الخدمة فى ديوان الأحباس" قال آبن الطوير: وهى أوكد الدواوين مباشرة ولا يخدُم فيها إلا أعيان كُتَّاب المسلمين من الشهود المعدّلين، وفيها عدّة مُدَراء[1] بسبب أرباب الرواتب، وكان فيه كاتبان ومُعينان لنظم الآستيمارات، ويُورِد فى آستيماره كل ما فى الرقاع والرواتب، وما يُجْبى له من جهات كل من الوجهين القبلىّ والبحرىّ،

(١) تقدم له مثل هذا الجمع فى الجزء الأوّل ونبهنا عليه .

السابعة — "الخدمة بديوان الرواتب". وفيه مرتّبات الوزير فمن دُونَه إلى الضوّى قال آبن الطوير: بلغ فى بعض السنين ما يزيد على مائة ألف دينار ونحوا من مائتى ألف، ومن القمح والشعير عشرة آلاف إردب، وكان آستيمار الرواتب يعرض فى كل سنة على الخليفة فيزيد من يزيد، وينقص مَنْ ينقص، وإنه عُرِض سنةً على المستنصر بالله فلم يعترض أحدا من المرتَّبين بنقص، ووقّع على ظاهر الآستيمار بخطه ٥
"الفقر مُرّ المَذَاق، والحَاجَةُ تُذِلُّ الأعْنَاق، وحِرَاسَةُ النِّعَم بإِدْرَارِ الأرزاق، فليُجْرَوْا على رسومهم فى الإطلاق، مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ، وَمَا عِنْـدَ اللهِ بَاقٍ" وأمر ولىّ الدولة آبن خيران كاتب الإنشاء بإمضاء ذلك .

الثامنة — "الخدمة فى ديوان الصعيد" من الصعيد الأعلى والصعيد الأدنى، وكان فيه عدة كُتّاب فروع، والآستيفاء مقسومٌ بينهم، وعليهم عمل التذاكر بطلب ١٠
ما تأخر من الحساب . وصاحب هذا الديوان يترجمها بخطه، ويحملها إلى صاحب الديوان الكبير فيوقِّع عليها بالآسترفاع، ويَنْدُب لها من الحُجّاب أو غيرهم من يراه، وله مياومة يأخذها من المستخدمين مدّة بقائه عندهم ويُحْضِرُها نُسَخًا للدّواوين الأصول.

التاسـعة — "الخدمة فى ديوان أسفل الأرض" . وهو الوجه البحرىّ خلا الثُّغُورَ، وحكمه فيما تقدّم من الكُتّاب وما يلزم كلا منهم حكم ديوان الصـعيد ١٥
المتقدّم الذكر من غير فرق .

العـاشرة — "الخدمة فى ديوان الثُّغُور" . وهى الإسكندرية ودِمْياط وتَنِّيس وتَرُوجَه والبَرَلُّس والفَرَما، وحكمه حكم ما تقدّم من ديوان الصعيد وأسفل الأرض.

الحادية عشرة — "الخدمة فى الجوالى والمواريث الحشرية" . قال آبن الطوير: كان لا يتولاه إلا عدل، وفيه جماعة من الكُتّاب على ما تقدّم فى غيره من ٢٠
الدواوين أيضا .

الثانية عشرة — "الخدمة فى ديوانى الخراجىّ والهلالىّ" وتجرى فيـه الرباع والمكوس وعليه حوالات أكثر المرتزقين .

الثالثة عشرة — "الخدمة فى ديوان الكُرَاع". وفيه معاملة الإصطبلات، وما فيها من الدوابّ الخاص وغيرها والبغال والجمال ودوابّ المَرَمَّة المُرصَدة للعمائر ورباع الديوان، وعُدَد ذلك وآلاته، وعلوفات ذلك مع ما ينضم إليه من علوفة الفِيَلَة والزَّرَاريف[1] والوحوش وراتب مَنْ بخدمها. وكان فى هذا الديوان كاتبًا أصل ومستوفى ومُعينان.

الرابعـة عشرة — "الخدمة فى ديوان الجِهَاد" . ويقال له ديوان العمائر، وكان محله بالصِّناعة[2] بمصر، وفيه إنشاء المراكب للاسطول وحمل الغلال السلطانية والأحطاب وغيرها ، ومنـه يُنْفَق على رؤسـاء المراكب ورجالهـا، وإذا لم يف آرتفاقه بما يحتاج إليه آستُدْعِى له من بيت المـال بما يكفيه .

الصنف الثـالث من أرباب الوظائف

أصحاب الوظائف الصناعية

وأعظمها وظائف الأطباء، وكان للخليفة طبيب يُعْرَف بطبيب الخاصّ يجلس على باب دار الخليفة كلَّ يوم، ويجلس على الدكك التى بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر دونَهُ أربعةُ أطباء أو ثلاثة فيخرج الأستاذون فيستدعون منهم من يجدونه للدخول على المرضى بالقصر لجهات الأقارب والخواص فيكتُب لهم رقاعا على خزانة الشراب فيأخذون ما فيهـا، وتبقى الرقاع عنـد مباشريها شاهدا لهم . ولكل منهم الجارى والراتب على قدره .

(١) لم نعثر على هذا الجمع فى كتب اللغة ولعله جارى العامة فى تعبيراتهم . (٢) المراد بها دار الصناعة التى كانت تنشأ بها المراكب الحربية والأساطيل بمصر القديمة بالساحل القديم .

الصنف الرابع

الشعراء

وكانوا جماعة كثيرة من أهل ديوان الإنشاء وغيره، وكان منهم أهل سُنّة لا يغلون في المديح، وشِيعةٌ يَغْلُون فيه . فمِنْ أحْسَنِ مدحٍ فيهم لِسُنِّىّ قول عُمارة اليمنى(١) رحمه الله :

أَفَاعِيلُهُـمْ فى الجُودِ أَفْعَالُ سُنَّةٍ * وإنْ خَالَفُونِى فى ٱعْتِقَادِ التَّشَيُّعِ

ومن الذى وقعت فيه المغالاة قول بعضهم(٢) :

هَـذَا أميرُ المؤمنين بمجلس * أبْصَرْتُ فيـهِ الوَحْىَ والتَّنْزِيلَا

وإذا تَمَثَّلَ رَاكِبًا فى مَوْكِبٍ، * عَايَنْت تَحْتَ رِكَابِهِ جِـبْرِيلَا

قلت : وهـذه المغالاة من المغالاة الفاحشة التى لا يجوز الإقدام عليها لسنىّ ولا متشيِّع، وإنما هى من ٱقتحام الشعراء البوائق .

القسم الثانى

من أرباب الوظائف بالدولة الفاطمية ما هو خارج عن حضرة الخلافة، وهو صنفان :

الصنف الأوّل

النُّوّاب والوُلاة

وٱعلم أن مملكتهم كانت قد [ٱنحصرت](٣) فى ثلاث ممالك فيها نوابهم ووُلَاتهم : المملكة الأولى "الديار المصرية" وهى التى كانت قد ٱستقرت قاعدة ملكهم، ومحطّ رحالهم، وكان بها أربع ولايات :

الأولى — "ولاية قُوص" وكانت هى أعظم ولايات الديار المصرية، وواليها يحكم على جميع بلاد الصعيد، وربما وُلِّىَ بالأُشْمُونينِ ونحوها من يكون دونه .

(١) فى الأصل «التميمى» وهو تحريف .

(٢) هذان البيتان من قصيدة لابن هانئ الأندلسىّ يمدح بها المعز طمعا فى صلاته وعطاياه .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

الثانية — "ولاية الشَّرْقية" وكانت دون ولاية قُوص فى الرتبة، وكان متوليها يحكم على عمل بُلْبَيْسَ وعمل قَلْيُوبَ وعمل أَشْمُوم .

الثـالثة — "ولاية الغربية" وكانت دون ولاية الشرقية فى المرتبـة، وكان متوليها يحكم على عمل المَحَلَّة، وعمل مَنُوفَ، وعمل أبيار .

٥ الرابعة — "ولاية الاسْكَنْدَرِيَّة" وهى دون الغربية فى الرتبة، وكان متوليها يحكم على أعمال البحيرة بأجمعها .

قال ٱبن الطوير : وهؤلاء الأربعة كان يُخْلَع عليهم من خزانة الكُسْوَة بالبدنة، وهو النوع الذى يلبسه الخليفة فى يوم فتح الخليج .

قلتُ : لعل هـذه الولايات الأربع ولايات الولاة التى تدخل تحت حكمها

١٠ الولايات الصِّغار، أو تكون هى التى ٱستقرّ عليه الحال فى آخر دولتهم، وإلا فقد رأيت فى تذكرة أبى الفضل الصورىّ، أحد كُتَّاب الإنشاء فى أيام القاضى الفاضل سجلاتٍ كثيرةً لولاة الوجهين القبلىّ والبحرىّ (١) .

الجمـــلة الخـامســـة

من ترتيب مملكتهم، فى هيئة الخليفة فى مواكبه وقصوره؛ وهى على ثلاثة أضرب:

١٥ الضـــرب الأوّل

جلوسه فى المواكب، وله ثلاثة جلوسات :

الجـــلوس الأوّل

جلوسه فى المجلس العامّ أيام المواكب

وٱعلم أن جلوس الخليفة أوّلا كان بالإيوان الكبير الذى كان بالقصر على سرير

٢٠ المُلْك الذى كان بصدره إلى آخر أيام المستعلى . فلما ولى ٱبنه الآمر الخلافةَ بعده،

(١) لم يذكر بقية الممالك الثلاث ٱقتصارا على المقصود وسيأتى ذكر البقية فى الجزء الرابع .

نقل الجُلوسَ من الإيوان الكبير إلى القاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر أيضا ، وصار يجلس من مجالسها على سرير المُلْك به ، وجعل الإيوان الكبير خزانةً للسلاح ، ولم يتعرّض لإزالة سرير المُلْك منه حتّى جاءت الدولة الأيوبية ، وهو باق ، وكان جلوس الخليفة فى هذه الحالة لا يتعدّى يومى الاثنين والخميس ، وليس ذلك على الدوام بل على التقرير بحسب ما يقتضيه الحال . فإذا أراد الجلوس فإن كان فى الشتاء ٥ عُلِّق المجلس الذى يجلس فيه بستور الديباج ، وفرش بالبُسُط الحرير ، وإن كان فى الصيف ، علق بالستور الدَّبِيقية وفرش بطبرىّ طَبَرِسْتَانَ المُذْهَبِ الفائق ، وهيئت المرتبة المعدّة لجلوسه على سرير الملك بصدر المجلس ، وغُشِّى السرير بالقُرْقُوبِىّ ، ثم يستدعى الوزير من داره بصاحب الرسالة على حصان رهوان فى أسرع حركة على خلاف الحركة المعتادة ، فيركب الوزير فى هيئته وجماعته وبين يديه الأمراء ، ١٠ فإذا وصل إلى باب القصر ترجّل الأمراء ، وهو راكب إلى أوّل باب من الدّهاليز الطِّوال عند دِهْليز يعرف بدِهْليز العمود ، ويمشى وبين يديه أكابر الأمراء إلى مَقْطَع الوزارة بقاعة الذهب ، فإذا تهيأ جلوس الخليفة ، استدعى الوزير من مَقْطَع الوزارة إلى باب المجلس الذى فيه الخليفة وهو مُغْلَق ، وعلى بابه سِتْرٌ مُعَلَّق ، فيقف زِمَام القصر عن يمين باب المجلس وزِمَام بيت المال عن يساره ، والوزير واقف أمام باب المجلس ١٥ وحواليه الأمراء المطوّقون وأرباب الخِدَم الجليلة ، وفى خلال القوم قُرَّاءُ الحضرة ؛ ويضع صاحبُ المجلس الدواة مكانها من المرتبة أمام الخليفة ، ثم يخرج كم من أكمامه يعرف بفرد الكم ويشير إلى زِمَام القصر وزِمَام بيت المال الواقفَيْنِ بباب المجلس ، فيرفع كل منهما جانب الستر فيظهر الخليفة جالسا على سرير الملك مستقبل القول بوجهه ، ويستفتح القرّاء بالقرآن ، ويدخل الوزير المجلس ويسلم بعد دخوله ، ٢٠ ثم يُقبِّلُ يدى الخليفة ورجليه ، ويتأخر مقدار ثلاثة أذرع ويقف ساعة زمانية ،

ثم تُخْرَج له مِخَدّة عن الجانب الأيمن من الخليفــة ويؤمر بالجلوس إليهـا، ويقف
الأمراء فى أماكنهم المقرّرة لهم ، فصاحب البـاب وآسفهسلار من جانبى الباب
يمينا ويسارا، ويليهم من خارجه ملاصقا للعتبة زِمَام الآمرية والحافظية وباقى الأمراء
علَى مراتبهم إلى آخر الرواق، وهو إفريزٌ عالٍ عن أرض القاعة، ثم أرباب القصب
٥ والعَمارِيّات يَمْنَةً ويَسْرَةً كذلك، ثم الأماثل والأعيان من الأجناد المترشحين للتقدمة،
ويقف مستندا بالقدر الذى يقابل باب المجلس نوّابُ الباب والحجابُ ، فإذا آنتظم
الأمر على ذلك ، فأوّل ماثل للخدمة بالسلام قاضى القُضاة والشهودُ المعروفون
بالآستخدام فيجيز صاحبُ البـاب القاضىَ دون من معــه فيسلم على الخليفة بأدب
الخلافة، بأن يرفع يده ايمنى ويشير بالمسبحة، ويقول بصوت مسموع : "السلام
١٠ على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته " يتخصص بهــذا الكلام دون غيره من أهل
السلام، ثم يسلم بالأشراف الأقارب زمامُهُمْ، وبالأشراف الطالبيين نقيبهم، فتمضى
عليهم كذلك ساعتان زمانيتان أو ثلاثٌ ، ثم يسلم عليه من خُلِـعَ عليه بقُوصَ
أو الشرقية أو الغربية أو الإسكندرية، ويشرّفون بتقبيل العتبة، وإذا دعت حاجة
الوزير إلى مخاطبــة الخليفة فى أمر، قام من مكانه وقرّب منه مُنْحَنِيًا على سيفه ،
١٥ ويخاطبـه مرة أو مرتين أو ثلاثا ، ثم يأمر الحاضرون بالآنصراف فينصرفون ،
ويكون آخرهم خروجا الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله . فإذا خرج إلى الدهليز
الذى ترجل فيه، ركب منه إلى داره، وفى خدمته من حضر فى خدمته إلى القصر،
ويدخل الخليفةُ إلى سَكَنه مع خواصّ الأستاذين، ثم يُغْلَق باب المجلس ويرخى الستر
إلى أن يحتاج إلى حضور موكب آخر فيكون الأمر كذلك .

الجـــلوس الثـانى

جلوسه للقاضى والشهود فى ليالى الوقود الأربع من كل سنة

وهى : ليلة أوّل رجب، وليلة نصفه ، وليلة أوّل شعبان، وليلة نصفه .

إذا مضى النصف من جمادى الآخرة حمـل إلى القاضى من حواصل الخليفة ستون شمعة ، زِنَةُ كل شمعة منهـا سُدْس قِنطَار بالمصرى ليركب بها فى أوّل ليـلة من شهر رجب؛ فإذا كان أوّل ليلة منـه جلس الخليفة فى مَنْظَرة عالية كانت عند باب الزُّمُرُّد من أبواب القصر المتقدّم ذكره، وبين يديه شَمَع يوقـد فى العلوّ يَتَبيَّن شخصُه على إرتفاعه . ويركب القاضى من داره بعد صلاة المغرب وبين يديه الشَّمَعُ المحمول إليه من خزَانة الخليفة موقودا، من كل جانب ثلاثون شمعة، وبين الصَّفَّين مؤذنوا الجوامع، يعلنون بذكر الله تعالى، ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقرّر محفوظ ويحجُبه ثلاثة من نوّاب الباب، وعشرة من حُجّاب الخليفة، خارجا عن حُجّاب الحكم المستقرّين وهم خمسة فى زىّ الأمراء؛ وفى ركابه القُرّاء يقرءُون القرآن ، والشهودُ وراءه على ترتيب جلوسهم بمجلس الحكم الأقـدمُ فالأقدمُ ؛ وحول كل منهم ثلاث شَمَعات أو شمعتان أو شمعـة واحدة إلى بين القصرين فى جمع عظيم حتى يأتىَ باب الزُّمُرُّد من أبواب القصر ، فيجلسون فى رَحبة تحت المَنْظَرة التى فيها الخليفة، ويحضر بين يديه بَسـمْتٍ ووقار وتشوّف لانتظار ظهور الخليفـة ، فيفتح الخليفة إحدى طاقات المنظرة فيظهر منهـا رأسه ووجهه ، وعلى رأسـه عِدة من خواص الأستاذين من المحنّكين وغيرهم ، فيفتح بعض الأستاذين طاقةً أخرى فيُخْرِجُ منها رأسه ويدَه اليمنى، ويشـير بكمه قائلا : "أمير المؤمنين يردّ عليكم السلام" فيسلم بقاضى القضاة أوّلا بنعوته، وبصاحب الباب بعده كذلك، وبالجماعة الباقية جملة من غير تعيين أحد؛ ويستفتح قرّاء الحضرة بالقراءة وهم قيام فى الصَّدْر، ظهورهم

إلى حائط المَنْظَرة وَوجوههم للحاضرين. ثم يتقدّم خطيب الجامع الأنور (وهو الذى بباب البحر) فيخطُب كما يخطب فوق المِنْبَر، وينبه على فضيلة ذلك الشهر، وأن ذلك الركوبَ علامتُــه ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة ؛ ثم يتقــدّم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك ؛ ثم يتقدّم خطيب جامع الحاكم فيخطب كذلك، والقرّاء فى خلال ٥ تلك الخطب يقرءون، فإذا آنتهت خَطَابة الخطباء، أخرج الأسـتاذ الأوّل يده من تلك الطاقة فيرد على الجماعة الســلام؛ ثم تغلق الطاقتان وينفضّ الناس، ثم يركب القاضى والشهود إلى دار الوزير فيجلس لهم ليسلموا عليه، ويخطب الخطباء الثلاثة عنده بأخفَّ من مقام الخليفة ويدعون له، ثم ينصرفون ويذهب القاضى والشهود صحبتُه إلى مصر، ووالى القــاهرة فى خدمتــه، ويمرّ بجامع آبن طولون فيصلِّى فيه ١٠ ويخرج منه فيجد والىَ مصر فى تَلَقِّيه فيمضى فى خِدْمته، ويمرّ على المَشَاهد فيتبرك بها، ويمضى إلى الجامع العتيق ويدخل من باب الزيادة التى يحكم فيهـا فيصلى فى الجامع ركعتين، ويُوقَد له التنُّور الفضة الذى بالجــامع، وهو تَنُّور عظيم حَسَن التكوين، فيه نحو ألف وخمسمائة براقة، وبسفله نحو مائة قنديل؛ ثم يخرج من الجامع فإن كان ساكنا بمصر آسـتقرّ بها، وإن كان ساكنا بالقــاهرة آنتظره والى القاهرة ١٥ فى مكانه حتّى يعودَ من مصر فيذهب فى خدمته إلى داره .

وكذلك يركب فى ليلة الخامس عشر من رجب إلا أنه بعــد صلاته فى جامع مصر يتــوجه إلى القرافة فيصلِّى فى جامعها ؛ ثم يركب فى أوّل شــعبان كذلك ؛ ثم فى نصفه كذلك .

الجـــلوس الثــالث

٢٠ جلوسه فى مولد النبى صلّى الله عليه وسلم فى الثانى عشر من شهر ربيع الأوّل

وكان عادتهم فيه أن يعمل فى دار الفِطْرة عشرون قنطارا من السُّكَّر الفائق حَلْوى من طرائف الأصناف، وتُعبَّى فى ثلثمائة صينية نُحَاس . فإذا كان ليلةُ ذلك المولد،

تفرّق فى أرباب الرسوم : كقاضى القضاة، وداعى الدعاة، وقرّاء الحضرة، والخطباء، والمتصدّرين بالجوامع بالقاهرة ومصر ، وقَوَمَةِ المشاهد وغيرهم ممن له آسم ثابت بالديوان، ويجلس الخليفة فى مَنْظرة قريبة من الأرض مقابلَ الدار القُطْبِيّة المتقدّمة الذكر (وهى البيمارستان المنصورىّ الآن) ثم يركب القاضى بعد العصر ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصوانى المتقدّمة الذكر، فيجلسون فى الجامع مقدارَ قراءة الختمة الكريمة، وتُسدّ الطريق تحت القصر من جهة السُّيوفيين وسُوَيقة أمير الجيوش ، ويكنس ما بين ذلك ويُرَشّ بالماء رَشًّا، ويرشّ تحت المَنْظَرة بالرمل الأصفر، ويقف صاحب الباب ووالى القاهرة على رأس الطُّرُق لمنع المارّة ، ثم يستدعى القاضى ومَنْ معه فيحضرون ويترجّلون على القرب من المنظرة ويجتمعون تحتها وهم متشوّفون لآنتظار ظهور الخليفة، فيفتح إحدى طاقات المنظرة فيظهر منها وجهُه، ثم يُخْرِجُ إحدى الأستاذين المحنَّكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يردّ عليكم السلام ، ويقرأ القرّاء ويخطب الخطباء كما تقدّم فى ليالى الوَقُود فإذا آنتهت خَطَابة الخطباء، أخرج الأستاذ يده مشيرا بردّ السلام كما تقدّم، ثم تغلق الطاقتان وينصرف الناس إلى بيوتهم ؛ وكذلك شأنهم فى مولد علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه الخاص فى أوقات معلومة عندهم من السنة .

الضـرب الثـانى

ركوبه فى المواكب ، وهو على نوعين :

النـوع الأوّل

ركوبه فى المواكب العظام ، وهى ستة مواكب :

المـوكب الأوّل

ركوب أوّل العـام

وكان من شأنهم فيه أنه إذا كان العشر الآخر من ذى الحجة من السنة ، وقع

الاهتمام بإخراج ما يُحتاج إليه فى المواكب من حواصل الخليفة، فيُخْرَج من خزائن السلاح ما يحمله الرِّكابية وغيرهم حولَ الخليفة كالصَّمَاصم ، والدَّبَابيس، واللُّتُوت، وعمد الحديد ، والسيوف ، والدَّرَق، والرماح، والألوية، والأعلام . ومن خزانة التجمــل برسم الوزير والأمراء وأرباب الخِـدَمِ الألويةُ والقُضُبُ، والعماريات ، وغير ذلك مما تقدّم ذكره. ومن الإصطبلات مائةُ فرس مسوَّمة برسم ركوب الخليفة وما بجنبه . ويُخْرَج من خزانة السروج مائةُ سرج بالذهب والفضة مرصَّع بعضها بالجواهر بمراكب من ذهب، وفى أعناق الخيــل أطواق الذهب وقلائد العَنْبَر ، وفى أرجل أكثرها خلاخل الذهب والفضة مسطحة، قيمة كل فرس وما عليها من العدّة ألف دينار، يُدْفَع للوزير منها عشرة بعدّتها برسم ركوبه وركوب أخصَّائه ، وتسلَّم إلى المُنَاخات أغشية العماريات لتحمل على الجمال، إلى غير ذلك من الآلات المستعملة فى المواكب مما تقدّم ذكره فى الكلام على الخزائن، ويُبْعَث إلى أرباب الخِدَم من الإصطبلات بخيــول عادية ليركبوها فى الموكب . فإذا كان يوم التــاسع والعشرين من ذى الحجة ، آستدعى الخليفة الوزير من داره على الرسم المعتــاد فى الإسراع، فإذا عاد صاحبُ الرسالة من آستدعاء الوزير، خرج الخليفة من مكانه راكبا فى القصر، فينزل فى السدِلَّى، بدهليز باب الملك الذى فيه الشباك ، وعليه ستر من ظاهره، فيقف من جانبه الأيمن زِمَامُ القصر، ومن جانبه الأيسر صاحبُ بيت المــال؛ ويركب الوزير من داره وبين يديه الأمراءُ، فإذا وصــل إلى باب القصر ترَجَّلَ الأمراء وهو راكب، ويدخل من باب العيد، ولا يزال راكبا إلى أوّل باب من الدهاليز الطِّوال، فينزل ويمشى فيها وحواليــه حاشية ومن يُرَابُّه من أولاده وأقاربه . فإذا وصل إلى الشُّبَّاك ، وجد تحته كرســيا كبيرا من حديد فيجلس عليه ورجلاه تطأ الأرض، فإذا جلس، رفع كلٌّ من زمامِ القصر وصاحب بيت المــال

الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسا على مرتبة عظيمة، فيقف ويسلم ويخدم بيده
فى الأرض ثلاث مَرَّات، ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس . ويستفتح القُرّاء
بقراءة آيات لائقة بذلك المكان مقدارَ نصف ساعة ؛ ثم يسلم الأمراء، ويُشْرَع
فى عرض خيول الخاص المقدّم ذكرها واحدةً واحدةً إلى آخرها . فإذا تكمل
عرضها، قرأ القرّاء ما يناسب ختم ذلك المجلس. فإذا فرغوا أُرْخِى الستر وقام الوزير ٥
فدخل عليه فقبل يديه ورجليه ، ثم ينصرف عنه فيركب من مكان نزوله ويخرج
الأمراء معه إلى خارج فيَمْضُون معه إلى داره رُكْبانا ومُشاة على حسب مراتبهم .
فإذا صلَّى الخليفة الظهر، جلس لعرض خزانة الكسوة الخاص وتعيين ما يُلْبَسُ فى ذلك
الموكب ولباسه فيه، فيعين مِنْدِيلاً لشدّ التاج، وبَدْلَةً من هذا النوع، والجوهرةَ
اليتيمةَ وما معها من الجواهر المتقدّمة الذكر لشدّ التاج وتشدّ مِظَلَّة تشبه تلك البذلة، ١٠
وتلف فى مِنْدِيل دَبِيقِىّ فلا يكشفها إلا حاملُها عند ركوب الخليفة، ثم يشدّ لواءى
الحمد المتقدّمى الذكر . فإذا كان أوّلُ يوم من العام ، بكّر أربابُ الرُّتَب من ذوى
السيوف والأقلام فلا يُصْبِح الصبح إلا وهم بين القصرين منتظرين ركوب
الخليفة (وهو يومئذ فضاء واسع خال من البناء) ويبكر الأمراء إلى دار الوزير
ليركبوا معه، فيخرج من داره ويركب إلى القصر من غير ٱستدعاء وأمامه ماشرّفه به ١٥
الخليفة من الألوية والأعلام، والأمراء بين يديه ركبانا ومشاة، وأولاده وإخوته
قدّامه، وكل منهم مرخى الذؤابة بلا حنك، وهو فى هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة
والمنديل والحَنَك متقلدا بالسيف الذهب . فإذا وصل إلى باب القصر، ترجّل
الأمراء ودخل هو راكبا إلى محل نزوله بدِهْليز القصر المعروف بدهليز العمود فيترجّل
هناك ويمشى فى بقية الدهاليز حتّى يصلَ إلى مَقْطَع الوزارة بقاعة الذهب هو ٢٠
وأولاده وإخوته وخواصّ حاشيته، ويجلس الأمراء بالقاعة على دِكَك معدّة لهم ،

ويُدْخَل فرسُ الخليفة إلى باب المجلس الذى هو فيه، وعلى باب المجلس كرسىٌّ يركب
من عليه . فإذا آستوت الدابة إلى ذلك الكرسىّ، أخرجت المظلة إلى حاملها فيكشفها
ممـا هى ملفوفة فيه و يتسلمها بإعانة أربعة معدّين لخدمتها فيركزُها فى آلة من حديد
تشبه القرن المصطحب مشـدودة فى ركاب حاملها الأيمن بقوة، ويمسـك العمود
٥ بحـاجز فوق يده؛ ثم يخرج السـيف فيتسلمه حامله . فإذا تسـلمه أرخى ذُؤَابَتَـهُ
فلا تزال مرخاة ما دام حاملا له ، ثم تُخْرَج الدواة فيتسلمها حاملهـا و يجعلها قدّامه
بينه و بين السرج ، ثم يخرج الوزير عن المَقْطَع و ينضم إليـه الأمراء و يقفون إلى
جانب فرس الخليفة، و يرفع صاحب المجلس السترَ فيخرج مَنْ كان عند الخليفة للخدمة
من الأستاذين ، و يخرج الخليفـة فى أثرهم فى ثيابه المختصة بذلك اليوم وعلى رأسه
١٠ التاج الشريف والدرّة اليتيمة على جبهته، وهو مُحَنَّكٌ مرخىّ الذؤابة ممـا يلى جانبه
الأيسر متقلد بالسيف العربىّ وقضيبُ المُلْك بيده، و يسلم على الوزير قوم مرتّبون
لذلك، ثم على القاضى وعلى الأمراء بعدهما، ثم يخرج الأمراء و بعدهم الوزير فيركب
و يقف قُبَالة باب القصر ، ويخرج الخليفة راكبا وفرسـه ماشيةٌ على بُسُط خَشْـيَةَ
أن تَزْلَق على الرخام والأستاذون حوله . فإذا قارب البـاب وظهر وجهُـهُ، ضرب
١٥ رجلٌ ببُوقٍ لطيف مُعْوَجّ الرأس متَّخَذٍ من الذهب يقـال له الغريبة مخالف لصوت
الأبواق، فتضرب البوقات فى المواكب، وتُنْشَر المظلة، و يخرج الخليفـة من باب
القصر فيقف وقفةً يسيرة بمقدار ركوب الأستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب
الرتب الذين كانوا فى الخدمة بالقاعة ، ثم يسير الخليفة فى الموكب وصاحبُ المظلة
على يسـاره ، وهو يَحْرِص ألّا يزول ظلها عن الخليفة ، ثم يكتنف الخليفةَ مقدّمو
٢٠ صِبْيان الركاب ، آثنـان منهم فى شكيمتى لجام فرسه، وآثنان فى عنق الفرس من
الجانبين، وآثنـان فى ركابه من الجانبين أيضا ، والأيمن منهما هو صاحب المِقْرَعة

الذى يناولها للخليفة و يتناولها منه، وهو الذى يؤدى عن الخليفة مدّة ركوبه الأوامرَ والنواهىَ ، واللواءان المعروفان بلواءى الحمد عن جانبيه ، والمِذَبَّتان عند رأس فرس الخليفة، والركابية يمينه وشمـاله نحو ألف رجل مقلدو السيوف مشدودو الأوساط بالمناديل والسلاح، وهم من جانبى الخليفة كالجناحين المـادّين، بينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد، وبالقرب من رأسها الصقلبيان الحـاملان للمذبتين، وهمـا مرفوعتان كالنخلتين. (ويترتب الموكب) : أجناد الأمراء وأولادهم وأخلاط العسكر أمام الموكب وأدوان الأمراء يلونهم، وبعدهم أرباب القُضُب الفضة من الأمراء، ثم أرباب الأطواق منهم، ثم الأستاذون المحنكون ، ثم أهل الوزير المتقدّم ذكرهم، ثم الحاملان للواءى الحمد من الجانبين، ثم حامل الدواة وحامل السيف بعده، وهما من الجانب الأيسر، وكل واحد ممن تقدّم ذكره بين عشرة إلى عشرين من أصحابه، ثم الخليفة بين الركابيــة، وهو سائر على تُؤَدَةٍ ورِفْقٍ، وفى أوائل العسكر ومتقدّميــه والِى القاهرة ذاهبـا وعائدا لفسح الطرقات وتسيير مَنْ يقف ، وفى وسط العسكر آسفهسلار يَحُث الأجناد على الحركة ويزجُر المتزاحمين والمعترضــين فى العسكر ذاهبا وعائدا، وفى زمرة الخليفة صاحب الباب لترتيب العسكر وحراســة طرقات الخليفة ذاهبا وعائدا، يلتقى صاحبُ البـاب آسفهسلارَ، وآسفهسلارُ يلتقى والى القاهـرة، وفى يد كل منهم دبُّوس، وخلف الخليفة جماعةٌ من الركابية لحفظ أعقابه، ثم عشرة يحملون عشرةَ سيوفٍ فى خرائط ديباج أحمرَ وأصفرَ يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الأعناق ، وبعدهم الحاملون للسلاح الصغير المتقدّم الذكر ؛ ووراءه الوزير فى هيئة عظيمة ، وفى ركابه نحو خمسمائة رجل ممن يختاره لنفسه من أصحابه، وقوم يقال لهم صبيان الزَّرَدِ من أقوياء الأجناد من جانبيه بفُرْجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفــة مجتهــدا ألّا يغيب الخليفة عن نظره، وخلفــه الطُّبول والصُّنوج والصفافير فى عدّة

كثيرة تَدْوِى من أصواتها الدنيا، ووراء ذلك حاملُ الرمح المقدّم ذكره والدرَقَة المنسوبة إلى حمزة، ثم رجال الأساطيل مشاةً ومعهم القِسِىّ العربيــة، وتسمّى قسىّ الرِّجْلِ والركاب، ما يزيد على خمسمائة رجل؛ ثم طوائف الرجال من المصامدة، ثم الريحانية والجُيُوشية، ثم الفرنجية، ثم الوزيرية: زُمْرَة بعد زُمْرةٍ فى عِدة وافرة تزيد على أربعة ٥ آلاف؛ ثم أصحاب الرايات والسبعين، ثم طوائف العساكر: من الآمرية والحافظية والحُجَرِيّة الكبار والحُجَرِيّة الصِّغار والأفضلية والجيوشية، ثم الأتراك المصطنعون، ثم الديلم، ثم الأكراد، ثم الغُزُّ المصطنعة وغيرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس .

قال آبن الطوير : وهذا كله بعضٌ مِنْ كلٍّ. وإذا ترتب الموكب على ذلك، سار من باب القصر الذى خرج منــه بين القصرين، يسير بموكبة حتّى يخــرج من باب ١٠ النصر ويصلَ إلى حوض كان هناك يعرف بعزّ الملك على القرب من باب النصر، ثم ينعطف على يساره طالبا بابَ الفتوح، وربما عطف عند خروجه من باب النصر على يساره، وسار بجانب السّــور حتّى يأتى بابَ الفتوح فيــدخل منه . وكيفما كان فإنه يدخل منه، ويسير الموكب حتّى ينتهىَ بين القصرين فيقف العسكر هُناك على ما كان عليه عند الركاب ويترجّل الأمراء . فإذا آنتهى الخليفةُ إلى الجامع الأقمر، ١٥ وقف هناك فى جماعته وينفرج الموكب للوزير فيتحرّك مسرعا ليصير أمام الخليفة . فإذا مرّ بالخليفة، سَكَع[(١)] له سَكْعة ظاهرة، فيشير الخليفة بالسلام عليه إشارة خفيفة، وهــذه أعظم كرامة تصدُر من الخليفة، ولا تكون إلا للوزير صاحبِ السيف . فإذا جاوز الوزيرُ الخليفةَ، سبقه إلى باب القصر ودخل راكبا على عادته والأمراءُ أمامه مشاةً إلى الموضع الذى ركب منه بدهليز العمود المقدّم ذكره، فيترجل هناك ٢٠ ويقف هو والأمراءُ لآنتظار الخليفة . فإذا آنتهى الخليفةُ إلى باب القصر، ترجل الأستاذون المحنّكون ودخل الخليفة القصر وهو راكب والأســتاذون مُحْدِقون به .

---

(١) سكع (كمنع وفرح) : مشى مشيا متعسفا لا يدرى أين يأخذ طريقه .

فإذا آنتهى إلى الوزير، مشى الوزير أمام وجه فرسه إلى الكرسيّ الذى ركب من عليه فيخدمُه الوزيرُ والأمراء، وينصرفون ويدخل الخليفة إلى دُوره . فإذا خرج الوزير إلى مكانِ تَرَجُّلِه ركب، والأمراء بين يديه، وأقاربُه حواليه إلى خارج باب القصر، فيركب منهم مَنْ يستحق الركوب، ويمشى من يستحق المشى، ويسيرون فى خدمته إلى داره، فيدخل راكبا وينزل على كرسيّ فيخدمُه الجماعة وينصرفون، وقد رأى الناس من حسن الموكب ماأبهجهم وراق خواطِرَهم، ويتفرّق الناسُ إلى أماكنهم فيجدون الخليفة قد أرسل إليهم الغرّة : وهى دنانير رُبَاعية ودراهم خِفَاف مدوّرة، ويكون الخليفة قد أمر بضربها فى العشر الأخير من ذى الحجة برسم التفرقة فى هذا اليوم، لكل واحد من الوزير والأمراء وأرباب المراتب من حملة السيوف والأقلام قدرٌ مخصوص من ذلك، فيقبلونها على سبيل التبرك من الخليفة، ويكتب إلى البلاد والأعمال مخلّقات بالبشائر بركوب أوّل العام كما يكتب بوفاء النيل وركوب المَيْدان الآن .

المــوكب الثـانى

ركـوب أوّل شهر رمضـان

وهو قائم عند الشيعة مَقَام رؤية الهلال، والأمر فى العَرْض واللباس والآلات والركوب والموكب وترتيبه والطرق المسلوكة على ماتقدّم فى أوّل العام من غير فرق، ويكتب فيه المخلَّقات بالبشائر كما يكتب فى أوّل العام .

المــوكب الثـالث

ركوبه فى أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان

وهى الجمعة الثانية [والثالثة](1) والرابعة ، وذلك أنه إذا ركب إلى الجامع الأنور بباب البحر، بكّر صاحب بيت المال إلى الجامع بالفَرْش المختص بالخليفة محمولا

(١) زيادة يقتضيها السياق .

على أيدى أكابر الفرّاشـين ملفوفا فى العَرَاضى الدبيقية، فُيفْرَشُ فى المحراب ثلاث
طرّاحات إمّا شاميات، وإمّا دَبيق أبيض، منقوشة بالحمرة، وتُفْرَش واحدة فوق
واحدة، ويعلّق ستران يَمْنَةً ويَسْرَةً، فى الستر الأيمن مكتوب برقم حرير أحمر سُورةُ
الفاتحة وسُورةُ الجمعة، وفى الستر الأيسر سـورةُ الفاتحة وسورةُ المنافقين كتابةً واضحة
٥ مضبوطة، ويصـعد قاضى القضاة المنبرَ، وفى يده مِدْخنة لطيفة خَيْزُرَان يُحْضرها
إليه صاحبُ بيت المـال وفيها نَدٌّ مثلَّث لا يشم مثله إلا هناك، فيبخر ذِرْوة المِنبر
التى عليها القَنَا كالقبة لجلوس الخليفة للخطابة ثلاث دَفَعات، ويركب الخليفة فى هيئة
ما تقدّم فى أوّل العـام وأوّل رمضان: من المَظَلَّة والآلات، ولباسُـه فيه الثياب
البياض غير المُذْهَبة توقيرا للصلاة، والمِنْديل والطيلسان المقوّرة. وحولَ ركابه خارج
١٠ الركابية قرّاء الحضرة من الجانبين يرفعون أصواتهم بالقراءة نَوْبةً بعد نَوْبةٍ من حين
ركوبه من القصر إلى حين دخوله قاعة الخَطَابة، فيدخل من باب الخطابة فيجلس
فيها، وإن آحتاج إلى تجديد وضوء فعـل، وتحفظ المقصورة من خارجها بترتيب
أصحاب الباب وآسفهسلار وصِبيان الخاصّ، وغيرهم ممن يجرى مجراهم من أوّلها إلى
آخرها، وكذلك من داخلها من باب خروجه إلى المنبر. فإذا أُذِّنَ للجمعة دخل إليه
١٥ قاضى القضاة، فقال: "السلام على أمير المؤمنين الشريف القـاضى الخطيب
ورحمة الله وبركاته، الصلاةَ يرحمك الله" فيخرج ماشيا وحواليه الأستاذون المحنَّكُون
والوزير وراءه، ومن يليهم من الأمراء من صِبْيان الخاص، وبأيديهم الأسلحة حتّى
ينتهى إلى المِنْبَر فيصعد حتّى يصلَ إلى الذّروة تحت القبة المُبخَّرة، والوزير على باب
المنبر ووجهه إليه. فإذا آستوى جالسا أشار إلى الوزير بالصـعود فيصعد إلى أن
٢٠ يصلَ إليه، فيُقَبِّلُ يديه ورجليه بحيث يراه الناس، ثم يزرّ عليه تلك القبة وتصـير
كالهودج، ثم ينزل مستقبلا للخليفة ويقف ضابطا للمنبر فإن لم يكن وزيرٌ صاحب

سيف، كان الذى يَزُرُّ عليــه قاضى القضاة، و يقف صاحب الباب ضابطا للنبر، فيخطب خطبة قصيرة من سَــفَط يأتى إليه من ديوان الإنشاء، و يقرأ فيها آيةً من القرآن الكريم، ثم يصلى فيهــا على أبيه وجده يعنى النبى صلى الله عليه وسـلم، وعلى ٱبن أبى طالب كرم الله وجهه، و يَعِظُ الناسَ وَعْظاً بليغا قليلَ اللفظ، ويذكر مَن سـلف من آبائه حتّى يصـل إلى نفسه فيقول : "اللهم وأنا عبــدك وٱبن عبديك لا أَمْلِك لنفسى ضَرًّا ولا نفعا" و يتوسل بدعوات فخمة تليق به، و يدعو للوزير إن كان ثَمَّ وزيرٌ وللجيوش بالنصر والتآلف، وللعساكر بالظَّفَر، وعلى الكافرين والمخالفين بالهلاك والقَهْر، ثم يختم بقوله ﴿ ٱذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ ﴾ فيطلع إليه من زرّ عليه فيفُكُّ ذلك التزرير عنه، و ينزل القَهْقَرى، فيــدخل المحراب و يقف على تلك الطراحات (١) إماما والوزير وقاضى القضــاة صَفًّا، ومن ورائهما الأستــاذون المحنكون والأمراء المطوّقون وأرباب الرتب من أصحاب السيوف والأقلام والمؤذِّنون وقوفٌ وظهورهم لحائط المقصورة، والجامع مشحون بالعالَم للصــلاة وراءه فيقرأ فى الركعة الأولى ما هو مكتوب فى الستر الأيمن، وفى الثانية ما فى الستر الأيسر. فإذا سَمَّعَ الخليفةُ، سَمَّعَ القاضى المؤذنين، فيسمِّع المؤذنون الناس . فإذا فرغ خرج الناس وركبوا أوّلا (٢) فأوّلا وعاد إلى القصر والــوزيرُ وراءه حتّى يأتى إلى القصر، والطبــول والبُوقات تضرب ذَهَابا و إيابا .

فإذا كانت الجمعة الثالثة من الشهر، ركب إلى الجــامع الأزهر كذلك وفعل كما فعل فى الجمعة الأولى، لا يختلف فى ذلك غيرُ الجامع .

فإذا كانت الجمعة الرابعــة منه، ركب إلى الجــامع العتيق بمصر و يزيِّن له أهل القــاهرة من باب القصر إلى الجامع الطُّولونى، و يزيِّن له أهــل مِصر من الجامع

(١) لعله فينزل (أى الخليفة) فيدخل الخ . (٢) لعله خرج وخرج الناس الخ .

الطولونىّ إلى الجامع العتيق ، وقد نَدَب الواليان بالبلدين مَنْ يحفظ الناس والزينة ويركب من باب القصر ويسير فى الشارع الأعظم بمصر، يمشى فى شارع واحد بين العمارة إلى الجامع العتيق بمصر فيفعل كما فعل فى الجامعين الأوّلين من غير مخالفة . فإذا قضى الصلاة، عاد إلى القاهرة من طريقه تلك إلى أن يصل إلى قصره، وفى خلال ٥ ذلك كلّه لا يمرّ بمسجد إلا أعطى أهله دينارا على كَثْرة المساجد فى طريقه .

المـــوكب الرابـــع

ركوبه لصـــلاة عيـــدى الفطر والأضحى

أما عيد الفطر — فيقع الاهتمام بركوبه فى العشر الأخير من رمضان، وتعبّى أهبة المواكب على ما تقدّم فى أوّل العام وغيره ، وكان خارج باب النصر مصلًّى على ١٠ رَبْوَةٍ وجميعها مبنىٌّ بالحجر، ولها سور دائر عليها وقلعة على بابها، وفى صدرها قبّةٌ كبيرة فى صدرها مِحْراب، والمنبر إلى جانب القبة وسط المصلّى مكشوفا تحت السماء، آرتفاعه ثلاثون درجة وعَرْضه ثلاثة أزرع. وفى أعلاه مصطبةٌ . فإذا كمل رمضان، وهو عندهم ثلاثون يوما من غير نقص . فإذا كان اليوم الأوّل من شوّال، سار صاحب بيت المـال إلى المصـلّى خارج باب النصر، وفرش الطراحات بمحراب المصـلّى، ١٥ كما تقـدّم فى الجوامع فى أيام الجمع، ويعلق سترين يَمْنَةً ويَسْرةً، فى الأيمن الفاتحةُ وسَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وفى الأيسر الفاتحةُ، وهَـلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ، ويركز فى جانبى المصلّى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنابيب الفضة، وهما منشوران مرخيـان، ويوضع على ذِرْوة المنبر طرّاحة من شاميات أو دبيقى، ويفرش باقيـه بستر من بيـاض، على مقداره فى تقاطيع درجه مضبوطة لا تتغـير بالمشى وغيره، ٢٠ ويجعل فى أعلاه لواءان مرقومان بالذهب يَمْنَةً ويَسْرةً، ثم سار الوزير من داره إلى

قصر الخليفة على عادته المتقدّمة الذكر، ويركب الخليفة بهيئة المواكب العظيمة على ما تقدّم فى أوّل العام : من المِظَلّة والتاج وغير ذلك من الآلات، ويكون لباسه فى هذا اليوم الثيابَ البيض الموشّحة المجومة ، وهى أجلُّ لباسه ومظلته كذلك ، ويخرج من باب العيد على عادته فى ركوب المواكب إلا أن العساكر فى هذا اليوم من الأمراء والأجناد والركبان والمشاة تكون أكثر من غيره، وينتظم القوم له صَفَّيْنِ ٥
من باب القصر إلى المصلَّى ، ويركب الخليفة إلى المصلى فيدخل من شرقيِّها إلى مكان يستريح فيه دقيقةً، ثم يخرج محفوظا بحاشيته كما فى صلاة الجمع المتقدّمة الذكر فيصير إلى المحراب، والوزير والقاضى وراءه كما تقدّم، فيصلى صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة، ويقرأ فى الركعة الأولى ما فى الستر الذى على يمينه، وفى الثانية ما فى الستر الذى على يساره . فإذا فرغ وسلم ، صعد المنبر لخطَابة العيد . فإذا انتهى إلى ذِرْوة ١٠
المنبر، جلس على تلك الطرّاحة بحيث يراه الناس ، ويقف أسفل المنبر الوزيرُ وقاضى القضاة، وصاحب الباب وأسفهسلار، وصاحب السيف ، وصاحب الرسالة، وزِمَامُ القصر[1]، وصاحب دفتر المجلس، وصاحب المِظَلّة، وزمَام الأشراف الأقارب ، وصاحب بيت المال، وحامل الرمح، ونقيب الأشراف الطالبيين .
ووجه الوزير إليه [فيشير إليه فيصعد ويقرب وقوفه منه ويكون وجهه موازيا ١٥
رجليه][2] فيقبلهما بحيث يراه الناس، ثم يقوم فيقف على يَمْنَة الخليفة . فإذا وقف أشار إلى قاضى القضاة بالصعود فيصعد إلى سابع درجة ، ثم يتطلع إليه منتظرا مايقول، فيشير إليه فيُخْرِجُ من كُمِّهِ دَرْجا قد أُحْضِر إليه فى أمسه من ديوان الإنشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير، فيعلن بقراءة مضمونه [ويقول][2] بعد البسملة :
[ثَبَتَ بِمن][2] شُرِّف بصعود [ه][2] المنبر الشريف فى يوم كذا، وهو عيد الفطر من سنة ٢٠

(١) زمام القصر : هو الذى يتولى إدارة أمور خدام القصر والإشراف على أعمالهم .
(٢) الزيادة عن المقريزى (ج ١ ص ٤٥٥) .

كذا من عند أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين بعد صعود السيد الأجل ... » (يذكر نعوت الوزير المقررة والدعاء له) ثم ذكر من يُشَرِّفُه الخليفة بصعود المنبر من أولاد الوزير، ثم ذكر القاضي ولكنه يكون هو القارئ للثَّبَت فلا يسعه ذكر نعوته فيقول : المملوك فلان بن فلان ونحو ذلك، ثم الواقفين على باب المنبر ممن تقدّم ذكره بنعوتهم واحدا واحدا، وكلما ذكر واحدا آستدعاه وطلع المنبر، كل منهم يعرف مقامه فى المنبر يَمْنَةً ويَسْرَةً . فإذا لم يبق أحد ممن أُطلع إلى المنبر، أشار الوزير إليهم فأخذ كل مَنْ هو فى جانب بيده نصيبا من اللواء الذى بجانبه فيستتر الخليفة ويستترون، وينادى فى الناس بالإنصات، فيخطب الخليفةُ خطبةً بليغةً مناسبة لذلك المقام، يقرؤها من السَّفَط الذى يُحْضَر إليه مسطَّرا من ديوان الإنشاء كما فى جُمَع رمضان المتقـدّمة الذكر . فإذا فرغ من الخطبـة، ألقى كلُّ مَنْ فى يده شيءٌ من اللواء خارج المنبر، فينكشفون ويتزلون القهقرى أوّلا بأوّل الأقرب فالأقرب . فإذا خلا المنـبر للخليفة، هبط ودخل المكانَ الذى خرج منـه، فيلبث قليلا ثم يركب فى هيئته التى أتى فيها إلى المصلَّى، ويعود فى طريقه التى أتى منها . فإذا قرب من القصر، تقدّمه الوزير على العادة، ثم يدخل من باب العيد الذى خرج منه، فيجلس فى الشُّبَّاك الذى فى الإيوان الكبير، وقد مدّ منه إلى فسقية فى وسط الإيوان مقدار عشرين قصبة سِمَاطٌ فيه من الخُشْكَانِ[1] والبِسْتَنْدُودِ[2]، وغير ذلك ممـا يعمل فى العيد مثـلُ الجبل الشاهق، كل قطعـة ما بين ربع قنطار إلى رطل واحد، فيأكل مَنْ يأكل وينقلُ مَنْ ينقل لا حَجْر عليـه ولا مانع دونه، ثم يقوم من الإيوان فيركب إلى قاعة الذهب فيجد سرير الملك قد نُصِب، ووضع له مائدة من فضـة، ومدّ السماط تحت السرير فيترجل عن السرير، ويجلس على المـائدة، ويستدعى الوزيرَ فيجلس معـه، ويجلس الأمراء على السِّماط ولا يزال كذلك حتّى

(١) الخشكان ويعرف فى مصر بالخشتنان، وهو نوع من الحلوى مصنوع من الرقاق على شكل حلقة مجوّفة يملأ وسطها باللوز أو بالفستق . (٢) البستندود، أصله بالفارسية (بشندة) : طعام فارسى مصنوع من دقيق وبلح . وفى الأصل : « البسندود » .

يستهدم السِّماط قريبَ صلاة الظهر ؛ ثم يقوم وينصرف الوزير إلى داره والأمراء في خدمته فيمدّ لهم سماطا يأكلون منه وينصرفون .

وأما عيد الأضحى — فإنه إذا دخل ذو الحجة وقع الاهتمام بركوبه . فإذا كان يوم العيد، ركب الخليفة على ما تقدّم في عيد الفِطْر من الزِّيّ والترتيب والركوب إلى المصلَّى، ويكون لباس الخليفة فيه الأحمرَ الموشّحَ، ومِظَلَّته كذلك، ويخرج إلى المصلَّى خارج باب النصر ويخطب، ثم يعود إلى القصر كما في عيد الفطر من غير زيادة ولا نقص؛ ثم بعد دخوله إلى القصر يخرج من باب الفَرَج، وهو باب القصر الذى كان مسامتا لدار سعيد السُّعَداء التى هى الخانقاه الآن ، فيجد الوزيرَ راكبا على الباب المذكور، فيترجّل الوزيرُ، ويمشى فى خدمته إلى المَنْحَر[1]، وهو خارج الباب المذكور . وكان إذ ذاك الفضاء واسعا لا بِناء فيه، وهناك مصطبة مفروشة فيطلُع عليها الخليفةُ والوزيرُ وقاضى القضاة والأستاذون المحنَّكون وأكابر الدولة، ويكون قد سبق إلى المنحر أحدٌ وثلاثون فصيلا وناقةً للأضحية، وبيده حربة، وقاضى القضاة ممسك بأصل سِنَانها، وتُقَدّم إليه الأضحية رأسا رأسا فيجعل القاضى السنانَ فى نحر النحيرة ويطعن به الخليفة فى لَبَّتِها، فتخرّ بين يديه حتّى يأتى على الجميع، ثم يُسيِّرُ رسومَ الأضحية إلى أرباب الرسوم المقررة، وفى اليوم الثانى يساق إلى المنحر سبعةٌ وعشرون رأسا، ويركب الخليفة فيفعل بها كذلك، وفى اليوم الثالث يساق إليه ثلاثٌ وعشرون رأسا فيفعل بها كذلك . فإذا انقضى ذلك فى اليوم الثالث وعاد الخليفة إلى القصر، خلع على الوزير ثيابه الحمرَ التى كانت عليه يوم العيد، ومنديلا بغير اليتيمة والعقد المنظوم بالجوهر، ويركب الوزيرُ بالخِلْعة من القصر، ويشق القاهرةَ بالشارع سالكا إلى الخليج فيسير عليه حتّى يدخل من باب القنطرة إلى دار الوزارة، وبذلك انفصال العيد . ثم أوّل نحيرة تنحر تقدّد وتُسَيَّرُ إلى داعى اليَمَنِ فيفرّقها على المعتَقِدين من وزن نصف درهم

(١) المنحر : الموضع الذى اتخذه الخلفاء لنحر الأضاحى فى عيد الأضحى وعيد الغدير . وكان موضع المنحر أرض فضاء بالدرب الأصفر . ومحله اليوم مجموعة المبانى الواقعة غربى جامع سعيد السعداء بين شارعى الدرب الأصفر والتمبكشية بقسم الجمالية .

إلى وزن ربع درهم، وباقى ذلك يفرّق على أرباب الرسوم فى أطباق للبَرَكة، وأكثره يُفرِّقُهُ قاضى القضاة وداعى الدُّعاة على الطلبة بدار العدل والمتصدّرين بجوامع القاهرة، وفى اليوم الأوّل يمدّ السماط بقاعة الذهب على ما تقدّم فى عيد الفطر من غير فرق .

المــوكب الخـامس

ركوبه لتخليق المقياس عنـد وفاء النيـل

قد تقدّم عند ذكر النيل فى الكلام على الديار المصرية ٱبتداءُ زيادة النيل ووفاؤه وٱنتهاؤه، وذكرُ المناداة عليه على ما الأمر مستقرّ عليه . إلا أنه فى زمن هؤلاء الخلفاء لم يكن ينادى عليه قبل الوفاء، وإنما يؤخذ قاعُه وتكتب به رُقْعَةٌ للخليفة والوزير، ثم يتزل بديوان الرسائل فى مسير معدّ له فى الديوان، ويستمرّ الحال على ذلك فى كل يوم ترفع رُقْعة إلى ديوان الإنشاء بالزيادة لا يطّلع عليها غير الخليفة والوزير، وأمره مكتوم إلى أن يبقى من ذراع الوفاء (وهو السادس عشر) أصبعٌ أو أصبعان، فيؤمر بأن يبيت فى جامع المِقياس تلك الليلة قُرَّاءُ الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم لختم القرآن الكريم فى تلك الليلة هناك، ويمدّ لهم السماط بالأطعمة الفاخرة، وتوقد عليهم الشموع إلى الصبح . فإذا أصبح الصبح وأذن الله تعالى بوفاء النيل فى تلك الليلة، طلعت رُقْعة ٱبن أبى الرّداد إلى الخليفة، فتُحضَر إليه بالقصر، فيركب الخليفةُ فى هيئة عظيمة من الثياب الفاخرة والموكب العظيم، إلا أنه يلبس التاج الذى فيه اليتيمة، ولا يُحَلِّى المظلة على رأسه فى ذلك اليوم؛ ويركب الوزيرُ وراءه فى الجمع العظيم على ترتيب الموكب؛ ويخرج من القصر شاقا القاهرةَ إلى باب زويلة فيخرج منه، ويسلك الشارع إلى أن يجاوز البستان المعروف بعباس عند رأس الصّليبة بالقرب من الخانقاه الشيخونية

الآن ، فيعطف سالكا على الجامع الطولونى والجسر الأعظم حتَّى يأتىَ مصر ، ويدخل من الصناعة ، وهى يومئذ فى غاية العمارة ، وبها دِهْليزٌ ممتدّ بمصاطبَ مفروشةٍ بالحصر العبدانى مؤزّر بها ، ويخرج من بابها شاقًّا مصرَ حتّى يأتىَ المنظرة المعروفةَ برواق الملك على القرب من باب القنطرة ، فيدخلها من الباب المواجه له والوزيرُ معه ماشيا إلى المكان المعدّ له ، ويكون العشارىّ الخاصّ المعبَّر عنه الآن بالحرّاقة واقفا هناك بشاطئ النيل ، وقد حُمِل إليه من القصر بيتٌ مثمن من العاج والآبَنُوس كل جانب منه ثلاثة أذرع ، وطوله قامةُ رجل تامّ ، فيركب فى العشارىّ المذكور وعليه قبة من خشب محكم الصنعة ، وهو وقُبّته ملبَّس صفائح الفضة المُذْهَبة ، ثم يخرج الخليفة من دار الملك المذكور ومعه من الأستاذين المحنَّكين من يختاره من ثلاثة إلى أربعة ، ثم يطلُع خواصّ الخليفة إلى العشارىّ والوزيرُ ومعه من خواصّه اثنان أو ثلاثة لاغير ، فيجلس الوزير فى رُواقٍ بظاهر البيت المذكور ، بفوانيس من خشب مخروط مدهونة مُذْهَبة ، بستور مسدَلة عليه ، ويسير العشارىّ من باب المنظرة إلى باب المقْياس العالى على الدَّرَج ، فيطلع من العشارىّ ، ويدخل إلى الفسقية التى فيها المقياس ، والوزير والأستاذون المحنكون بين يديه ، فيصلِّى هو والوزير كلٌّ منهما ركعتين بمفرده ، ثم يؤْتى بالزّعفران والمسك فيَديفه فى إناء بيده بآلة معه ، ويتناوله صاحب بيت المال فيناوله لابن أبى الرّدّاد ، فيُلْقِى نفسه فى الفسقية بثيابه فيتعلق فى العمود برجليه ويده اليسرى ويُخَلِّقه بيده اليمنى ، وقرّاء الحضرة من الجانب الآخر يقرءُون القرآن ، ثم يخرج على فوره راكبا فى العشارىّ المذكور ، ثم يعود إلى دار الملك ، ويركب منها عائدا إلى القاهرة ، وتارة ينحدر فى العشارىّ إلى المَقْس ، ويتبعه الموكب فيسير من هناك إلى القاهرة . ويكون فى البحر ذلك اليوم نحوُ ألف مركب مشحونة بالناس للتفرّج وإظهار الفرح . فإذا كان اليوم الثانى من التخليق أتى ابن أبى الرّدّاد

إلى الإيوان الكبير الذى فيـه الشُّبّاك بالقصر فيجد خِلْعة مُذْهَبَـةً بطَيْلَسان مقوّر، ويُدْفَعُ إليه خمسـة أكياس فى كل كيس خمسمائة درهم مهيأة له ، فيلبس الخِلْعـة، ويخرج من باب العيد المتقدّم ذكره فى أبواب القصر، وقد هيئ له خمس بغال على ظهورها الأحمال المزيَّنَةُ بالحلىّ ، على ظهر كل منهـا راكب وبيده أحد الأكياس

٥ الخمسة المتقدّمة الذكر ظاهرٌ فى يده، وأقاربه وبنو عمه يحجبونه وأصدقاؤه حوله، وأمامه حِمْلان من النَّقّارات السلطانية، والأبواقُ تضرب أمامه، والطبل وراءه مثل الأمراء ؛ فيشق بين القصرين، وكلمـا مر على باب من أبواب القصر يدخل منه الخليفة أو يخرج، نزل فقبَّلَه ، ويخرج من باب زويلة فى الشارع الأعظم حتَّى يأتىَ مِصْرَ فيشقُّ وسَطَها ويمرّ بالجامع العتيق، ويجاوزه إلى شاطئ النيل فيعدّى إلى المقياس

١٠ بخِلْعته ومامعه من الأكياس، فيأخذ من الأكياس قدرا مقررا له، ويفرّق باقى ذلك على أرباب الرسوم الجارية من قديم الزمان من بنى عمه وغيرهم .

المـوكب السادس

ركوبه لفتـح الخليـج

وهو فى اليوم الثالث أو الرابع من يوم التخليق المتقدّم ذكره، وليس كما فى زماننا

١٥ من فتحه فى يوم التخليق ؛ وكان يقع الاهتمام عندهم بركوب هذا اليوم من حين يأخذ النيل فى الزيادة ، وتعمل فى بيت المـال موائدُ من التمـاثيل المختلفـة : من الغِزْلان ، والسبـاع ، والفِيَلَة ، والزَّرَارِيف عدّة وافرة، منها ماهو ملبّس بالعنبر ، وماهو مُلَبَّسٌ بالصندل، مفسرة الأعين والأعضاء بالذهب، وكذلك يُعْمَلُ أشكالُ التُّفّاح والأُتْرُجّ وغير ذلك، وتخرج الخَيْمَةُ العظيمة المعروفة بالقاتول المتقدّمة الذكر

٢٠ فتنصب للخليفة فى بَرِّ الخليج الغربىّ على حافته عنـد مَنْظَرة يقال لهـا السكّرة على

القرب من فم الخليج ، ويُلَفُّ عمودُ الخيمة بديباج أحمرَ أو أبيض أو أصفر من أعلاه إلى أسفله ، وينصب فيها سرير الملك مستندا إليه ويغشّى بقُرْقوبى ، وعَزَا ليسنه ذهبٌ ظاهرة ، ويوضع عليه مَرْتبة عظيمة من الفرش للخليفة ؛ ويضرب لأرباب الرُّتَب من الأمراء بَحْرِىّ هذه الخيمة خِيَمٌ كثيرة على قدر مراتبهم فى المقدار والقرب من خيمة الخليفة ؛ ثم يركب الخليفة على عادته فى المواكب العظيمة بالمظَلّة وتوابعها من السيف والرمح والألوية والدواة وسائر الآلات ، ويزاد فيه أربعون بُوقا : عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة ، يكون المنفّرون بها ركبانا ، والمنفّرون بالأبواق النُّحَاس مشاةً ، ومن الطبول العظام عشرة طبول . فإذا كان يومُ الركوب ، حضر الوزير من دار الوزارة راكبا فى هيئة عظيمة ، ويركب حينئذ إلى باب القصر الذى يخرج منه الخليفة ، ويخرج الخليفة من باب القصر راكبا والأستاذون المحنّكون مشاةٌ حوله ، وعليه ثوب يسمّى البدنة حريرٌ مرقومٌ بذهب ، لا يلبسه غير ذلك اليوم ، والمظلة بنسبته ؛ فيركب الأستاذون المحنّكون ويسير الموكب على الترتيب المتقدّم فى ركوب أوّل العام سائرا فى الطريق التى ذهب فيها للتخليق حتّى يأتىَ الجامع الطولونى ؛ ويكون قاضى القضاة وأعيانُ الشهود جلوسا ببابه من هذه الجهة ، فيقف لهم الخليفة وقفةً لطيفةً ، ويسلم على القاضى ، فيتقدّم القاضى ويُقَبِّلُ رجله التى من جانبه ، ويأتى الشهود أمام وجه فرس الخليفة ، ويقفون بمقدار أربعة أذرع عن الخليفة فيسلم عليهم ، ثم يركبون ويسير الموكب حتّى يأتى ساحل الخليج ، فيسير حتّى يقارب الخليفةُ الخيمةَ ، فيتقدّمه الوزير على العادة ، فيترجل على باب الخيمة ، ويجلس على المرتبة الموضوعة له فوقه[1] ويحيط به الأستاذون المحنكون والأمراء المطوقون بعدهم ؛ ويوضع للوزير كرسيُّه الجارى به العادة على ما تقدّم فى جلوسه فى القصر ، فيجلس

(١) أى فوق السرير المتقدّم وصفه قريبا .

ورجلاه يحُكّان الأرض ، ويقف أرباب الرُّتَب صفّين من سرير المُلْك إلى باب
الخيمة ، وقرّاء الحضرة يقرءُون القرآن ساعة زمانيــة . فإذا فرغوا من القــراءة،
آستأذن صاحبُ الباب على حضور الشعراء للخدمة ، فيؤذن لهم فيتقدّمون واحدا بعد
واحد على مقــدار منازلهم المقرّرة لهم، ويُنْشِدُ كلٌّ منهم ماوقع له نظمه ممـا يناسب
٥ الحـال . فإذا فرغ أتى غيره وأنشــد ما نظمه إلى أن يفرغ إنشادهم، والحاضرون
ينتقدون على كل شاعر ما يقوله ، ويُحَسِّنُون منه ما حَسُنَ ويُوهُّون منه ما وهى .
فإذا آنقضى هذا المجلس، قام الخليفة عن السرير فركب إلى المنظرة المعروفة بالسكَّرة
بقرب الخيمة والوزير بين يديه ، وقد فُرشت بالفُرُش المعدّة لهـا، فيجلس الخليفة
بمكان معــدّ له منها، ويجلس الوزيرُ بمكان منها بمفرده، ويجلس القاضى والشهودُ
١٠ فى الخيمة البيضاء الدبيقية، فيُطِلُّ منها أستاذ من الأستاذين المحنكين فيشير بفتح السدّ
فيفتح بالمَعَاول، وتضرب الطبول والأبواق من البرّين، وفى أثناء ذلك يصل السِّماط
من القصر صحبةَ صاحب المـائدة القـائم مقام أســتاذ دار الصحبة الآن ، وعدّتها
مائة شدّة فى الطيافير الواسعة فى القوا وير الحرير، وفوقها الطرّاحات النفيسة، وريح
المسك والأفاويه تفوح منها ، فتوضع فى خيمة وســيعة معدّة لذلك؛ ويحمل منها
١٥ للوزير وأولاده ما جرت به عادتهم، ثم لقاضى القضاة والشهود، ثم إلى الأمراء على
قدر مراتبهم : على أنواع الموائد من التمـاثيل المقدّمة الذكر خلا القاضى والشهود،
فإنه لا يكون فى موائدهم تماثيل. فإذا آعتدل المـاء فى الخليج دخلت فيه العشاريات
اللطاف ووراءها العشاريات الكبار، وهى ســبعة : الذهبىّ المختص بالخليفــة ،
وهو الذى يركب فيــه يوم التخليق، والفِضِّىُّ، والأحمــر، والأصفر، والأخضر ،
٢٠ واللَّازَوَرْدِىُّ، والصِّــقِلِّىّ ، وهو عشارىٌّ أنشأه نجّارٌ من صِقِلِّيَة على الإنشاء المعتاد
فنسب إليه، وعليها الستور الدبيقى الملوّنة، وفى أعناقها الأهلة وقلائد العنبر والخرز

الأزرق، وتسير حتّى ترسُوَ على بر المنظرة التى فيها الخليفة . فإذا صلّى الخليفةُ العصر، ركب لابسا غير الثياب التى كانت عليه فى أوّل النهار، ومظلّته مناسبة لثيابه التى لبسها، وباقى الموكب على حاله، ويسير فى البر الغربىّ من الخليج شاقًّا للبساتين حتّى يصلَ إلى باب القنطرة فيعطف على يمينه ويسير إلى القصر، والوزير تابعه على الرسم المعتاد، فيدخل الخليفة قصره، ويمرّ الوزير إلى داره على عادته فى مثل ذلك اليوم . ٥

وذكر القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر : أنه إذا ركب من المنظرة المعروفة بالسكرة ، سار فى بر الخليج الغربىّ على ما تقدّم ذكره حتّى يأتىَ بستان الدكة ، وقد عُلِّقت دهاليزه بالزينة فيدخله وحده ويسقى منه فرسه ، ثم يخرج حتّى يقف على الرعنة المعروفة بخليج الدار، ويدخل من باب القنطرة ويسير إلى قصره .

النوع الثانى ١٠

من مواكبهم المواكب المختصرة فى أثناء السنة

وهى أربعة أيام أو خمسة فيما بين أوّل العام ورمضان ولا يتعدّى ذلك يومى السبت والثلاثاء . فإذا عزم على الركوب فى يوم من هذه الأيام، قدّم تفرقة السلاح على الركابية على ما تقدّم ذكره فى أوّل العام، وأكثرُ ما يكون ركوبه إلى مصر، فيركب والوزير وراءه على أخصرَ من النظام المتقدّم له فى المواكب العظام وأقلّ ١٥ جمعا، ولبسه فى هذه الأيام الثياب المُذْهَبَةُ من البياض والملوّن ومنديلٌ من نسبة ذلك مشدودة بشدّة غير شدّات غيره ، وذوائبه مرخاة تقرب من جانبه الأيسر، وهو مقلد بالسيف العربى المجوهر بغير حنك ولا مظلة، ويخرج شاقا القاهرة فى الشارع الأعظم حتّى يجاوز الجامع الطوالونى على المشاهد[1] إلى الجامع العتيق . فإذا وصل إلى بابه، وجد الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب، مفروشة ٢٠

---

(١) يريد بالمشاهد الأماكن التى كان الناس ولا يزالون يتبركون بزيارتها كمشهد زين العابدين ومشهد السيدة نفيسة ومشهد السيدة أم كلثوم رضوان الله عليهم .

بحصير وعليها سجادة معلقة ، وفى يده المصحف الكريم المنسوب خطه إلى أمير المؤمنين
علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهـه ، فيناوله المصحف من يده فيقبـله و يتبرك به
و يأمر له بعطاء يفرّق على أهل الجامع .

الضـرب الثـالث

من هيئة الخليفة هيئته فى قُصُـوره

٥ قال ابن الطوير : كان له ثياب يلبَسُها فى الدور أكمامها على النصف من أكمام
ثيـابه التى يلبسها فى المواكب ، وكان من شأنه أنه لا ينصرف من مكان إلى مكان
فى القصر فى ليـل أو نهار إلا وهو راكب ، ولا يقتصر فى القصر على ركوب الخيل
بل يركب البغال والحمير الإناث لمـا تدعوه الضرورة إليـه من الجواز فى السراديب
١٠ القصيرة والطلوع على الزلاقات إلى أعلى المناظر والمساكن ، وله فى الليل نسوة برسم
شدّ ما يحتاج إلى ركوبه من البغال والحمير ، وفى كل محلة من محلات القصر فَسْقِيَّةٌ
مملوءة بالمـاء خِيفَةً من حدوث حريق فى الليـل ، و يبيت خارج القصر فى كل ليلة
خمسون فارسا للحِراســة . فإذا أذّن بالعشاء الآخرة داخلَ قاعة الذهب وصلّى الإمامُ
الراتبُ فيها بالمقيمين من الأستاذين وغيرهم ، وقف على باب القصر أميرٌ يقال له سِنَان
١٥ الدولة — مقام أمير جاندار الآن — فإذا علم بفراغ الصلاة تضرب البوقيةُ من الطبول
والبوقات وتوابعها على طريق مستحسنة ساعةً زمانيــة ، ثم يخرج أستاذ برسم هذه
الخدمة فيقول : "أمير المؤمنين يردّ على سـنان الدولة السلام" فيغرز سنان الدولة
حربةً على الباب ثم يرفعها بيــده ، فإذا رفعها أغلق الباب ، ودار حول القصر سبعَ
دَوْرات . فإذا انتهى ذلك جعـل على البـاب البوّابين والفرّاشين وأوى المؤذّنون
٢٠ إلى خزائنَ لهم هناك وتُرْمى السلسلة عند المضيق ، آخر بين القصرين عند السيوفيين

فينقطع المارّ من ذلك المكان إلى أن تضرب البوقية سَحَرا قربَ الفجر فتُرفَعَ السلسلة ويجوز الناس من هناك .

الجملـــة السادســـة

فى آهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور وآعتنائهم بأمر الجهاد، وسيرهم فى رعاياهم، وآستمالة قلوب مخالفيهم

أما آهتمامهم بالأساطيل وحفظ الثغور — وآعتناؤهم بأمر الجهاد، فكان ذلك من أهمّ أمورهم، وأَجَلّ ما وقع الاعتناءُ به عندهم . وكانت أساطيلهم مرتبة بجميع بلادهم الساحلية كالإسْكَنْدَرِيَّة ودِمْياطَ من الديار المصرية، وعَسْقَلان وعَكَّا وصُور وغيرها من سواحل الشام، حين كانت بأيديهم، قبل أن يغلبهم عليها الفرنج؛ وكانت جريدة قوّادهم تزيد على خمســة آلاف مقاتل مدوّنة، وجوامكهم فى كل شهر من عشرين دينــارا إلى خمســة عشر دينارا إلى عشرة إلى ثمــانية إلى دينارين، وعلى الأسطول أميرٌ كبيرٌ من أعيان الأمراء وأقواهم جأشا؛ وكان أسطولهم يومئذ يزيد على خمسة وسبعين شينيا وعشر مسطحات وعشر حمالات، وعمارة المراكب متواصلة بالصناعة لا تنقطع . فإذا أراد الخليفــة تجهيزها للغزو، جلس للنفقة بنفســه حتّى يكملها، ثم يخرج مــع الوزير إلى ساحل النيــل بالمَقْسِم، فيجلس فى مَنْظَرَةٍ كانت بجامع باب البحر والوزير معه للوادعة(١)، ويأتى القُوّادُ بالمراكب إلى تحت المنظرة، وهى مزينــة بالأسلحة والمَنْجَنيقات واللعب منصوبة فى بعضها، فتسَيَّر بالمجاديف ذَهَابًا وعَوْدًا كما يُفْعَلُ حالة القتال، ثم يحضر إلى بين يدى الخليفة المُقَدَّمُ والرَّيِّسُ فيوصيهما ويدعو لهم بالسلامة، وتنحدر المراكب إلى دِمْيَاطَ وتخرج إلى البحر المِلْح فيكون لها فى بلاد العــدوّ الصِّيتُ والسُّمْعة . فإذا غنموا مَرْكَبًا آصطفى الخليفــة

---

(١) أى التوديع . وقد جرى فيه وفى كثير غيره على اصطلاحات العامة .

لنفسه السبْىَ الذى فيه من رجال أو نساء أو أطفال، وكذلك السلاح، وما عدا ذلك يكون للغانمين لا يُساهَمُون فيه . وكان لهم أيضا أسطول بعَيْذَابَ يتلقّ به الكارم فيما بين عَيْذَابَ وسواكن، وما حولهـا خوفا على مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر بحر القلزم هناك يعترضون المراكب، فيحميهم الأسطول منهم، وكان عدّة هذا الأسطول خمسة مراكب، ثم صارت إلى ثلاث، وكان والى قُوصَ هو المتولّى لأمر هـذا الأسطول، وربمـا تولاه أمير من الباب، ويحمل إليه من خزائن السـلاح ما يكفيه .

* * *

وأما سَيْرُهم فى رعيتهم — وآستمالة قلوب مخالفيهم، فكان لهم الإقبال على من يَفِدُ عليهم من أهل الأقاليم جلّ أو دَقّ، ويقابلون كل أحد بما يليق به من الإكرام، ويعوّضون أرباب الهدايا بأضعافها . وكانوا يتألّفون أهل السُّنّة والجماعة ويمكنونهم من إظهار شعائرهم على آختلاف مذاهبهـم، ولا يمنعون من إقامة صلاة التراويح فى الجوامع والمساجد على مخالفـة معتقَدهم فى ذلك . ولا (١) يشيد بذكر الصحابة رضوان الله عليهـم، ومذاهبُ مالك والشافعى وأحمد ظاهرة الشِّعار فى مملكتهم، بخلاف مذهب أبى حنيفة، ويُراعُون مذهب مالك، ومَنْ سألهم الحكم به أجابوه، وكان من شأن الخليفة أنه لا يكتب فى علامته إلا "الحمد لله رب العالمين" ولا يخاطب أحدا فى مكاتبته إلا بالكاف حتّى الوزير صاحب السيف، وإنمـا المكاتبات عن الوزير هى التى تتفاوت مراتبها؛ ولا يخاطب عنهم أحدٌ إلا بنعت مقرّر له ودعاء معروف به؛ ويراعون من يموت فى خدمتهـم فى عقبه، وإن كان له مرتّب نقلوه إلى ذرّيته من رجال أو نساء .

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

الجملة السابعة

فى إجراء الأرزاق والعطاء لأرباب الخدم بدولتهم
وما يتصل بذلك من الطعمة

أمّا إجراء الأرزاق والعطاء — فقد تقدّم أن ديوان الجيوش كان عندهم على ثلاثة أقسام : قسم يختص بالعرض وتحلية الأجناد وشِيَات دوابّهم ، ٥
وقسم يختص بضبط إقطاعات الأجناد ، وقسم يختص بمعرفة ما لكل مرتزق فى الدولة من راتب وجار وجراية ، ولكل من الثلاثة كُتَّابٌ يختصون بخدمته ، والقسم الثالث هو المقصود هنا ، وكان راتبهم فيه بالدنانير الجَيْشية ، وكان يشتمل على ثمانية أقسام :

الأوّل — فيه راتب الوزير وأولاده وحاشيته . ١٠

فراتب الوزير فى كل شهر خمسة آلاف دينار، ومَنْ يليه من ولد أو أخ من ثلثمائة دينار إلى مائتى دينار، ولم يقرّر لولد وزير خمسمائة دينار سوى الكامل بن شاور، ثم حواشيه من خمسمائة دينار، إلى أربعمائة دينار، إلى ثلثمائة دينار خارجا عن الإقطاعات

الثانى — فيه حواشى الخليفة .

فأوّلهم الأستاذُون المحنكون على رُتَبِهِمْ . فزِمَامُ القصر، وصاحبُ بيت المال، ١٥
وحامل الرسالة ، وصاحب الدفتر، وشادُّ التاج، وزِمَامُ الأشراف الأقارب، وصاحب المجلس ، لكل واحد منهم فى الشهر مائة دينار، ثُمَّ مَنْ دونهم من تسعين دينارا إلى عشرة دنانير على تفاوُت الرُّتَب . وفى هذا طبيبا الخاص ، ولكل واحد منهما فى الشهر خمسون دينارا ، ولمن دونهما من الأطباء المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير .

الثالث — فيه أرباب الرُّتَب بحضرة الخليفة . ٢٠

فأوّل مسطور فيه كاتبُ الدَّسْت — وهو المعبَّر عنه الآن بكاتب السرّ؛ وله فى الشهر مائة وخمسون دينارا ، ولكل واحد من كُتَّابه ثلاثون دينـارا ؛ ثم الموقِّع بالقلم الدقيق ، وله مائة دينـار ؛ ثم صاحب الباب ، وله مائة وعشرون دينـارا ؛ ثم حامل السيف وحامل الرمح ، ولكل منهما سـبعون دينارا ؛ وبقيَّـة الأزِمَّة على العساكر والسودان من خمسين دينارا ، إلى أربعين دينارا ، إلى ثلاثين .

الرابع — فيه قاضى القضاة ، وله فى الشهر مائة دينار ؛ وداعى الدُّعاة وله مثله ؛ وقُرّاء الحضرة ، ولكل منهم عشرون دينارا ، إلى خمسة عشر دينارا ، إلى عشرة .

الخامس — فيه أرباب الدواوين ومن يجرى مَجْراهم .

فأوّلهم مُتَوَلِّى ديوان النظر ، وله فى الشهر سبعون دينارا ؛ ثم متولى ديوان التحقيق ، وله خمسون دينارا ؛ ثم متولى ديوان المجلس ، وله أربعون دينارا ؛ ثم متولى ديوان الجيوش ، وله أربعون دينارا ؛ ثم صاحب دفتر المجلس ، وله خمسة وثلاثون دينارا ؛ ثم الموقِّع بالقلم الجليل القائم مقام كاتب الدَّرْج الآن ، وله ثلاثون دينارا . ولكل مُعين عشرة دنانير ، إلى سبعة ، إلى خمسة .

السادس — فيه المستخدمون بالقاهرة ومصر فى خدمة واليهما ، ولكل واحد منهما خمسون دينارا ؛ وللحُمَاة بالأهراء والمُنَاخات والجوالى والبساتين والأملاك وغيرها لكل منهم ما يقوم به من عشرين دينارا ، إلى خمسة عشر ، إلى عشرة ، إلى خمسة .

السـابع — فيه عدّة الفرّاشين برسم خِدْمَة الخليفة والقصور وتنظيفها خارجا وداخلا ونصب الستائر المحتاج إليها والمناظر الخارجة عن القصر ، ولكل منهم فى الشهر ثلاثون دينارا فما حولها ؛ ثم مَنْ يليهم من الرشّاشين داخل القصر وخارجه وهم نحو ثلثمائة رجل ، لكل منهم من عشر دنانير إلى خمسة .

الثامن — فيه الركابية ومقدّموهم، ولكل من مقدّميهم فى الشهر خمسون دينارا؛ وللركابية من خمسة عشر دينارا إلى عشرة إلى خمسة .

وأما الطُّعمة — فعلى ضربين :

الضرب الأوّل

الأسمطة التى تمدّ فى شهر رمضان والعيدين ٥

أما شهر رمضان — فإن الخليفة كان يرتِّب بقاعة الذهب بالقصر سِمَاطا فى كل ليلة من آستقبال الرابع منه، وإلى آخر السادس والعشرين منه، ويستدعى الأمراء لحضوره فى كل ليلة بالنَّوْبة، يحضُر منهم فى كل ليلة قومٌ كىْ لا يحرِمَهم الإفطار فى بيوتهم طول الشهر، ولا يكلَّف قاضى القضاة الحضورَ سوى ليالى الجُمَع توقيرا له، ولا يحضُر الخليفة هذا السِّماط، ويحضر الوزيرُ فيجلس على رأس السماط . ١٠ فإن غاب قام ولده أو أخوه مَقَامه . فإن لم يحضر أحدٌ منهم، كان صاحبُ الباب عِوَضَه . وكان هذا السِّماط من أعظم الأسمطة وأحسنها، يُمَدّ من صدر القاعة إلى مقدار ثلثيها بأصناف المأكولات والأطعمة الفاخرة؛ ويخرجون من هنالك بعد العشاء الآخرة بساعة أو ساعتين، ويفرّق فضلُ السماط كلَّ ليلة، ويتهاداه أرباب الرسوم حتّى يصل إلى أكثر الناس . وإذا حضر الوزير بعث الخليفة إليه من ١٥ طعامه الذى يأكل منه تشريفا له، وربما خصه بشىء من سَحُوره .

⁂

وأما سِمَاط العيدين — فإنه يمدّ فى عيد الفطر وعيد الأضحى تحت سرير الملك بقاعة الذهب المذكورة أمام المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوسَ العامَّ أيام المواكب، وتنصب على الكرسىّ مائدة من فضة تعرف بالمدوّرة، وعليها من الأوانى الذهبيات ٢٠ والصينىّ الحاوية للأطعمة الفاخرة ما لا يليق إلا بالملوك؛ وينصب السِّماط العامّ تحت السرير من خشب مدهون فى طول القاعة فى عرض عشرة أذرع، وتفرش

فوقه الأزهارُ المشمومة ، ويُرَصُّ الخبز على جوانبه كل شابورة ثلاثة أرطال من نَقِيِّ الدقيق ؛ ويعمر داخل السماط على طوله بأحد وعشرين طبقا عظاما ، فى كل طبق أحد وعشرون خروفا من الشِّوِيِّ ، وفى كل واحد منها ثلثمائة وخمسون طيرا من الدَّجاج والفراريج وأفراخ الحمام ، ويعبَّى مستطيلا فى العلوّ حتّى يكون كقامة الرجل الطويل ، ويسوّر بتشاريج الحلواء اليابسة على آختلاف ألوانها ، ويُسَـدّ خلل تلك الأطباق على السماط نحوٌ من خمسمائة صحن من الصحون[1] الخَزَفيـة المترعة بالألوان الفائقة ، وفى كل منها سبع دجاجات من الحلواء المـائعة والأطعمة الفاخرة ؛ ويعمل بدار الفطرة الآتى ذكرها قصران من حلوى زنة كل منها سبعة عشر قنطارا فى أحسن شكل ، عليها صُوَر الحيوان المختلفة ، ويحملان إلى القاعة فيوضعان فى طرفى السماط . ويأتى الخليفة راكبا فيترجَّلُ على السرير الذى قد نصبت عليـه المـائدة الفضـة ، ويجلس على المـائدة وعلى رأسـه أربعةٌ من كبار الأستاذين المحنكين ، ثم يستدعِى الوزيرَ وحده فيطلُع ويجلس على يمينه بالقرب من باب السرير ، ويشير إلى الأمراء المطوّقين فمن دونهم من الأمراء ، فيجلسون على السِّماط على قدر مراتبهم فيأكلون وقرّاءُ الحضرة فى خلال ذلك يقرءون القرآن ، ويبقى السماط ممدودا إلى قريب من صلاة الظهر حتّى يستهلك جميعُ ما عليه أكلا وحملا ، وتفرقةً على أرباب الرسوم .

الضـــرب الثـانى

فيما كان يعمل بدار الفطرة[2] فى عيد الفطر

وكان لهم بها الآهتمام العظيم . وقد ذكر آبن عبد الظاهر أصنافها فقال : كانت ألف حملة دقيق ، وأربعمائة[3] قنطار سُكَّر ، وسـتة قناطير فُسْتُق ، وأربعمائة وثلاثين

---

(١) عبارة المقريزى "من الصحون الخزفية" التى فى كل منها سبع دجاجات وهى مترعة الخ .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ صفحة ٤٧٦ من هذا الجزء .

(٣) فى المقريزى والنجوم الزاهرة (ج ٤ ص ١٢٢) : « سبعمائة » .

إردب زبيب، وخمسة عشر قنطارا عسل نحل، وثلاثة قناطير خل وإردبين سمسم وإردبين أنيسون وخمسين رطلا ماء ورد، وخمس نوافج[1] مسك، وكافور قديم عشرة مثاقيل، وزعفران مطحون مائة وخمسون درهما، وزيت برسم الوقود ثلاثون قنطارا. فى أصناف أخرى يطول ذكرها. قال ابن الطوير: وينتدب لها مائة صانع من الحلاويين، ومائة فرّاش برسم تفرقة الطوافير على أصحاب الرسوم خارجا ٥ عمن هو مرتّب فيها؛ ويحضرها الخليفة والوزير معه فيجلس الخليفة على سريره فيها، ويجلس الوزير على كرسى له؛ فى النصف الأخير من رمضان، وقد صار ما لها من المستعملات كالجبال الرواسى، فتفرّق الحلوى من رُبْع قنطار إلى عشرة أرطال إلى رطل واحد، والخشكنان من مائة حبة إلى خمس وسبعين حبة، إلى ثلاث وثلاثين، إلى خمس وعشرين، إلى عشرين، ويفرّق على السودان على يد مقدّمهم بالأفراد من ١٠ تسعة أفراد إلى سبعة، إلى خمسة، إلى ثلاثة، كل طائفة على مقدارها (٢) بسماط يوم الفطر ما يمدّ فى الإيوان الكبير قبل مدّ سماط الطعام بقاعة الذهب. وقد وقع فى كلام ابن الطوير خُلْفٌ فى وقته، فذكر فى موضع من كتابه أن ذلك يكون قبل ركوب الخليفة لصلاة العيد، وذكر فى موضع آخر أن ذلك يكون بعد حضوره من الصلاة. ١٥

الطرف الثامن[3]

فى جلوس الوزير للمظالم إذا كان صاحب سيف، وترتيب جلوسه

يجلس الوزير فى صَدْر المكان، وقاضى القضاة مقابِلَه، وعن جانبيه شاهدان من المعتبرين، وكاتب الوزير بالقلم الدقيق، ويليه صاحب ديوان المال؛ وبين يديه

---

(١) النوافج: جمع نافجة، والنافجة: وعاء المسك وهى الجلدة التى يجتمع فيها. (٢) بياض ٢٠ بالأصل. ولعله وقد كان سماط يوم الفطر يمد ... الخ. (٣) لم يتقدّم فى هذا الفصل تقسيم بالأطراف.

صاحب الباب وآسفهسلار، وبين أيديهما النواب والحجّاب على طبقاتهم . وذلك يومان فى الأسبوع .

وقد رثاهم عُمارة اليمنيّ بعد آنقراضهم واستيلاء السلطان صلاح الدين بن أيوب على المملكة بقصيدة وصف فيها مملكتهم، وعدّ مواكبهم، وحكى مكارمهم، وجلّى محاسنهم، وهى : ٥

رَمَيْتَ يا دَهْرُ كَفَّ المَجْدِ بالشَّلَلِ * وجِيدَهُ بعد حُسْنِ الحَلْىِ بالعَطَلِ
سَعَيْتَ فى مَنْهَجِ الرَّأْىِ العَثُورِ فإن * قَدَرْتَ من عَثَراتِ الدَّهْرِ فاسْتَقِلِ
جَدَعْتَ مَارِنَكَ الأَقْنَى فَأَنْفُكَ لا (١) * يَنفَكُّ ما بين أَمْرِ الشَّيْنِ والخَجَلِ
هَدَمْتَ قَاعِدَةَ المَعْرُوفِ عَن عَجَلٍ * شَقِيتَ، مَهْلًا أَمَا تَمْشِى عَلَى مَهَلِ
لَهْفِى ولَهْفَ بنى الآمَالِ قَاطِبَةً * على فَجِيعَتِهَا فى أكرم الدُّوَلِ ١٠
قَدِمْتُ مصرَ فَأَوْلَتْنِى خَلَائِفُهَا * من المَكَارِمِ ما أَرْبَى عَلَى أَمَلِى
قَوْمٌ عرفتُ لهم كَسْبَ الأُلُوفِ، ومِنْ * كَمَالِهَا أنها جَاءَتْ ولم أَسَلِ
وكُنتُ من وُزَرَاءِ الدَّسْتِ حَيْثُ سَمَا * رَأْسُ الحِصَانِ بِهَادِيهِ على الكَفَلِ
ونِلْتُ من عُظَمَاءِ الجَيْشِ تَكْرِمَةً * وخُلَّةً حُرِسَتْ من عَارِضِ الخَلَلِ
يا عاذلى فى هَوَى أَبْنَاءِ فَاطِمَةٍ * لَكَ المَلَامَةُ إن قَصَّرْتَ فى عَذَلِى ١٥
باللهِ! زُرْ ساحَةَ القَصْرَيْنِ وَٱبْكِ مَعِى * عَلَيْهِما لا على صِفِّينَ والجَمَلِ!
وقُلْ لأَهْلِيهِمَا : واللهِ مَا ٱلتَحَمَتْ * فيكم جُرُوحِى ولا قَرْحِى بِمُنْدَمِلِ
ماذَا تَرى كَانَتِ الإفْرِنْجُ فَاعِلَةً * فى نَسْلِ آلِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِى
[هَلْ كَانَ فى الأَمْرِ شَىْءٌ غيرِ قِسْمَةِ ما * مَلَكْتُمُو بَيْنَ حُكْمِ السَّبْىِ والنَّفَلِ] (٢)

(١) فى الخطط للقريزى "قرع السن" . (٢) الزيادة عن المقريزى . والنكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمنى (ص ٦١٣ طبع أوربا) . ٢٠

وقـد حصلتم عليها ، واسم جدكم * محمد وأبوكم خير منتعل
مررت بالقصر والأركان خالية * من الوفود ، وكانت قبلة القبل
فملت عنها بوجه خوف منتقد * من الأعادى ، ووجه الود لم يمل
أسبلت من أسفى دمعى غداة خلت * رحابكم وغدت مهجورة السبل
أبكى على مأثرات من مكارمكم * حال الزمان عليها وهى لم تحل ٥
(دار الضيافة) كانت أنس وافدكم * واليوم أوحش من رسم ومن طلل
و(فطرة الصوم) إذ أضحت مكارمكم ، * تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
و(كسوة الناس) فى الفصلين قد درست * ورث منها جديد عندهم وبلى
وموسم كان فى (يوم الخليج) لكم * يأتى تجملكم فيه على الجمل
و(أول العام) و(العيدين) كم لكم * فيهن من وبل جود ليس بالوشل ١٠
والأرض تهتز فى (يوم الغدير) كما * يهتز ما بين قصريكم من الأسل
والخيل تعرض فى وشى وفى شية * مثل العرائس فى حلى وفى حلل
وما حملتم قرى الأضياف من سعة الأط * باق إلا على الأكتاف والعجل
وما خصصتم ببر أهل ملتكم * حتى عممتم به الأقصى من الملل
كانت رواتبكم للوافدين وللضـ * ـيف المقيم والطارى من الرسل ١٥
ثم (الطراز) بتنيس الذى عظمت * منه الصلات لأهل الأرض والدول
وللجوامع من أخماسكم[1] نعم * لمن تصدر فى علم وفى عمل
وربما عادت الدنيا فمعقلها * منكم وأضحت بكم محلولة العقل
والله ! لا فاز يوم الحشر مبغضكم * ولا نجا من عذاب النار غير ولى
ولا سقى الماء من حر ومن ظمإ * من كف خير البرايا خاتم الرسل ٢٠

(١) فى المقريزى والنكت العصرية : "من إحسانكم" وهى أوضح .

[ولا رأى جنّة الله التى خُلقت * مَنْ خان عَهْدَ الإمام العاضد بن علي] (١)
أئمّتى وهُداتى والذخيرةُ لى * إذا ٱرتُهِنتُ بما قدّمتُ من عمل
والله لم نُوفِهِمْ فى المدح حقّهُم ! * لأنّ فضلهم كالوابل الهطل
ولو تضاعفت الأقوال وٱستبقت * ما كُنتُ فيهم بحمد الله بالخجل
باب النّجاة ، هُم دُنيا وآخرة * وحُبّهم فهو أصل الدّين والعمل
نُورُ الدُّجى ومصابيحُ الهُدى وهُمُ * من نُورِ خالص نُورِ الله لم يغل (٢)
والله لا زُلتُ عن حُبّى لهم أبدا * ما أخّر اللهُ لى فى مُدّة الأجل

قلت : وعُمارة هذا لم يكن على مُعتقد الشّيعة بل فقيها شافعيّا، قدم مصر برسالة عن القاسم بن هاشم بن أبى فليتة أمير مكة إلى الفائز أحد خلفائهم فى سنة خمسين وخمسمائة فى وزارة الصالح طلائع بن رُزّيك ، فأحسنوا له و بالغوا فى بره ، فأقام عندهم وتألف بهم ، وأتى فيهم من المدح بما بهر العقول ، ولم يزل مواليا لهم حتّى زالت دولتهم وٱستولى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله ، فرثاهم بهذه القصيدة ، فكانت آخر أسباب حتفه ، فصلب فيمن صُلب بين القصرين من أتباع الدولة الفاطمية .

تم الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع ، وأوّله " الحالة الثالثة من أحوال المملكة ، ما عليه ترتيب المملكة من ٱبتداء الدولة الأيوبية و إلى زماننا "

(١) الزيادة عن المقريزى والنكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمنى .
(٢) أصل هذا البيت فى خطط المقريزىّ والنكت العصرية بيتان وهما :
نور الدجى ومصابيح الهدى ومحل الغيث إن ونت الأنواء فى المحل
أئمة خلقوا نورا فنورهم * من نور خالص نور الله لم يفل

(مطبعة الدار ١٩٣٣/٦٠/١٥٠٠)

